منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله
الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات
المكتبة الاسلامية
طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي
تلفون ٥٢٥٤٣٨ - ٥٢١٩٦٦

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

شبكة الفكر
alfeker.net

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الجزء الرابع — الطبعة الرابعه

الناشر:

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع البوذرجمهری تلیفون (٥٢١٩٦٦)

حق چاپ و عکسبرداری از این نسخه محفوظ است

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

بسم الله الرحمن الرحيم

و من خطبة له عليه السلام و هى الثامنة والعشرون من المختار فى باب الخطب

و رواها في البحار من كتاب مطالب السّؤول لمحمّد بن طلحة ، ومن إرشاد الدّيلمي بتغيير تطلع عليه.

أمّا بَعْدُ فَإنَّ الدُّنيا قَدْ أَدْبَرَتْ وآذَنَتْ بِوَداعٍ ، وَإنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلاعٍ ، أَلاَ وَإنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمارُ وَ غَداً السِّباقُ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغايَةُ النّارُ ، أَفَلاَ تائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلاَ عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ؟ أَلاَ وَإنَّكُمْ فِي أَيّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ

فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ، أَلاَ وَ إِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، أَلاَ وَ إِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى، أَلاَ وَ إِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَجْهَزُونَ «تَحْرُزُونَ خ» بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً.

قال الرضيّ «قده» أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطرّ إلى عمل الآخرة، لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعا لعلايق الآمال، و قادحا زناد الا تعاظ والازدجار، و من أعجبه قوله ﷺ: ألا و إنّ اليوم المضمار و غداً السّباق والسّبقة الجنّة والغاية النّار، فانّ فيه مع فخامة اللّفظ و عظم قدر المعنى و صادق التمثيل و واقع التّشبيه، سرّاً عجيبا و معنى لطيفا، و هو قوله ﷺ: والسّبقة الجنّة والغاية النّار، فخالف بين اللّفظين لاختلاف المعنيين، و لم يقل: السّبقة النّار كما قال: والسّبقة الجنّة.

لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب و غرض مطلوب، و هذه صفة الجنّة، وليس هذا المعنى موجوداً في النّار نعوذ بالله منها فلم يجز أن يقول: والسّبقة النّار، بل قال: والغاية النار، لأنّ الغاية قد ينتهي إليها من لا يسرّه الانتهاء ومن يسرّه ذلك، فصلح أن يعبّر بها عن الأمرين معاً.

فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى: «قل تمتّعوا فانّ مصيركم إلى النّار» ولايجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم بسكون الباء إلى النّار فتأمّل ذلك، فباطنه عجيب و غوره بعيد لطيف، و كذلك أكثر كلامه عليه السّلام.

و قدجاء في رواية أخرى و السّبقة الجنّة بضمّ السّين ، والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسّابق إذا سبق من مال أو عرض ، والمعنيان متقاربان لأنّ ذلك لايكون جزاء على فعل الأمر المذموم ، و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

اللغة

(آذنت) بالمدّ أى أعلمت من الأذان بمعنى الاعلام قال سبحانه : « و أذان من الله و رسوله» (أشرف) عليه اطلع من فوق و (الاطلاع) هوالعلم يقال طلع على الأمر طلوعا علمه كاطلعه على افتعل وضمّر الخيل تضمير أعلفها القوت بعد السّمن كأضمرها و (المضمار) الموضع يضمر فيه الخيل ، و غاية الفرس في السّباق و (السّباق) هو المسابقة و (السّبقة) بالضمّ الخطر يوضع بين أهل السّباق كماذكره السّيد «ره» و (البؤس) الشدّة و (ظعن) ظعْنا و ظعَنا بالسّكون و التّحريك من باب نفع سار وارتحل و (تجهّزت) الأمر كذا تهيّأت له و جهاز الميّت والعروس والمسافر بالكسر والفتح ما يحتاجون إليه.

الاعراب

المضمار والسّباق وردا بالرّفع والنّصب أمّا رفع المضمار فعلى كونه خبر انّ واليوم اسمها، و أمّا نصبه فعلى كونه اسما واليوم خبراً.

و أورد بأنّه يلزم الاخبار عن الزّمان بالزّمان ، إذ المضمار زمان و اليوم كذلك فلو اخبر عنه باليوم فكان ذلك اخباراً بوقوع الزّمان في الزّمان ، فيكون الزّمان محتاجا إلى زمان آخر وهو محال.

و أجيب بمنع استلزام الاخبار بالزمان عن الزّمان كون الزّمان محتاجا إلى زمان آخر إذ ربّما يخبر عن بعض أجزاء الزّمان بالزّمان لافادة الجزئيّة لا بمعنى حصوله فيه والمضمار لمّا كان عبارة عن الزّمان الذي يضمر فيه الخيل ، وهو زمان مخصوص لتقيّده بوصف مخصوص صحّ الاخبار عنه باليوم.

و أمّا رفع السّباق فامّا على كونه مبتدء مؤخراً و غداً خبره و اسم انّ ضمير شأن مستتر ، أو على جعله خبر انّ و يحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف أى غدا وقت

السّباق ، و أمّا نصبه فعلى كونه اسم انّ وغداً خبرها، وهو واضح.

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحرانى أنّ هذه الخطبة من فقرات خطبة طويلة خطب بها يوم الفطر و سيجيء أوّلها في الكتاب ، و هي الخطبة الرّابعة و الأربعون المصدّرة بقوله : الحمدلله غير مقنوط من رحمته ، و نذكر تمامها هناك إنشاءالله برواية الصّدوق فانتظر.

و إنّما قدّمها الرّضيّ عليها مع كونها بعدها ، لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب من أنّه لايراعى التّتالي والنّسق و انّما يراعى النّكت واللمع ، وكيف كان فمدار ما ذكره هنا على التّزهيد في الدّنيا والتّرغيب في الآخرة فأشار أوّلا إلى عدم جواز الرّكون والاعتماد على الدّنيا بقوله:

(أمّا بعد فانّ الدّنيا قد أدبرت و آذنت بوداع) و أشار بادبارها إلى تقضّي أحوالها الحاضرة وشهواتها الموجودة لكلّ أحد أحد شيئاً فشيئاً كما قال عليه الصّلاة والسّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

رأيت الدّهر مختلفا يدور فلاحزن يدوم ولا سرور
وقد بنت الملوك بهقصوراً فما بقي الملوك ولاالقصور

وإنّما اطلق اسم الادبار على هذا التقضّي باعتبار أنّ اللذات الدّنيويّة لما كانت دائماً في التّغيّر والتقضّي المقتضى لمفارقة الانسان لها وبعدها عنه ، لاجرم حسن اطلاق إسم الادبار عليه تشبيها لها بالحيوان المدبر ، و لما كانت مفارقة الانسان عنها مستلزمة لأسفه عليها و وجده بها ، أشبه ذلك ما يفعله الانسان في حقّ محبوبه المرتحل عنه في وداعه له من الحزن والكابة ، فاستعير اسم الوداع له و كنى باعلامها بذلك عن الشّعور الحاصل بمفارقتها من تقضّيها شيئا فشيئا و هو اعلام بلسان الحال .

ثمّ نبّه على وجوب الاستعداد للآخرة بدنوّها من الانسان بقوله : (و انّ الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع) و مثله قال لقمان لابنه و هو يعظه: يا بنيّ إنك منذ سقطت إلى الدّنيا استدبرتها و استقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك

من دار أنت عنها متباعد.

وقال الشارح البحراني : و لمّا كانت الآخرة عبارة عن الدّار الجامعة للأحوال التي يكون الانسان عليها بعد الموت من سعادة و شقاوة و لذّة و ألم ، و كان تقضّي العمر مقرّبا للوصول إلى تلك الدّار والحصول فيما يشتمل عليه من خير أو شرّ ، حسن إطلاق لفظ الاقبال عليها مجازاً ثمّ نزّلها لشرفها على الدّنيا في حال إقبالها منزلة عال عند سافل فأسند إليها لفظ الاشراف ، و لأجل إحصاء الأعمال الدّنيوية فيها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع .

أقول : والى هذا المعنى اشير في الحديث القدسي : يابن آدم الموت يكشف أسرارك والقيامة يتلو أخبارك ، والكتاب يهتك استارك الحديث.

ثمّ نبّه على وجوب التهيّأ بذكر ما يسير إليه و هو الجنّة و ما يصار إليه و هو النّار بقوله : (ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السّباق) أراد باليوم مدّة العمر الباقية و أطلق اسم المضمار عليها باعتبار أنّ الانسان في تلك المدّة يستعدّ بالتّقوى والعمل الصالح للسّبقة إلى لقاءالله والتّقرّب إلى حضرته كما أنّ الفرس يستعدّ بالتّضمير إلى سبق مثله .

و كنى بالغد عمّا بعد الموت و أطلق اسم السباق عليه باعتبار أنّ أفراد النّاس لمّا كانت متفاوتة في حبّ الدّنيا والاعراض عنها، و ذلك التّفاوت كان موجبا للقرب والبعد والسّبق واللحوق في الدار الآخرة ، فكان السّباق هناك.

بيان ذلك أنّ من كان أكثر استعداداً و أقطع لعلايق الدّنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عايق عن الوصول إلى الله و مانع عن إدراك رضوان الله.

ومن اشرب قلبه حب الدّنيا و افتتنت بها لا يمكن له الوصول الى درجات السّابقين الأولين والنيل الى مراتب المقرّبين ، و من كان أقلّ استعداداً من هؤلاء و أشدّ علاقة للدنيا ، كان من التّالين المقصّرين كما قال عليه السلام في بعض كلماته السّالفة : ساع سريع نجى و طالب بطيء رجى ومقصّر في النّار هوى والسّبقة الجنّة يستبق اليها السّاع السّريع والغاية النّار يصير اليها التّالي الوضيع.

ثمّ أمر بالتّوبة قبل الموت و إدراك الفوت بقوله : (أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته) إذ بالتّوبة يتخلى النّفس عن الرذايل و تستعدّ للتّحلية بالفضايل، فلا تنتظروا بالتّوبة غداً فانّ دون غدبو ما وليلة قضاء الله فيها يغدو و يروح.

و إنّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليما حكيما ، و ليست التّوبة للّذين يعملون السّيآت حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّى تبت الآن ولا الّذين يموتون و هم كفّار اولئك اعتدنالهم عذابا اليماً .

(ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه) عملا ينجيه من البأس و العذاب و يفضيه إلى الرّاحة و حسن الثّواب ، و هو الاتيان بالطاعات والانتهاء عن المنهيّات.

(ألا و إنكم في أيّام أمل من ورائه أجل فمن عمل) لنفسه (في ايّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله) الذي اكتسبه (ولم يضرّه أجله) الذي حلّ به، ويكون حاله بعد موته حال الغايب الذي قدم على وطنه و أهله (و من قصر في أيام أمله قبل حضور أجله) و فرط في طاعة ربه والتّزود لآخرته (فقد خسر عمله) الذي عمله (و ضرّه أجله) الذي حلّه و يكون حاله بعد موته حال الآبق الذي قدم به على مولاه.

و قريب من هذا المضمون كلامه عليه السلام المرويّ في البحار عن كتاب اعلام الدّين قال : النّاس في الدّنيا عامل في الدّنيا للدّنيا قد شغلته دنياه عن آخرته ، يخشى على من يخلفه الفقر و يأمنه على نفسه ، فيفنى عمره في منفعة غيره، و آخر عمل في الدّنيا لما بعدها ، فجائه له من الدّنيا بغير عمله فأصبح ملكا لايسال الله شيئاً فيمنعه.

(ألا فاعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة) و هو تنبيه على وجوب التّسوية في العمل بين حال الأمن والخوف و حالة الرّخاء والشدّة ، ولايكون ذلك إلاّ عن نيّة صادقة و عبوديّة خالصة و فيه إشعار بالتّو -ـ على الغفلة عن ذكر الله والاعراض عن عبادته في حال اللذات الحاضرة والخيرات الواصلة و اللجأ إليه والفزع

منه عند الحوادث الهايلة والمصايب النازلة.

قال سبحانه : « وإذا أنعمنا على الانسان أعرض و نأى بجانبه وإذا مسّه الشّر فذو دعاء عريض» (ألا وانّى لم أر) نعمة (كالجنّة نام طالبها ولا) نقمة (كالنّار نام هاربها) و فيه تنبيه للموقنين بالجنّة والنّار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة ليتنبهوا منها و يستعدّوا بالعمل لما ورائهم من النّعم والنّقم.

و فيه شيمة التعجب من جمع الموقن بالجنّة و بين عمله بما في الجنّة من تمام النّعمة و بين تقصيره عن طلبها بما يؤدّى إليهامن صالح الأعمال و كريم الأفعال و من جمع الموقن بالنّار بين علمه بما فيها من تمام النّقمة و بين الغفلة عن الهرب منها إلى ما يخلص عنها.

(ألا) و إنّ الحقّ كاسب للمنفعة والباطل جالب للمضرّة (و إنّه من لم ينفعه الحقّ) لاعراضه عنه و عدم سلوكه سبيله (يضرّه الباطل) الذي وقع فيه و يستنصر به لامحالة (و من لايستقم به الهدى) و نورالعلم والعرفان (يجرّ به الضّلال) وظلمة الجهل (الى الرّدى) والخذلان.

يعنى أنّ من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله في سبيل الله و يستقم به في سلوك صراطه المستقيم ، فلابدّ و أن ينحرف به الضّلال عن سواء الصراط إلى أحد جانبى التّفريط و الافراط.

(ألا و إنكم قد اُمرتم بالظعن) والرّحيل و السّلوك إلى الله و السّعى الى رضوان الله (و دللتم على الزّاد) المقوّى على السّير والسّلوك والمهيّيء للوصول الى حظيرة القدس ، و هو التّقوى الذي هو مفتاح السّداد و ذخيرة المعاد كما قال سبحانه وتعالى: «و تزوّدوا فانّ خير الزّاد التقوى»

(و إنّ أخوف ما أخاف عليكم) من اُمور الدّنيا اثنتان ، **احداهما** (اتّباع الهوى) القائد إلى الرّدي (و) **الثانية** (طول الأمل) الشّاغل عن الآخرة (فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا) بالعلم والعمل.

أمّا العلم فلأنّ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطة هذا البدن إما بوساطة

الحواسّ الظاهرة أو الباطنة و تفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات و مباينانها و ظاهر أنّ هذا من الدّنيا في الدّنيا.

و أما العمل فلأنّه عبارة عن حركات و سكنات مستلزمة لهيئآت مخصوصة وهي إنّما تحصل بواسطة هذا البدن أيضاً ، و كلّ ذلك من الدّنيا في الدّنيا، وكيف كان فهمازادان موصلان إلى الله سبحانه فليتزوّد منهما (ما تحرزون به أنفسكم غدا) و تحفظونها من عذاب النّار و من غضب الجبار.

تكملة

قد أشرنا إلى أنّ هذه الخطبة مروية في البحار من كتاب مطالب السّؤول و من إرشاد المفيد ، و لمّا كان رواية الارشاد مختلفة لرواية السّيد أحببنا ذكرها .

فأقول : قال في الارشاد : من كلام أمير المؤمنين ما اشتهر بين العلماء وحفظه ذووا الفهم والحكماء : أما بعد فانّ الدّنيا قدادبرت و آذنت بوداع ، و إنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ألا وإنّ المضمار اليوم وغداً السّباق، والسّبقة الجنة والغاية النار ألا و إنكم في أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص لله عمله لم يضرّه امله ، و من أبطأ به عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله.

ألا فاعملوا في الرّغبة والرّهبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله و اجمعوا معها رهبة ، و إن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله و اجمعوا معها رغبة ، فانّ الله قد تأذن للمحسنين بالحسنى ولمن شكر بالزّيادة ولا كسب خير من كسبه ليوم تدّخر فيه الذخاير و يجمع فيه الكباير وتبلى فيه السّرائر.

و إنّي لم أر كالجنّة نام طالبها ولا مثل النّار نام هاربها ، ألا و إنّه من لا ينفعه اليقين لضرّه الشّك ، و من لا ينفعه حاضر لبّه و رأيه فغائله عنه أعجز ،ألا و إنكم قد أمرتم بالظّعن ودللتم على الزّاد و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى و طول الأمل ، لأن اتباع الهوى يصدّ عن الحقّ و طول الأمل ينسى الآخرة.

وإنّ الدّنيا قد ترحلت مدبرة وان الآخرة قد ترحلت مقبلة و لكلّ واحد منهما بنون

فكونوا ان استطعتم من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، فانّ اليوم عمل ولا حساب و غداً حساب ولا عمل

تزهيد و ترغيب

في ذكر طايفة من الأحاديث المنبّهة عن نوم الغفلة و المزهّدة عن الدّنيا المرّغبة في الآخرة.

مثل ماروا محمّد بن يعقوب الكليني عطرالله مرقده باسناده عن محمّد بن مسلم بن عبيدالله قال : سئل عليّ بن الحسين عليهما السّلام أيّ الأعمال أفضل عندالله عزّ وجلّ قال : ما من عمل بعد معرفةالله تعالى و معرفة رسول‌الله أفضل من بغض الدّنيا، فان لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعب

فأوّل ما عصي‌الله عزّ وجلّ به الكبر معصية ابليس لعنه‌الله حين أبى واستكبر و كان من الكافرين .

ثمّ الحرص وهي معصية آدم وحوّاء حين قال الله لهما : « كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فأخذا ما لاحاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذرّيتهما إلى يوم القيامة فلذلك ان أكثر ما يطلب ابن آدم مـالا حاجة به إليه.

ثمّ الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعّب من ذلك حبّ النساء و حبّ الدنيا « الدينار خ ل » و حبّ الرّياسة و حبّ الرّاحة و حبّ الكلام و حبّ العلوّ و حبّ الثّروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلّهنّ في حبّ الدّنيا فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة والدّنيا دنيا آن : دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .

و بهذا الاسناد عن المنقرى عن حفص بن غياث عن أبي‌عبد الله عليه السلام قال في مناجاة موسى عليه السلام : ياموسى إنّ الدّنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته وجعلتها ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما كان فيها لي ؛ يا موسى إنّ عبادى الصّالحين زهدوا في الدّنيا بقدر علمهم و ساير الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم ، و ما من أحد عظّمها

فقرّت عينه فيها ولم يحقّرها احد الاّ انتفع بها.

و باسناده عن مهاجر الأسدي عن أبيعبدالله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم على قرية قدمات أهلها و طيرها و دوابّها؛ فقال: أما انّهم لم يموتوا إلاّ بسخطة ولو ما توا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريّون: يا روح الله و كلمته ادع الله أن يجيبهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنّبها فدعى عيسى ربّه، فنودي من الجوّ: نادهم.

فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله و كلمته فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفلة في لهو و لعب.

فقال: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصّبيّ لأمّه إذا اقبلت علينا فرحنا و سررنا، و إذا أدبرت عنّا بكينا و حزنّا قال: كيف كان عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصى، قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية و أصبحنا في الهاوية.

قال: وما الهاوية؟ قال: سجّين، قال: وما سجّين: قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة، قال، فما قلتم و ما قيل لكم؟ قال: قلنا: ردّنا إلى الدّنيا فنزهد فيها قيل: لنا كذبتم قال: و يحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله و كلمته انّهم ملجمون بلجام من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد، و إنّى كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّنى معهم، فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم لا أدرى اكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى إلى الحواريّين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنّوم على المزابل خير كثير مع عافية الدّنيا والآخرة.

وعن ابن أبي يعفور قال سمعت أباعبدالله عليه السلام: يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لايفنى و أمل لايدرك و رجاء لاينال.

و عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ الدّنيا قد لرتحلت مدبرة و إنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، و لكلّ واحدة منهما بنون ، فكونوامن أبناء الآخرة ولاتكونوامن أبناءالدّنيا.

ألا و كونوا من الزّاهدين في الدّنيا الرّاغبين في الآخرة ، ألا إنّ الزّاهدين في الدّنيا اتّخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا ، و قرضوا من الدّنيـا تقريضاً .

ألا و من اشتاق إلى الجنّة سلا من الشّهوات ، و من أشفق من النّاررجع عن المحرّمات ، و من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إنّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنّةفي الجنةمخلّدين، وكمن رأى أهل النّار في النارمعذّبين ،شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة ، فصاروابعقبى راحة طويلة.

أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربّهم يسعون في فكاك رقابهم

و أمّا النّهار فحكماء علماء بررة أتقياء ، كأنّهم القداح قد بريهم الخوف من العبادة ينظر إليهم النّاظر فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النّار و ما فيها.

و من عيون أخبار الرّضا عن أبيه عن سعدعن ابن هاشم عن ابن المغيرةقال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول

انك في دار لها مدّة — يقبل فيها عمل العامل
الاترى الموت محيط بها — يكذب فيها امل الآمل
تعجل الذنب بماتشتهى — و تأمل التوبة في قابل
والموت يأتي اهله بغتة — ما ذاك فعل الحازم العاقل

الترجمة:

از جمله خطب شريفهٔ آن حضرتست كه تزهيد مى‌فرمايد در آن بندگان را

از دنیا و ترغیب می‌نماید ایشانرا در اخری ومیفرماید:

پس از حمد خدا و درود بر خاتم انبیا پس بتحقیق که دنیا رو گردانیده و اعلام کرده بوداع وفراق، و بدرستیکه آخرت رو آورده و مشرف شده است بظهور و اطلاع، آگاه باشید که امروز که زمان مدت عمر است وقت کداختن بدنست و ریاضات نفسانیه بأعمال صالحه، و فردا که روز قیامت است پیشی جستن است در ترقی نمودن در درجات عالیه، و پیش برد اهل آن سرا بهشت جاویدانست، و منتهای کار این سرا آتش سوزان.

پس آیا هیچ توبه کنندهٔ نیست از گناهان خود پیش از رسیدن مرك ؟ و آیا هیچ عمل کنندهٔ نیست پیش از روز سختی و شدت ؟ آگاه باشید بدرستیکه شما هستید در روز کارامیدواری که از عقب اوست مرك و گرفتاری، پس هر که عمل کند در روزهاي امید خود پیش از حضور اجل او پس بتحقیق که زیان نبخشد اورا عمل او وضرر نرساند اورا اجل او.

آگاه باشید پس عمل نمائید در زمان فراغت ورغبت همچنانکه عمل میکنید در زمان خوف وخشیت، بدانید و آگاه باشید بدرستیکه من ندیدم نعمتی همچو بهشت که بخوابد طالب او، و نه نقمتی مانند آتش سوزنده که بخوابد گریزندهٔ او، بدانید بتحقیق کسیکه سود نرساند او ر احق و راستی زیان رساند او را باطل و ناراستی، وهر که براه راست نیارد او را هدایت بکشد او را گمراهی بچاه هلاکت.

آگاه باشید بدرستیکه شما امر کرده شده اید برفتن جانب خداوند احدیت و دلالت کرده شده‌اید بر ذخیره و توشهٔ این طریقت، و بدرستیکه ترسناك ترین چیزیکه می‌ترسم بر شما متابعت خواهشات نفسانیه است، و درازی امید بزخارف دنیویه، توشه بر دارید در دنیا از دنیا آن مقداری که با آنچیزیکه بتوانید نگه بدارید با آن نفسهای خود را فردا.

و من خطبة له عليه السلام و هى التاسعة والعشرون من المختار في باب الخطب

خطب بها في غارة الضّحاك بن قيس على ما تعرفها تفصيلا وقد رواها في شرح المعتزلي من ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكليني والعلامة المجلسي في البحار من امالى الشّيخ و ارشاد المفيد، والشيخ السعيد أبو المنصور احمد بن علي الطبرسي في كتاب الاحتجاج باختلاف كثير تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما اورده السّيد في الكتاب و هو قوله

أيُّها النّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أبدانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أهواؤُهُمْ، كَلامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فيكُمُ الْأَعْداءَ، تَقُولُونَ في الْمَجالِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ، فَإذا جاءَ الْجِهادُ قُلْتُمْ حَيْدي حَيادِ، ما عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعاكُمْ ولاَ اسْتَراحَ قَلْبُ مَنْ قاساكُمْ، أعاليلُ بِأضاليلَ، وَ سَألْتُمُوني التَّطْويلَ، دِفاعَ ذي الدَّيْنِ الْمَطُولِ لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّليلُ، وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إلاّ بِالْجِدِّ أيَّ دارٍ بَعْدَ دارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أيِّ إمامٍ بَعْدي تُقاتِلُونَ، الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَ مَنْ فازَ بِكُمْ فَقَدْ فازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَ مَنْ رَمى بِكُمْ فَقَدْ رَمى بِأفْوَقَ ناصِلٍ أصْبَحْتُ، وَ واللهِ لاَ اُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلاَ أطْمَعُ في نَصْرِكُمْ، وَلاَ اُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ، ما بالُكُمْ ما دَواؤُكُمْ ما طِبُّكُمْ، الْقَوْمُ رِجالٌ أمْثالُكُمْ، أقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَغَفْلَةً «وَعِفَّةً خ» مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَطَمَعاً في غَيْرِ حَقٍّ.

اللغة

(الوهي) الضعف و وهى الحجر والسقاء كوقي انشق و اوهاه شقه و (الصم) و (الصلاب) من أوصاف الحجر والصخرة الصماءالتي ليس فيها صدع ولاخرق(وكيت و كيت) كناية عن القول و(حيدي حياد) قال الشارح المعتزلي كلمة يقولهاالهارب الفار وهي نظير قولهم : فيحى فياح اي اتسعي ، و أصلها من حاد الشيء أي انحرف وقالالشارح البحراني حياد اسم للمغارة والمعنى اعدلى عنا أيتها الحرب ، و يحتمل أن يكون من اسماء الأفعال كنزالفيكونقد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين.

أقول : قال نجم الأئمة الرضي فعال المبنى على أربعة أضرب : **الاول** اسم فعل كنزال**الثاني** المصدرنحولامساس أيلامس **الثالث** الصفة المؤنثة و لم يجيء في المذكر و جميعها يستعمل من دون الموصوف وهي بعد ذلك على ضربين : إما لازمة للنداء سماعا نحو يالكاع اي لكعاء و يافساق و ياخباث اي يا فاسقةوياخبيثة وأما غير لازمة للنداء وهي على ضربين.

أحدهما ما صار بالغلبة علما جنسيا كاسامة و جعل من هذا القسم حلاق وجباذللمنية كانتفيالأصلصفة لكل ماتحلقعامةوتجبذأى تجذب ثم اختصت بجنس المناياو فشاش و صماموحياد للداهية لانها تفشاي تخرج ريحالكبروتحيداي تميل سميت بها تفولا وتصم اي تشتد . يقال فشاش فشيه من استه الى فيه اي اخرجيريح الكبر منه من استه مع فيهويقال حيدي حياد أي ارجعى ياراجعة و يقال صمي صمام اي اشتدي يا شديدة اي زيدي في الشدة ،وأبقى على شدتكو فياح للغارةيقولون فيحى فياح اي اتسعى يا متسعة على تأويل صمي صمام .

قال فهذه و امثالها أعلام للجنس بدليل وصفها بالمعرفة نحو حناذ الطالعةولو لم يكن معارف ام يجز حذف حرف النداء معها في نحو فشاش فشيهوحيدي حياد .

والضرب الثاني من غير اللازمة للنداء مابقى على وصفيتها نحو قطاط اي قاطة ، و لزام اي لازمة،وبداد اي متبددة متفرقةو**الرابع** الأعلام الشخصيةوجميع ألفاظها مؤنثة و إن كان المسمى بها مذكراً ايضاً نحو لصاف منزل من منازلبني

تميم و خصاف فحل و حضار كوكب و ظفار مدينة و قطام اسم امرأة إلى آخر ما ذكره.

وقد لخّصناه بطوله لعدم اقتضاء المجال إلاّ ذكر هذا القدر و قد تحصل منه أنّ حياد علم جنس للداهية فعلى ما ذكره بطل ما توّهمه الشّارح البحراني من جعلها علما للغارة اواسم فعل كنزال.

و (عز) فلان بالزّاء المعجمة المشدّدة قوى بعد ذلة و (قاساه) كابده و (اعاليل) و (اضاليل) قال البحراني: جمع أعلال و أضلال وهما جمع علّة اسم لما يتعلل به من مرض و غيره و ضلة اسم من الضّلال و (المطول) كصبور كثير المطال، و هو تطويل الوعد و تسويفه و (الضيّم) الظلم، و في بعض النّسخ بدل تمنعون تمتّعون على التّفعل بحذف إحدى التّائين أي تنتفعون و (الاخيب) أشدّ خيبة وهي الحرمان و (الافوق) السّهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه و (النّاصل) الذى لانصل فيه و (غفلة) في بعض النّسخ عفّة بدله.

الاعراب

كلمة كيت لاتستعمل إلامكررة بواو العطف، وهي مبنيّة لوقوعها موقع الجملة الغير المستحقة للاعراب.

فان قيل: و كان يجب أن لاتكون مبنيّة كالجمل.

قيل: يجوز خلوّ الجمل عن الاعراب والبناء لأنهما من صفات المفردات ولا يجوز خلوّ المفرد عنهما فلما وقع المفرد مالا إعراب له في الأصل و لابناء ولم يجز أن يخلو أيضاً عنهما مثله بقى على الأصل الذى ينبغي أن تكون الكلمات عليه وهو البناء إذ بعض المبنيّات و هو الخالى عن التركيب يكفيه عريه عن سبب الأعراب فعريه عن سبب الاعراب سبب البناء كما قيل عدم العلّة علّة العدم.

فان قلت: إنّها وضعت لتكون كناية عن جملة لها محلّ من الاعراب نحو قال فلان كيت و كيت أي زيد قائم مثلا وهي في موضع النّصب.

قيل : إنّ الاعراب المحلى في الجملة عارض فلم يعتد به و كيف كان فبنائها على الفتح أكثر لثقل الياء كما في أين و كيف و لكونها في الأغلب كناية عن الجملة المنصوبة المحل ، و يجوز بنائها على الضمّ والكسر أيضاً تشبيها بحيث وجير وحياد وامثالها مبنيّة على الكسر .

قال نجم الأئمة الرّضيّ : و أمّا الأعلام الجنسية فكان حقّها الاعراب لأنّ الكلمة المبنيّة إذا سمى بها غير ذلك اللفظ وجب إعرابها كما يسمّى باين شخص لكنّها بنيت لأنّ الأعلام الجنسيّة أعلام لفظية ، فمعنى الوصف باق في جميعها إذ هي أوصاف غالبة انتهى .

و في اسناد عزت إلى الدّعوة توسع ، وأعاليل خبر مبتدء محذوف ، و بأضاليل متعلقة بأعاليل نفسها أى إذا دعوتكم إلى القتال تعللتم و هي أعاليل بالأضاليل التي لاجدوى لها .

و دفاع إمّا منصوب بحذف الجار تشبيها لدفاعهم بدفاع ذى الدّين ، أو مرفوع استعارة لدفاعهم ، والمغرور مبتدء و من خبره ، وهو أولى من جعله خبراً مقدّما و من مبتدء لكونه أبلغ في إثبات الغرور لمن اغترّبهم من حيث إفادته الحصر دون العكس ، و قولا و غفلة و طمعا منصوبات بالأفعال المقدّرة

المعنى

قد أشرنا أنّ السّبب في هذه الخطبة هو غارة الضّحاك بن قيس بعد قصّة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك على ما روى في شرح المعتزلي و غيره من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى باختصار منّا هو :

أنّ معاوية لما بلغه أنّ عليّا بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلاً هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً و بعث إلى كور الشّام فصاح فيها أنّ عليّا قد ساء إليكم فاجتمع إليه النّاس من كلّ كورة و أرادوا المسير إلى صفّين .

فمكثوا يجيلون الرّأى يومين أو ثلاثة حتّى قدمت عليهم عيونهم أنّ عليّا اختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقة انكرت أمر الحكومة و أنّه قد رجع عنكم

إليهم فكبر النّاس سرور الانصرافه عنهم و ما ألقى الله عزّ وجل من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكرا في مكانه منتظراً لما يكون من عليّ و أصحابه وهل يقبل بالنّاس أم لا ، فما برح حتّى جاء الخبر أنّ عليّاً قد قتل اولئك الخوارج وأنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالنّاس و أنّهم استنظروه و دافعوه فسرّ بذلك هو و من قبله من النّاس.

فعند ذلك دعى معاوية الضّحاك بن قيس الفهري و قال له : سر حتّى تمر بناحية الكوفة و ترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه و إن وجدت له مسلحة أو خيلا فاغر عليها و إذا أصبحت في بلدة فامس في اخرى ولاتقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها.

فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، فأقبل الضّحاك فنهب الأموال و قتل من لقى من الأعراب حتّى مرّ بالثّعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الذّهلي و هو ابن أخي عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة و قتل معه ناسا من أصحابه فخرج عليّ عليه السلام إلى النّاس وهو يقول على المنبر :

يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف آخر اخرجوا فقاتلوا عدوّكم و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً و رأى منهم عجزاً وفشلا فقال : والله لوددت إنّ لى بكلّ ثمانية منكم رجلا منهم ويحكم اخرجوا معي ثمّ فرّوا عني ما بدالكم فوالله ما أكره لقاء ربّى على نيتي و بصيرتي و في ذلك لي روح عظيم و فرج من مناجاتكم و لمّا رأى تثاقل أصحابه و تقاعدهم عنه خطبهم بهذه الخطبة فقال:

(أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهوائهم) والمتفرّقة آرائهم(كلامكم يوهي) الجبال (الصّم الصّلاب)أى الضعيف القلوب الصّلبة التي هى كالحجارة أو أشدّ قسوة ، و يظنّ السّامعون أنّ ورائه بأسا و نجدة

(و فعلكم يطمع فيكم الأعداء) أراد به تخاذلهم عن الجدال و تقاعدهم عن

القتال (تقولون في المجالس) إذا حنيتم و أنفسكم (كيت و كيت) اى سنغلب عدوّنا و نقتل خصومنا ولا محلّ لهم منّا و نحو ذلك (و إذا جاء الجهاد) و شاهدتم الانجاد (قلتم حيدى حياد) و كنتم كالحمرة المستنفرة فرّت من قسورة ٠

(ما عزّت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم) يعنى من دعاكم لم يعز بدعوته من ذلته ، و من قاساكم لم يسترح قلبه من تعبه وإذا دعوتكم إلى الجهاد والقتال تعللتم بامور وهي (أعاليل) باطلة (بأضاليل) لاجدوى لها ولا طائل تحتها (و سألتموني) التأخير (والتطويل) كلّ ذلك ذبّاً عنكم ودفاعاً عن أنفسكم (كدفاع ذي الدّين المطول) عن نفسه المماطل لدينه اللازم له (لايمنع الضيم الذّليل) الحقير (ولايدرك الحقّ الاّ بالجدّ) والاجتهادو التّشمير

في (اىّ دار) أو عن اىّ دار (بعد داركم) التي أنتم عليها و هو العراق أو دارالاسلام التي لانسبة لغيرها إليها (تمنعون) عدوّكم إذا أخرجوكم عن دياركم و مساكنكم (و مع أىّ امام بعدى تقاتلون) خصومكم إذ تركتم القتال و نئيتم عنه بجانبكم.

ليس (المغرور والله) إلاّ (من غرر تموه) حيث اغترّبكم مع كثرة مايشاهد منكم من خلف المواعيد والتّثاقل عن الجهاد و ما يصدر عنكم من أفعال الرذول الاوغاد (و من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب) إخبار عن سوء حال من كانوا حزبه و من يقاتل بهم والتّعبير عن الابتلا بهم بالفوز على التهكم والسّهم الأخيب التي لاغنم لها في المسير كالثلاثة المسمّاة بالاوغاد أو التي فيها غرم كالتي لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم و خيبة.

و قد شبّه نفسه و خصومه باللاعبين بالميسر و شبّه فوزه بهم بالفوز بأحد السّهام الخايبة فلأجل ملاحظة هذا الشّبه استعار لهم لفظ السّهم بصفة الاخيب و اطلاق الفوز هنا مجاز من باب اطلاق أحد الضّدّين على الآخر مثل تسمية السّيئة جزاء

(و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) شبّه إرسالهم في الحرب بالرّمى بالسّهام و استعار لهم أوصاف السّهم من الأفوق و استعار لفظ الرّمى لمقاتلته بهم ثم خصّصهم بأرده الاوصاف للسّهم التي يبطل معها فايدته لمشابهتهم ذلك السّهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وعدم الظفر معهم بالمقصود.

(اصبحت والله لا اصدّق قولكم) لكثرة ما شاهدت منكم من العدات الباطلة والأقوال الكاذبة (ولا أطمع في نصركم) مع تثاقلكم عن الجهاد و تقاعدكم عن القتال غير مرّة (ولا اوُعد بكم العدوّ) اذ الوعيد بهم مع طول تخلّفهم و شعور العدوّ بذلك ممّا يوجب جرئة العدوّ و تسلّطه و جسارته.

(ما بالكم) و ما شأنكم الذي اوجب لكم التخاول والتّصامم عن ندائى و (ما دوائكم) و (ما طبكم) كى اُداوى و اُعالج المرض الذي اضعفكم عن استماع دعائى .

و قيل ان الطبّ بمعنى العادة على حدّ قوله:

فما ان طبّنا جبن ولكن منايانا و دولة آخرينا

والأوّل هو الأظهر (القوم رجال أمثالكم) فما أخوفكم منهم.

قال الشّاعر :

قاتلوا القوم يا خزاع ولا يدخلكم من قتالهم فشل
القوم أمثالكم لهم شعر في الرّأس لاينشرون ان قتلوا

ثمّ عيّرهم على امور مستقبحة شرعا منفور عنها عادة.

احدها ما أشار إليه بقوله : (أقولا بغير علم) أراد به قولهم إنّا نفعل بالخصوم كذا و كذا مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب أو دعويهم الايمان و الطاعة مع عدم الاطاعة فكأنّهم لايذعنون بما يقولون ، و على الرّواية الأخرى وهي أقولا بغير عمل كما هو الأظهر فيكون إشارة إلى ما يعدونه به من النّهوض إلى الحرب مع عدم وفائهم با لوعد و عدم قيامهم بما قالوا تذكيراً لهم بما في ذلك من المقت الشديد والخزى الأكيد ، قال سبحانه : « لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عندالله أن

تقولوا ما لا تفعلون»

الثّاني ما أشار إليه بقوله (و غفلة من غير ورع) أراد به غفلتهم عمّا يصلحهم من غير ورع يحجزهم عن المحارم و ينبّههم عن نوم الغفلة

الثّالث ما أشار إليه بقوله (و طمعا في غير حقّ) لعله أراد به طمعهم في أن يوفر عطياتهم و يمنحهم زيادة على ما كان يؤتيهم، و كأنّه عقل من بعضهم أنّ سبب تسويفهم و تخلّفهم عن ندائه هو الطمع في التّوفير كما فعل معاوية والخلفاء قبله خذلهم الله، فردعهم عن ذلك بأنّه طمع من غير استحقاق هذا.

و روى في شرح المعتزلي من كتاب الغارات لابراهيم الثّقفي أنّ عليّا دعا حجر بن عديّ الكندي بعد غارة الضحاك فعقد له على أربعة ألف فخرج حجر حتّى مر بالسّماوة وهي أرض كلب فلقى بها امرء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكابي وهم أصهار الحسين بن عليّ بن أبي طالب فكانوا ولاءه في الطريق و على المياه فلم يزل في أثر الضّحاك حتى لقاه بناحية ترمد فواقعه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضّحاك تسعة عشر رجلا، وقتل من أصحاب حجر رجلان وحجز الليل بينهما، فمضى الضّحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له ولا لأصحابه أثراً، و كان الضّحاك يقول بعد: انا ابن قيس انا ابو انيس انا قاتل عمرو بن عميس.

تكملة

قد اشرنا سابقا إلى انّ هذه الخطبة مرويّة بطرق متعدّدة، والمستفاد من رواية الاحتجاج والبحار من الارشاد انّها من الخطبة السّابعة والعشرين ملتقطة من خطبة طويلة له عليه السلام ولا بأس بذكر تلك الرّواية زيادة للبصيرة.

فأقول: قال في الاحتجاج والارشاد على ما رواه من الأخير في البحار: ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الاحتجاج مشتملا على التّوبيخ لأصحابه على تثاقلهم عن قتال معاوية والتنفيذ متضمّنا للّوم والوعيد.

ايّها النّاس انّى استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا، و أسمعتكم فلم تجيبوا، و نصحت لكم فلم تقبلوا شهودا بالغيب، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها،

و أعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون عنها، كأنكم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ، و أحثكم على جهاد أهل الجور ، فما اتى عليّ آخر قولي حتى اراكم متفرّقين أيادى سبا، ترجعون إلى مجالسكم، تتربعون حلقا ، تضربون الأمثال؛ وتنشدون الأشعار ، و تجسّسون الأخبار.

حتّى إذا تفرّقتم تسئلون عن الأسعار جهلة من غير علم ، و غفلة من غير ورع و تتبّعا من غير خوف ، و نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغةمن ذكرها ، شغلتموها بالأعاليل والأضاليل ، فالعجب كلّ العجب و كيف لا اعجب من اجتماع قوم على باطلهم و تخاذلكم عن حقّكم.

يا اهل الكوفة انتم كأمّ مجالد حملت فاملصت(١) فمات قيّمها ، وطال ايّمها ، و ورثها ابعدها والذى فلق الحبّة وبرء النّسمة إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدّنيا لاتبقى ولاتذر ، و من بعده النهّاس(٢) الفراس الجموع المنوع .

ثمّ ليتوارثنكم من بني اميّة عدّة ما لآخر بأرءف بكم من الأوّل ما خلا رجلا واحدا(٣) ، بلاء قضاءالله على هذه الامة لامحالة كاين، يقتلون أخياركم ، و يستعبدون أراذلكم ، و يستخرجون كنوزكم و ذخايركم من جوف حجالكم نقمة بما ضيّعتم من اموركم ، و صلاح انفسكم و دينكم.

يا اهل الكوفة اخبركم بما يكون قبل ان يكون لتكونوا منه على حذر ، و لتنذروا به من اتّعظ و اعتبر ، كأنّى بكم تقولون : إنّ عليّا يكذب كما قالت قريش لنبيّها و سيّدها نبيّ الرّحمة محمّد بن عبدالله حبيب الله.

فياويلكم فعلى من اكذب ؟ أعلى الله فأنا أوّل من عبدالله و وحّده ، أم على

---

١ ـ املصت المرة بولدها أسقطت

٢ـ النهاس اللحم اخذه بمقدم الاسنان و نهس الحية لسعها و فرس الاسد فريسته دق عنقها والمراد بالنهاس الفراس ، اماهشام بن عبدالملك لاشتهاره بالبخل او سليمان بن عبدالملك فانه الذى قمنيت له الخلافة بعد وفات الحجاج بقليل بعار.

٣ ـ عمر بن عبدالعزيز

رسول الله فأنا أوّل من آمن به و صدّقه و نصره ، كلاّ و لكنّها لهجة (١) خدعة كنتم عنها أغنياء .

و الذي فلق الحبّة و برء النّسمة لتعلمنّ نبأها بعد حين ، و ذلك إذا صيّرها، اليكم جهلكم لاينفعكم عندها علمكم ، فقبحاً لكم يا أشباح الرّجال ولارجال و حلوم الأطفال و عقول ربّات الحجال ، أما والله أيّتها الشّاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهوائهم ، ما أعزّ الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، ولاقرّت عين من أراكم ، كلامكم يوهن الصمّ الصّلاب ، و فعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب.

ياويحكم أيّ دار بعد داركم تمنعون ، و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غرر تموه ؛ و من فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب، أصبحت لاأطمع في نصرتكم ولاأصدّق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني ربّكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم من هو شرّ لكم منّي.

إمامكم يطيع الله و أنتم تعصونه ، و إمام أهل الشّام يعصى الله وهم يطيعونه ، والله لوددت إنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم فأخذ منّي عشرة منكم و أعطاني واحداً منهم ، والله لوددت انّي لم أعرفكم ولم تعرفوني ،فانّه معرفة جرّت ندما ، لقد وريتم (٢) صدري غيظا و أفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان،حتى لقد قالت قريش إنّ عليّا رجل شجاع لكن لاعلم له بالحرب.

لله درّهم هل كان فيهم أطول لها مراسا منّي ، و أشدّ لها مقاساة ، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين ثمّ ها أنا ذا قد ذرفت على السّتين و لكن لاأمر

١ـ اى اذاقات لكم ساظفر على الخصم انشاءالله فليس هذا من الكذب بل هو من مصالح الحرب و كذا اشباهه من مصالح وغيره ويحتمل ارجاع ضمير ولكنها الى ماذكره من نسبته الى الكذب خصوصا على نسخة اغنيا بالنون اى ما ذكرتم لهجة خدعتم فيها من الشيطان ولم يكن لكم حاجة الى ذكرها بحار.

٢ـ ورى القيح جوفه يريه وريا اكله والاسم الورى بالتحريك بحار

لمن لايطاع.

أما والله لوددت انّ ربى أخرجنى من بين أظهركم إلى رضوانه ، فانّ المنية لترصدنى (١) فما يمنع أشقاها أن يخضبها ، و ترك يده على رأسه و لحيته ، عهداً عهده إلى النّبيّ الأميّ ، و قد خاب من افترى ، و نجى من اتّقى وصدّق بالحسنى.

يا اهل الكوفة دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا ونهاراً و سرّاً و إعلانا و قلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم فانّه ما غزى قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولي ، و استصعب عليكم أمري و اتّخذ تموه ورائكم ظهريّا ، حتّى شنّت عليكم الغارات ، و ظهرت فيكم الفواحش والمنكرات ، تمسيكم (٢) و تصبحكم كما فعل بأهل المثلات من قبلكم حيث أخبر الله عن الجبابرة العتاة الطغاة والمستضعفين الغواة في قوله تعالى : « يذبحون أبنائكم و يستحيون نسائكم و في ذلكم بلاء من ربّكم عظيم »

أما والذى فلق الحبّة و برء النّسمة لقد حلّ بكم الذى توعدون ، عاتبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم انتفع بكم و أعطيتكم بالدّرة فلم تستقيموالى ، و عاقبتكم بالسّوط الذى يقام به الحدود فلم ترعووا ، و لقدعلمت أنّ الذى يصلحكم هوالسّيف ، و ما كنت متحرّيا صلاحكم بفساد نفسى ، ولكن سيسلّط عليكم سلطان صعب لايوقّر كبيركم ؛ ولا يرحم صغيركم ، ولايكرم عالمكم ، ولا يقسم الفيىء بالسّوية بينكم ، و ليضربنكم و ليذلّنكم وليجهزنكم في المغازي و يقطعنّ سبلكم

١ـ رصده رقبه والرصيد الرقيب بحار

٢ـ تمسيكم و تصبحكم لعل الضمير المستتر فيهماراجع الى الفواحش والمنكرات اى ياتيكم اما صباحا اومساء عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن فيكم والكاف اسمى اى ياتيكم مثل ما فعل بهم اوصله تقدير اى ياتيكم عقوبة كما فعل بهم اوالضميران راجعان الى شنّ الغارات و ظهور الفواحش والمنكرات و يكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم وهذه عقوبة اعمالهم بحار

و ليحجبنّكم (١) على بابه حتّى يأكل قويّكم ضعيفكم ثمّ لايبعدالله إلاّ من ظلم و لقلّ ما أدبر شيء فأقبل و انّى لأظنكم على فترة و ما عليّ إلاّ النّصح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صمّ و ذو أسماع ، وبكم وذوألسن وعمى و ذو أبصار لا إخوان صدق عند اللّقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.

اللّهمّ قد مللتهم و ملّوني ، و سئمتهم و سئموني ، اللّهمّ لاترض عنهم أميراً ، ولا ترضيهم عن أمير ، و أمث قلوبهم كمايماث الملح في الماء ، أما والله لوأجد بدّاًمن كلامكم و مراسلتكم ما فعلت ، ولقد عاتبتكم في رشدكم حتى لقد سئمت الحياة كلّ ذلك ترجعون بالهزو من القول ، فراراً من الحقّ ، والحاداً إلى الباطل الذى لايغرالله بأهله الدّين.

و إنّى لأعلم بكم أنكم لاتزيدونني غيرتخسير كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اثاقلتم إلى الأرض ، و سألتموني التّأخير دفاع ذي الدّين المطول ، إن قلت لكم في القيظ : سيروا ، قلتم : الحرّ شديد ، و إن قلت لكم في البرد : سيروا ، قلتم:القرّ شديد ، كلّ ذلك فراراً عن الحرب ، إذا كنتم من الحرّ والبرد تعجزون فأنتم من حرارة السّيف أعجز و أعجز ، فانالله و إنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصّريح (٢) يخبر في أنّ ابن غامد قد نزل بالأنبار على اهلها ليلا في أربعة آلاف ، فأغار عليهم كما يغار على الرّوم و الخزر(٣) فقتل بها عاملي ابن حسان و قتل معه رجالا صالحين ذوى فضل و عبادة و نجدة ، بوّءالله لهم جنات النعيم و أنّه أباحها.

ولقد بلغنى أنّ العصبة(٤) من أهل الشّام كانوايدخلون على المرأة المسلمة ،

١ــ ضمن معنى القيام ولذا عدى بعلى بحار

٢ــ الصريح فى أكثر النسخ بالحاء المهملة وهو الرجل خالص النسب وكل خالص صريح والاظهر انه بالخاء المعجمة كما فى الارشاد اى المستغيث أومن يطلب الاغاثة بحار.

٣ــ بضم الخا والزاء المعجمة والراء اخيرا طائفة من الامم.

٤ــ العصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين بحار.

والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها ، و يأخذون القناع من رأسها ، والخرص من أذنها ، و الأوضاح (١) من يديها و رجليها وعضديها ، والخلخال والميزر عن سوقها، فما تمتنع إلاّ بالاسترجاع والنّداء يا للمسلمين فلا يغيثها مغيث ، ولاينصرها ناصر فلو أنّ مؤمنا مات من دون هذا ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارّاً محسنا .

واعجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم و فشلكم عن حقكم قد صرتم غرضا يرمى ولاترمون ، و تغزون ولا تغزون ؛ و يعصى الله و ترضون فترتب أيديكم ، يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها ، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب .

الترجمة

از جمله خطب آن حضرتست که توبیخ می‌فرماید در آن اصحاب خود را بسوء افعال و اعمال از جهت تسامح ایشان در جدال و قتال باین نحو که می فرماید .

ای مردمانی که مجتمع است بدن های ایشان و مختلفست خواهشات ایشان قولهای شما ضعیف مینماید سنگ‌های سخت را ، وفعلهای شما بطمع می‌اندازد در شما دشمنان را میگوئید در مجلسها چنین وچنان پس چون می آید وقت محاربه ومجادله می گوئید : حیدی حیاد یعنی برگرد ای داهیه(٢)

عزیز نشد دعوت آن کسی که دعوت نمود شما را ، و راحت نگردید قلب آن کسی که کشید رنج شما را ، زمانی که دعوت کنم شما را بجهاد عذر میآورید و آن عذرهای شما عذرهائیست با گمراهیها ؛ و مدافعه شما محاربه را از خودتان مثل مدافعه کردن صاحب دین بسیار مماطله کننده است غریم خود را.

منع نمی‌نماید مرد ذلیل ظالم را از خود و ادراك نمیشود حق مگر بجهد

١- نوع من الحلى يعمل من الفضة سميت بها لبياضها واحدها واضح .

٢- ولنعم ما قيل:

در میان همدگر مردانه‌اید	در غزا چون عورتان خانه‌اید
بهر آن گفت آن سپهدار غیوب	لاشجاعة يافتى قبل الحروب

وكوشش ، از كدام خانه بعد از خانهٔ خودتان كه دار اسلامست مانع ميشويد ، وبا كدام امام بعد از من مقاتله مى كنيد ، فريب داده شده بخدا سوگند آنكس است كه شما فريب داديد او را و كسيكه فايز شود بشما فايز ميشود بسهمى كه نوميدتر باشد ازسهمهاى قمار وكسى كه تير اندازد با شما بدشمنان پس بتحقيق كه تير انداخته به تير شكستهٔ بى پيكان.

قسم بخداوند كه گرديدم بمرتبهٔ كه باور ندارم گفتار شما را ، و طمع ندارم در يارى دادن شما ، و نمى ترسانم دشمن را با شما ، چيست حال شما چيست دواى شما علاج ناخوشى شما ، گروهى كه طرف مقابل شمايند مردانند مانند شما ، آيا مى گوئيد گفتار بى اعتقاد ، و غفلت مى ورزيد بدون ورع ، و طمع تفضيل داريد بدون استحقاق .

و من كلام له عليه السلام فى معنى قتل عثمان و هو الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قاتِلاً ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصِراً ، غَيرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاٰ يَسْتَطيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنا خَيرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاٰ يَسْتَطيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيرٌ مِنّي ، وَأَنا جامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ ، إِسْتَأْثَرَ فَأَساءَ الْأَثَرَةَ ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ ، وَلِلّٰهِ حُكْمٌ واقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجازِعِ.

اللغة

(الاستيثار) بالشّيء الانفراد به والاسم الاثرة بالتّحريك (والجزع) الاضطراب و عدم الصّبر.

الاعراب

قوله : غير أنّ من نصره اه كلمة غير هنا للاستثناء فيفيد مفاد إلاّ الاستثنائية، لكن لابطريق الاصالة بل بطريق الحمل على إلاّ ، و تقريره على ما ذكره نجم الأئمة الرضي هو أنّ أصل غير الصفة المفيدة لمغايرة مجرورها لموصوفها إمّا بالذات نحو مررت برجل غير زيد ، و إمّا بالصّفات نحو قولك : دخلت بوجه غير الوجه الذي خرجت به ، فانّ الوجه الذي تبين فيه أثر الغضب كانه غير الوجه الذي لايكون فيه ذلك بالذات.

و ماهية المستثنى كما ذكر في حدّه هو المغاير لما قبل أداة الاستثناء نفيا و اثباتا فلما اجتمع ما بعد غير و ما بعد أداة الاستثناء في معنى المغاير لما قبلهما حملت أم أدواة الاستثنا أى إلاّ على غير في الصّفة وحملت غير على إلاّ في الاستثناء في بعض المواضع .

و معنى الحمل أنّه صار ما بعد إلاّ مغايراً لما قبلها ذاتا أو صفة كما بعد غير، ولا يعتبر مغايرته له نفيا و إثباتا كما كانت في أصلها و صار ما بعد غير مغايراً لما قبلها نفيا و إثباتا كما بعد إلاّ ولا يعتبر مغايرته له ذاتا أو صفة كما كانت في الأصل إلاّ أنّ حمل غير على إلاّ أكثر من العكس ، لأنّ غير اسم والتّصرف في الأسماء أكثر منه في الحروف ، فوقع في جميع مواقع إلاّ إلاّ أنّه لايدخل على الجملة كإلاّ لتعذّر الاضافة إليها هنا .

و امّا إعرابه في الكلام الذى يقع فيه فهو إعراب الاسم التّالى إلاّ في ذلك الكلام فتقول : جاء القوم غير زيد بالنّصب كما تقول: إلاّ زيداً ، و ما جائنى أحد غير زيد بالنّصب والرّفع.

و سرّ ذلك على ما ذكره الرّضيّ هو أنّ أصل غير من حيث كونه اسما جواز تحمل الاعراب و ما بعده الذي صار مستثنى بتطفل غير على إلاّ مشغول بالجرّ لكونه مضافا إليه في الأصل فجعل اعرابه الذي كان يستحقّه اولا المانع المذكور أعنى اشتغاله بالجرّ على نفس غير عارية لابطريق الأصالة.

و إعرابه في كلام الامام هو النصب لكونه استثناءً منقطعا ، و يجوز بنائه على الفتح لعدم الخلاف بين علماء الأدبيّة في جواز بنائه على الفتح إذا اضيف إلى ان ، و نظيره فيه ما وقع في قوله غير أنّي قد استعين (١) على الهمّ اذا خفّ بالثّوى النجاء ، وقد صرّح الرّضيّ فيه بجواز الوجهين حسبما ذكرناه.

المعنى

قوله : (لو أمرت به) اى بقتل عثمان (لكنت قاتلا) لأنّ القاتل و ان كان موضوعا في اللغة للمباشر للقتل إلاّ أنّه يطلق في العرف على الأعمّ من السبب والمباشر فيستلزم الأمر به له عرفا (أو نهيت عنه لكنت ناصراً) لاستلزام النّهى عنه النّصرة له و هو ظاهر.

وهاتان القضيّتان منتجتان لعدم مداخلته عليه السّلام في قتله بالأمر والنهى. اذ باستثناء نقيض تا ليهما يثبت نقيض المقدمين، والمقصود بهذا الكلام إظهار التبرّي من دم عثمان وردّ ما نسبه إليه معاوية و أتباعه من كونه دخيلا فيه ، حيث إنّهم لم يستندوا في الخروج عليه والمحاربة معه إلاّ بما شهروه بين النّاس من أنّه أمر بقتل عثمان هذا.

و ما ذكره الشّارح المعتزلي من أنّ هذا الكلام بظاهره يقتضى أنّه ما امر بقتله ولا نهى عنه ، فيكون دمه عنده في حكم الأمور المباحة التي لايؤمر بها ولا ينهى عنها .

فيه أنّ غاية ما يستفاد من كلامه هو عدم مدخليته فيه و أما أنّ جهة عدم المدخلية هل هي استباحة دمه أو ساير الجهات فلا دلالة في الكلام عليه.

لايقال انّ قتله إمّا أن يكون واجبا عنده عليه السّلام ، أو محرّما أو مباحا. لاسبيل إلى الأوّلين إذ لوكان واجبا لكان آمراً به من باب الأمر بالمعروف ، و لو كان محرّما لنهى عنه من باب النهى عن المنكر فحيث لم يأمر به ولم ينه عنه ثبت كونه مباحا عنده

لأنا نقول أولا إنّ عدم الأمر به أعمّ من عدم الوجوب ، لاحتمال انّه لم يأمر

١- اى استعين على همى اذا خف بالمقيم الانطلاق والنجاء بمعنى الاسراع

لعلمه بما يترتب عليه من المفاسد ، و يؤيده ما سنحكيه من البحار و ما روى عنه ﷺ الله قتله و أنا معه .

و ثانيا ان عدم نهيه عنه أعم من عدم كونه منكراً عنده ، لاحتمال أنه ترك النهي لعلمه بأنه لا يترتب على ذلك ثمرة ، ووجوب إنكار المنكر إنما هو إذا علم المنكر أو غلب على ظنه تأثير إنكاره ، و أما إذا علم أو غلب على ظنه أن أنكاره لا يؤثر ونهيه لا يثمر فيقبح حينئذ النهي والانكار ، لأنه إن كان الغرض تعريف الفاعل قبح فعله ، فذلك حاصل من دون الانكار و إن كان الغرض أن لا يقع المنكر فذلك غير حاصل.

و يؤيد ذلك ما في البحار من أنه جمع الناس و وعظهم ثم قال : لتقم قتلة عثمان ، فقام الناس بأسرهم إلا قليل و كان ذلك الفعل استشهاداً منه ﷺ على عدم تمكنه من دفعهم ويدل على ذلك بعض كلماته الآتية أيضاً.(١)

وثالثا لا نسلم أنه لم ينه عنه فقد روى في البحار من الأمالي باسناده عن مجاهد عن ابن عباس عنه قال : إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ولقد نهيتم فعصوني.

فان قلت : كيف الجمع بين هذه الرواية و بين قوله ﷺ : أو نهيت عنه لكنت ناصراً .

قلت : يمكن الجمع بأن يكون المراد به استثناء عين المقدم فينتج عين التالي أي لكني نهيت عنه فكنت ناصراً و كيف كان، فقد تحصل مما ذكرنا أن كلامه ﷺ مجمل متشابه المراد كإجمال ساير ما روى عنه في المقام والسر في الاجمال هو ابهام المقصود على السامعين.

و ذلك لما رواه في البحار من المناقب من أن أصحاب أمير المؤمنين كانوا

١- وهو ما يأتي في الكتاب بعنوان و من كلام له بعد ما بويع بالخلافة وقال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اصلب على عثمان فقال(ع) يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم تملكوننا ولا نملكهم اه.

فرقتين احداهما اعتقدوا أنّ عثمان قتل مظلوما و يتولاّه ويتبرء من أعدائه، والأخرى وهم جمهور أهل الحرب و أهل العناء والبأس اعتقدوا أنّ عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل ، و منهم من يصرّح بتكفيره و كلّ من هاتين الفرقتين تزعم أنّ عليّا موافق له على رأيه و كان عليه السلام يعلم أنّه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى و أسلمته و تولّت عنه و خذلته فكان يستعمل في كلامه ما يوافق كلّ واحدة من الطائفتين.

أقول : و لأجل اشتباه كلامه على السّامعين قال شاعر الشّام الأبيات التي منها :

أرى الشّام تكره اهل العراق و أهل العراق لهم كارهونا
و كلٌّ لصاحبه مبغض يرى كلّ ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودنّاهم مثل ما يقرضونا
و قالوا عليّ إمام لنا و قلنا رضينا ابن هند رضينا
و قالوا نرى أن تدينوا لنا فقلنا ألا لانرى أن تدينا
و من دون ذلك خرط القتاد و طعن و ضرب يقرّ العيونا
و كلّ يسرّ بما عنده يرى غثّ ما في يديه سمينا
و ما في عليّ لمستعتب يقال سوى ضمّه المحدثينا
و ايثاره اليوم أهل الذّنوب و رفع القصاص عن القاتلينا
اذا سئل عنه حذا شبهة و عمى الجواب على السّائلينا
فليس براض ولا ساخط ولا في النّهات ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سرّه ولا بدّ من بعض ذاأن يكونا

هذا وقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّه عليه السلام كان بنائه على ابهام المرام في تلك الواقعة للمصالح المترتّبة على ذلك إلاّ أنّه غير خفيّ على أهل البصيرة والحجى أنّ وجنات حاله عليه السلام مع أفعاله و أقواله في تلك الواقعة يدلّ على أنّه كان منكراً لأفعاله و خلافته راضياً بدفعه .

قال المجلسي : و لم يأمر بقتله صريحاً لعلمه بما يترتب عليه من المفاسد أو تقية ولم ينه القاتلين أيضاً لأنهم كانوا محقين ، و كان يتكلم في الاحتجاج على الخصوم على وجه لايخالف الواقع ولايكون للجهال وأهل الضلال ايضاً عليه حجة، و كان هذا مما يخصه من فصل الخطاب و مما يدل على وفور علمه في كل باب ، و يمكن استشمام ذلك من ترجيحه الخاذلين على الناصرين بقوله : (غير أن من نصره لايستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه ، و من خذله لايستطيع ان يقول نصره من هو خير مني).

قال الشارح المعتزلي معناه إن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه لأن الذين نصروه كانوا فساقاً كمروان بن الحكم و احزابه و خذله المهاجرون والانصار.

أقول : كون ناصرى الرجل منحصراً في مروان الفاسق و نظرائه و خاذليه وجوه الصحابة من المهاجر والأنصار غير خفي على العارف الأريب ما فيه من الاشارة الى حاله و رتبته، وإلى كون المنصور مثل الناصر والعاقل يكفيه الاشارة (و أنا جامع لكم أمره) اى مبين له بلفظ وجيز .

قال الفيومي : و كان ﷺ : يتكلم بجوامع الكلم أي كان كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني (إستأثر فأساء الأثرة) اي استبد برأيه في الخلافة و إحداث ماأحدث في الاستبداد والاستقلال حيث ادى إلى فساد نظم الخلافة حتى انجر الأمر إلى قتله (و جزعتم) من افعاله (فأسأتم الجزع) حيث قتلتموه وقد كان ينبغي عليكم التثبت و إصلاح الأمر بينكم و بينه بدون القتل و بخلعه من الخلافة و إقامة غيره مقامه.

وقيل: أراد أنكم أسأتم الجزع عليه بعد القتل وقد كان ينبغي منكم ذلك الجزع قبل القتل (و لله حكم واقع) اي ثابت محقق في علمه تعالى يحكم به في الآخرة أو الأولى ، أو سيقع أو يتحقق خارجاً في الآخرة أو الدنيا لأن مجموعه لم يتحقق بعد و إن تحقق بعضه (في المستأثر والجازع) والأظهر ان المراد خصوص الحكم الأخروي

يعني أنّ له سبحانه حكماً واقعاً فيهما يحكم به يوم القيامة بمقتضى عدله فيعاقب المذنب ويثيب المصيب.

تذييل

في الاشارة إلى كيفيّة قتل عثمان إجمالا على ما رواه في شرح المعتزلي من الواقدي والطبري و هو أنّه أحدث أحداثاً مشهورة نقمها النّاس عليه من تأمير بني اميّة ولاسيّما الفسّاق و أرباب السّفه و قلّة الدّين ؛ و إخراج مال الفيء إليهم و ما جرى في أمر عمّار و أبي ذر و عبدالله بن مسعود و غير ذلك من الامور التي جرت في أواخر خلافته ، فلما دخلت سنة خمس و ثلاثين كانت أعداء عثمان و بني اميّة في البلاد و حرّض بعضهم بعضا على خلعه من الخلافة و عزل عمّاله من الأمصار فخرج ناس من مصر و كانوا في ألفين ، و خرج ناس من أهل الكوفة في ألفين ، و خرج ناس من أهل البصرة و أظهروا انّهم يريدون الحجّ، فلما كانوا من المدينة على ثلث تقدّم أهل البصرة فنزلوا ذا خشب و كان هواهم في طلحة ، و تقدّم أهل الكوفة فنزلوا الأعوص و كان هواهم في الزّبير ، و جاء أهل مصر فنزلوا ذا المروة و كان هواهم في عليّ ، و دخل ناس منهم المدينة يخبرون ما في قلوب النّاس لعثمان فلقوا جماعة من المهاجرين والأنصار و لقوا أزواج النّبيّ و قالوا : إنّما نريد الحجّ و نستعفي من عمالنا .

ثم لقي جماعة من المصريّين عليّاً وهو متقلّد سيفه عند أحجار الزّيت فسلّموا عليه وعرضوا عليه أمرهم فصاح وطردهم وقال : لقد علم الصّالحون أنّ جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمّد صلّى الله عليه وآله فانصرفوا عنه ، و أتى البصريّون طلحة فقال لهم مثل ذلك ، و أتى الكوفيّون الزّبير فقال لهم مثل ذلك فتفرّقوا و خرجوا من المدينة إلى أصحابهم .

فلما أمن أهل المدينة منهم و اطمأنّوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلاّ والتّكبير في نواحي المدينة وقد نزلوها و أحاطوا بعثمان و نادى مناديهم: يا أهل المدينة من كفّ يده عن الحرب فهو آمن.

فحصروه في منزله إلاّ أنّهم لم يمنعوا النّاس من كلامه و لقائه ، فجائهم جماعة من رؤساء المهاجرين و سألوهم ماشأنهم؟ فقالوا : لاحاجة لنا في هذا الرّجل ليعتزلنا لنولّي غيره لم يزيد وهم على ذلك.

و خرج عثمان يوم الجمعة فصلّى بالنّاس و قام على المنبر فقال : يا هؤلاء الله الله فوالله إنّ أهل المدينة يعلمون أنّكم ملعونون على لسان محمّد ﷺ فامحوا الخطاء بالصّواب ، فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري فقال : نعم أنا أعلم ذلك فاقعده حكيم بن جبلة البصري ، و قام زيد بن ثابت فأقعده قنيرة بن وهب المصري.

و ثار القوم فحصبوا النّاس حتّى أخرجوهم من المسجد و حصبوا عثمان حتّى صرع عن المنبر مغشيّا عليه فادخل داره و أقبل عليّ و طلحة والزّبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته و عند عثمان نفر من بني اميّة منهم مروان بن الحكم فقالوا لعليّ أهلكتنا و صنعت هذا الذى صنعت و الله إن بلغت هذا الأمر الذى تريده ليمرنّ عليك الدّنيا فقام مغضبا و خرج جماعة الذين معه إلى مناز لهم.

ثمّ إنّ أهل المدينة تفرّقوا عنه و لزموا بيوتهم لايخرج أحد منهم إلاّ بسيفه يمتنع به فكان حصاره أربعين يوماً.

و في رواية الطبرى لما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عمّا يكرهون و علم عثمان ذلك جاء إلى منزل عليّ فدخل و قال : يابن عمّ إنّ قرابتي قريبة و قد جاء ما ترى من القوم وهم مصبحي و لك عند النّاس قدر وهم يسمعون منك وأحبّ أن تركب إليهم و تردّهم عنّى فانّ في دخولهم علىّ وهنا لأمري و جرئة علىّ .

فقال عليه السلام : على أيّ شيء أردّهم؟ قال : على أن أصير إلى ما أمرت به ورأيت فيّ ، فقال عليّ إنّى قد كلّمتك مرّة بعد أخرى فكلّ ذلك تخرج و تقول وتعدنى ثمّ ترجع و هذا من فعل مروان و معاوية و ابن عامر و عبدالله بن سعد فانك أطعتهم و عصيتني .

قال عثمان فانى أعصيهم واُطيعك، فأمر عليّ عليه السلام النّاس أن يركبوا معه فركب معه ثلاثون

رجلا من المهاجر والأنصار فأتوا المصريّين فكلّموهم فكان الذى يكلّمهم عليّ ﷺ و محمّد بن مسلمة فسمعوا منهما و رجعوا بأصحابهم يطلبون مصر.

و رجع عليّ حتّى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلّم بكلام يسمعه النّاس منه ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النّزوع، و قال: إنّ البلاد قد تمحّصت عليك ولا امن أنّه يجيء ركب من جهة أُخرى فتقول لي يا على اركب إليهم فان لم أفعل رأيتني قدقطعت رحمك و استخففت بحقّك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي ينزع فيها و أعطى النّاس من نفسه التّوبة و قال لهم: أنا أوّل من اتعظ و استغفرالله و أتوب إليه فمثلي نزع و تاب فاذا نزلت فليأتني أشرافكم فليرون رأيهم، و ليذكر كلّ واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأقضيها فوالله لان ردّني الحق عبدالأسننّ سنّة العبيد، ولا ذلنّ ذلّ العبيد، و ما عن الله مذهب إلا إليه والله لأعطينكم الرّضا ولايحننّ مروان و ذريه ولا أحتجب عنكم.

فلما نزل وجد مروان و سعداً و نفراً من بني اميّة في منزله قعوداً لم يكونوا شهدوا خطبته ولكنها بلغهم.

فلما جلس قال مروان: يا أميرالمومنين ءأتكلم؟ فقالت نائلة: امرأة عثمان: لابل تسكت، فأنتم والله قاتلوه و موتموا أطفاله إنّه قدقال مقالة لاينبغي أن ينزع عنها، فقال لها مروان: و ما أنت و ذاك؟ والله لقد مات أبوك و ما يحسن أن يتوضأ، فقالت: مهلا يا مروان عن ذكر أبي إلاّ بخير والله لولا أنّ أباك عمّ عثمان و أنّه يناله غمّه و عيبه لأخبرتك بمالا أكذب فيه عليه، فأعرض عنه عثمان.

ثمّ عاد فقال: ءأتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلّم، فقال والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت و أنت ممتنع أوّل من زضى بها و أعان عليها، و لكنك قلت وقد بلغ الحزام الطبيين و جاوزالسّيل الزّبى، والله لإقامة على خطيئة تستغفرالله منها أجمل من توبة تخوف عليها مازدت على أن جرئت عليك النّاس.

فقال عثمان قدكان من قولي ماكان، و إنّ الفايت لايردّ ولم آل خيراً فقال مروان: إنّ النّاس قداجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال: ما شأنهم؟ قال: أنت دعوتهم

إلى نفسك ، فهذا يذكر مظلمة و هذا يطلب مالا و هذا سأل نزع عامل من عمّالك وهذا ماجنيت على خلافتك .

ولو استمسكت و صبرت كان خيراً لك ، قال : فاخرج أنت إلى النّاس فكلّمهم فانّى أستحى أن أكلّمهم وردّهم فخرج مروان إلى النّاس وقد ركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم كانّكم جئتم لنهب ، شاهت الوجوه أتريدون ان تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اعزبوا عنّا والله ان رمتمونا لنمرّن عليكم ما حلا و لنحلن بكم مالا يسركم ولا تحمدوا فيه رايكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فانّا والله غير مغلوبين على ما في أيدينا .

فرجع النّاس خايبين يشتمون عثمان و مروان و أتى بعضهم عليّاً فأخبره الخبر ، فأقبل عليّ على عبدالرّحمن بن الاسود بن عبد يغوث الزّهرى ، فقال أحضرت خطبة عثمان ؟ قال : نعم قال أفحضرت مقالة مروان للنّاس قال : نعم .

فقال عليه السلام . اى عباد الله ، يالله للمسلمين إنى قعدت في بيتي ، قال لي تركتنى وخذلتنى و إن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان و يلعب به حتّى قد صار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السّنّ و قام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان ، فقال عليه السلام له أما يرضى مروان منك إلاّ أن يحرّفك عن دينك وعقلك فانت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يساربه ، والله مامروان بذى رأى في دينه ولا عقله، و انى لأراه يوردك ثمّ لا يصدرك و ما أنا عايد بعد مقامى هذا لمعا تبتك أفسدت شرفك وغلبت على رأيك ثم نهض .

فدخلت نائلة فقالت قد سمعت قول عليّ لك وأنّه ليس براجع إليك ولامعاود لك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء قال فما أصنع؟ قالت تتقى الله وتتبع سنّة صاحبيك، فانك متى أطعت مروان قتلك ، و ليس لمروان عند النّاس قدر ولا هيبة ولا محبّة و إنّما تركك النّاس لمكانه ، و إنّما رجع عنك أهل مصر لقول علي عليه السلام ، فأرسل إليه فاستصلحه ، فانّ له عند النّاس قدماً و أنّه لايعصى فأرسل إلى عليّ فلم يأته و قال : قد أعلمته أنّي غير عايد .

و في البحار من الامالى عن أحمدبن محمد بن الصلت عن ابن عقدة الحافظ عن جعفر بن عبدالله العلوي عن عمه القاسم بن جعفر بن عبدالله عن عبدالله بن محمد بن عبدالله عن ابيه عن عبدالله بن أبي بكر عن ابي جعفر عليه السلام قال حدثني عبدالرحمن بن أبي عمرة الانصاري :

قال لما نزل المصريون بعثمان بن عفان في مرتهم الثانية ، دعى مروان بن الحكم فاستشاره ، فقال له : ان القوم ليس هم لأحد أطوع منهم لعلي بن أبيطالب عليه السلام ؛ و هو أطوع الناس في الناس ، فابعثه إليهم فليعطهم الرضا وليأخذ لك عليهم الطاعة و يحذرهم الفتنة .

فكتب عثمان إلى علي بن أبيطالب : سلام عليك ؛ أما بعد قدجاز السيل الزبى(١) ، و بلغ الحزام الطبيين ، وارتفع امر الناس بي فوق قدر ، و طمع في من كان يعجز عن نفسه ، فاقبل علي و تمثل:

فان كنت ماكولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق والسلام.

فجائه علي فقال : يا أباالحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله و سنة نبيه فقال : نعم إن أعطيتني عهدالله و ميثاقه على أن تفى لهم بكل شيء أعطيته عنك، فقال : نعم فأخذ عليه عهداً غليظاً و مشى إلى القوم فلما دنى منهم قالوا وراءك قال : لا ، قالوا : وراءك ، قال:لا .

١ــ قال في البحار قال في النهاية الزبى هي جمع الزبية وهي الزابية وهي الرابية التى لايعلوها الماء وقيل انما اراد الحفرة للسبوع و لا تحفر الا في مكان عال من الارض لئلا يبلغه السيل وهو مثل يضرب للامر بما تجاوز الحد ويتفاقم وقال الاطباء واحدها طبي بالضم والكسر وقيل يقال لموضع الاخلاف من الخيل والسباع اطباء كمايقال لذوات الخف والظلف خلف وضرع وقوله وبلغ الحزام الطبيين كناية عن المبالغة في تجاوزه حدالشر والاذى لان الحزام اذا انتهى الى الطبيين فقدانتهى الى بعد غايته فكيف اذاجاوزه منه

فجاء بعضهم ليدفع في صدره فقال القوم بعضهم لبعض : سبحان الله أتاكم ابن عمّ رسول الله يعرض كتاب الله ، اسمعوا منه و اقبلوا ، قالوا تضمن لنا كذلك ، قال : نعم فأقبل معه أشرافهم و وجوههم حتّى دخلوا على عثمان فعاتبوه فأجابهم إلى ما أحبّوا فقالوا اكتب لنا على هذا كتاباً و ليضمن عليّ عنك ما في الكتاب قال اكتبوا أنى شئتم فكتبوا بينهم:

بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما كتب عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين إنّ لكم عليّ أن أعمل بكتاب الله و سنّة نبيّه ، و أنّ المحروم يعطى ، و أنّ الخائف يؤمن، وأنّ المنفيّ يردّ ، و أنّ المبعوث لايجمر ، و أنّ الفيء لايكون دولة بين الأغنياء ، وعليّ بن أبيطالب ضامن للمؤمنين والمسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما في الكتاب شهد الزّبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وسعد ابن مالك وعبدالله بن عمر و أبو أيوب بن زيد ، و كتب في ذى القعدة سنة خمس و عشرين.

فأخذوا الكتاب ثمّ انصرفوا فلما نزلوا ايلة ، إذاهم براكب فأخذوه فقالوا من أنت ؟ قال : أنا رسول عثمان إلى عبدالله بن سعد قال بعضهم لبعض : لو فتّشناه لئلاّ يكون قد كتب فينا ، ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئاً.

فقال كنانة بن بشر النجيبى : انظروا إلى أدواته فان النّاس حيلا ، فاذا قارورة مختومة بموم فاذا فيها كتاب إلى عبدالله بن سعد إذا جاءك كتابي هذا فاقطع أيدى الثلاثة مع أرجلهم

فلما قرؤوا الكتاب رجعوا حتّى أتوا عليّا ، فأتاه فدخل عليه ، فقال استعتبك القوم فاعتبتهم ثمّ كتبت هذا كتابك نعرفه الخط الخط والخاتم الخاتم فخرج عليّ مغضبا و أقبل النّاس عليه فخرج سعد من المدينة فلقاه رجل فقال : يا أبا إسحاق أين تريد ؟ قال : إنى فررت بدينى من مكّة إلى المدينة و أنا اليوم أهرب بديني من المدينة إلى مكّة.

و قال الحسن بن عليّ لعليّ عليه السلام حين أحاط النّاس بعثمان : اخرج من المدينة

و اعتزل فانّ النّاس لابدّ لهم منك و انّهم ليأتونك ولو كنت بصنعاء ، و أخاف أن يقتل هذا الرّجل و أنت حاضره.

فقال يا بنيّ أخرج عن دار هجرتي و ما أظنّ يجترى على هذا القول كلمة ، و قام كنانة بن بشر فقال : يا عبدالله أقم لنا كتاب‌الله فانا لانرضى بالقول دون الفعل قد كتبت و اشهدت لنا شهوداً و أعطيتنا عهدالله و ميثاقه ، فقال ما كتبت بينكم كتابا.

فقام إليه المغيرة بن الأخنس و ضرب بكتابه وجهه و خرج إليهم عثمان ليكلّمهم فصعد المنبر ورفعت عايشة قميص رسول‌الله و نادت ايّها النّاس هذا قميص رسول‌الله لم يبل وقد غيّرت سنّته، فنهض النّاس و كسر اللغط و حصبوا عثمان حتى نزل من المنبر ، و دخل بيته.

فكتب نسخة واحدة إلى معاوية و عبدالله بن عامر : أمّا بعد فانّ أهل السّفه والبغي والعدوان من أهل العراق و مصر والمدينة أحاطوا بداري ولن يرضيهم منّي دون خلعي أو قتلي ، و أنا ملاقى الله قبل أن اتابعهم على شيء من ذلك فأعينوني.

فلما بلغ كتابه ابن عامر قام و قال : أيّها النّاس إنّ اميرالمؤمنين عثمان ذكر أنّ شر ذمة من أهل مصر والعراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحقّ فلم يجيبوا فكتب إليّ أن ابعث إليه منكم ذوي الدّين والرّأي والصّلاح ،لعلّ‌الله أن يدفع عنه ظلم الظالم وعدوان المعتدي فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثم انّه قيل لعليّ إنّ عثمان قدمنع الماء فأمر بالرّوايا فعكمت و جاء النّاس إلى عليّ عليه السلام فصاح بهم صيحة انفرجوا فدخلت الرّوايا فلما رأى عليّ اجتماع النّاس دخل على طلحة بن عبدالله وهو متكى على وسائد ، فقال: إنّ الرّجل مقتول فامنعوه فقال : أم والله دون أن تعطى بنوأُميّة الحقّ من أنفسها.

و في شرح المعتزلي عن الطبري عن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال : دخلت على عثمان فأخذ بيدى فأسمعني كلام من على بابه من النّاس فمنهم من يقول : ما تنتظرون به ، ومنهم من يقول : لاتعجلوا به فعساه ينزع ويراجع

فبينا نحن إذ مرّ طلحة فقام إليه ابن عديس البلوى فناجاه ثمّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لاتتركوا احداً يدخل إلى عثمان ولايخرج من عنده ، قال لي عثمان هذا ما امره به طلحة.

اللّهمّ اكفني طلحة فانّه حمل هؤلاء القوم و اكبّهم عليّ ، والله لأرجو ان يكون منها صفراً و ان يسفك دمه قال فأردت ان اخرج فمنعوني حتّى امرهم محمّد بن ابي بكر فتركوني اخرج.

قال الطبري : فلما طال الأمر و علم المصريّون انهم قداجرموا إليه جرما كجرم القتل و أنّه لافرق بين قتله و بين ما اتوا إليه وخافوا على نفوسهم من تركه حيّاً راموا الدخول عليه من باب داره ، فاغلقت الباب ، و قام رجل من اسلم يقال له : نيار بن عياض وكان من الصّحابة فنادى عثمان و أمره أن يخلع نفسه ، فبينا هو يناشده ويسوّمه خلع نفسه رماه كثير بن الصّلت الكندي وكان من أصحاب عثمان من أهل الدار نسبهم فقتله.

فصاح المصريّون و غيرهم عند ذلك : ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به، فقال عثمان : لم اكن لأدفع إليكم رجلا نصرني و انتم تريدون قتلي فثاروا إلى الباب فاغلق دونهم فجاؤا بنار فأحرقوه و أحرقوا السقيفة التي عليه.

و خرج مروان بسيفه يحاله النّاس فضربه رجل من بني ليث على رقبته فأثبته و قطع احد عيباوته فعاش مروان بعد ذلك اوقص ، و قتل المغيرة بن الاخنس و هو يحامى عن عثمان بالسّيف.

و اقتحم القوم الدار و دخل كثيرمنهم الدّور المجاورة لها و تسوّروا من دار عمرو بن حزم اليها حتّى ملؤوها وغلب النّاس على عثمان و ندبوا رجلا لقتله، فدخل إليه البيت فقال له : اخلعها وندعك ، فقال : ويحك والله ماكشفت عن امرئة في جاهلية ولااسلام ولاتغنيت ولاتمنيت ولاوضعت يميني على عورتى منذبايعت رسول الله ولست بخالع قميصا كسانيه الله حتى يكرم اهل السّعادة و يهين اهل الشقاوة.

فخرج عنه فقالوا له ما صنعت قال : إنى لم استحلّ قتله فادخلو إليه رجلا من الصحابة فقال له : لست بصاحبي إنّ النبيّ دعا لك أن يحفظك يوم كذا

و لن تصنع فرجع عنه، فادخلوا إليه رجلامن قريش فقال له : ان رسول‌الله استغفر لك يوم كذا فلن يقارف دماً حراماً فرجع .

فدخل عليه محمدبن أبي بكر و في رواية الواقدي انّه أوّل من دخل عليه فقال له عثمان : و يحك أعلى الله تغضب هل لي إليك جرم إلاّ أنّي أخذت حقّ الله منك، فأخذ محمد بلحيته وقال : أخزاك الله يا نعثل ، قال : لست بنعثل ، ولكنّي عثمان وأمير المؤمنين فقال: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان، فقال عثمان: يابن أخي دعها من يدك فما كان أبوك ليقبض عليها ، فقال : لوعملت ماعملت في حياة أبي لقبض عليها والذي اريد بك أشدّ من قبضي عليها ، فقال : استنصر الله عليك و استعين بك فتركه و خرج.

و قيل : بل طعن جنبه بمشقص كان في يده فثار سودان بن حمران ، وابو حرب الغانقي و قنبرة بن وهب السكسكي فضربه الغانقي بعمود كان في يده و ضرب المصحف برجله و كان في حجره فنزل بين يديه و سال عليه الدم ، و جاء سودان ليضربه بالسّيف فاكبّت عليه امرأته نائلة و ألقت السّيف بيدها و هي تصرخ فنفح أصابعها فأطنها فولت فغمزت بعضهم إوراكها و قال إنّها لكبيرة العجز و ضرب سودان عثمان فقتله.

و قيل : بل قتله كنانة بن بشير النّجيبي ، و قيل : بل قنبرة بن وهب، و دخل غلمان عثمان و مواليه فضرب أحدهم عنق سودان فقتله ، فوثب قنبرة بن وهب على ذلك الغلام فقتله ، فوثب غلام آخر على قنبرة فقتله ، و نهب دار عثمان و اخذما على نسائه و ما كان في بيت المال.

و كان فيه غزارتان دراهم و وثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال: أما ثلاث منها فاني طعنتهن لله و أماستّ منها فلما كان في صدري عليه و أرادوا قطع رأسه فوقع عليه زوجتاه فضجن و ضربن الوجوه فقال ابن عديس : اتركوه.

و اقبل عميربن الضّابي فوثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه وقال له سجنت أبي حتّى مات في السّجن.

و كان قتله يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين ، و كان عمره ستّا و ثمانين سنة و دفن في حشّ كوكب(١) بعد ثلاثة ايّام باذن عليّ على مامرّ في شرح الخطبة الشقشقيّة .

الترجمة :

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام عاليمقامست در معنى قتل عثمان واظهار تبرى خود از مداخلۀ آن ميفرمايد.

اگرامرميكردم بقتل او هر آينه قاتل او ميشدم ، و اگر نهى ميكردم ازقتل او هر آينه ناصر ميشدم إلاّ اينكه كسى كه نصرة نمود او را نميتواند كه گويد خار نمود او را كسى كه من بهترم از او ، و كسى كه خار نمود او را نمى تواند كه گويد يارى نموداورا كسيكه اوبهتراست ازمن؛ ومن بيان كننده‌ام به‌لفظ‌مختصر كاراورا، سر خود نمود اوامورعظيمه‌رابى مشاورت‌ديگران، پس بدنمود آن استقلال برأى‌را ، و بيصبرى كرديدپس بدكرديد شمادر بى‌صبرى ، و مرخداوندراست‌حكم عدلى كه واقع ميشود در روز قيامت در حق مستقل برأى و در حق بى صبرى كننده ، يعنى جزاى عملى كه شد از خطا يا صواب بصاحب عمل خواهد رسيد.

و من كلام له عليه السلام قاله لابن عباس لما انفذه الى الزبير يستفيئه الى طاعته قبل حرب الجمل و هو الاحد و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ ، و يَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ ، وَلكِنْ أَلْقَ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً ،

١-اسم يهودى كان بالمدينة منه.

فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

أقول: وهو عليه السلام أوّل من سمعت منه هذه اللّفظة أعنى فما عدا ممّا بدا.

اللغة

(يستفيئه) أى يسترجعه من فاء يفيء إذا رجع و (تلقه) في بعض النّسخ بالفاء أى تجده (عقص) الثّور قرنه بالفتح متعدّ وعقص بالكسر لازم والأعقص من التّيوس ما التوى قرناه على اذنيه من خلفه والمعقاص الشاة المعوّجة القرن (والصعب) نقيض الذلول وهى المنقادة من الدّواب، والجمع ذلل كرسول و رسل و (العريكة) الطبيعة يقال فلان ليّن العريكة إذا كان سلسا و (عداه) عن الأمر عدواً وعدواناً صرفه و شغله، وعدا الأمر دعته جاوزه و (بدا) ظهر.

الاعراب

عاقصا إمّا مفعول ثان لتجده أو حال عن الثور، كلمة ما للاستفهام، و مفعول عدا محذوف أى ما عداك على حدّ قوله سبحانه: «و اسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا» أى أرسلناه، و كلمة من فى قوله ممّا بدا بمعنى عن على حدّ قوله سبحانه: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» و قال الشّارح البحراني: إنّها لتبيين الجنس، والأوّل أظهر.

المعنى

قوله (لا تلقينّ طلحة) نهى لابن عباس عن لقاء طلحة من أجل يأسه عنه لمكان الغرور والكبر الذي كان فيه على ما أشار اليه بقوله (فانّك إن تلقه تجده كالثور عاقصا) أى عاطفا (قرنه) على اذنه.

قال الشّارح البحراني: شبهه بالثّور في عقص قرنه و كنّى بلفظ القرن عن شجاعته، لأنّ القرن آلة القوّة للثّور، و منع ما يراد به عن نفسه، و كذلك الشّجاعة يلزمها الغلبة والقوّة و منع الجانب، و كنّى بلفظ العقص لما يتبع تعاطيه

بالقوّة والشجاعة من منع الجانب و عدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب الذى قد يعرض للشجاع.

و ذلك لأنّ الثّور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه أى يرخى رأسه و يعطف قرنيه ليصوبهما إلى جهة خصمه ويقارن ذلك منه نفخ صادر عن توهم غلبته لمقاومه و انّه لاقدر له عنده.

و كذلك الشّبه ههنا علم منه ﷺ أنّه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيّئاً للقتال مقابلا للخشونة وعدم الانقياد له الصّادر عن عجبه بنفسه وغروره لشجاعته فلذ لك حسن التشبيه.

و قوله : (يركب الصّعب و يقول هو الذّلول) يعني أنّه يستهين بالمستصعب من الامور ثمّ إنّه لمّا نهاه عن لقاء طلحة أمره بلقاء الزّبير بقوله:(ولكن ألق الزّبير) معلّلا بقوله : (فانّه ألين عريكة) أى احسن طبيعة و أسهل جانبا (فقل له يقول لك ابن خالك).

التّعبير بابن الخال للاستمالة والملاطفة والاذكار بالنسب والرّحم على حدّ قوله : « يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلاتشمت بى الأعداء » فانّ هارون لما رأى غضب موسى خاطبه بقوله يابن أُمّ ، لكونه أدعى إلى عطفه عليه من أن يقول يا موسى أو يا أيها النّبيّ و نحو ذلك.

و كذلك لقوله : يقول لك ابن خالك في القلب موقع ليس لقوله يقول لك أمير المؤمنين ، و أما كونه ﷺ ابن خال الزّبير فلأنّ صفيّة أُمّ الزّبير كانت اختاً لأبي طالب بنت عبدالمطلب.

و قوله : (عرفتنى بالحجاز و أنكرتنى بالعراق) يعنى أنّك بايعتني بالمدينة و كنت أشدّ النّاس حماية لى يوم الشّورى والسّقيفة ، و أنكرتني بالبصرة حيث نكثت بيعتى و بارزتني بالمحاربة (فما عدا ممّا بدا) أى أىّ شيء صرفك عمّا ظهر منك أولا و ما الذي صدّك عن طاعتى بعد اظهارك لها.

وقال الشّارح البحراني : عدا بمعنى جاوز و من لبيان الجنس ، و المراد

مالذیجاوز بك عن بيعتی ممّا بدالك بعدها من الأُمور التي ظهر لك و الأظهر ما ذكرناه هذا .

و روی في شرح المعتزلي عن الصّادق جعفربن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : سألت ابن عباس رضیالله عنهعنذلكفقال: انّی أتيتالزّبير فقلت له : فقال : قل له انی ارید ماترید كأنّه يقول الملك لم يزدنی علی ذلك فرجعت إلی عليّ فأخبرته

و روی عن محمّدبن إسحاقالكلبي عن ابن عباس قال قلت الكلمة للزّبير فلم يزدني علی أن قال : قل له أُنا مع الخوف الشديدلنطمع ، و سئل ابن عباس عمّايعني بقوله هذا، فقال: أناعلیالخوف لنطمع أن نلیمن الأمر ما وليتم.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آنحضرتست در حينی كهفرستاد عبدالله بن عباس را بسوی زبير پيش از واقع شدن جنك در روز جمل تا باز گرداند او را بسوی طاعت او ، فرمود ابن عباس را كه:

البته ملاقات مكن با طلحة پس بدرستي كه اگر تو ملاقات كنیبااويابیاورا مثل گاو عاصي در حالتيكه پيچيده باشد شاخ خود را بر كرداكرد گوشخود، سوار ميشود بر دابه سركش و بی آرام و با وجود اين ميكويد كه رام است ، و ملاقات كن با زبير پس بتحقيق كهاو نرمتراست ازروی طبيعت، پس بگویاورا كهميگويد تورابسر خالتوشناختی تومرادرحجازو بيعت كردیوانكار كردیمرا در عراق و تمرّد از طاعت نمودی پس چه چيز منع نمود و بكردانيد تو را از آنچه ظاهرشداز اطاعت من.

تمّ الجزء الأوّل من شرح نهج البلاغة بحمدالله و حسن توفيقه ، و نسألالله سبحانه التوفيق لشرح ما يتلو ذلك من خطبه المختارة و من كلامه المختار فيباب الخطب الجاری مجری الخطبة ، و كان الفراغ من ذلك ليلة عيدالغدير من أعياد

ألف و ثلاثمائة سنة، والحمد لله أولا و آخراً و ظاهراً و باطناً سنة ١٣٠٠ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى أرانا آيات قدرته و جبروته في الانفس والآفاق ، و هدانا إلى مشاهد سلطنته و عظموته بمارقم في صفحات السبع الطباق ، و دلنا على مشاهدة انوار جماله في ملكوت السموات والارض ، و مطالعة اسرار جلاله في الحجب والسرادقات ذات الطول والعرض ؛ فأشهد أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي دل على وحدانيته بوجوب وجوده، وعلى قدرته وحكمته ببدايع خلقه وجوده ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله المنتجب ، و صفيه و أمينه المنتخب، أرسله لايضاح النهج وابلاغ المنهج، وشرع الدين واتمام الحجج، فأوضح المحجة وأتم الحجة، وأقام أعلام الاهتداء و أنار منار الضياء ، و جعل قوآئم الاسلام قويمة بعد اعوجاجه ، ودعآئم الايمان متينة بعد انفراجه:

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
سننت لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
ونورت بالبرهان أمراً مدمساً(١) و أطفات بالبرهان جمراً تضرما

١- الى هنا ينتهى الجزء الاول من شرح نهج البلاغة حسب تجزئة المصنف أعلى الله مقامه على ما فى الطبعة الاولى، ثم يشرع (ره) فى الجزء الثانى و يصدره بالخطبة أولا ثم يأتى بالمقصود، و نحن نثبتها هنا كما هى حفظاً للامانة فى النقل.

قال (ره) بعد البسملة : الحمدلله الذى أرانا آيات قدرته و جبروته : الى آخر ما فى المتن «المصحح»

١- ليل دامس اى مظلم والمدمس كالمعظم المدنس ق

اقمت سبيل الحقّ بعد اعوجاجها و دانت قديماً وجهها قدتهدّ ما

صلى الله عليه و آله الذينهم مرابيع النعم، و مصابيح الظلم لاتفتح الخيرات الاّ بمفاتحهم ولاتكشف الظلمات الاّ بمصابيحهم ، قوّام الله على خلقه وعرفآؤه على عباده ، لايدخل الجنّة إلاّ من عرفهم و عرفوه ؛ ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم و أنكروه.

فمن لم يكن يعرف امام زمانه ومات فقد لاقى المنيّة بالجهل

لاسيّما من أخذ بضبعيه في الغدير وقد شهد هذا المشهد الجمّ الغفير فأقامه للنّاس علماً و اماماً ، و للدّين قيما و قواماً ، و نادى بصوت جهورى يقرع الاسماع ، و يملاء القلوب والصّماخ ، من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فسلّم قوم ففازوا، و تولّى آخرون و غاظوا فخاضوا ، ثمّ فتح أبواب العلم ، و أورثه جوامع الكلم ، وعلمه تبليغ الرّسالات ، و تأويل الآيات ، و تمام الكلمات ، فاجتهد سلام الله عليه و آله في تاسيس قواعد الكلم ، و تشييد ضوابط الحكم ، و هدانا إلى نهج البلاغة ببديع بيانه، وسلك بنا منهاج البراعة بعذب لسانه ، و أرشدنا إلى شرايع الدّين بأنواره، و أوضح لنا سبل اليقين بآثاره:

عليم بما قد كان أو هو كآئن و ما هو دقّ في الشرايع أوجلّ
مسمّى مجلا في الصّحايف كلّها فسل أهلها واسمع تلاوة من يتلو
و لولا قضاياه التي شاع ذكرها لعطّلت الأحكام والفرض والنّفل

و بعد فهذا هو المجلّد الثّاني من مجلّدات منهاج البراعة إملاء راجى عفو ربّه الغنى حبيب الله بن محمد بن هاشم العلوى الموسوى غفر الله له ولوالديه، واحسن إليهما و إليه ، فانّه تعالى ولىّ الاحسان ، والغفور المنان ، فأقول وبه التّكلان:

قال السيد «ره» :

و من خطبة له عليه السلام و هى الثانية والثلاثون من المختار فى باب الخطب

و رواها المحدّث العلامة المجلسي (ره) في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة ، قال قال عليه السلام يوماً في مسجد الكوفة وعنده وجوه النّاس:

أيُّها النّاسُ إنّا قد أصبحنا في دَهرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَديدٍ (كَنُودٍ خ)، يُعَدُّ فيهِ المُحسِنُ مُسيئاً ، وَ يَزدادُ الظّالِمُ فيهِ عُتُوّاً، لا نَنتَفِعُ بِما عَلِمنا ، وَلا نَسئَلُ عَمّا جَهِلنا ،وَلا نَتَخَوَّفُ قارِعَةً حَتّى تَحُلَّ بِنا ، فَالنّاسُ عَلى أربَعَةِ أصنافٍ :

مِنهُم مَن لا يَمنَعُهُ الفَسادَ فِي الأرضِ إلاّ مَهانَةُ نَفسِه، وَكَلالَةُ حَدِّه، ونَضيضُ وَفرِه .

وَمِنهُمُ المُصلِتُ بِسَيفِه ، وَالمُعلِنُ بِشَرِّه ، وَ المُجلِبُ بِخَيلِه وَرَجِلِه، قَد أشرَطَ نَفسَهُ وَأوبَقَ دينَهُ ، لِحُطامٍ يَنتَهِزُهُ، أو مِقنَبٍ يَقُودُهُ، أو مِنبَرٍ يَفرَعُهُ، وَلَبِئسَ المَتجَرُ أن تَرَى الدُّنيا لِنَفسِكَ ثَمَناً ، وَمِمّا لَكَ عِندَ اللهِ عِوَضاً .

وَمِنهُم مَن يَطلُبُ الدُّنيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلا يَطلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنيا ، قَد طامَنَ بِشَخصِه ، وَقارَبَ مِن خَطوِه ،وَشَمَّرَ مِن ثَوبِه ، وَزَخرَفَ مِن نَفسِه لِلأمانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِترَ اللهِ ذَريعَةً إلَى المَعصِيَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى.

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا، فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال السّيد (ره) أقول هذه الخطبة ربّما نسبها من لاعلم لها إلى معاوية وهي من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام الذى لاشك فيه، و أين الذّهب من الرّغام و العذب من الاجاج، وقد دلّ على ذلك الدّليل الخرّيت و نقده النّاقدالبصير: عمروبن‌بحر الجاحظ، فانّه‌ذكرهذه‌الخطبة في كتاب البيان والتّبيين، و ذكر من نسبها إلى معاوية، ثمّ قال: هي بكلام عليّ عليه السلام أشبه و بمذهبه في تصنيف النّاس وفي الاخبار عمّاهم عليه من القهر والاذلال و من التقية والخوف أليق، قال: و متى وجدنامعاوية في حال من الأحوال سلك في كلامه مسلك الزّهاد ومذاهب العبّاد.

اللغة

(عنود) على وزن صبور من عند القصد عنوداً من باب قعد مال ، و في بعض النسخ بدل الشديد (الكنود) و هو ككفور لفظاً و معنى قال سبحانه : « انّ الانسان لربّه لكنود » قال النبيّ ﷺ في تفسيره : الكنود الذى يأكل وحده و يمنع رفده و يضرب عبده (والعتوّ) مصدر من عتا الرّجل يعتو من باب قعد إذا استكبر وتجاوز عن الحدّ (والقارعة) الدّاهية و (مهانة) النّفس بالفتح ذلّها و (كلّ) السّيف كلاًّ و كلالة لم يقطع و (نضيض و فره) اى قلّة ماله من نضّ الماء نضّا و نضيضا سال قليلا قليلا وخرج رشحا.

و (المصلت) من أصلت سيفه إذا جرّده عن غمده و (المجلب) اسم فاعل من أجلب عليهم اى أعال عليهم و (الرّجل) جمع راجل كالركب و راكب قال سبحانه : « واجلب عليهم بخيلك و رجلك» و (اشرط) نفسه أعدّها للفساد في الارض و(حطام) الدنيا متاعها وأصله ما تكسر من اليبس و(الانتهاز) بالزاء المعجمه الاغتنام و (المقنب) بالكسر ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل و(يفرعه) يعلوه و(طامن) ظهره حناه و خفضه و (شمر) ثوبه قصّره و رفعه و (زخرف) نفسه زيّنها و(ضئولة) النّفس بفتح الضّاد حقارتها و (المراح) بضمّ الميم حيث تاوى الماشية بالليل والمناخ والمأوى مثله.

و في بعض النسخ بفتح الميم و هو الموضع الذى يروح منه القوم أو يرجعون اليه يقال ماترك فلان من ابيه مغدى ولا مراحا و مغداة ولا مراحة و(الشريد) من شرد البعير اذا نفر و (الناد) المنفرد و (المقموع) المغلوب و (كعم) البعير من باب منع فهو مكعوم و كعيم شدّ فاه لئلا يأكل أو يقضّ ، و منه الكعام ، و هو ما يجعل في فم البعير عند الهياج .

و (الضامزة) بالزاء المعجمة الساكنة و(القرظ) محرّكة ورق السّلم يدبغ به و (الجلم) بالتحريك أيضاً المقصّ يجزّ به أو بارا لابل ، و قراضته ما يقع من قرضه و قطعه و (الرّغام) تراب لين اورمل مختلط بتراب و (الخرّيت) بالكسر و تشديد الرّاء الدّليل الحاذق و (صنّف) النّاس تصنيفاً جعلهم صنفا صنفاً.

الاعراب

نسبة العنود والكنود إلى الدّهر من باب التّوسع ، و اضافة النّضيض إلى الموفر من باب اضافة الصّفة إلى الموصوف ، والباء في بسيفه و بشره و بخيله زايدة، و لبئس المتجر بئس فعل ذمّ والمتجر فاعله، و ان ترى الدّنيا مؤول بالمصدر مخصوص بالذمّ و هو في محلّ الرّفع على كونه مبتداء و بئس فاعله خبر اله أو على أنه خبر حذف مبتداؤه ، و قوله بعمل الدنيا الباء للآلة ، و من في قوله من شخصه للزّيادة كالثلاث بعدها ، لأنّ الافعال الأربعة متعدّية بنفسها.

المعنى

اعلم أنّ الزّمان لما كان من الاسباب المعدّة لحصول ما يحصل في عالم الكون والفساد من الشّرور والخيرات صحّ بذلك توصيف بعض الازمنة بالخير فيقال: زمان خير و زمان عدل لكثرة ما يكون فيه بشهادة الاستقراء من الخير و انتظام حال الخلق و مواظبتهم على القوانين الشّرعية والسّنن النبوية ، و توصيف بعضها بالشرّ فيقال زمان جائر و زمان صعب شديد لكثرة ما يقع فيه من الشرور والمفاسد و عدم انتظام أمر الخلق فيه من حيث المعاش أو المعاد، إذا عرفت ذلك

فأقول : قوله عليه السلام : (أيّها النّاس انا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن شديد) ذمّ لزمانه عليه السلام بالجور والعدوان والشّدة والكفران من حيث غلبة الضّلال ودولة الجهّال و اضمحلال الحق و استيلاء الباطل و رجوع أغلب النّاس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أعقابهم القهقرى و ارتدادهم عن الامام الحق و اقتدائهم بالامام الباطل، و عدم تمكنه عليه السلام من اقامة المعروف و إزاحة المنكر ومن ذلك نشأ الشّرور والمفاسد التي عدوها وهي أمور.

الاول انّه (يعدّ فيه المحسن مسيئاً) و ذلك لغلبة الاساءة من حيث كثرة المسيئين و قلّة الاحسان لقلّة المحسنين ، فيعدّ المسيء إحسان المحسن إساءة كما أنّه يعدّ إساءة نفسه إحسانا ، لكون السّنة في نظره بدعة والبدعة سنّة ، أو أنّه يحمل احسان المحسن على الاسائة كحمله عبادته على الرّياء والسّمعة ، و انفاقه

على الخوف اوالرّغبة فى المجازاة و نحو ذلك من الامور الناشئةمن سوء الظنّ من أجل تنزيله حال الغير منزلة نفسه.

(و)الثانى انّه (يزداد الظالم فيه عتواً) و ذلك لقيام المقتضى لظلمه و عدم رادع له عن ذلك فيزداد فيه شيئا فشيئا وحيناً فحيناً.

بيان ذلك أنّ المقتضى لظلم الظالم هو نفسه الأمارة بالسّوء ، فلو كانت في زمان العدل تكون مقهورة تحت حكم الحاكم العادل غير متمكّنة من القيام والاقدام على الظلم والجور ، و لما لم يتمكّن عليه السلام في زمانه من قمع الباطل حقّ التمكّن ، لاجرم ازداد الظالم فيه على ظلمه و بلغ الغاية في استكباره و عتوّه باقتضاء دواعي نفسه.

والثالث انّه (لاننتفع بما علمنا) والاتيان بصيغة المتكلّم من قبيل ايّاك أعنى و اسمعي يا جارة ، والمقصود به توبيخ العالمين لتقصيرهم عن القيام بوظايف العلم إذ الانتفاع بالعلم إنّما يكون إذا وافقه العمل ، لأنّ العلم و العمل كالرّوح والجسد يتصاحبان و يتكاملان معاً و كلّ مرتبة من العلم يقتضي عملا معينا بحسبه وكلّ عمل يتهيؤبه لضرب من العلم.

و إلى ذلك أشار في رواية الكافي عن اسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل ، و من عمل علم ، و العلم يهتف بالعمل فان أجابه والاّ ارتحل عنه:

فان المراد بهتفه للعمل هو اقتضاؤه العمل و استدعاؤه له و من ارتحاله عدم الانتفاع به أوزواله بالمرّة.

و فيه عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال : جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مكتوب في الانجيل لاتطلبوا علم مالاتعلمون ولما تعملوا بما علمتم ، فانّ العلم إذالم يعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً، ولم يزدد من الله إلاّ بعداً.

(و) الرابع انّه (لانسأل عمّا جهلنا) و هو توبيخ للجاهلين المقصّرين في

طلب العلم و سؤال العلماء لعدم معرفتهم فضل العلم و عدم رغبتهم في العمل ولذلك قال الصادق عليه السلام لحمران بن أعين في شيء سأله إنّما هلك النّاس لأنّهم لايسألون رواه في الكافي

و فيه أيضاً عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : افّ لرجل لايفرغ نفسه في كلّ جمعة لأمر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه.

و عن الحسين بن محمّد عن عليّ بن محمّد بن سعد رفعه عن أبى حمزة عن عليّ ابن الحسين عليهما السّلام قال : لو يعلم النّاس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج و خوض اللّجج إنّ الله تعالى أوحى إلى دانيال انّ أمقت عبيدى إلىّ الجاهل المستخفّ بحق أهل العلم التّارك للاقتداء بهم، وانّ أحبّ عبيدى إلىّ التّقيّ الطالب للثواب الجزيل اللاّ زم للعلماء التّابع للحكماء القابل عن الحكماء.

(و) **الخامس** انّه (لاتنتخوف قارعة) و داهية (حتّى تحلّ بنا) و هو توبيخ للغافلين و المشغولين بلذايذ الدّنيا الحاضرة الغير الملتفتين إلى البليات والدّواهي النّازلة .

ثمّ إنّه عليه السلام بعد شكايته من زمانه قسّم أهل الزّمان إلى أقسام خمسة ، ووجه القسمة أنّ النّاس إمّا مريدون للآخرة و هم الذين أفردهم بالذّكر في مقابل الأقسام الاربعة و أشار إليهم بقوله وبقى رجال غضّ أبصارهم (الخ) و إمّا مريدون للدنيا و هؤلاء إمّا قادرون عليها بالسّلطنة والاستيلاء ، و إمّا عاجزون عنها ، و هؤلاء إمّا غير محتالين للدّنيا ، أو محتالون لها ، والمحتالون إمّا مقصودهم من الاحتيال هو خصوص ملك الدّنيا و مالها ، أو الأعمّ من ذلك فهذه أقسام خمسة أربعة منهم أهل الدّنيا و واحد أهل الآخرة.

و أشار إلى الأوّلين بقوله (فالنّاس على أربعة أصناف) الأول (منهم) العاجز عن الدّنيا غير المحتال لها و هو (من لايمنعه) من العلوّ و (الفساد في الأرض إلاّ مهانة نفسه) و حقارتها (و كلالة حدّ) سيفه) ووقوعه عن القطع و عدم الحقيقة

للمنظور إليه (و نضيض و فره) اى قلّة ماله ، و هذه كلّها إشارة إلى عدم تمكن هذا الرّجل من الوصول إلى مطلوبه و عدم قدرته على تحصيل مقصوده لانقطاع الاسباب دونه مضافا إلى ضعف نفسه.

(و) الثّاني (منهم) القادر على الدّنيا بالسّلطنة والاستيلاء و هو (المصلت بسيفه) الشّاهر له (والمعلن بشره والمجلب بخيله و رجله) و هو كناية عن جمعه أسباب الظلم والغلبة والاستعلاء (قداشرط نفسه) و اهلها للفساد في الأرض (واوبق دينه لحطام ينتهزه) و يغتنمه ، و تشبيه مال الدّنيا بالحطام لكونه قليل النّفع بالنّسبة إلى الأعمال الصالحة الباقى نفعها في الآخرة ، كما أنّ اليبس من النّبات قليل المنفعة بالقياس إلى ما تبقى خضرته (او مقنب) اى خيل (يقوده اومنبر يفرعه) و يعلوه .

و هذه الأوصاف المذكورة لهذا القسم مطابق المصداق مع خلفاء بني اميّة و بني العباس لعنهم الله و أشار إلى خسران هؤلاء في أفعالهم بقوله : (و لبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا و ممّا لك عندالله عوضاً) كما قال تعالى :

« مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلٰيها مَذْمُوماً مَدْحُوراً ، وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعىٰ لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً » .

(و) الثّالث (منهم) العاجزعن الوصول إلى الدّنيا المحتال لها بالسّمعة والرّياء و يرائي بالزّيّ والهيئة و هو (من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة) لكون همّه فيها (ولا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا) لعدم رغبته إليها أصلا ، والمراد بعمل الدّنيا ما يفعله المكلف فيها أو ما يصير بانضمام القربة والتّوصل إلى الطاعة طاعة (قد طا من من شخصه) اظهاراً للتّواضع (و قارب من خطوه)اظهاراً للوقار (و شمّر من ثوبه) اظهاراً للطهارة والتنزه من النّجاسة (و زخرف من نفسه) اي زيّنها للنّاس بزينة الصّلحاء والاتقياء .

و مقصوده من ذلك كلّه أن يفتتن به النّاس و يرغب إليه قلوبهم و يعظم قدره عندهم و يروه أهلا (للأمانة) و يسكنوا إليه في أماناتهم و يثقوا به في اموراتهم ، فويل لهذا الرّجل تحبّب إلى العباد بالتّبغض إلى الله و تزيّن لهم بالشّين عندالله و تحمّد إليهم بالتذمّم عندالله (و اتّخذ سترالله) الذى حمى به أهل التّقوى أن يردوا موارد الهلكة (ذريعة إلى المعصية) و وسيلة إلى ما اتيه من الدّنيا الفانية.

قال في البحار : قال الكيدرى : في كتاب المضاف والمنسوب ستر الله الاسلام والشيب والكعبة و ضماير صدور الناس يعنى جعل ظاهر الاسلام و ما يجنّه صدره بحيث لايطلع عليه مخلوق وسيلة و طريقا إلى معصية الله.

و أقول : يحتمل أن يكون المراد أنّه اتخذ سترالله على عيوبه حيث لم يفضحه ولم يطلع الناس على بواطنه ذريعة إلى أن يخدع النّاس.

(و) الرّابع (منهم) العاجز المحتال الذى رغبته في الملك و المال و هو (من أقعده) في بيته (عن طلب الملك ضئولة نفسه) و حقارتها (و انقطاع سببه) من عدم البضاعة ونحوها من الاسباب المحصلة لمطلوبه، (ف) لأجل ذلك (قصرته الحال على حاله) اى وقفت به حال القدر على حاله التي لم يبلغ معها ما أراد و قصرته عليها ؛ (ف) لذلك عدل إلى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق إليه (فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس أهل الزّهادة) و قام بالطاعات و واظب على العبادات (و) الحال انّه (ليس من ذلك) اى من القناعة والزهد (في مراح ولامغدى).

يعنى إنّه ليس منهما في شيء و إنّما اتّصافه بهما ظاهريٌّ وصوريٌّ لا حقيقيٌّ و واقعيٌّ ، و يحتمل أن يكون الاشارة بذلك إلى أهل الزّهادة و يكون المعنى أنّه ليس يومه كيومهم في الصّوم و غيره ، ولا ليله كليلهم في العبادات هذا.

ولما فرغ من أصناف أهل الدّنيا الأربعة و أوصافها أشار إلى أهل الآخرة المقابل لهم بقوله : (و بقى رجال) و ميّزهم بأوصاف مخصوصة بهم متميّزين بها عن غيرهم وهى انّه (قد غضّ أبصارهم ذكر المرجع) عن النظر إلى محارم الله أو عن الالتفات إلى مطلق ماسوى الله .

و ذلك لانّ القلب إذا كان مشغولا بذكرالله مستغرقا في شهود جمال الحقّ

و ملاحظة جلاله عارفا بأنّ المسير والمنقلب إليه سبحانه، يكون الحسّ تابعاله لامحالة لكونه رئيس الأعضاء والحواسّ، فلايكون له حينئذ التفات إلى الغير و توجه من طريقه إلى أمر آخر (و أراق دموعهم خوف المحشر) و هول المطلع فانّ بين الجنّة و النّار عقبة لا يجوزها إلاّ البكاؤون من خشية الله كمارواه في عدّة الدّاعي

و فيه أيضاً عن الصادق عليه السلام كلّ عين باكية يوم القيامة إلاّ ثلاث عيون: عين غضّت عن محارم الله، و عين سهرت في طاعة الله، و عين بكت في جوف الليل من خشية الله.

وعنه عليه السلام ما من شيء إلاّ و له كيل أووزن إلاّ الدّموع فانّ القطرة يطفي بحاراً من النّار، فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق (١) قتر ولاذلّة؛ فاذا فاضت حرّمه الله على النّار ولو أنّ باكيابكى في امّة لرحموا.

و عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أحبّ الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن فانّ الله يحبّ كلّ قلب حزين و أنّه لايدخل النّار من بكى من خشية الله تعالى حتّى يعود اللّبن إلى الضّرع، و أنّه لايجتمع غبار في سبيل الله و دخان جهنّم في منخري مؤمن أبداوإذا أبغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضّحك وإنّ الضّحك يميت القلب والله لايحبّ الفرحين.

وكيف كان (فهم بين شريدنادّ) أى نافر عن الخلق و منفرد عنهم ومتوحّش منهم إمّا لكثرة أذى الظالمين في الأوطان، لانكاره المنكر أو لقلّة صبره على مشاهدة المنكرات (و خائف مقموع و ساكت مكعوم) كان التّقية سدّت فاه من الكلام (وداع مخلص) لله في دعائه (و ثكلان موجع) إمّا لمصابه في الدّين أومن كثرة أذى الظالمين.

و في البحار و لعلّ المعنى أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع النّاس لما ذكر، و بعضهم لم يترك ذلك و ينكر منكراً، ثمّ يخاف ممّا يجرى عليه بعد ذلك و منهم من هو بينهم ولا ينهاهم تقيّة و معرض عنهم و مشتغل بالدّعاء؛ و منهم من هو

١ـ رهقه بالكسر اى غشيه

بينهم بالضّرورة و يرى أعمالهم ولايؤثر نهيهفيهم فهو كالثّكلان الموجع (قدأخملتهم التّقيه) من الظالمين (و شملتهم الذّلة) بسبب التّقية منهم (فهم في بحر اجاج).

يعنى أنّ حالهم في الدّنيا كحال العطشان في البحر الاجاج يريد عدم انتفاعهم بها و عدماستمتاعهم فيها كما لايستغنى ذو العطاش بالماء المالح (أفواههم ضامزة) اى ساكتة و ساكنة من الكلام (و قلوبهم قرحة) من خشية الرّب تعالىأو لكثرة مشاهدة المنكرات مع عدم التمكن من دفعها و رفعها (قد وعظوا حتّىملّوا) من الوعظ لعدم التفات الخلق اليهم وعدم تأثيرموعظتهم فيهم .

(و قهروا حتّى ذلّوا) بين النّاس (و قتلوا حتّى قلّوا) نسبةالقتلإلىالجميع مع بقاء البعض من باب اسناد حكم البعض إلى الكلّ، و هو شايع يقال : بنو فلان قتلوا فلانا، و إنّما قتله بعضهم وإذا كان حال كرامالنّاسالزّاهدين في الدّنيا ذلك (فلتكن)لكم بهم أُسوة حسنة ولتكن (الدّنيا) الدّنية (في أعينكم اصغر) و احقر (من حثالة القرظ و قراضة الجلم) و هوأمر للسّامعين باستصغار الدّنيا و اسحقارها إلى حدّ لايكون في نظرهم أحقر منها، والغرض من ذلكتركهم لها و اعراضهم عنها.

قيل : انّ النبيّ صلّى الله عليه و آله مرّ على سخلة منبوذة على ظهر الطريق فقال صلّى الله عليه و آله اترون هذه هينة على أهلها فوالله الدّنيا أهون على الله من هذه على أهلها ، ثمّ قال: الدّنيا دار من لادار له ، و مال من لامال له ، و لها يجمع من لاعقل له ، و شهواتها يطلب من لافهم له ، و عليها يعادى من لاعلم له ، و عليها يحسد من لافقه له ، و لها يسعى من لايقين له.

(و اتّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم) و هو أمر بالاتّعاظ بالامم السّالفة و تنبيه على أنّهم مفارقون للدّنيا لامحالة و كاينون عبرة لغيرهم، كما أنّ السّابقين عليهم صاروا عبرة لهم (و ارفضوها ذميمة) أى فارقوا عنها و اتركوها حالكونها مذمومة عندالعقلا و أُولى البصيرة.

و ذلك لزوال نعيمها و فناء سرورها و نفاد صحبتها و انقطاع لذّتها (فانّها)

لودام سرورها و بهجتها لأحد لدامت في حق أحب الخلق إليها مع أنها لم تدم في حقهم بل (قدرفضت من كان أشعف بها منكم) و تركت من كان أشد حرصا إليها ، و إذا كان طباعهارفض كل محب فالأولى للعاقل رفضه لها قبل رفضها له.

روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت ؟ قال : لااحصيهم،قال : فكلهم مات عنك أوطلقوك؟ قال : بل كلهم قتلت قال عيسى عليه السلام : بؤسالأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ، كيف أهلكتهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر ؛ و لنعم ماقيل :

يا طالب الدنيا يغرك وجهها و لتندمن إذا رأيت قفاها

الترجمة :

از جمله خطب آن حضرتست که شکایت میکند در آن از اهل زمان خود و میفرماید:

ای مردمان بدرستیکه ما صباح کرده‌ایم در روزگار بسیار ستیزه کننده و ستمکار و در زمان بسیار ناسپاس در نعمت آفریدکار که شمرده میشوددر او نیکوکار بد کردار و زیاده می‌کند در آن ستمکار سرکشی و افتخارراومنتفع نمیشویم به آنچه دانسته‌ایم ، وسؤال نمیکنیم‌از آنچه ندانسته‌ایم و نمیترسیم از بلاهای خطرناك که کوبندۀ دلهاست تا اینکه نازل شود آن بلاها بما.

پس مردمان دنیا چهار صنفند : یکی از ایشان کسی است که باز نمیدارد او را از فتنه و فساد مگر رذالت و خاری نفس او و کند بودن تیزی شمشیر او وکمی مال و ثروت او.

دوّمی از ایشان کسیست‌که‌کشنده است شمشیر خود را و آشکار کننده‌است شرّ خود را و کشنده است سواره و پیادۀ خود را ، یعنی اسباب سلطنت‌وظلم‌درحق او مهیاست بتحقیق اینمرد مهیا نموده از برای شرارت نفس خود را و تباه ساخته دین خودرا از برای متاع دنیا که غنیمت میشمارد آنرا یا از برای سوارانی که

بکشد ایشانرا یا از برای منبری که بالا میرود بر او و هر آینه بد تجارتیست آن که به بینی دنیا را از برای نفس خودت ثمن و بها و از آنچه مرتو راست در نزد خدایتعالی از نعم آن سرا عوض و سزا.

و سیّمی از ایشان کسی است که طلب کند دنیا را بعمل آخرت و طلب‌نمی کند آخرت را بعمل دنیا ، بتحقیق که این شخص پست کرد تن خود را بجهت اظهار تواضع ، و نزدیك نهاد کام خود را بجهت اظهار وقار و بر چید دامن جامهٔ خود را بجهت اظهار احتیاط از نجاست ، و زینت داد نفس خود را برای امانت و دیانت ، و فرا گرفته طریقهٔ خدا را وسیلهٔ رفتن بسوی معصیت.

و چهارمی از ایشان کسی است که نشانده اورا ازطلب‌ملك و مال حقارت نفس او و بریده شدن علاج او ، پس کوتاه ساخته او را حال تنکی او بر حالتی که اراده نموده از رفعت و مرتبت پس آراسته است خود را باسم قناعت و پیراسته بلباس اهل زهد و طاعت ، و حال آنکه نیست از اهل قناعت و زهد نه در محل شب و نه در محل روز یعنی در هیچوقت در سلك زاهدان حقیقی نیست بلکه زهد و قناعت او صوری و ظاهریست.

و باقیماند مردمانی که اهل آخرت هستند که پوشانید چشمهای ایشانرااز محارم یا از مطلق ماسوی الله یادکردن بازگشت او نزد خداوند سبحانه و ریخت اشکهای ایشان را ترس روز محشر پس آنها میان رمیده هستند و مطرود شده و ترسنده و مقهور گردیده و خاموش‌شونده‌و ممنوع از کلام و دعاکننده بااخلاص و فریاد کننده و رنجور شده.

بتحقیق که افکنده است ایشان را بگوشهٔ خمول تقیه و پرهیزکاری وشامل شده ایشان را ذلت و خاری ، دهنهای ایشان خاموش است ازسخن؛ و قلبهای‌ایشان مجروحست از خشیة خداوند ذوالمنن ، بتحقیق که موعظه فرمودند تا اینکه‌ملول شدند ، و مقهور گشتند تا اینکه ذلیل گردیدند ، و کشته شدند تا اینکه اندك ماندند.

چون حال روزگار غدار در حق این طایفهٔ عالیمقدار بر این منوالست، پس باید که باشد دنیای فانی در نظر شما خارتر از دردی برگ سلم که بآن دباغی می‌کنند وازریزهای پشم بز که از مقراض می‌افتد، و نصیحت‌بپذیرید باکسانی‌که بودند پیش از شما پیش از آنکه پند گیرند با شما آنکسانیکه می‌آیندبعدازشما و بگذارید و ترک نمائید متاع دنیا را در حالتی که مذموم است و معیوب نزد اهل دانش و بینش، پس بتحقیق که ترک کرده است دنیا کسی را که حریص تر بود و مایل‌تر بآن از شما.

ومن خطبة له عليه‌السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة وهي الثالثة والثلاثون من المختار في باب الخطب

قال ابن عباس دخلت على أمير المؤمنين عليه‌السلام بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لاقيمة لها: فقال عليه‌السلام:

وَ اللهِ لَهِيَ أَحبُّ إلَيَّ مِنْ إمْرَتِكُمْ إلاّ أنْ أُقيمَ حَقّاً أوْ أَدْفَعَ باطِلاً

ثمّ خرج فخطب النّاس فقال:

إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً و لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَءُ كِتاباً ولاَ يَدَّعي نُبُوَّةً، فَساقَ النّاسَ حَتّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، و بَلَّغَهُمْ مَنْجاتَهُمْ، فَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ، وَ اطْمَأَنَّتْ صَفاتُهُمْ، أما وَ اللهِ إنْ كُنْتُ لَفي ساقَتِها حَتّى تَوَلَّتْ بِحَذافيرِها ما عَجَزْتُ، ولاَ جَبُنْتُ، و إنَّ مَسيري هذا لِمِثْلِها، وَ لَأَنْقُبَنَّ (ولأبقرنّ خ) الْباطِلَ حَتّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ خاصِرَتِه (جنبه خ ل)، ما لي وَ لِقُرَيْشٍ وَ اللهِ لَقَدْ قاتَلْتُهُمْ كافِرينَ، وَ لَأُقاتِلَنَّهُمْ

مَفْتُونِينَ، وإنّي لَصاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَما أَنا صاحِبُهُمُ الْيَوْمَ.

اللغة

(ذوقار) موضع قرب البصرة، و هو المكان الذى كان فيه الحرب بين العرب والفرس و نصرت العرب على الفرس و فيه عين يشبه لون مائه القير و (خصف النعل) خرزها وهي مؤنثة سماعيّة و (بواه) المكان أسكنه فيه و (المنجاة) موضع النّجاة و (القناة) الرّمح و هو إذا كانت معوجا لايترتّب عليه الأثر و (الصّفاة) بفتح الصاد الحجر الصّلبة الضّخم لاينبت و (السّاقة) جمع سائق كالحاكة والحائك ثمّ استعملت للأخير لأن السّائق إنّما يكون فى آخر الرّكب أو الجيش (تولّت) و في نسخة الشّارح المعتزلى ولت بالواو و كليهما بمعنى واحدأى أدبرت هاربا و (الحذافير) جمع الحذفار بكسر الحاء و هو الجانب والشّريف و الجمع الكثير يقال أخذه بحذافيره بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه و (ضعف و جبن) بضمّ العين من باب كرم و (النّقب) الثّقب و في بعض النسّخ بدل لأنقبنّ لأبقرنّ من البقر وهو الشّق.

الاعراب

جملة و ليس احدءاه حاليّة وان كنت لفى ساقتها ان بالكسر مخفّفة من الثّقيلة و اسمها محذوف، و اللام في قوله افى ساقتها عوض عن المحذوف على حدّ قوله سبحانه:

« وإنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً »

و قيل فصل باللاّم بين ان المخفّفة و بين غيرهامن أقسام ان.

و عن الكوفيّين أنّ إنّ المشدّدة لاتخفّف و أنّ إن في هذه الموارد بمعنى ما النّافية، واللاّم بمعنى إلاّ فاذا قلت: إن زيدلمنطلق فمعناه ما زيد إلاّ منطلق ورد أوّلا بانّ وقوع اللام بمعنى إلاّ لم يثبت سماعا ولا قياسا، و ثانيا بأنّ هذا ينافي اعمالها مع التّخفيف وقد حكى عن سيبويه إن عمرواً لمنطلق بالنصب و قرء الحرميان و أبوبكر:

« وإنْ كُلاًّ لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ »

و جملة ما عجزت حالية، ولمثلها بكسر اللاّم على ما في أكثر النسخ أو بفتحها على أنّها للتّوكيد على ما في بعضها ، ومالي ولقريش استفهام على سبيل إنكار معاندتهم له و جحودهم لفضله ، و كافرين و مفتونين منصوبتان على الحال

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة لاظهار انّ غرضه من حرب أهل الجمل كان إقامة الحقّ و إزاحة الباطل و أنّ حربه معهم جارى مجرى حربه مع الكفار وأهل الجاهلية في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله ، و لذلك أشار أولا إلي بعثة الرّسول ثمّ رتّب عليها مقصوده فقال : (إنّ الله سبحانه بعث محمّداً) صلّى الله عليه وآله (و ليس أحد من العرب) في زمان بعثه (يقرء كتابا ولايدّعي نبوّة)

يحتمل أن يكون المراد بالعرب أقلّهم ، فانّ أكثرهم لم يكن لهم يومئذ دين ولا كتاب كما مرّ تفصيلا في الفصل السّادس عشر من فصول الخطبة الاولى عند شرح قوله عليه السلام : و أهل الارض يومئذ ملل متفرّقة.

و امّا على إرادة العموم كما هو ظاهر العبارة فيمكن الجواب بانّ الكتاب الذى كان بأيدى اليهود والنّصارى حين بعثه لم يكن بالتّوراة والانجيل المنزل من السماء ، لمكان التّحريف والتّغيير الذي وقع فيهما كما يشهد به قوله تعالى:

« وإنَّ مِنْهُمْ (١) لَفَرِيقاً يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وما هُوَ مِنَ الْكِتابِ و يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ و يَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

قال أبوعلى الطبرسي في مجمع البيان قيل : نزلت في جماعة من أحبار اليهود

١ـ اى من أهل الكتاب وهو عطف علي قوله و من أهل الكتاب الخ مجمع البيان.

كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من بعث النبيّ و غيره و أضافوه إلى كتاب الله، و قيل : نزلت في اليهود والنّصارى حرّفوا التّوراة و الانجيل و ضربوا كتاب الله بعضه ببعض والحقوا به ماليس منه وأسقطوا منه الدّين الحنيف.

قال ابن عباس و كيف كان فالمقصود أنّ النّاس يوم بعث النبيّ كانوا أهل جاهلية غافلين عن الكتاب والسّنة (فساق) صلوات الله وسلامه عليه و آله (النّاس حتى بوّاهم محلّتهم) يعنى أنّه ضرب النّاس بسيفه حتى أسكنهم منزلتهم و مرتبتهم التي خلقوا لاجلها (و بلغهم منجاتهم) التي لاخوف على من كان بها ولا سلامة للمنحرف عنها.

والمراد بهما هو الاسلام والدّين و بذلك يحصل النّجاة من النّار و يتقى من غضب الجبار و يسكن دارالقرار ، و ذلك هو المراد من خلقة الانسان و به يحصل مزيّته على ساير أنواع الحيوان (فاستقامت به قناتهم) التي كانت معوّجة (واطمأنّت صفاتهم) التي كانت متزلزلة مضطربة.

قال الشّارح البحراني : والمراد بالقناة القوّة والغلبة والدّولة التي حصلت لهم مجازاً من باب اطلاق السبب على المسبب، فان الرّمح سبب للقوّة والشدّة ، و معنى إسناد الاستقامة إليها انتظام قهرهم و دولتهم ، و لفظ الصفات استعارة لحالهم التي كانوا عليها.

و وجه المشابهة أنّهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم و على أحوالهم متزلزلين لايقرّ بعضهم بعضاً في موطن ولا على حال بل كانوا أبداً في النّهب والغارة و الجلاء ، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب فاطمأنّت أحوالهم و سكنوا في مواطنهم (أما والله ان كنت لفي ساقتها) شبّه أمر الجاهلية إمّا بعجاجة ثائرة(١) أو بكتيبة مقبلة للحرب.

فقال إنّي طردتها فولّت بين يدى ولم أزل في ساقتها أنا أطردها و هي تنفر أمامى (حتّى تولّت) هاربة (بحذافيرها) ولم يبق منها شيء (ما عجزت)من سوقها

١ـ الثور هو الهيجان

(ولا جبنت) من طردها (و أنّ مسيرى هذا لمثلها) أى لمثل تلك الحال التي كنت عليها معهم في زمن الرّسول ﷺ من سوق كتائبهم و طردها من غير ضعف ولاجبن.

(ولأبقرنّ الباطل حتّى يخرج الحقّ من خاصرته) شبّه الباطل بحيوان ابتلع جوهراً ثمنياً أعزّ منه قيمة فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع، وأراد بذلك تميز الحقّ من الباطل و تشخيص الصلاح من الفساد (مالي ولقريش) يجحدون فضيلتى و يستحلّون محاربتي و ينقضون بيعتي (والله لقد قاتلتهم كافرين) بالكفر والجحود (ولأقاتلنّهم مفتونين) بالافتنان و البغى ليرجعوا من الباطل إلى الحقّ ويفيؤوا إليه.

روى في الوسائل عن الحسن بن محمّد الطوسي في مجالسه عن أبيه عن المفيد معنعناً عن محمّد بن عمر بن على عن أبيه عن جدّه أنّ النّبيّ ﷺ قال له: يا عليّ إنّ الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معي، فقلت: يا رسول الله و ما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّى رسول الله، وهم مخالفون لسنّتي و طاعنون في ديني، فقلت فعلى م نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا اله إلاّ الله و أنّك رسول الله؟ فقال على إحداثهم في دينهم و فراقهم لأمرى و استحلالهم دماء عترتي هذا.

قال الشّارح المعتزلي في شرح قوله ولأقاتلهم مفتونين: أنّ الباغي على الامام مفتون فاسق، و هذا الكلام يؤكد قول أصحابنا أنّ أصحاب صفّين والجمل ليسوا بكفّار خلافا للاماميّة.

و ردّ بأن المفتون من أصابه الفتنة وهي تطلق على الامتحان والضّلال والكفر والاثم والفضيحة والعذاب وغير ذلك، والمراد بالمفتون ما يقابل الكافر الأصلي الذى لم يدخل في الاسلام أصلا ولم يظهره إذ لاشك في أنّ من حاربه عليه السلام كافر لقوله ﷺ حربك حربى وغير ذلك من الأخبار والادلّة.

أقول: المستفاد من كلام الشّارح أنّ الامامية يقولون بكون البغاة كفاراً

كساير الكفّار من المشركين و منكري الرّسالة و ساير ما ثبت ضرورة من دين الاسلام و ليس كذلك و إلاّ لحكموا بجواز سبى ذراريهم و تملّك نسآئهم و أموالهم الغير المنقولة كساير الكفار من أهل الحرب مع أنّهم قد اجمعوا على عدم جواز شيء من ذلك .

كيف ولو كان بناؤهم على ذلك لم يفصلوا في البغاة بين ذوى الفتنة كأصحاب الجمل ومعاوية ، وبين غيرهم كالخوارج حيث قالوا : في الأوّلين باجهاز جريحهم و اتباع مدبرهم و قتل أسيرهم ، و في الآخرين بوجوب الاكتفاء بتفريقهم من غير أن يتّبع لهم مدبر أو يقتل لهم أسير أو يجهز على جريح ، و لم يختلفوا أيضاً في قسمة أموالهم التي حواها العسكر ، بل حكموا في كل ذلك بحكم الكافر الحربي.

و ممّا ذكرنا ظهر ما في كلام المورد أيضاً مضافاً إلى ما فيه من أنّه لو كان المراد بالمفتون في كلامه عليه السلام هو المرتدّ عن دين الاسلام على ما فهمه المورد لزم الحكم بعدم قبول توبة أكثر البغاة لو تابوا وبقسمة أموالهم وباعتداد زوجتهم عدّة الوفاة، لأنّ اكثر أهل البغى قد ولدوا على الفطرة مع أنّه لم يحكم أحد بذلك.

و تحقيق الكلام في المقام على ما يستفاد من كلام بعض علمائنا الأبرار وأخبار أئمتنا الاطهار سلام الله عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار هو:

أنّ البغاة محكوم بكفرهم باطناً إلاّ أنّه يعامل معهم في هذا الزّمان المسمّى بزمان الهدنة معاملة المسلم الحقيقي فيحكم بطهارتهم و جواز ملاقاتهم بالرّطوبة و بحلّ أكل ذبايحهم و حرمة أموالهم و صحة مناكحاتهم إلى غير ذلك من أحكام الاسلام حتّى يظهر الدّولة الحقّة عجّل الله تعالى ظهورها فيجري عليهم حينئذ حكم الكفّار الحربيين.

و يشهد بذلك ما رواه في الوسايل باسناده عن عبدالله بن سليمان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ النّاس يروون أنّ عليّاً عليه السلام قتل أهل البصرة وترك أموالهم فقال : إنّ دار الشرّك يحلّ ما فيها و انّ دار الاسلام لا يحلّ ما فيها فقال إنّ عليّاً إنّما منّ عليهم كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكّة و إنّما ترك عليّ عليه السلام لأنّه كان

يعلم انّه سيكون له شيعة و انّ دولة الباطل ستظهر عليهم ، فأراد أن يقتدى به في شيعته وقد رأيتم آثار ذلك هو ذايسار في النّاس بسيرة علي و لو قتل عليٌّ عليه السلام أهل البصرة جميعا و اتّخذ أموالهم لكان ذلك له حلالا لكنّه منّ عليهم ليمن على شيعته من بعده.

و عن اسحاق بن عمّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : مال النّاصب و كلّ شيء يملكه حلال إلاّ امرأته ، فانّ نكاح أهل الشرّك جايز؛ وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لاتسبّوا أهل الشّرك فانّ لكل قوم نكاحاً و لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم و رجل منكم خير من ألف رجل منهم لأمرناكم بالقتل لهم ولكن ذلك إلى الامام.

و عن أبي بكر الحضرمي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لسيرة عليّ في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشّمس إنّه علم أنّ للقوم دولة فلو سباهم لسبيت شيعته ، قلت : فأخبرني عن القائم يسير بسيرته ؟ قال: لا إنّ عليّا سار فيهم بالمنّ لما علم من دولتهم و إنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السّيرة لأنّه لا دولة لهم.

و عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن القائم إذا قام بأيّ سيرة يسير في النّاس؟ فقال: بسيرة ماسار به رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يظهر الاسلام ، قلت وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : أبطل ما كان في الجاهليّة و استقبل النّاس بالعدل ، و كذلك القائم إذا قام يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي النّاس ويستقبل بهم العدل.

و روى عن الدّعائم عن عليّ عليه السلام أنّه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبلة أكافرون هم ؟ قال عليه السلام : كفروا بالأحكام و كفروا بالنّعم ليس كفر المشركين الذين دفعوا النبوّة ولم يقرّوا بالاسلام ، ولو كانوا كذلك ما حلّت لنا مناكحهم ولاذبايحهم ولا مواريثهم.

إلى غير ذلك من النّصوص الدالّة على جريان حكم المسلمين على البغاة

من حيث البغي في زمن الهدنة فضلا عمّا هو المعلوم من تتبّع كتب السّير والتّواريخ من مخالطة الأئمة عليهم السّلام معهم و عدم التجنّب من أسآرهم و غير ذلك من أحكام المسلمين و إن وجب قتالهم إذا ندب عليه الامام عموما او خصوصا أو ندب عليه المنصوب من قبله عليه السلام لكن ذلك أعمّ من الكفر و يأتي تمام الكلام إنشاء الله تعالى في شرح الكلام المأة والخامسة والخمسين .

نعم الخوارج منهم قد اتّخذوا بعد ذلك ديناً و اعتقدوا اعتقادات صاروا بها كفّاراً لامن حيث كونهم بغاة فافهم جيّدا و قوله عليه السلام : (إنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم) إشارة إلى عدم تغيّر حالته عن التي بها قاتلهم كافرين، وفيه تهديد لهم و تذكير لشدّة بأسه و سطوته و شجاعته هذا.

و في نسخة الشّارح المعتزلي بعد قوله صاحبهم اليوم:

وَاللهِ ما تَنقِمُ مِنّا قُرَيْشٌ إلاّ أنّ اللهَ اختارَنا عَلَيْهِمْ فَأدْخَلْناهُمْ في حَيِّزِنا فَكانُوا كَما قال الأوّل:

ادمت لعمري شربك المحض صابحاً و اكلك بالزّبد المقشّرة البجرا
و نحن وهبناك العلاء و لم تكن علياًوحطنا حولك الجرد والسمرا

أقول : (المحض) اللبن الخالص ، و (الصّابح) والصّبوح ما صلب من اللّبن بالغداة و ما أصبح عندهم من شراب و (المقشّرة) التّمرة التي اخرج منها نواتها و (البجر) بالضّم الأمر العظيم والعجب و لعلّه هنا كناية عن الكثرة أو الحسن أو اللطافة ، ويحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق يقال بجر كفرح فهو بجر امتلأ بطنه من اللبن ولم يروّ ، وتبجر النّبيذ ألحّ في شربه و(الجرد) بالضّم جمع الأجرد و هو الفرس الذى دقت شعرته وقصرت و هو مدح و(السّمر) جمع الاسمر وهو الرّمح

تكملة

يأتي إنشاء الله رواية هذه الخطبة في الكتاب بطريق آخر و هي الخطبة المأة والثّالثة ، و نوردها بطريق ثالث في الشّرح ثمّة فانتظر.

تبصرة

روى الشّارح المعتزلي عن أبي مخنف عن الكلبي عن أبي صالح عن زيد بن عليّ عن ابن عباس قال: لما نزلنا مع عليّ عليه السلام ذاقار قلت: يا أميرالمؤمنين ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ؟ فقال: والله ليأتيني منهم ستّة ألف و خمسماءة و ستّون رجلا لايزيدون ولا ينقصون قال ابن عبّاس فدخلني والله من ذلك شكّ شديد في قوله و قلت في نفسي والله إن قدموا لأعدّنهم.

قال أبو مخنف فحدّث ابن اسحاق عن عمّه عبدالرّحمن بن يسار قال: نفر إلى عليّ إلى ذي قار من الكوفة في البرّ و البحر ستّة ألف و خمسماءة و ستّون رجلا و أقام عليّ عليه السلام بذي قار خمسة عشر يوماً حتّى سمع صهيل الخيل و شجيج البغال حوله

قال: فلما سار منقلة قال ابن عباس، والله لأعدّنهم فان كانوا كما قال و إلاّ أتممتهم من غيرهم فان النّاس قد كانوا اسمعوا قوله، قال: فعرضهم فوالله ما وجدتهم يزيدون ولا ينقصون رجلا فقلت: الله أكبر صدق الله و رسوله ثمّ سرنا.

الترجمة

از جملهٔ خطب آن حضرتست که فرموده هنگام رفتن او بمحاربهٔ أهل بصره گفت عبدالله بن عباس که داخل شدم بر امیرالمؤمنین در منزل ذی قار و آنحضرت می‌دوخت نعلین خود را پس گفت بمن که ای ابن عباس چیست قیمت این نعل؟ من عرض کردم که قیمت ندارد و بچیزی نمی‌أرزد، فرمود بخدا سوگند که این نعل محبوب تر است به سوی من از امارة من درمیان شما مگر اینکه اقامه نمایم حقی‌را یا بر طرف سازم باطلی را پس آن حضرت بیرون تشریف آورد پس خطبه خواند از برای مردم پس فرمود:

بدرستیکه خداوندتعالی مبعوث فرمود محمّد بن عبدالله صلوات الله وسلامه علیه را در حالتیکه نبود هیچ احدی از عرب که کتاب بخواند و نه شخصیکه دعوی نبوت نماید، پس راند حضرت رسالت مردم را تا اینکه ساکن فرمود ایشان را در

منزل ایشان و رسانید ایشان را در محل رستکاری ایشان ، پس راست شد نیزهای ایشان و آرام گرفت سنك هموار ایشان.

مقصود انتظام دولت ایشانست و آسودگی بلاد ایشان بخدا سوگند بدرستیکه بودم در میان مردمانی که رانندگان عساکر خصم بودند تا اینکه پشت برگرداند لشکر خصم و روبر فرار نهادند تماماً در حالتیکه عاجز نشدم و ترسناك نگشتم ، وبدرستیکه این سیر و حرکت من بقتال اهل بصره هر آینه مثل آن حالت سابقه است که بودم بر آن از دلیری وشجاعت.

پس هر آینه می‌شکافم باطل را تااینکه بیرون آید حق از شکم او چیست مرا و قریش را که بیعت مرا شکستند وفضیلت مرا انکار کردند بخدا سوگندکه مقاتله کردم با ایشان در حالتیکه کافر بودند ، و مقاتله میکنم با ایشان درحالتی که مفتون هستند ، و بدرستیکه من مصاحب ایشان بودم دیروز ، همچنان که مصاحب ایشانم امروز و تفاوت در حالت من نبوده

و من خطبة له علیه السلام فی استنفار الناس الی اهل الشام وهی الرابعة و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

خطب بها بعد فراغه من قتال الخوارج علی ما تعرفه تفصیلا إن شاءالله

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتابَكُمْ ، أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنيا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضاً ، و بالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً ، إِذا دَعَوْتُكُمْ إِلىٰ جِهادِ عَدُوِّكُمْ دارَتْ

أعْيُنِكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعْمَهُونَ ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ ، ما أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيالي وما أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمالُ بِكُمْ ، وَلاَ زَوافِرِ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ، ما أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعاتُها فَكُلَّما جُمِعَتْ مِنْ جانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ ، لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللهِ سَعْرُ نارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ ، لاَ يُنامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ ساهُونَ ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخاذِلُونَ .

وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغا وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِيطالِبٍ انْفِراجَ الرَّأْسِ ، وَاللهِ إِنَّ امْرَءً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ وَيَفْرِي جِلْدَهُ ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ ما ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذاكَ إِنْ شِئْتَ ، فَأَمّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَراشُ الْهامِ، وَتَطِيحُ السَّواعِدُ وَالْأَقْدامُ ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ ما يَشاءُ .

أَيُّهَا النّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ، فَأَمّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ ، كَيْلا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْما تَعْلَمُوا ، وَأَمّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ

فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ ، وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

اللغة

(افّ) بالضّم والتّشديد والتّنوين كلمة تضجّر ، و لغاتها أربعون و (سئم) الشّيء يسام كفرح ساماً و سامة مل و (الغمرة) الشّدة ، و غمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل و (السّكر) بالفتح ضد الصّحو والاسم بالضّم ، و سكرة الموت شدّته و غشيته و (رتج) كفرح استغلق عليه الكلام كارتج عليه بالبناء للمفعول (والحوار) بالكسر المحاورة والمخاطبة.

و (عمه) الرّجل كعلم إذا تحيّر في الضّلال و تردّد في المنازعة و (الالس) بسكون اللاّم الجنون و اختلاط العقل و (سجيس اللّيالى) كلمة يقال للأبد تقول لاأفعله سجيس الليالي أى أبداً ومثلها سجيس الأوجس وسجيس عجيس و (الزّوافر) جمع زافرة و زافرة الرّجل أنصاره و عشيرته و (الابل) اسم جمع و (سعر نار الحرب) جمع ساعر واسعار النّار وسعرها ايقادها و (الامتعاض) الغضب و (حمس) كفرح اشتد.

و أصل (الوغا) الصّوت والجلبة و اطلق على الحرب لما فيها من الاصوات والجلبة و (عرق اللحم) كنصر اكله ولم يبق منه على العظم شيئاً و (هشم) العظم كضرب كسره و (فريت) الشيء قطعته و (الجوانح) الاضلاع التي تحت الترائب و هي مما يلي الصّدر كالضّلوع مما يلي الظهر.

و (ما ضمت عليه) هو القلب و (المشرفيّة) بفتح الميم والرّاء سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن و (فراش الهام) بالفتح العظام الرّقيقة التي تلي القحف و (طاح) يطيح اى سقط .

الاعراب

عوضا وخلفا نصبهما على التّميز، وجملة يرتج عليكم حاليّة ، وسجيس الليالى منصوب على الظرفية و زوافر في اكثر النّسخ بالجرّ عطفا على المجرور ، و في بعضها بالنّصب عطفا على الظرف أعنى بركن ، و قوله لبئس لعمرالله اللاّم جواب القسم والتكرير للتّاكيد ، والعمر بالفتح العمر و هو قسم ببقآء الله سبحانه ، و أيم

مخفّف أيمن و هو جمع يمين أى أيم‌الله قسمي.

و قوله: ان لوحمس الوغا أن بفتح‌الهمزة مخففة من‌الثقيلة اسمها ضميرشأن، وجملة لوحمس آه خبرها ، و هى مع اسمها وخبرها قايمة مقام مفعولى أظن ولعظيم عجزه خبر إن واللام‌للتأكيد،والجملات بين الاسم والخبر منصوب المحلّ إلاّ أنّ انتصاب الاولى على الوصفيّة والثلاث الأخيرة على الحاليّة من مفعول يمكّن.

و قوله: فامّا أنا مبتدء، و ضرب بالمشرفية خبره من باب زيد عدل و قوله: كيلاتجهلوا كي إمّاتعليليّةوان‌مضمرة بعدها، أومصدريّة واللاّم مقدّرة قبلها، ومثله في‌الاحتمالين قوله سبحانه: « كيلا يكون دولة » وقوله: كيما تعلموا كي‌تعليليّة وما إمّا مصدريّة أو كافة و مثله في‌الاحتمالين‌قوله:

اذا أنت لم تنفع فضرّ فانّما يرجّى الفتى كيما يضرّ و ينفع

المعنى

اعلم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ، خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج روى أنّه قام بالنّهروان فحمدالله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانّ الله قد أحسن نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشّام ، فقاموا إليه وقالواله: يا أميرالمؤمنين قد نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا، و لعلّ أميرالمؤمنين يزيد في عدتنا مثل من هلك منّا لنستعين به فأجابهم.

« يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ » .

فتلكّأوا عليه و قالوا: إنّ البرد شديد فقال: إنّهم يجدون البرد كما تجدون فتلكّأوا و أبوا؛ فقال: أفّ لكم انها سنّة جرت ثمّ تلى قوله تعالى:

« قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ » .

« قالُوا يامُوسىٰ إنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبداً ما دامُوا فيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتَلاٰ إنّا هٰيهُنا قاعِدُونَ خ ل »

فقام ناس منهم و اعتذروا بكثرة الجراح في النّاس وطلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أيّاما ثمّ يخرج، فرجع بهم غيرراض وأنزلهم النّخيلة وأمر النّاس أن يلزموا معسكرهم و يقلوا زيارة أهلهم و أبنائهم حتّى يسيربهم الى عدوِّهم.

فلم يقبلوا و دخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه من النّاس الاّ رجال من وجوههم قليل ، و بقي المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفة رجع إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال:

أيّها النّاس استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله و درك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحقّ لاينصرونه مورغين (١) بالجور والظلم لا يعدلون به و جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون في الطغيان و يتمكعون (٢) في غمرة الضّلالة ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ، و توكّلوا على الله و كفى بالله وكيلا

فلم ينفروا فتركهم أيّاماً ثمّ خطبهم فقال : (أُفٍّ لكم لقد سئمت) و مللت (من عتابكم) بمالا ارتضيه من أفعالكم و أقوالكم و كثرة تثاقلكم عن قتال خصومكم (ارضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضا) حيث تركتم الجهاد حبّا للبقاء و رغبة إلى الحياة ، و رغبتم عمّا يترتّب علية من الثّمرات الأُخروية من الدّرجات الرّفيعة والرّحمة والمغفرة.

مضافة الى ما فيه من فضله على الأعمال و فضل عامله على العمّال، إذبه يدفع عن الدّين، ويستقام شرع سيّد المرسلين، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنّة مفلحاً منجحاً (وبالذلّ من العزّ خلفا) حيث إنّ قعودكم عن الجهاد مستلزم

١ـ ورغه بالشيء اغراه

٢ـ مكع كمنع وفرح مشى مشيا متعسفا لايدرى اين ياخذ من بلاد الله وتحير كتمكع

لطمع العدوّ فيكم و قصد بلادكم والاستيلاء عليكم و استباحة دمائكم و أموالكم و سبي ذراريكم ، وقد مضى في شرح الخطبة السابعة والعشرين ما يوجب زيادة توضيح المقام.

ثمّ انّه عليه السلام بعد توبيخهم و تبكيتهم على سوء أفعالهم أشار إلى حالتهم التي كانوا عليها حين دعوتهم إلى الجهاد بقوله : (اذا دعوتكم الى جهاد عدوّكم) تحيرتم و تردّدتم بين النّهوض الى العدوّ والقعود عنه جبنا و خوفا ف(دارت أعينكم) من شدّة الخوف (كأنكم من الموت في غمرة و) شخصت أبصاركم كأنكم (من الذّهول) والغفلة (في سكرة) كما قال سبحانه:

« فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ »

و هو الذى قرب من حال الموت و غشيته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلايطرف ؛ و كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم و تحار أعينهم من شدّة الخوف (يرتج عليكم حوارى) و يغلق عليكم خطابى (فتعمهون) في الضلال و تردّدون في الشّخوص إلى القتال (فكان قلوبكم مألوسة) و افئدتكم مجنونة (فأنتم لاتعقلون) ما أقول ولا تفقهون صلاح الأمر (ماانتم لى بثقة) أثق بكم وأعتمد عليكم و أتقوّى بكم على اعدائي.

(سجيس الليالى) لكثرة ما شاهدت فيكم من كذب الوعد و خلف العهد (و ما أنتم بركن يمال بكم) و يستند اليكم (ولازوافر عزّ) يعتصم بكم و(يفتقر اليكم) لما فيكم من الذلّ والفشل والعجز والرذالة (ما انتم الا كـ)عجاجة (ابل) او قطعية غنم (ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من) جانب (آخر)

و ذلك من أجل ما فيكم من اختلاف الأهواء و تشتّت الآراء المانع من اجتماعكم على مافيه نظم أمر المعاش وصلاح حال المعاد (لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم) مع ما فيكم من الفشل والخوف مضافا الى سوء الرأى و ضعف التّدبير وبذلك

انتم (تكادون ولاتكيدون) و يمكر بكم عدوّكم ولاتمكرون.

(و تنتقص اطرافكم) و نواحي بلادكم باغارة العدوّ عليها و قتل خيار أهلها و إحداث الخراب فيها (فلا) تغضبون ولا (تمتعضون لاينام عنكم) العيون (و انتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون) المتثاقلون و أنتم منهم فستغلبون وتقهرون (و ايم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغا و) اشتدّ الهيجا (استحر الموت) و استعر القتل (قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الرّاس) و تفرّقتم عنه تفرّقا لارجوع بعده أبداً.

و انفراج الراس مثل أوّل من تكلّم به على ما قيل أكثم بن صيفي في وصيته له: يا بنيّ لا تنفرجوا عند الشدايد انفراج الرّاس فانكم بعد ذلك لاتجتمعون على عزّ و في معناه أقوال:

الاوّل ما عن ابن دريد و هو إنّ الرّاس إذا انفرج عن البدن لايعود.

الثّاني ما عن المفضل أنّ الرّاس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشّام يقال لها بيت الرأس تباع فيها الخمر، و هذا الرّجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثّالث أنّ الرّاس إذاانفرج بعض عظامه من بعض كان بعيداً عن الالتيام والعود إلى الصّحة.

الرابع ما عن القطب الرّاوندي و هو أنّه أراد به انفرجتم عني رأساأى قطعاً، وردّه الشّارح المعتزلي بأنّ رأسا لايعرف.

الخامس ما عنه أيضاً من أنّ المعنى انفراج رأس من ادنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف راسه عنه، وردّه الشّارح أيضاً بأنه لاخصوصية في الرّاس في ذلك فانّ اليد والرّجل إذا ادنيتهما من شخص ثمّ حرفتهما عنه فقدتفرّج ما بين ذلك العضو وبينه، فاىّ معنى لتخصيص الرّاس بالذّكر.

السّادس أنّ المعنى انفراج من يريد أن ينجو برأسه.

السابع انّ المراد انفراج المرأة عن راس ولدها حالةالوضع، فانّه حينئذ

يكون (١) في غاية الشدّة نظير قوله ﷺ في موضع آخر : انفراج المرأة عن قبلها.

الثّامن أنّ الرّاس الرّجل العزيز ، لأنّ الاعزاء لايبالون بمفارقة أحد،وعلى أيّ تقدير فالمقصود شدّة تفرّقهم عنه ﷺ (واللّه انّ امرء يمكّن عدوّه من نفسه) حالكونه (يعرق لحمه) و يأكله (و يهشّم عظمه) و يكسّره (ويفرى جلده)ويقطعه أى يسلّط عدوه عليه بالنّهب والاسرو الاستيصال (لعظيم عجزه) و(ضعيف ما) يعنى قلبه الذي (ضمّت عليه جوانح صدره)

ثمّ خاطبهم بخطاب مجمل من غير تعيين للمخاطب تقريعا و تنفيراً لهم عمّا يلزمهم من الأحوال الرّدية بتمكينهم العدوّ من أنفسهم فقال : (أنت فكن ذاك ان شئت) أى أنت أيّها الممكّن من نفسه والمسلّط له عليه كن ذاك المرء الموصوف بالعجزو الجبن والضّعف

و يأتي في رواية الأمالى و كتاب الغارات أنّ المخاطب بذلك هو الأشعث ولاباس بأن يكون الخطاب له والمقصود عمومه لكلّ من أمكن العدوتنفيراً وتوبيخا و تبكيتاً (فامّا أنا فواللّه) لا اتحمّل ذلك التّخاذل ولا احتمل أن أُمكّن عدوّي من نفسي و أُسلّطه عليّ يفعل ما يشاء و يريد و (دون ان اعطى ذلك ضرب با)لسّيوف (المشرفيّة) الذى (تطير منه فراش الهام و تطيح) به (السّواعد والأقدام و يفعل اللّه بعد ذلك) الجهاد والمناجزة (ما يشاء) من جعل الغلبة لى أو للعدوّ على ما يقتضيه الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة.

(أيّها النّاس إنّ لي عليكم حقا) يجب عليكم القيام به(ولكم عليّ حقّ) مثله (فأمّا حقّكم) الذى (عليّ ف)أمور أربعة.

الأوّل (النّصيحة لكم) في السّر والعلانية و حثكم على محاسن الاخلاق و مكارم الآداب و ترغيبكم على ما فيه حسن الثواب في المعاش والمآب (و) الثاني (توفير فيئكم عليكم) و تفريقه فيكم بالقسط والعدل من دون حيف فيه وميل (و)

١ــقال الشاعر: كان سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل و ماء،منه

الثّالث (تعليمكم) ما فيه صلاح حالكم في المعاش والمعاد (كيلا تجهلوا و)الرابع (تأديبكم) بالآداب الشّرعية (كيما تعلموا) وتعملوا .

(و أما حقى) الذى (عليكم ف)أربعة أيضاً الأوّل (الوفاء بالبيعة) الذى هوأهمّ الامور وبه حصول النّظام الكلّي (و) الثاني (النصيحة) لى (في المشهد و المغيب) والذبّ عنى في الغيبة والحضور (و)الثّالث (الاجابة) لدعائي (حين أدعوكم) من غير تثاقل فيه و توان و فتور (و) الرّابع (الطاعة) لامرى (حين امركم) والانتهاء عن نهيى حين انهيكم.

و غير خفىّ أنّ منفعة هذه الأمور ايضاً عايدة إليهم في الحقيقة إمّا في الدّنيا و إمّا في الآخرة إذ قيامهم بها يوجب انتظام الحال و حسن المآل ؛ و مخالفتهم فيها يوجب خذلان الدّنيا و حرمان الآخرة و اختلال الحال مع شدّة النّكال.

تنبيه

قيل آكد الاسباب في تقاعد النّاس عن أمير المؤمنين أمر المال فانّه عليه السلام لم يكن يفضل شريفاً على مشروف ، ولا عربيّاً على عجميّ ولا يصانع الرّؤساء وامراء القبايل كما يصنع الملوك ولا يستميل أحداً إلى نفسه ، و كان معاوية بخلاف ذلك فترك النّاس عليّاً و التحقوا بمعاوية ، فشكى عليّ عليه السلام إلى الاشتر تخاذل اصحابه و فرار بعضهم إلى معاوية

فقال الاشتر : يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة و أهل الكوفة ورأى النّاس واحدة ، وقد اختلفوا بعد و تعادوا و ضعفت النيّة و قلّ العدد وأنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحقّ و تنصف الوضيع من الشّريف ، فليس للشّريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجّت طائفة ممّن معك إذ عموا به و اغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه.

و رأوا صنايع معاوية عند أهل الغناء والشّرف فتاقت أنفس النّاس إلى الدّنيا وقلّ من ليس للدّنيا بصاحب و أكثرهم يجتوى الحقّ و يشترى الباطل و يؤثر الدّنيا ، فان تبذل المال يا امير المؤمنين يميل إليك أعناق الرّجال و تصفو نصيحتهم لك ،

و يستخلص ودّهم صنع الله لك يا امير المؤمنين و كبت أعدائك و فرق جمعهم واوهن كيدهم وشتت امورهم انه بما يعملون خبير

فقال عليّ عليه السلام أمّا ماذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فانّ الله يقول:

«مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ و مَنْ أساءَ فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ»

و أنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأمّا ماذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله انّهم لم يفارقونا من جور ولالجأوا إذا فارقونا إلى عدل و لم يلتمسوا إلاّ دنيا زايلة عنهم كان قد فارقوها و ليسألن يوم القيامة : الدّنيا أرادوا ، أم لله عملوا .

و أمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرّجال فانّه لايسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيء اكثر من حقّه وقد قال الله سبحانه و قوله الحقّ:

«كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرَةً بِإذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصّابِرينَ»

و قد بعث الله محمداً صلّى الله عليه وآله فكثّره بعد القلّة ، و أعزّ فئته بعد الذّلة و إن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه و يسهل لنا حزنه و أنا قابل من رأيك ما كان لله عز و جلّ رضا و أنت من امن النّاس عندى و انصحهم لي و أوثقهم في نفسي إن شاء الله.

أقول: ويؤيد ذلك مارواه الكليني في كتاب الرّوضة من الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال ان مولى لأمير المؤمنين سأله مالا فقال يخرج عطائى فأقاسمك هو «عطائى خل» فقال : لا اكتفى و خرج إلى معاوية فوصله ، فكتب إلى مير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال، فكتب إليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

أمّا بعد فانّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك و هو صائر إلى أهل بعدك و إنّما لك منه ما مهّدت لنفسك فاثر نفسك على صلاح ولدك ، فانّما أنت جامع لاحد رجلين إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت ، و إمّا رجل عمل

فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، و ليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد (١) له على ظهرك، فارج لمن مضى برحمة الله، وثق لمن بقي برزق الله.

و في الرّوضة أيضاً عن عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن جعفر العقبي رفعه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

ايّها النّاس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، و إنّ النّاس كلّهم أحرار ولكن الله خوّل (٢) بعضكم بعضاً فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمنّ به على الله جلّ و عز الا وحضر شيء ونحن مسوّون فيه بين الأسود والأحمر.

فقال مروان لطلحة والزّبير: أراد بهذا غيركما، قال فأعطى كلّ واحد ثلاثة دنانير و أعطى رجلا من الأنصار ثلاثة دنانير، و جاء بعد غلام اسود فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الأنصارى يا أمير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالامس تجعلنى و إياه سواء؟ فقال إنّى نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد اسحاق فضلا.

و في شرح المعتزلي عن هارون بن سعد قال قال عبدالله بن جعفر بن ابي طالب لعليّ عليه السلام يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله مالي نفقة إلاّ أن أبيع دابّتي، فقال عليه السلام: لا والله ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك يسرق فيعطيك.

و عن عليّ بن يوسف المدايني إنّ طايفة من أصحاب عليّ مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالى والعجم، و استمل من تخاف خلافه من النّاس و فراره، و إنّما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال.

فقال لهم أتامرونني أن أطلب النّصر بالجور، لا والله لا افعل ما طلعت شمس

١ـ قال الفيروزآبادى عيش بارداى هنيء والمعنى لاتبرد له العيش حاملا وزره على ظهرك،منه.

٢ـ التخويل بالخاء المعجمة الاعطاء،منه

و مالاح في السّماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم فكيف وإنّما هي اموالهم، ثمّ سكت طويلا و اجما، ثمّ قال: الأمر أسرع من ذلك قالها ثلاثا.

و يأتي رواية هذا الكلام في الكتاب إنشاءالله من السّيد بنحو آخر وهوالمأة والسادس والعشرون من المختار في باب الخطب.

تكملة

اعلم انّ هذه الخطبة رواها المحدّث المجلسي في المجلد السّابع عشر من البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة إلى قوله و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، و روى فقراتها الأخيرة السّيد المحدّث البحراني في كتاب غاية المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي في ضمن حديث طويل، و رواها المحدّث المجلسي ايضاً في المجلد الثامن من البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي ايضاً، وسيأتي نقل تلك الرّواية في التذييل الثّاني من تذييلي الكلام السّابع والثلاثين، و رواها فيه ايضاً من كتاب الغارات بزيادة و نقصان احببت روايتها هنا على ما هو دأبنا في هذا الشّرح.

فأقول في البحار من كتاب الغارات باسناده عن جندب، و من مجالس المفيد عن الكاتب عن الزّعفراني عن الثقفي عن محمّد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبدالله الازدي قال سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه وقد استنفرهم أياماً إلى الجهاد فلم ينفروا:

أيّها النّاس انّي قد استنفرتكم فلم تنفروا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب، و صمّ ذووا أسماع، أتلو عليكم الحكمة، و أعظكم بالموعظة الحسنة، و أحثكم على جهاد عدوّكم الباغين، فما اتى على آخر منطقي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا، فاذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقا(١) عزين

١ـ الحلق جمع حلقه والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض من الياء والجمع عزى

تضربون الامثال و تناشدون الاشعار ، وتسألون الاخبار ، قدنسيتم الاستعداد للحرب ، و شغلتم قلوبكم بـالاباطيل تربّت أيديكم . اغزوا القوم من قبل أن يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط في عقر ديارهم إلاّ ذلوا.

و ايم الله ما اريكم تفعلون حتّى يفعلون ، ولوددت أنّى لقيتهم على نيّتي و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم فما أنتم إلاّ كابل جمة ضلّ (١) راعيها ، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب آخر ، والله لكأني بكم لو حمس الوغا واحم(٢) الباس قد انفرجتم عن عليٍّ بن ابيطالب انفراج الراس وانفراج المرأة عن قبلها .

فقام إليه أشعث بن قيس الكندى فقال له : يا أمير المؤمنين فهلاّ فعلت كما فعل ابن عفان؟

فقال عليه السلام له : ياعرف النّار و يلك إنّ فعل ابن عفّان لمخزاة على من لادين له ولاحجّة معه فكيف؛ أنا على بيّنة من ربى، الحقّ في يدي والله انّ امرءاً يمكّن عدوّه من نفسه يخذع (٣) لحمه و يهشم عظمه و يفري جلده و يسفك دمه لضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إن أحببت فأما أنا فدون أن أعطى ذلك ضرب بالمشر في يطير منه فراش الهام و تطيح منه الأكفّ و المعاصم و يفعل الله بعد ما يشاء .

فقام أبو أيوّب الأنصارى خالد بن زيد صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :

على فعل و عزون و عزون ايضاً بالضم، البحار

١ـ اضل راعيها فى بعض النسخ ضل فى الصحاح قال ابن السكيت اضللت بعيرى اذاذهب معك و ضللت المسجد والدار اذالم تعرف موضعهما،بحار .

٢ـ حم الشيء و احم قدر واحمه امرى اى اهمه و احم خروجنا اى دنا وفى ساير الروايات وحمى البأس قوله ياعرف النار لعله شبه بعرف الديك لكونه راسا فيما يوجب دخول النار اوالمعنى أنك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير روية كقوله والمرسلات عرفا،بحار

٣ـ خذع اللحم ومالاصلابة فيها كمنع حززه و قطعه فى مواضع، قاموس.

أيـها الناس إنّ أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له اذن واعية و قلب حفيظ ، إنّ الله قد اكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها ، إنّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيّكم وسيّد المسلمين من بعده يفقهكم في الدّين و يدعوكم إلى جهاد المحلسين (١).

فكانّكم صمّ لايسمعون أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها فانتم لاتعقلون ، أفلا تستحيون عباد الله اليس انما عهدكم بالجور والعدوان أمس قد شمل البلاء وشاع في البلاد فذو حق محروم و ملطوم وجهه و موطاء بطنه و يلقى بالعراء تسفى عليه الأعاصير لا يكنه من الحرّ و القرّ و صهر (٢) الشّمس والضّح إلا الأثواب الهامدة و بيوت الشّعر البالية.

حتّى جائكم الله بأمير المؤمنين عليه السلام فصدع بالحق و نشر العدل و عمل بما في الكتاب ، يا قوم فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولّوا مدبرين ؛ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ، اشحذوا السّيوف ؛ و استعدّوا للجهاد عدوّكم ، فاذا دعيتم فأجيبوا ، و إذا امرتم فاسمعوا و أطيعوا ، و ما قلتم فليكن ما اضمرتم عليه تكونوا بذلك من الصّادقين.

الترجمة

از جملهٔ خطب آنحضرتست در طلب خروج مردمان بمحاربهٔ اهل شام که میفرماید:

اف و پریشانی باد مر شما را بتحقیق که من ملول شدم از عتاب کردن شما آیا راضی شدید بزندگانی دنیا از حیثیت عوض شدن در آخرت ، و بذلت ازحیثیت بدل بودن از عزت ، هر وقت که شما را دعوت میکنم بجنك دشمنان خودتان چشمهای شما می گردد بمنزلهٔ اینکه شما از شدت مرك در گرداب سخت افتاده اید

١- الحلس ككتف الشجاع والحريص و يكنى من البائس ق

٢ - صهرته الشمس كمنع صخرته والشيء اذابه والصهر بالفتح الحار واصهار تلالاظهره من حر شمس والضح بالكسر الشمس وضوئها والهمود الموت و تقطع الثوب من طول الطى و الهامد البالي المسود المتغير، قاموس.

و در غفلت و مدهوشی فرو رفته‌اید ، در حالتیکه بسته می شود بر شما خطاب کردن با من.

پس متحیر و سرگردان میمانید درسخن گفتن و گویا قلبهای شمامجنونست و دیوانگی عارض او شده پس شما عقل ندارید و نمیفهمید و نیستید شما از برای من معتمد و محل وثوق ابداً ، و نیستید شما رکنی که میل شده باشد بشما دردفع اعداء ، و نیستید یاری دهندگان عزت که احتیاج‌پیدا شود بشما ، نیستید مگر بمنزله شترانی که گمشده باشد راعیان ایشان پس هرگاه جمع کرده شوند آن‌شترها از طرفی پراکنده میشوند بطرف دیگر .

قسم ببقای خدا که بزبانهای آتش حزبید شما ، مکر میکنند بشما دشمنان و شما مکر نمیکنید بایشان ، و نقصان میپذیرد اطراف بلادشمابجهت قتل وغارت أعداء و شما غضب و خشم نمی‌گیرید از بی غیرتی و بی‌حمیتی ، خواب کرده نمی شود از شما یعنی دشمنها جهت کشتن شما چشم بالای هم نمیگذارند و شما در خواب غفلت حیرانید ، و مغلوب شدند بخدا سوگند فرو گذارندگان حرب با دشمنان .

و سوگند بحق خدا بدرستیکه گمان می‌برم بشما آنکه سخت شود کار جنك و گرم گردد معرکه مرك جدا میشوید از پسر أبیطالب جدا شدن سر از بدن ، قسم بذات خدا بدرستی مردی که متمکن سازد دشمن خود را از نفس‌خود در حالتیکه بخورد آندشمن گوشت اورا . و بشکند استخوان او را ، و پاره پاره کند پوست او را ، هر آینه بزرگست عجز آنمرد و سست است آنچیزیکه فراهم آورده شده است بر آنچیز جوانب سینهٔ او.

یعنی ضعیف القلب و جبانست پس تو باش مثل این عاجز کاهل اگر خواهی متصف باشی باین صفات ، پس أما من بحق خدا که متحمل این نمیشوم و نزد این حال که بدهم بدشمن تمکین و تسلط را ، پس زدنیست بشمشیرمشرفی که‌بپردازو کاسهٔ سر و تباه شود از او ساعدها و قدمها ، و میکند خداوند بعداز این حال

آنچيزيراكه بخواهد بمقتضاى حكمت بالغهٔ خود .

اى مردمان بدرستيكه مرا بر شما حقى است و شما راست بر من حقى، پس أما حق شما بر من پس نصيحت كردن من است برشما درنهان و آشكار وتمام كردن غنيمت شماست بر شما و تعليم دادنست بر شما تا اينكه جاهل نشويد و ادب دادنست بر شما تا اينكه عالم شويد وعمل نمائيد ، و أما حق من بر شما پس وفا كردن شماست بر بيعت ، و اخذ نصيحت است در حضور و غيبت و جواب دادنست در زمانى كه خوانم شمارا و فرمان بردارى نمودنست در زمانى كه فرمايم شمارا والله اعلم بالصواب.

و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم وهى الخامسة و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَ إِنْ أَتى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفادِحِ وَ الْحَدَثِ الْجَليلِ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ لَيسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيرُهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ و رَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وآلِهِ .

أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النّاصِحِ الشَّفيقِ الْعالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ ، و تُعقِبُ النَّدامَةَ ، و قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هٰذِهِ الْحُكومَةِ أَمْري ، و نَخَلْتُ لَكُمْ مَخزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كانَ يُطاعُ لِقَصيرٍ أَمْرٌ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِباءَ

ٱلْمُخالِفِينَ ٱلْجُفاةِ ، وَ ٱلْمُنابِذِينَ ٱلْعُصاةِ ، حَتّىٰ ارْتابَ النّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَ ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ و إِيّاكُمْ كَما قالَ أَخُو هَوازِنْ :

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ ٱللِّوىٰ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاّ ضُحَى ٱلْغَدِ

اللغة

(الخطب) الأمر العظيم و(الفادح) الثّقيل من فدحه الدّين إذا أثقله و(المجرّب) قال الجوهري : الذي قد جرّبته الأمور وأحكمته، فان كسرت الرّاء جعلته فاعلا إلاّ أنّ العرب تكلّمت به بالفتح و (نخل) الشيء إذا صفّاه ، و منه نخل الدقيق بالمنخل و(الجفاة) جمع الجافي وهو الذي خشن طبعه و (النبذ) طرحك الشيء أمامك و ورائك أو عام و منه قوله سبحانه :

« و لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِاللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَريقٌ مِنَ ٱلَّذينَ أُوتُوا ٱلْكِتابَ كِتابَ اللهِ وَرآءَ ظُهُورِهِمْ »

و (الزّند) العود الذي يقدح به النّار و هو الأعلى والسّفلى الزّندة بالهاء والجمع زناد مثل سهم و سهام و (هوازن) قبيلة و (منعرج) الوادى اسم فاعل حيث يميل يمنة و يسرة من انعرج الشيء انعطف و (اللوى) كالى ما التوى من الرّمل.

الاعراب

اضافة المخزون إلى رائي من قبيل اضافة الصّفة إلى الموصوف ، قوله : لو كان يطاع لقصير أمر كلمة لو إما للتّمنّى على ماذهب إليه بعضهم في قوله تعالى:

« لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً »

ولا تحتاج حينئذ إلى الجواب أو حرف شرط والجواب محذوف بقرينة المقام، والقصير

اسم رجل يضرب به المثل لكلّ ناصح عصي لقصّته التي يأتي إليه الاشارة ، و تقدير الكلام لوكان يطاع لى أمر أى لو أطعتموني لما اصابتكم حسرة وندامة إلاّ أنّكم أبيتم عليّ إباء المخالفين فحلّت بكم النّدامة و صرت و إيّاكم كما قال اخو هوازن اه هذا .

و تقدير الجواب بما ذكرناه أولى ممّا قدّره الشّارح البحراني حيث قال : والتّقدير إنّى أمرتكم أمرى في هذه الحكومة و نصحت لكم فلو أطعتموني لفعلتم ما أمرتكم به و محضت لكم النّصيحة فيه فافهم جيّدا ، و قوله : أخو هوازن الاضافة لأدنى المناسبة من حيث انتساب الشّاعر إلى تلك القبيلة ، و هذه الاضافة شايعة في كلام العرب قال سبحانه :

« وَاذْكُرْ أَخا عادٍ ، و قال لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ » إلى غير ذلك .

المعنى

اعلم أنّه قدروى إنّ عمروبن العاص و أبا موسى الأشعرى لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في أمر النّاس كان أميرالمؤمنين يومئذ قددخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمّت خدعة عمرولأبي موسى وبلغه عليه السّلام ذلك اغتمّ له غمّا شديداً ووجم منه و قام فخطب النّاس فقال:

(الحمدلله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح) الثّقيل (والحدث) العظيم (الجليل) نسبة الاتيان بالخطب والحدث إلى الدّهر من قبيل نسبة الشّر إليه على ما تقدّم بيانه في شرح الخطبة الحادية والثلاثين ، و في الاتيان بان الوصلية إشارة إلى أنّه سبحانه لايختص حمده بحال دون حال بل لابدّ ان يحمده العبد على كلّ حال من النّعمة والبلاء والشدة والرضاء والسّراء والضراء.

(و أشهد أن لا إله إلاّ الله ليس معه إله غيره) تأكيد لمعنى كلمة التّوحيد و تقرير لمقتضاها (و أنّ محمداً عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله أما بعد فانّ معصية النّاصح) الذي يصدّق فكره و يمحض رأيه و (الشّفيق) الذي يبعثه شفقته على النّصح و على

التروّي في الامر و ايقاع الرأى فيه من جدّ و اجتهاد و (العالم) الذي يعلم وجه المصلحة في الامور و يكون فيها على بصيرة و (المجرّب) الذي حصلت له التّجارب فكان رأيه و قوله أغلب الاصابة للواقع (تورث الحسرة و تعقب النّدامة) .

إذاالمشير الموصوف بالصفات الاربع المذكورة يكون رأيه أغلب المطابقةمع الواقع فاطاعة المستشير له موجبة لظفره على المقصود و وصوله إلى مطلوبه ومخالفته مفوّتة للغرض معقّبة للحسرة خصوصا إذا كان المشير مثله عليه السلام المتّصف بالعلم اللدنى المطابق رأيه للواقع دائما يكون معصية معقّبة للنّدامة ألبتّة و موقعة في الضّلالة لامحالة.

و لذلك أردف عليه السلام كلامه بالاشارة إلى خطائهم في أمر الحكومة النّاشي من مخالفتهم لهو إبائهم عن امتثال أمره فقال : (وقدكنتأمرتكم في هذهالحكومةامرى) الصّواب (و نخلت لكم مخزون رأيي) المصاب (لوكان يطاع لقصير أمر) لما حصلت الحسرة و النّدامة و قصير هذا هو قصير بن سعد مولى جزيمة الابرش من ملوك العرب.

روى انّ جزيمة قتل أبا الزّباء ملكة الجزيرة ، فبعث إليه عن حين ليتزوّج بها خدعة و سألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك و خرج فى ألف فارس و خلفباقي جنوده مع ابن اخته عمروبن عدي ، و أشار قصير الى جزيمة أن لايتوجه إليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جزيمة من الجزيرة استقبله جنودالزباء بالعدةولم يرمنهم إكراماً له فأشار قصير إليه بالرّجوع عنها و قال إنّها امرءة و من شان النّساء الغدر فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به و قتلته فعند ذلك قال قصير: لايطاع لقصيرأمرفيضرب به المثل لكلّ ناصح عصي و هو مصيب في رأيه.

(فأبيتم علىّاباءالمخالفين الجفاةو المنابذين العصاةحتّى ارتاب الناصح بنصحه)هذا محمول على المبالغة لما ذكرنا من أنّه عليه السلام متّصف بالعلم اللدنّي فلايمكن شكه فيما رآه صواباً ، و يشهد بذلك قوله عليه السلام في الخطبة الرابعة ما شككت في الحقّ مذرايته ، و قوله عليه السلام في الخطبة العاشرة : و إنّ معي لبصيرتي ما لبّست على نفسي

ولا لبّس على.

فالمقصود بذلك الاشارة إلى شدّة اتفاقهم على الخلاف ، فانّ المشير النّاصح إذ اكثر مخالفوه إنّما يشكّ في أنّ نصحه هل هو صواب إذ استخراج وجوه الصّلاح في الأمر أمر اجتهاديّ منوط على الامارات الظنّية و مع اطباق آراء جمع كثير على خلاف ما رآه المشير و اتّفاق ظنونهم على أنّ الصّواب في خلافه يجوز له أن يتشكك فيما رآه أنّه هل هو صواب أم لا.

(و) قوله : (ضنّ الزند بقدحه) مثل يضرب لمن يبخل بفوايده من أجل عدم وجدانه القابل لها والاهل لاستفادتها ، والزند كناية عن القلب والقدح عن الآراء الصّادرة منه صدور النّار من الزّناد ، و هو أيضاً جار على المبالغة ، والمقصود به أنّه ﷺ لشدّة ما لقى منهم من الاباء و الخلاف و العصيان لم يقدح له رأى صالح (فكنت و إيّاكم) أى كان حالى معكم في نصحي و مخالفتكم على مع حلول النّدامة بكم (كما قال) وريدبن الصمة (اخو هوازن) في جملة أبيات له:

أمرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النّصح الا ضحى الغد

و قبله

نصحت لعارض و اصحاب عارض و رهط بني السّوداء والقوم تمهدى

فقلت لهم ظنوا بالفى مذحج سراتهم في الفارسي المسرّد

و بعده

فلما عصوني كنت منهم و قد أرى غوايتهم و انّني غير مهتد

و ما أنا إلا من غزية إن غوت غوت وإن ترشد غزية ارشد

و قصة وريد في هذه القصيدة أنّ أخاه عبدالله بن صمة من بني جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم و استاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال: لا والله لا أبرح حتّى أنحر النقيعة وهي ما ينحر من النّهب قبل القسمة واجيل السهام ، فقال له أخوه وريد : لاتفعل فانّ القوم في طلبك فأبي عليه و نحر النقيعة و بات ، فلما أصبح هجم القوم عليهم و طعن عبدالله بن الصمة فاستغاث باخيه وريد

فنهنه عنه القوم حتى طعن هو أيضاًو صرع وقتل عبدالله و حال الليل بين القوم فنجا وريد بعدطعنات و جراح حصل له فقال القصيدة هذا .

و عن نصر بن مزاحم في كتاب الصّفين أنّه بعد روايته هذه الخطبة مثل مارواه السّيد زادفي آخرها : ألا إنّ هذين الرّجلين الذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب ، و أحييا ماأمات و اتّبع كلّ منهما هواه و حكم بغير حجّة ولا بيّنة ولا سنة ماضية و اختلفا فيما حكما فكليهما لم يرشدالله ، فاستعدّوا للجهاد و تأهّبوا للمسير و اصبحوا في معسكركم يوم كذا .

وينبغى أن نذكر في المقام كيفيّة التّحكيم، وقد رواه أرباب السّيروالتواريخ و نقله في شرح المعتزلي عن نصربن مزاحم و إبراهيم بن ويزيل و غيرهما مع إطناب مملّ و نحن نرويه على مافي الشّرح مع تلخيص منّا فأقول:

قال الشّارح : الذى دعا إلى التحكيم طلب أهل الشّام واعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت و دلائل النصر والظفر و ضحت، فعدل أهل الشّام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص ، و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير التي يضرب بها المثل.

قال نصر بن مزاحم في كتاب الصّفين و هو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال ، و هو من رجال أصحاب الحديث : حدّثنا عمرو بن شمر قال : حدّثنى أبوضرار قال : حدّثني عمّار بن ربيعة قال : غلس عليّ عليه السلام بالنّاس صلاة الغداة يوم الثّلثاء عاشر شهر ربيع الأوّل سنة سبع و ثلاثين ، و قيل عاشر شهر صفر ثمّ زحف إلى أهل الشّام بعسكر العراق والنّاس على راياتهم ، و زحف إليهم أهل الشّام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين و لكنّها في أهل الشّام أشدّ نكاية و أعظم وقعا ، فقدملوا الحرب و كرهوا القتال و تضعضعت أركانهم.

قال : فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السّلاح لايرى منه إلاّ عيناه و بيده الرمح فجعل يضرب رؤوس أهل العراق بالقناة ، و يقول : سوّوا صفوفكم رحمكم الله حتّى إذا عدل الصّفوف والرّايات استقبلهم بوجهه وولي أهل

الشّام ظهره ثمّ حمدالله و أثنى عليه وقال:

الحمدلله الذى جعل فينا ابن عمّ نبيّه أقدمهم هجرة و أوّلهم اسلاما سيف من سيوف الله صبّه الله على أعدائه فانظروا إذاحمى الوطيس (١) وثار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالابطال فلا اسمع إلاّ غمغمة أو همهمة فاتّبعونى و كونوا في اثرى ، ثمّ حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فاذا هوالاشتر.

قال : و خرج رجل من أهل الشام فنادى بين الصّفين يا أباالحسن يا علي أبرز اليّ فخرج إليه عليّ عليه السلام حتى اختلف أعناق دابتيهما بين الصّفين ، فقال انّ لك ياعلي تقدما في الاسلام والهجرة هل لك في أمر اعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخر هذه الحروب حتى ترى رايك؟ قال عليّ عليه السلام : وماهو؟

قال : ترجع إلى عراقك فنخلّي بينك و بين العراق و نرجع نحن إلى شامنا فتخلّي بيننا و بين الشّام فقال عليّ عليه السلام قدعرفت ما عرضت إنّ هذه لنصيحة وشفقة و أهمّتنى هذا الامر و أسهرني و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الارض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنّم.

قال فرجع الرّجل و هو يسترجع و زحف النّاس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنّبل و الحجارة حتّى فنا ، ثمّ تطاعنوا بالرّماح حتّى تكسرت و اندقت ؛ ثمّ مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسّيوف و عمد الحديد فلم يسمع السّامعون إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولا في صدور الرّجال من الصّواعق ومن جبال تهامة يدك بعضه بعضاً و انكسف الشّمس بالنّقع و ثار القتام و القسطل (٢) وضلّت الألوية والرّايات

١ـ الوطيس شبه التنور والضراب فى الحراب واذاحمى الوطيس اى اشتد الحرب والقتام الغبار والمران كعثمان الرماح والغمغمة اصوات الابطال عندالقتال والكلام الذى لايبين لغة

٢ـ النقع والقسطل الغبار

وأخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كلّ قبيلة أوكتيبة من القراء بالاقدام على التي يليها ، فاجتلدوا بالسّيوف وعمد الحديد من صلاةالغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلّوالله صلاة ، فلم يزل الاشتر يفعل ذلك حتّى أصبح و المعركة خلف ظهره و افترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة .

و هي ليلة الهرير المشهورة ، و كان الأشتر في ميمنة النّاس وابن عبّاس في الميسرة وعليّ في القلب و النّاس يقتتلون ، ثمّ استمرّ القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضّحى والاشتريقول لأصحابه وهويزحف بهم نحو أهل الشّام : ازحفوا قيد (١) رمحي هذا ويلقي رمحه فاذا فعلوا ذلك قال ارجفوا قاب هذا القوس فاذا فعلوا ذلك سألهم مثلذلك حتّى ملّ أكثر النّاس من الاقدام

فلمّا رأى ذلك قال : اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم سايراليوم ، ثمّ دعابفرسه وركز رايته وكانت مع حيّان بن هوذة النّخعي وسار بين الكتائب وهو يقول : ألا من يشرى نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتّى يظهر أو يلحق بالله فلا يزال الرّجل من النّاس يخرج إليه فيقاتل معه

قال نصر : و حدّثني عمروقال : حدّثني أبوضرار قال حدّثني عمّار بن ربيعة قال : مرّ بي الأشتر فأقبلت معه حتّى رجع إلى المكان الذي كان به ، فقام في أصحابه فقال : شدّ وافداء لكم عمّي وخالي شدّة ترضون بها الله و تغزون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا ، ثمّ نزل وضرب وجه دابّته و قال لصاحب رايته : تقدّم فتقدّم بها ثمّ شدّ على القوم وشدّ معه أصحابه فضرب أهل الشام حتّى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً وقتل صاحب رايتهم وأخذ عليّ عليه السلام لمارأى الظفر قد جاء من قبله يمدّه بالرّجال

وروى نصر عن رجاله قال : لمّا بلغ القوم إلى مابلغوا إليه قام عليّ عليه السلام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وقال :

١- القيد والقاب المقدارلغة

أيّها النّاس قد بلغ بكم الامر وبعدوّكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس وإنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم مابلغنا ، وأنا غاد عليهم بالغداة احاكمهم إلى الله

قال فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمروبن العاص و قال : يا عمرو إنّما هي الليلة حتّى يغد وعليّ علينا بالفضل فما ترى ؟ قال : إنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله هو يقاتلك على امر و أنت تقاتله على غيره ، أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشّام لا يخافون عليّا إن ظفربهم ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم ، فانّك بالغ به حاجتك في القوم وإنّي لم أزل ادّخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه ، فعرف معاوية ذلك وقال له صدقت

قال نصر : و حدّثنا عمروبن شمر عن جابربن نميرالانصاري قال : والله لكأنّي أسمع عليّاً يوم الهرير وذلك بعد ما طحنت رحى مدحج فيمابينها وبين عك ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي حتّى استقامت الشّمس وقام قائم الظهر وعليّ ﷺ يقول لأصحابه : حتّى متى نخلّي بين هذين الحيّين قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون أما تخافون مقت الله

ثمّ استقبل القبلة ورفع يديه إلى الله عزّ وجل ونادى : يا الله يا رحمن يارحيم يا واحد يا أحد يا صمد يا الله يا اله محمّد اللهمّ إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و رفعت الأيدى و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار وطلبت الحوائج ، اللهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا و كثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا ، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ، سيروا على بركة الله ، ثمّ نادى لا إله إلاّ الله والله أكبر

قال : فلا و الذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السّماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد مثل ما أصاب ﷺ إنّه قتل فيماذكره العادون زيادة على خمسمأة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول معذرة إلى

الله وإليكم من هذا لقد هممت أن افلقه (١) ولكن يحجزني عنه إنّي سمعت رسول الله يقول : لاسيف إلاّ ذوالفقار ولا فتى إلاّ عليّ وأنا قاتل به دونه (٢) .

قال فكنّا نأخذه فنقومه ثمّ يتناوله من أيدينا فينقحم به في عرض الصّف فلا والله ما ليث بأشدّ نكاية منه في عدوه

و لنعم ما قال في كشف الغمة في وصف حاله عليه السلام في ليلة هذا اليوم و هي ليلة الهرير : فمالقى عليه السلام شجاعاً إلاّ أراق دمه ، ولا بطلا إلاّ زلزل قدمه ، ولامريداً إلاّ أعدمه ، ولا قاسطاً إلاّ قصرعمره وأطال ندمه، ولا جمع نفاق إلاّ فرّقه ، ولابناء ضلال إلاّ هدمه ، وكان كلّما قتل فارسا أعلى بالتكبير فاحصيت تكبيراته ليلةالهرير فكانت خمسماة و ثلاثاً و عشرين تكبيرة بخمسماة و ثلاثة و عشرين قتيلا من أصحاب السّعير .

و قيل إنّه فتق نيفق (٣) درعه لثقل ماكان يسيل من الدّم على ذراعه و قيل إنّ قتلاه عرفوا بالنّهار فانّ ضرباته كانت على وتيرة واحدة إن ضرب طولا قدّ أو عرضا قطّ ، وكانت كأنها مكوّاة بالنّار

قال نصر : فحدّثنا عمروبن شمر عن جابر قال : سمعت تميم بن جزيم يقول : لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فاذا أشباه الرّاياة أمام أهل الشّام في وسط الفليق (٤) حيال موقف عليّ و معاوية ، فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرّماح وهي عظام مصاحف العسكر ، وقد شدّوا ثلاثة رماح جميعاو ربطعليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط

قال نصر : و قال أبوجعفر و أبوا الطّفيل : استقبلوا عليّاً عليه السلام بماة مصحف و وضعوا في كلّ مجنبية (٥) ماتي مصحف فكان جميعها خمسماة مصحف، قال أبوجعفر

١- الفلق الشق

٢- اى عنده

٣- نيفق كحيدر جاى بنداز ار وشلوار وما نند آن معرب نيفه و بكسر النون عند العامة منتهى الارب.

٤- الفليق الداهية

٥- المجنبة بفتح النون كمقدمة والمجنبتان الميمنة والميسرة

ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام، وقام أبوشريح حيال الميمنة، وورقابن المعتمر حيال الميسرة ثم نادوايا معشرالعرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الرّوم و الأتراك و أهل الفارس غداً إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا و بينكم.

فقال عليّ عليه السلام : اللهمّ إنّك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنّك أنت الحقّ المبين فطائفة قالت القتال و طائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب ،و قد وعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب و وضعت أو زارها.

قال نصر : و حدّثنا عمروبن شمر عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:لما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية : والله لانبرح اليوم العرصة حتّى نموت أويفتح لنا ، و قال أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام : مثل ذلك فباكروا القتال غدوة في يوم من ايّام الشعرى طويل شديد الحرّ ، فتراموا حتّى فنيت النّبال و تطاعنوا حتّى تقصفت الرّماح.

ثمّ نزل القوم عن خيولهم و مشى بعضهم إلى بعض بالسّيوف حتّى تكسرت جفونها، و قام الفرسان في الركب، ثمّ اضطربوا بالسّيوف و عمد الحديد ، فلم يسمع السّامعون إلاّ تغمغم القوم و صليل (١) الحديد في الهام و تكادم (٢) الافواه و كسفت الشّمس و ثار القتام و ضلت الالوية والرّايات و مرّت مواقيت أربع صلاة ما يسجد فيهنّ لله الاّ تكبيراً و نادت المشيخة (٣) في تلك الغمرات: يا معشرالعرب الله الله في الحرمات من النساء و البنات ،قال جابر فبكى أبو جعفر عليه السلام وهو يحدّثنا بهذا الحديث.

قال نصر وأقبل الاشتر على فرس كميت محذوف وقد وضع مغفره على قربوس

١- صل المسمار يصل صليلاصوّت.

٢ ـ الكدم العض بادنى الفم كما يكدم الحمار

٣- المشيخة جمع الشيخ

السّرج و هو يقول : اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمى الوطيس و رجعت الشّمس من الكسوف و اشتدّ القتال و اخذت السباع بعضها بعضا.

فقال رجل في تلك الحال : اى رجل هذا لوكانت له نيّة ، فقال له صاحبه : و اىّ نية أعظم من هذه ثكلتك امّك و هبلتك انّ رجلا كما ترى قد سبح في الدّم و ما اضجرته الحرب وقد غلت هام الكماة من الحرب و بلغت القلوب الحناجروهو كما ترى جزع يقول هذه المقالة اللهمّ لاتبقنا بعد هذا.

قال نصر : و روى الشّعبي عن صعصعة انّه بدر من الأشعث بن قيس لعنه الله ليلة الهرير قول نقله الناقلون إلى معاوية فاغتنمه وبنا عليه تدبيره.

و ذلك انّه خطب أصحابه من كنده تلك الليلة و قال في خطبته : قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قدكان في يومكم هذاالماضي وماقد فني فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السنّ ماشاء الله ان ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط ،الا فليبلغ الشاهد الغايب إنّا ان نحن تواقفنا غداً انّه لفنت العرب وضيّعت الحرمات أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا عن الحرب ولكني رجل مسنّ أخاف على النّساء والذّراري غداً إذا فنينا ونحو ذلك ممّا يخذلهم عن القتال

فلمّا بلغ ذلك معاوية قال : أصاب وربّ الكعبة فدبّر تلك الليلة ما دبّر من رفع المصاحف على الرّماح ، فأقبلوا بالمصاحف ورفعوها في رؤوس الرّماح و قد قلدوهاالخيل ومصحف دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رؤوس الرّماح وهم ينادون كتاب الله بيننا وبينكم

قال : فجاء عدىّ بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين إنّه لم يصب منّا عصبة إلاّ وقد اصيب منهم مثلها ، وكلّ مقروح ولكنّا أمثل بقيّة منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلاّ ماتحبّ فناجزهم

و قام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين إنّا والله ما أجبناك و لا نصرناك على الباطل ولا أجبنا إلاّ الله و لا طلبنا إلاّ الحقّ ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه

لاستشرى (١) فيه اللّجاج و طال فيه النّجوى و قد بلغ الحقّ مقطعه و ليس لنا معك رأى .

فقام الاشعث بن قيس مغضباً وقال : يا أمير المؤمنين انالك اليوم على ما كنّا عليه أمس و ليس آخر أمرنا كأوّله و مامن القوم أحدأحنى على أهل العراق و لا أوتر لأهل الشّام منّي فأجب القوم إلى كتاب الله عزّ وجل فانّك أحقّ به منهم وقد أحبّ النّاس البقاء و كرهوا القتال

فقال عليّ عليه السلام هذا أمر ننظر فيه فنادى النّاس من كلّ جانب الموادعة ، فقال عليّ عليه السلام أيّها النّاس إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّي أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالا فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال ويحكم إنها كلمة حقّ يراد بها باطل إنهم ما رفعوها إنهم يعرفونها ولا يعملون ولكنها الخديعة و الوهن و المكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلاّ ان يقطع دابر الذين ظلموا

فجائه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكى وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بامرة المؤمنين : يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله اذ دعيت إليه وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنّها إن لم تجبه

فقال لهم و يحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله وأوّل من أجاب إليه و ليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله إنّي إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ، ولكني قد

١- وشرى الشر بينهم كهنى استطار والبرق لمع كاشرى وزيد غضب ولجّ كاستشرى ومنه الشراة للخوارج ق

اعلمتكم أنهم قد كادوكم و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الاشتر ليأتينك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معاوية ليدخله.

قال نصر: فحدثني فضيل بن خديج قال سأل مصعب إبراهيم بن الاشتر عن الحال كيف كانت، فقال كنت عند عليّ حين بعث إلى الاشتر ليأتيه وقد كان الأشتر أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه عليٌّ ﷺ يزيد بن هاني أن ائتني به، فأتاه فأبلغه فقال له الاشتر: آتيه فقل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إنّي قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

فرجع يزيد إليه ﷺ فأخبره فما هو إلاّ أن انتهى حتّى ارتفع الرّهج (١) و علت الأصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلايل الفتح والنّصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والادبار لأهل الشّام فقال القوم لعليّ ﷺ والله ما نراك أمرته إلاّ بالقتال قال: أرايتموني شاورت رسولي إليه أليس إلاّ كلّمته على رؤوسكم علانية و أنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلاّ والله اعتزلناك.

فقال ﷺ و يحك يا يزيد قل له: أقبل إليّ فانّ الفتنه قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر: أبرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت سيوقع اختلافاً وفرقة إنّها مشورة ابن النّابغة، ثمّ قال ليزيد بن هانى ويحك ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا أينبغي أن ندع هذا و ننصرف عنه.

فقال له يزيد: أتحبّ أنك ظفرت ههنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو يفرج عنه ويسلم إلى عدوّه، فقال: سبحان الله لا والله لا أحبّ ذلك، قال: فانّهم قد قالوا له و حلفوا عليه: لترسلنّ الى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلّمنك إلى عدوّك.

فأقبل الاشتر حتّى انتهى اليهم فصاح يا أهل الذّلّ والوهن أحين علوتم القوم وظنوا

١- الرهج و يحرّك الغبار

أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها و قدوالله تركوا ما أمر الله فيها ، و تركوا سنّة من انزلت اليه فلا تجيبوهم أمهلوني فواقاً . فانّي قد احسست بالفتح ، قالوا : لا نمهلك ، قال : فامهلوني عدوة الفرس فانّي قدطمعت النّصر، قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال : فحدّثوني عنكم وقد قتل أماثلكم و بقى أراذلكم متى كنتم محقّين أحين كنتم تقتلون أهل الشّام فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون ، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون فقتلاكم إذن الذين لاتنكرون فضلهم وأنهم خير منكم في النّار.

قالوا : دعنامنك يا أشتر قاتلناهم في الله و ندع قتالهم في الله إنّما لسنانطيعك فاجتنبنا (١) فقال : خدعتم والله فانخدعتم ، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ياأصحاب الجباه السّود كنا نظنّ صلاتكم زهادة في الدّنيا و شوقاإلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدّنيا و من الموت ألاقبحا يا اشباه النيب (٢) الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزّا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمين، فسبّوه و سبّهم و ضربوا بسياطهم وجه دابته و ضرب بسوطه وجوه دوابّهم و صاح بهم عليّ عليه السلام فكفّوا.

و قال الاشتر: يا أميرالمؤمنين أحمل الصّف علي الصف نصرع القوم فتصايحوا أن أميرالمؤمنين قدقبل الحكومة و رضي بحكم القرآن ، فقال الأشتر : إن كان أميرالمؤمنين ، قدقبل و رضي فقد رضيت بما يرضى به أميرالمؤمنين ، فأقبل النّاس يقولون قد قبل أميرالمؤمنين قدرضي أميرالمؤمنين و هو عليه السلام ساكت لايفيض بكلمة مطرق إلى الأرض ثمّ قام فسكت النّاس كلّهم.

فقال عليه السلام : أيها النّاس إنّ أمري لم يزل معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب، و قدوالله أخذت منكم و تركت و أخذت من عدوّكم فلم تترك وإنها فيهم أنكى و أنهك إلاّ أنّى كنت أمس أميرالمؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهيا فأصبحت منهياً ، وقدأحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون ، ثمّ قعد،

١- اجتنبه و تجنبه وتجانبه بعدمنه.

٢- النيوب والانيب. الناقةالمسنة

ثمّ تكلّم رؤوس القبايل فكلّ قال مايراه ويهواه إمّا من الحرب أو من السّلم.

قال نصر: ثمّ إنّ أهل الشّام لما أبطأعنهم علم حال أهل العراق هل أجابوا إلى الموادعة أم لاجزعوا فقالوا: يامعاوية ما نرى أهل العراق أجابوا إلى مادعوناهم إليه فأعدها خدعة فانك قدغمرت بدعائك القوم و أطمعتهم فيك.

فدعا معاوية عبدالله بن عمروبن العاص فأمره أن يكلّم أهل العراق و يستعلم له ما عندهم؛ فأقبل حتّى إذا كان بين الصّفين نادى يا أهل العراق أناعبدالله بن عمروبن العاص إنّه قدكان بيننا و بينكم أمور للدّين والدّنيا، فان يكن للدّين فقد والله أعذرنا و أعذرتم، و إن يكن للدّنيا فقد والله أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فان يجمعنا و إيّاكم الرضا فذاك من الله فاغتنموا هذه الفرجة عسى أن يعيش فيها المحترق وينسى فيها القتيل، فانّ بقاء المهالك بعد الهالك قليل فأجابه سعدبن قيس الهمداني فقال: أمّابعد ياأهل الشّام إنّه قدكانت بيننا و بينكم أمور حاسبنا فيها على الدّين و سمّيتموها عذراً و إسرافا و قد دعوتمونا اليوم على ما قتلناكم عليه أمس ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله سبحانه فقام النّاس الى عليّ عليه السلام فقالوا له أجب القوم إلى المحاكمة.

قال نصر: فجاء الأشعث إلى عليّ فقال يا أميرالمؤمنين ما أرى النّاس إلّا وقد رضوا و سرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم اليه من حكم القرآن، فان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ماالذى يسأل.

قال عليه السلام: آتيه ان شئت فأتاه فسأله يا معاوية لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف قال: لنرجع نحن و انتم الى ما أمرالله به فيها فابعثوا رجلا منكم ترضون به ونبعث منّا رجلا و نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله و لا يعدوانه ثمّ نتبع ما اتفقا عليه.

فقال الأشعث: هذا هو الحقّ و انصرف الى عليّ فأخبره، فبعث عليّ عليه السلام

قرّاء من أهل العراق و بعث معاوية قرّاء من أهل الشّام فاجتمعوا بين الصّفين ومعهم المصحف فنظروا فيه و تدارسوا و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحيى القرآن و يميتوا ما أمات القرآن و رجع كلّ فريق إلى أصحابه.

فقال أهل الشّام : إنّا قد رضينا و اخترنا عمروبن العاص ، وقال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: وقد رضينا نحن و اخترناأباموسى الأشعرى فقال لهم عليّ عليه السلام فانّي لا أرضى بأبي موسى ولا أرى ان اوليه فقال الأشعث وزيد ابن حصين و مسعربن فدكى في عصابة من القراء : إنّا لانرضى إلاّ به فانّه قدكان حذّرنا ما وقعنا فيه.

فقال عليّ عليه السلام : فانّه ليس لى برضا وقد فارقني و خذل النّاس عنّي وهرب منّي حتّى امنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك ، قالوا : والله مانبالى اكنت أنت أو ابن عباس ولانريد إلاّ رجلا و هو منك و من معاوية على حدّ سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر قال عليّ عليه السلام : فاني أجعل الأشتر ، فقال : الاشعث : وهل سعّر الأرض علينا إلاّ الأشتر و هل نحن إلاّ في حكم الأشتر ، قال عليّ عليه السلام و ما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسّيف حتّى يكون ما أردت و ماأراد.

قال نصر : و حدّثنا عمروبن شمر عن جابر عن أبيجعفر محمّدبن عليّ عليه السلام قال لما أراد النّاس عليّا أن يضع الحكمين قال لهم : إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الامر أحداً هو أوثق برأيه و نظره من عمروبن العاص ، و إنّه لا يصلح للقرشي إلاّ مثله فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه به فانّ عمراً لا يعقد عقدة إلاّ حلّها عبدالله ولا يحلّ عقدة إلاّ عقده ولايبرم أمراً الاّ نقضه ولا ينقض أمرا إلاّ أبرمه.

فقال الأشعث لا والله لايحكم فينا مضريان حتّى تقوم السّاعة ، ولكن اجعل رجلا من أهل اليمن إذا جعلوا رجلا من مضر ، فقال عليّ عليه السلام إنّي أخاف أن يخدع يمنيّكم فانّ عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى ، فقال الأشعث والله لان يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون

بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مضريّان.

قال نصر: فقال عليٌّ عليه السلام قد أبيتم إلاّ أبا موسى، قالوا: نعم قال: فاصنعوا ما شئتم، فبعثوا إلى أبي موسى و هو بأرض من أرض الشّام يقال لها عرض قد اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إن النّاس قد اصطلحوا فقال: الحمدلله ربّ العالمين قال: فقد جعلوك حكما قال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون.

فجاء أبوموسى حتّى دخل عسكر عليّ عليه السلام و جاء الأشتر عليّا عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين ألزّني (١) بعمرو بن العاص فوالله الذى لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنّه.

و جاء الأحنف بن قيس عليّاً فقال يا أميرالمؤمنين إنّك قد رميت بحجر الأرض و من حارب الله و رسوله انف الاسلام و إنّي قد عجمت (٢) بهذا الرّجل يعنى أبا موسى وحلبت اشطره (٣) فوجدته كليل الشّفرة (٤) قريب القعر و أنّه لايصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتّى يكون في أكفّهم و يتباعد منهم حتّى يكون بمنزلة النّجم منهم فان شئت أن تجعلني حكما فاجعلني به و إن شئت أن تجعلني ثانيا أو ثالثا فان عمراً لايعقد عقداً إلاّ حللتها ، ولا يحل عقدة إلاّ عقدت لك أشدّ منها فعرض عليّ عليه السلام ذلك على النّاس فأبوه و قالوا: لا يكون إلاّ أبا موسى.

قال نصر: فبعث أيمن بن حزيم الاسدى و كان معتزلا لمعاوية بهذه الأبيات وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق.

١ـ اللزلزوم الشيء بالشيء و الزامه به ق.

٢ـ عجمتك الامور اى جربتك من العجم وهو العض يقال عجمت العود اذا عضضت لتنظر أصلب هو أم رخو، نهاية.

٣ـ اشطر جمع الشطر وهو خلف الناقة يقال حلب فلان الدهر شطره اى اختبر صروفه من خيره و شره تشبيها بحلب جميع اخلاف الناقة، منه.

٤ ـ السكين العظيم.

لو كان للقوم رأى يعصمون به من الضلال رموكم بابن عباس
لله درّ أبيه أيّما رجل ما مثله لفصال الخطب في النّاس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن لا يهتدي ضرب أخماس من أسداس
ان يخل عمرو به يقذفه في لجج يهوى به النجم ينشأ بين أتياس (١)
ابلغ لديك عليّا غير عايبه قول امرء لا يرى بالحقّ من ناس
ما الاشعري بمأمون أباحسن فاعلم هديت وليس العجز كالرّاس
فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم إنّ ابن عمّك عبّاس هو الاسى

فلما بلغ الناس هذا الشّعر طارت هواء أقوام من أولياء عليّ عليه السلام وشيعته إلى ابن عباس و أبت القراء إلاّ أبا موسى.

قال نصر : فلما رضى أهل الشّام بعمرو و أهل العراق بأبي موسى أخذوا في سطر كتاب الموادعة و كان صورته : هذا ماتقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين و معاوية ابن أبي سفيان فقال معاوية بئس الرّجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته و قال عمرو : بل نكتب اسمه و اسم أبيه إنّما هو أميركم فأمّا أميرنا فلا فلما اعيد عليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الاحنف : لاتمح اسم أمير المؤمنين عنك فانّي أتخوّف إن محوتها ألاّ ترجع اليك أبداً فلما تمحها.

فقال عليّ عليه السلام إنّ هذا اليوم كيوم الحديبيّة حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله و سهيل بن عمرو ، فقال سهيل لو أعلم أنك رسول الله لم أُخالفك ولم أُقاتلك إنّى إذن لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله الحرام و أنت رسوله ، ولكن اكتب : من محمد بن عبدالله فقال لي رسول الله يا علي إنّى لرسول الله و أنا محمد بن عبدالله و لن يمحو عنّي الرّسالة كتابي لهم من محمد

١ـ اتياس جمع تيس الذكر من الظباء والمعز والوعول.

ابن عبدالله فاكتبها و امح ما أراد محوه أما أنّ لك مثلها(١) ستعطيها مضطهداً(٢).

قال نصر : وقد روى إنّ عمرو بن العاص أعاد بالكتاب إلى عليّ عليه السلام فطلب منه أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقصّ عليه و على من حضر قصّة صلح الحديبية قال : إنّ ذلك الكتاب انا كتبته بيننا و بين المشركين واليوم اكتبه الى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبها و مثلا.

فقال عمرو : سبحان الله أتشبّهنا بالكفّار و نحن مسلمون ، فقال عليّ عليه السلام : يابن النابغة و متى لم تكن للكافرين وليّاً و للمسلمين عدواً ، فقام عمرو و قال : والله لايجمع بيني و بينك بعد هذا اليوم مجلس ، فقال : عليّ عليه السلام أما والله إنّي لأرجو أن يظهر الله عليك و على أصحابك ، و جاءت عصابة قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بم شئت فقال لهم سهل بن حنيف أيّها النّاس اتهموا (٣) رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله يوم الحديبيّة و لو نرى قتالا لقاتلنا.

قال نصر : وقد روى أبو إسحاق الشّيباني قال قرأت كتاب الصّلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها و خاتم من أعلاها على خاتم عليّ عليه السلام محمد رسول الله و على خاتم معاوية محمد رسول الله، و قيل لعليّ عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشّام أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام : ما اقرّ لمعاوية ولالأصحابه انهم مؤمنون مسلمون و لكن يكتب معاوية ما شاء و يقر بما شاء لنفسه ولأصحابه و يسمّي نفسه بما شاء و أصحابه فكتبوا : هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبيطالب و معاوية بن أبي سفيان قاضى عليّ بن ابيطالب على اهل العراق و من كان معه من شيعته من المؤمنين و المسلمين ، و قاضى معاوية بن ابي سفيان على أهل الشّام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

انّنا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه ولايجمع بيننا إلاّ إياه و انّ كتاب الله

١ـ اى مثل هذه القضية .

٢ـ ضهده كمنعه قهره كاضطهده ق .

٣ـ تهم الدهن واللحم تغير اى غيروا رايكم منه .

سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما احيى القرآن؛ و نميت ماأمات القرآن فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله ابتغاه ، و إن لم تجداه أخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة والحكمان عبدالله بن قيس و عمرو بن العاص.

و قد أخذ الحكمان من عليّ و معاوية و من الجندين أنّهما أمينان على أنفسهما و أموالهما و أهلهما ، والامّة لهما أنصار و على الذي يقضيان عليه و على المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهدالله ان يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب والسّنة و أنّ الأمن والموادعة و وضع السّلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم و على كلّ واحد من الحكمين عهد الله ليحكمنّ بين الأمّة بالحقّ لا بالهوى .

و أجل الموادعة سنة كاملة فان أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه ، و أن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لايألو الحقّ والعدل، و إن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممّن يرضون أمره ويحمدون طريقته اللّهمّ إنّا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصّحيفة و أراد فيها الحاداً و ظلماً .

قال نصر : هذه رواية محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام والشّعبي، و روى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النّسخة.

أقول : و ذكر تلك الرّواية و ساقها إلى أن قال : و شهد فيه من أصحاب عليّ عليه السلام عشرة و من أصحاب معاوية عشرة و تاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة تسع و ثلاثين.

قال نصر: وحدّثنا عمرو بن سعيد قال : حدّثني أبو حباب عن عمّارة بن ربيعة الحرمي قال: لما كتبت الصّحيفة دعا لها الأشتر ليشهد الشهود عليه فقال: لاصحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشّمال إن كتب لي في هذه الصّحيفة اسم الصّلح أو الموادعة ، أولست على بيّنة من أمري و يقين من ضلال عدوّي أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على

الخور (١) فقال له رجل: والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلمّ فاشهد على نفسك وأقرر بما كتب في هذه الصّحيفة فانّه لارغبة لك عن النّاس فقال: بلى والله إنّ لي لرغبة عنك فى الدّنيا للدّنيا و في الآخرة للآخرة ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم ولاأحزم دما.

قال نصر: و كان الرّجل هو الأشعث فكأنّما قصع على أنفه الحمم ثمّ قال الأشتر: ولكني قدرضيت بما يرضى به أمير المؤمنين و دخلت فيما دخل فيه وخرجت ممّا خرج منه فانّه لايدخل إلاّ في الهدى والصّواب.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن سعد عن أبي حباب الكلبي عن اسماعيل بن شفيع عن سفيان بن مسلمة قال: فلما تمّ الكتاب و شهدت فيه الشّهود و تراضى النّاس خرج الأشعث و معه ناس بنسخة الكتاب يقرؤها على النّاس ويعرضها عليهم.

فمرّ به على صفوف من أهل الشام وهم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به ثمّ مرّ به على صفوف من أهل العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به حتّى مرّ برايات عنزة و كان معه عليه السلام منهم أربعة ألف فلما مرّ بهم الأشعث يقرء عليهم قال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله ثمّ حملا على أهل الشّام بسيوفهما حتّى قتلا على باب رواق معاوية.

ثمّ مرّ بها على مراد فقال صالح بن شقيق و كان من رؤوسهم: لاحكم إلاّ لله ولو كره المشركون، ثمّ مرّ على رايات بني راسب فقرئها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ لله لانرضى ولايحكم الرّجال في دين الله، ثمّ مرّ على رايات تميم فقرءها عليهم فقال رجل منهم: لاحكم إلاّ لله يقضي الحقّ و هو خير الفاصلين وخرج عروة التّميمي فقال أتحكمون الرّجال في أمر الله لاحكم إلاّ لله فأين قتلانا يا أشعث؟ ثمّ شدّ بسيفه على الأشعث ليضربه فأخطأه و ضرب عجز دابته ضربة خفيفة.

فانطلق الأشعث إلى عليّ فقال ياامير المؤمنين انّي عرضت الحكومة على صفوف أهل الشّام و أهل العراق فقالوا جميعا رضينا ومررت برايات بني راسب ونبذ

١ـ الخور بالتحريك الضعف

من النّاس سواهم فقالوا لانرضى لا حكم إلاّ لله فمر بأهل العراق وأهل الشّام عليهم حتى يقتلهم . فقال هل هي غير راية اوررايتين و نبذ من النّاس قال: لا قال: فدعهم.

قال نصر : فظن عليٌّ عليه السلام انّهم قليلون لايعباء بهم فما راعه إلاّ نداء النّاس من كلّ جهة لاحكم إلا لله ، الحكم لله يا على لالك لانرضى بأن يحكم الرّجال في دين الله إنّ الله قد أمضى حكمه في معاوية و أصحابه أن يقتلوا و يدخلوا تحت حكمنا عليهم ، وقد كنا زللنا و أخطانا حين رضينا بالحكمين و قد بان لنا زللنا و خطاؤنا فرجعنا الله و تبنا فارجع أنت يا علي كما رجعنا و تب إلى الله كما تبنا و إلاّ برئنا منك.

فقال عليٌّ عليه السلام : و يحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أليس الله تعالى قد قال :

« أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» «وقال: أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً » .

فابى عليٌّ عليه السلام أن يرجع و أبت الخوارج إلاّ تضليل التّحكيم والطعن فيه، فبرءوا من عليّ و برء عليٌّ منهم.

قال نصر: و حدّثني عمرو بن نمير عن أبي الوارك قال : لما تداعى النّاس إلى المصاحف و كتبت صحيفة الصّلح والتّحكيم قال عليٌّ إنّما فعلت ما فعلت لما بدء فيكم من الخور والفشل عن الحرب ، فجائت اليه همدان كانّها ركن حصين فيهم سعيد بن قيس و ابنه عبدالرّحمن غلام له ذوابة ، فقال سعيد : ها اناذ او قومي لانرد أمرك فقل ما شئت نعمله ، فقال : أمّا لو كان هذا قبل سطر الصّحيفة لأزلتهم عن عسكرهم او تنفرد سالفتي (١) ولكن انصرفوا راشدين .

---

١ ـ قال ابن الاثير فى النهاية فى حديث الحديبية لاقاتلنهم حتى تنفرد سالفتى هى صفحة العنق و مجمعها وهما سالفتان من جانبيه و كنا بانفرادها عن الموت لانها لاتنفرد عما يليها الا بالموت وقيل اراد حتى يفرق بين راسى وجسدى قاله فى البحار منه ره.

قال نصر : و روى الشعبي أن عليّا قال يوم صفّين حين اقرّ النّاس بالصّلح: انّ هولاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحقّ ولاليجيبوا إلاّ لكلمة سواء حتّى يرموا بالمناسر (١) تتبعها العساكر وحتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلايب (٢)، وحتّى يجرّ ببلادهم الخميس (٣) يتلوه الخميس ، و حتّى يدعق (٤) الخيول في نواحى أرضهم و باحنائه مشاربهم و مسارحهم ، و حتّى يشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ وحتى تتلقّاهم قوم صدق صبر لايزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جدّاً في طاعة الله وحرصا على لقاء الله.

ولقد كنّا مع رسول الله يقتل آبائنا و اخواننا و اخوالنا و اعمامنا لايزيدنا ذلك إلاّ ايمانا و تسليما و مضيّا على أمض الألم وجدّاً على جهاد العدوّ والاستقلال بمبارزة الاقران.

و لقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين ، و يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرّة لنا من عدوّنا و مرّة لعدوّنا منّا فلما رآنا الله صدقاً صبراً أنزل بعدوّنا الكبت و أنزل علينا النصر ولعمري لو كنا في مثل الذى اتيتم ماقام الدّين ولاعزّ الاسلام.

و روى نصر : عن عمرو بن شمر عن فضيل بن جديح قال : قيل لعليّ عليه السلام لما كتبت الصّحيفة : انّ الاشتر لم يرض بما في الصّحيفة ولايرى الاّ قتال القوم ، فقال عليّ عليه السلام بلى انّ الاشتر ليرضى اذا رضيت وقد رضيت ورضيتم ولايصلح الرّجوع بعد الرّضا ولا التّبديل بعد الاقرار إلاّ أن يعصى الله أو يتعدّى ما في كتابه ، و أمّا الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من أُولئك ولا أعرفه على ذلك، وليت

١- المنسر هو قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير ق

٢- الجلايب والجلوبة ذكور الابل التى يحمل عليها متاع القوم الجمع والواحد سواء ق.

٣ - الخميس بالحاء المهملة و بالخاء المعجمة الجيش لانقسامه على خمس: القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة منه ره

٤- الدعق الوطى. ق

فيكم مثله اثنان ، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوّي مثل رأيه إذن لخفّت مؤنتكم عليّ و رجوت أن يستقيم لي بعض اودكم .

قال نصر : ثمّ انّ النّاس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم ، و روى الشّعبي عن زياد بن النّضر انّ عليّا بعث أربعمأة عليهم شريح بن هاني و معه عبدالله بن العباس يصلّي بهم و معهم أبوموسى الأشعري و بعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمأة، ثمّ إنّهم خلوا بين الحكمين فكان رأى عبدالله بن قيس في عبدالله بن عمر بن الخطاب، و كان يقول والله ان استطعت لأحيينّ سنّة عمر.

قال نصر : و في حديث محمّد بن عبيدالله الجرجاني قال : لما أراد أبو موسى المسير قام اليه شريح بن هانی فأخذ بيده و قال : يا أبا موسى قد نصبت لأمر عظيم لايجبر صدعه ولايستقال فتنته ، ومهما تقل من شيء عليك أولك تثبت حقّه و ترى صحّته و ان كان باطلا ، و أنّه لابقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ؛ ولابأس لأهل الشّام إن ملكهم عليّ عليه السلام.

وقد كان منك تثبيطة أيام الكوفة والجمل فان تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقينا والرّجاء منك يأسا فقال أبوموسى : ما ينبغي لقوم اتّهموني إن يرسلوني لادفع عنهم باطلا أو أجرى إليهم حقّا.

و روى المداينى فى كتاب صفّين قال : لما اجتمع أهل العراق على طلب أبى موسى و احضروه للتّحكيم على كره من عليّ عليه السلام أتاه عبدالله بن عباس وعنده وجوه النّاس والاشراف فقال له : يا أبا موسى إنّ النّاس لم يجتمعوا عليك و يرضوا بك لفضل لاتشارك فيه و ما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدّمين قبلك ، ولكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانيّا ورأوا أنّ معظم أهل الشّام يمان وأيم الله انى لأظنّ ذلك شراً لك ولنا ، فانه قد ضمّ اليك داهية (١) العرب ، وليس في معاوية خلة يستحقّ بها الخلافة ، فان تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه، وان

١- المراد بالداهية عمرو بن العاص قال فى القاموس الدهأ النكر وجودة الرأى والادب و رجل داهي وذو داهية منه.

يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك.

و اعلم يا أبا موسى أنّ معاوية طليق الاسلام و أنّ أباه رأس الأحزاب يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فان زعم لك أنّ عمر و عثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر و هو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه مايشتهي و يوجره ما يكره، ثمّ استعمله عثمان برأى عمر و ما أكثر ما استعملا ممّن لم يدّع الخلافة.

واعلم أنّ لعمرو مع كلّ شيء يسرّك خبيئاً يسوءك ومهما نسيت فلا تنس ان عليّاً بايعه القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان ، وأنّها بيعة هدى وأنّه لم يقاتل إلاّ العاصين والنّاكثين.

فقال أبو موسى : رحمك الله والله مالى إمام غير عليّ عليه السلام و إنّي لواقف عند ما راى و انّ حقّ الله أحبّ إليّ من رضا معاوية و أهل الشّام و ما أنا و أنت إلاّ بالله.

قال نصر : وكان النّجاشي الشّاعر صديقا لأبي موسى فكتب اليه يحذّره من عمرو بن العاص:

يؤمّل أهل الشّام عمراً و انّني لامل عبدالله عند الحقايق
و انّ أبا موسى سيدرك حقّنا إذا مارمى عمراً باحدى البوائق
و لله ما يرمى العراق و أهله به منه إن لم يرمه بالصّواعق

فكتب اليه ابوموسى إني لأرجوأن تنجلى هذا الأمر و أنا فيه على رضاالله سبحانه.

قال نصر: ثمّ إنّ شريح بن هاني جهّز أبا موسى جهازاً حسناً و عظم أمره في النّاس ليشرف في قومه فقال الأعور الشّني في ذلك يخاطب شريحا:

زففت ابن قيس زفاف العروس شريح الى دومة الجندل
و في زفّك الأشعرى البلاء و ما يقض من حادث ينزل
و ما الأشعريّ بذي اربة ولا صاحب الخطة الفيصل
ولا آخذاً حظّ أهل العراق ولو قيلها خذه لم يفعل
يحاول عمراً و عمر و له خدايع يأتى بها من عل

فان يحكما بالهدى يتبعا و إن يحكما بالهوى الأميل
يكونا كتيسين في فقره اكيلى نقيف من الحنظل

فقال شريح : والله لقد تعجّلت رجال مساءتنا في أبي موسى و طعنوا عليه بأسواء الظنّ و ظنّوا فيه ماالله عصمه منه إنشاءالله.

قال نصر : و كان آخر من ودّع أباموسى الأحنف بن قيس أخذ بيده، ثمّ قال له : يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر و اعلم أنّه لهمابعده وانّك إن أضعت العراق فلا عراق ، اتّق الله فانّها تجمع لك دنياك وآخرتك و إذا لقيت غدا عمراً فلاتبدءه بالسّلام فانّها و إن كانت سنّة إلاّ أنّه ليس من أهلها ، ولاتعطه يدك فانّها أمانة و ايّاك أن يقعدك على صدر الفراش فانّها خدعة ، ولا تلقه إلاّ وحده ، وحذر أن يكلّمك في بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرّجال والشّهود.

ثمّ أراد أن يبوه (١) ما في نفسه لعليّ عليه السلام فقال له : فان لم يستقم لك فيه الرضا بعليّ فليتخير أهل العراق من قريش الشام من شاؤ وا أو فليتخير أهل الشام العراق من شاؤوا، فقال أبوموسى: قد سمعت ما قلت ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن عليّ فرجع الأحنف إلى عليّ فقال له: أخرج أبوموسى زبدة سقائه في أوّل مخضه لا أرانا إلا بعثنا رجلالاينكر خلعك فقال عليّ عليه السلام : الله غالب على أمره.

قال نصر : وشاع وفشا أمر الأحنف و أبي موسى في النّاس فبعث الصّلتان العبدي و هو بالكوفة الى دومة الجندل بهذه الأبيات:

لعمرك لا ألقى مدا الدهر خالعا عليّا بقول الأشعريّ ولا عمرو
فان يحكما بالحقّ نقبله منهما وإلاّ اثرناها كراعية البكر
و لسنا نقول الدّهر ذاك إليهما و في ذاك لوقلناه قاصمة الظهر
ولكن نقول الأمر والنهى كلّه إليه و في كفّيه عاقبة الأمر
وما اليوم الأمثل أمس و إنّما لفي و شل الضحضاح(٢) أو لجّة البحر

١ـ هوالاختبار.

٢ـ الماءاليسير والوشل الماءالقليل

فلما سمع النّاس ذلك أعنى قول الصّلتان شحذهم ذلك على أبي موسى و استبطائه القوم و ظنوا به الظنون و مكث الرّجلان بدومة الجندل لايقولان شيئاً ، وقد كان الأخبار أبطات على معاوية ، فبعث إلى رجال من قريش كانوا ان يعينوه في حربه إنّ الحرب قد وضعت أوزارها ، والتقى هذان الرّجلان في دومة الجندل فاقد مواعليّ

فأتاه جمع منهم عبدالله بن الزبير و عبدالله بن عمر بن الخطّاب والمغيرة بن شعبه فقال له يا مغيرة ما ترى ؟ قال : يا معاوية لو وسعنى أن أنصرك لنصرتك ولكن على ان آتيك بأمر الرجلين فرحل حتّى أتى دومة الجندل ، فدخل على أبي موسى، فقال يا أبا موسى ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره هذه الدّماء؟ قال ، أُولئك خير النّاس خفّت ظهورهم من دمائهم و خمصت بطونهم من أموالهم.

ثمّ أتى عمراً فقال : يا أبا عبدالله ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر و كره الدّماء ؟ قال : شرار الناس لم يعرفوا حقّا ولم ينكروا باطلا ، فرجع مغيرة إلى معاوية فقال له : قدذقت الرّجلين أما عبدالله بن قيس فخالع صاحبه و هواه في عبدالله بن عمر ، وأمّا عمرو فهوصاحبك الذى تعرف ،وقدظنّ النّاس أنّه يرومها لنفسه و أنّه لايرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه.

قال نصر : و في حديث عمرو بن شمر قال أقبل أبوموسى إلى عمرو فقال : يا عمر و هل لك في أمر هو للاُمّة صلاح و لصلحاء النّاس رضا نولّي هذا الأمر عبدالله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولاهذه الفرقة قال : و كان عبدالله بن عمرو بن العاص و عبدالله بن الزّبير قريبا يسمعان هذا الكلام.

فقال عمرو: فأين أنت يا أبا موسى من معاوية ، فابي عليه أبوموسى فقال عمرو: ألست تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ؟ قال : بلى أشهد ، ثمّ قال: فما يمنعك من معاوية و هو وليّ دم عثمان وقد قال تعالى:

« وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً ».

ثمّ انّ بيت معاوية من قريش ما قد علمت فان خشيت أن يقول الناس ولى معاوية

و ليست له سابقة فانّ لك أن تقول وجدته وليّ العثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السّياسة الحسن التّدبير و هو أخو أمّ حبيبة أمّ المؤمنين و زوج النبيّ وقد صحبه وهو أحد الصّحابة.

ثمّ عرض له بالسّلطان فقال له : إن هو ولى الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قطّ مثلها.

فقال أبوموسى : اتّق الله يا عمر و أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فانّ هذا الأمر ليس على الشّرف إنّما هو لأهل الدّين والفضل مع أنى لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفاً أعطيته على بن أبيطالب ، و أمّا قولك إنّه وليّ عثمان فاني لم أكن أوليه إيّاه لنسبه من عثمان ، وادع المهاجرين الأوّلين ، و أمّا تعريضك لى بالامرة والسّلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمربن الخطاب.

قال نصر : و حدّثني عمربن سعد عن ابي حباب انّ أباموسى قال غير مرّة : والله إن استطعت لاحيينّ اسم عمربن الخطاب ، فقال عمروبن العاص : إن كنت إنما تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبدالله ، وأنت تعرف فضله وصلاحه، فقال: إنّ ابنك لرجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة

قال نصر : و روى عن النضربن صالح قال : كنت من شريح بن هاني في غزوة سجستان فحدّثني أنّ عليّاً أوصاه بكلمات إلى عمروبن العاص وقال له قل لعمرو : إذا لقيته إنّ عليّا يقول لك:

إنّ أفضل الخلق من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و إنّ أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحبّ إليه و إن زاده، والله يا عمرو إنك لتعلم اين موضع الحقّ فلم تتجاهل ؟ أبأن اُوتيت طمعاً يسيراً صرت لله ولأوليائه عدوّاً ؟ فكأن ما قد اُوتيت قد زال عنك ، فلاتكن للخائنين خصيما ، و للظالمين ظهيراً ، اما اني اعلم انّ يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك و سوف تتمنّى أنك لم تظهر لى عداوة و لم

تاخذ على حكم الله رشوة.

قال شريح : فأبلغته ذلك يوم لقيته فمغر وجهه قال : ومتى كنت قابلا مشورة عليّ أو منيبا إلى رأيه أو معتمداً بأمره ، فقلت و ما يمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك و سيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته، لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه و يعملان برأيه ؟ فقال إنّ مثلي لايكلّم مثلك ، فقلت : بأىّ أبويك ترغب عن كلامي بأبيك الوشيظ (١) أو بأمك النّابغة ، فقام من مكانه وقمت.

قال نصر : و روى أبو حباب الكلبي انّ عمراً و أباموسى لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمر و يقدّم أبا موسى في الكلام و يقول : إنّك صحبت رسول الله قبلي و انت أكبر مني سنّا فتكلّم أنت ثم أتكلّم أنا فجعل ذلك سنّة و عادة بينهما ، و إنّما كان مكراً و خديعة و اغتراراً له أن يقدّمه فيبدء بخلع عليّ عليه السلام ثمّ يرى رأيه.

و قال ابن ويزيل في كتاب صفّين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان يتكلّم قبله ، و أعطاه التّقدّم في الصّلاة وفي الطعام لايأكل حتّى يأكل و إذا خاطبه فانّما يخاطبه بأجلّ الأسماء و يقول له : يا صاحب رسول الله حتّى اطمأنّ إليه وظنّ أنّه لايغشيه.

قال نصر فلّما انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو : أخبرني ما رأيك يا أبا موسى ؟ قال : أرى أن أخلع هذين الرّجلين و نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاؤوا، فقال عمرو : الرّأى والله ما رأيت ، فأقبلا إلى النّاس وهم مجتمعون فتكلّم أبوموسى فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : رأيي و رأى عمر و قد اتّفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال عمرو صدق.

ثمّ قال له : تقدّم يا أبا موسى فتكلّم، فقام ليتكلّم فدعاه ابن عباس فقال ويحك إنّي لأظنه خدعك إن كنتما قد اتّفقتما على رأى فقدّمه قبلك ليتكلّم ثمّ تكلّم أنت بعده فانّه رجل غدّار ولا آمن أن يكون أعطاك الرّضا فيما بينك و بينه فاذا قمت به في النّاس خالفك ، و كان أبوموسى رجلا مغفّلا ، فقال : ايها عنك إنّا

١ــ الوشيظ كامير الاتباع والخدام والاجلاف ولفيف من الناس ليس اصلهم واحداً وهم وشيظة في قومهم حشو فيهم.

قد اتّفقنا

فتقدّم أبوموسى فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال: أيها النّاس إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألم لشعثهامن أن لايبتز(١)أُمورها و قد اجتمع رأيي و رأى صاحبي على خلع عليّ و معاوية و ان يستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولّون أُمورهم من أحبّوا ، و إنّي قدخلعت عليّاً و معاوية فاستقبلوا أُموركم و ولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ثمّ تنحّى.

فقام عمروبن العاص في مقامه فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال : انّ هذا قدقال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و أُثبت صاحبي في الخلافة فانّه وليّ عثمان والطالب بدمه و أحقّ النّاس بمقامه.

فقال له أبو موسى: مالك لا وفّقك الله قدغدرت و فجرت، إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، و حمل شريح بن هانى على عمرو ، فقنعه بالسّوط و حمل ابن عمروعلى شريحفقنعه بالسّوط ، و قام النّاس فحجزوا بينهما ، فكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي أن لاأكون ضربت عمراً بالسّيف بدل السّوط لكن أتى الدّهربماأتى به والتمس أصحاب عليّ أبا موسى فركب ناقتهو لحق بمكّة ، و كان ابن عباس يقول: قبّح الله أباموسى لقد حذرته و هديته إلى الرّأي فما عقل ، و كان أبوموسى يقول: لقد حذّرني ابن عبّاس غدرة الفاسق ولكني اطمأننت إليه و ظننت أنّه لايؤثر شيئاًعلى نصيحة الأمة.

قال نصر : و رجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

أتتك الخلافة من فوقه هنيئاً مريئاً تقرّالعيونا

١- اى النزع واخذ الشيء بجفاء وقهر

تزّف إليك زفاف العروس بأهون من طعنك الدّار عينا(١)
و ما الأشعرىّ بصلد الزّناد ولا خامل الدّار في الأشعرينا
ولكن أُتيحت لـه حيّـة يظلّ الشّجاع لـه مستكينا
فقالوا و قلت و كنت امرء اجهجه بالخصم حتّـى يلينـا
فخذهاابن هند على بعدها فقد واقع الله ما تحذرونا
و قد صرّف الله عن شأنكم عدوّاً مبينا و حزباً زبوناً

قال نصر : فقام سعيدبن قيس الهمداني فقال : والله لو اجتمعنا على الهدى مازدتما بأعلى ما نحن الآن عليه ، و ما ضلالكما بلازم لنا و ما رجعتما إلاّ بما بدأتما به ، و إنّا اليوم لعلي ما كنا عليه أمس، و قام كردوس بن هاني مغضباً فقال:

الاليت من يرضى من النّاس كلّهم بعمرو و عبدالله في لجّةالبحر
رضينا بحكم الله لا حكم غيره و بالله ربّا والنّبيّ و بالذّكر
و بالأصلع الهادي عليّ إمامنا رضينابذاك الشيخ في العسروالیسر
رضينا به حيّا و ميتا و انّه إمام هدى في الحكم والنهى والأمر
فما قال لاقلنا بلى إنّ أمره لأفضل ما نعطاه في ليلة القدر
و ما لابن هنديبعة في رقابنا و ما بيننا غير المثقفة (١) السّمر
و ضرب يزيل الهام عن مستقرّه وهيهات هيهات الرّضا آخرالدّهر
أتت لي أشياخ الأراقم سبّة أبت بها حتّى أُغيّب في القبر

و تكلّم جماعة اخرى بمثل كلامه في الرّضا بخلافة عليّ عليه السلام و إنكار خلافة معاوية و حكم الحكمين

قال نصر : و كان عليّ عليه السلام لماسمع ما خدع به عمر وأبا موسى غمّه ذلك وسائه و خطب النّاس فقال : الحمدلله و إن أتى الدّهر بالخطب الفادح إلى آخر ما مرّ في الكتاب مع الزّيادة التى ذكرناها.

١-رجل دارع عليه درع
٢- ثقّفه تثقيفا سوّاه والرّباح المثقّفة المسوّاةمنه .

قال نصر: فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومة إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة قال: اللهمّ العن معاوية و عمراً و أباموسى و حبيب بن مسلمة و عبدالرّحمن بن خالد والضّحاك بن قيس والوليد بن عقبه.

و روى ابن ويزيل إنّ أبا موسى كتب من مكّة إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد فقد بلغني أنك تلعنني في الصّلاة و يؤمّن خلفك الجاهلون و إنّي أقول كما قال موسى:

« رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »

الترجمة

از جمله خطب آنحضرتست بعداز حكم قراردادن مردم أبوموسى اشعرى و عمروعاص عليهما اللعنة والعذاب را و اختيار كردن عمروعاص ملعون امارة معاوية بدبنياد را، و خيانت كردن ابوموسى بدنهاد در حق آن امام انس و جان و سرور عالميان كه ميفرمايد:

حمد بى‌قياس خداوند را سزاست واگرچه آورد روزگار غدار بكار بزرك و ثقيل و حادثه عظيم و جليل، و شهادت ميدهم براينكه هيچ مستحق معبودية نيست مگر معبود بحق و خداوند مطلق در حالتى كه نيست بااو خدائى كه بوده باشد با او ؛ و شهادت ميدهم باينكه محمد بن عبدالله صلوات‌الله و سلامه عليه بندۀ بر گزيده و فرستادۀ پسنديدۀ اوست، پس ازستايش الهى ودرود حضرت رسالت‌پناهى.

پس مخالفت كردن و عصيان نمودن نصيحت كنندۀ مهربان و داناى تجربه كار باعث ميشود بحسرت و از پى در مى‌آورد افسوس و ندامترا، وبتحقيق كه بودم امر نمودم شمارا درباب اينحكومة حكمين به امر خود و خالص نمودم از براى شما دراين‌باب راى صواب خود را كه در گنجينۀ ضمير بود اگر ميبود كه اطاعت ميشد مرقصير بن سعد را امرى پشيمان نميشديد و بورطه حسرت نمي افتاديد، پس إبا وامتناع نموديد برمن مثل امتناع اختلاف كنندكان جفاكار و عهد شكنندكان نا فرمان بردار تااينكه بشك افتاد پند دهنده به پند خود و بخل ورزيد آتش زنه به

بیرون دادن آتش خود.

پس بود حال من و شما در نصیحت دادن من و مخالفت کردن شما مثل آنچه که گفت برادر هوازن درشعر خود که فرمودم شمارا بامر خود و پند دادم شمارا در منزل منعرج اللوی پس ندانستید ثمرهٔ نصیحت مگر در چاشتگاه روز دیگر که در دیار زخار خونخوار گرفتار شدیده یعنی همچنانکه‌قوم ورید شاعر نصیحت اورا گوش ندادند و بورطه هلاکت افتادند همچنین شما از فرمان من معصیت ورزیدید که مستعقب حسرت و ندامت گردیده دچار بلا و محنت شدیده

و من خطبة له علیه السلام فی تخویف اهل النهروان وهی السادسة والثلاثون من المختار فی باب الخطب

فَأَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ، وَ بِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ اِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلاَمِ لَمْ آتِ لاَ أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَلاَ أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً.

اللغة

(النّهروان) بفتح النّون و تثليث الرّاء و من العرب من يضمّ النّون أيضاً

ثلاث قرى أعلا و أوسط و أسفلهنّ بين واسط و بغداد ، و في المصباح بلدة يقرب من بغداد أربعة فراسخ و (صرعى)جمع صريع و (ثنى) الوادي بكسر الثاء المثلثةمنعطفه والجمع أثناء و في بعض النّسخ بأكناف هذا النّهر و هو جمع كنف كسبب وأسباب بمعنى الجانب و (الأهضام) جمع هضم بفتح الهاء وقد يكسر بطن الوادي والمطمئن من الأرض و (الغايط) ما سفل من الأرض.

و (طاح) يطوح و يطيح هلك و سقط ، وطوحه فتطوح توهيه فرمي هوبنفسه ههنا و ههنا ، و طوحته الطوايح قذفته القواذف و (احتبل) الصّيدأوقعه في الحبالة و (المقدار) هو القدر والقضاء و (الهامة) الرّاس والجمع الهام.

و (البجر) بضمّ الباء و سكون الجيم المعجمة الدّاهية والشرّ ، و في بعض النّسخ هجراً و هو السّاقط من القول ، و في نسخة ثالثة نكراً و هو الأمر المنكر و في رابعة عرّاً و العر و المعرّة الإثم و العرّ أيضاً داء يأخذ الابل في مشافرها و يستعار المداهية.

الاعراب

نسبة طوحت إلى الدّار و احتبل إلى المقدار من التوسّع ، و جملة و أنتم معاشر آه حاليّة والعامل صرفت ، و بجراً مفعول لم آت و جملة لا ابالكم معترضة بينهما و هي تستعمل في المدح كثيراً و في الذمّ أيضاً و في مقام التّعجب و الظاهر هنا الذّم أو التعجب

المعنى

روى في شرح المعتزلي عن محمّد بن حبيب قال : خطب عليّ عليه‌السلام الخوارج يوم النّهر فقال لهم : نحن أهل بيت النّبوة و موضع الرّسالة و مختلف الملائكة وعنصر الرّحمة و معدن العلم والحكمة ، نحن افق الحجاز بنا يلحق البطيء والينا يرجع التّائب أيّها القوم (فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى) أى مصر و عين مطرّحين على الارض (بأثناء هذا النهّر و بأهضام هذا الغايط على غير بيّنة) و حجّة شرعيّة (من ربكم ولا سلطان مبين) وبرهان عقلى (معكم) تتمسّكون به في خروجكم (قدطوحت

بكم الدّار) و رمت بكم المرامي و هلكتكم (و احتبلكم المقدار) أى أوقعكم القدر النازل بكم في حبالته كالصّيد لا يستطيع الخروج منها (وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة) التي ندمتم عليها و ما كنت راضياً بها و راغبا إليها (فأبيتم عليّ إباء المخالفين) الجفاة (والمنابذين) العصاة (حتى صرفت رايى إلى هواكم) و أقدمت على التحكيم برضاكم من دون أن يكون لي رضا في ذلك و (أنتم معاشر اخفاء الهام) لعدم ثباتكم في الرّاى و (سفهاء الأحلام) لعدم كما لكم في العقل انكم أمس كنتم معتقدين وجوب التحكيم واليوم تزعمونه كفراً وتجعلونه ضراراً و (لم آت لا أبالكم بجراً ولا اردت بكم ضرّا) و إنّما ورد عليكم ذلك الضّرر و نزلت بكم تلك الداهية بسوء تدبيركم و قلّة عقلكم و انّ إرادتى من التحكيم و غرضي منه بعد اكراهكم إيّاى عليه لم يكن إلا الخير والمنفعة فانعكست القضية و انجرّت إلى المضرّة.

وينبغي تذييل المقام بامرين الاول

في ذكر ما ورد من إخبار النبي ﷺ لقتال الخوارج و كفرهم من طريق الخاصة والعامة فأقول:

في البحار من كتاب كشف الغمة قال : ذكر الامام أبوداود سليمان بن الأشعث في مسنده المسمّى بالسّنن يرفعه إلى أبي سعيد الخدرى و أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : سيكون في امّتى اختلاف و فرقة ، قوم يحسنون القيل و يسيؤون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية ، هم شرّ الخلق طوبى لمن قتلهم و قتلوه يدعون إلى كتاب الله و ليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم.

و نقل مسلم بن حجّاج في صحيحه و وافقه أبوداوود و سندهما عن زيد بن وهب أنّه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ عليه السلام قال عليّ أيّها النّاس إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم من امّتي يقرؤون القرآن ليس قرائتكم إلى قرائتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم و هو عليهم لا يجاوز قرائتهم تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق

السهم من الرّمية(١) لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيّهم لنكلوا عن العمل، و آية ذلك أنّ فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات البيض فتذهبون إلى معاوية و أهل الشّام و تتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم و أموالكم والله إنّي لأرجو أن يكون هولاء القوم فانّهم قد سفكوا الدّم الحرام و أغاروا على سرح النّاس فتسيروا.

و من كتاب الأمالي للشيخ باسناده عن عبدالله بن أبي أوفي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: الخوارج كلاب أهل النّار.

و من كتاب المناقب لابن شهرآشوب من تفسير القشيري و ابانة العكبري عن سفيان عن الأعمش عن سلمة عن كهيل عن أبي الطفيل أنّه سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى:

« قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً »

فقال عليه السلام إنّهم أهل حرورا ثمّ قال:

« اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » في قتال علي بن أبيطالب « أُولٰئِكَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْناً ذٰلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمَ » بما كفروا بولاية علي « وَ اتَّخَذُوا آياتِ ـ الْقُرْآنِ ـ وَ رُسُلِي »

يعني محمّد صلّى الله عليه و آله «هزواً» استهزؤوا بقوله: ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وانزل في اصحابه:

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ » الآية.

فقال ابن عباس نزلت في أصحاب جمل.

١ـ في حديث خوارج يمرقون من الدّين مروق السهم من الرمية. اى يجوزونه و يخرقونه و يتعدونه كما يمرق السهم الشيء المرمي به و يخرج منه. والرمية الصيد الذى ترميه فتقصده و ينفذ فيها سهمك وقيل هي كل دابة مرمية «نهاية»

و من تفسير الفلكي عن أبي امامة قال النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:
«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ»
الآية هم الخوارج.

و في شرح المعتزلي قد تظاهرت الاخبار حتّى بلغت حدالتّواتر بما وعدالله قاتلي الخوارج من الثّواب على لسان نبيّه.

و في الصّحاح المتفق عليها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسماً جاءه رجل يدعا ذالحو يصرة فقال: اعدل يا محمد فقال: قدعدلت فقال له ثانية: اعدل يا محمد فانّك لم تعدل فقال: و يلك و من يعدل إذالم أكن أعدل.

فقام عمربن الخطاب فقال: يا رسول الله ائذن لي أضرب عنقه فقال: دعه فانّه يخرج من ضئضى (١) هذا قوم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية ينظر أحدكم إلى نضيه فلايجد شيئاً فينظر إلى نضيه (٢) ثمّ ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث والدّم يخرجون على خير فرقة من النّاس يحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم و صومكم عند صومهم يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو قال صلى الله عليه وآله اوعج مخدج إليه احدى يديه كأنّها ندى امرأة أو بضعة تدردر (٣).

و في بعض الصّحاح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر وقد غاب الرّجل عن عينه: قم فاقتله، فقام ثمّ عاد و قال: وجدته يصلّي فقال لعمر: مثل ذلك فعاد وقال وجدته يصلّي فقال لعليّ عليه السلام: مثل ذلك فعاد وقال: لم أجده فقال رسول الله: لوقتل هذا

١ـ الضئضى الاصل يقال ضئضى صدق وضوء ضوء صدق وحكى بعضهم ضيضى، بوزن قنديل يريده انه يخرج من نسله ومن عقبه. نهاية.

٢ـ النضى هو السهم قبل ان ينحت اذاكان قدحا وقيل النضى هو النصل والاولى الاول لدلالة الرواية على التغاير وقيل هو من السهم مابين الريش والنصل وقيل سمى نضيا لكثرة البرى والنحت فكانه جعل نضوا قاله في النهاية وفيه ايضاً القذذ ريش السهم واحدتها قذة منه.

٣ـ تدردر أى ترجرج تجيء وتذهب والاصل تتدردر فخذف احدى التائين تخفيفا. نهاية.

لكان أوّل فتنة و آخرها أما أنّه سيخرج من ضئضي هذا الحديث.

و في مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال: قالت عايشة إنّك من ولدي ومن أحبّهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت قتله عليٌّ بن أبيطالب على نهر يقال لأعلاه تأمر ولأسفله نهروان بين لخاقيق و طرفاء، قالت ابغني على ذلك بينة فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها سألتك بصاحب القبر ماالذى سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ قالت نعم: سمعته يقول إنّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة أقربهم عند الله وسيلة.

الثاني

في كيفية قتال الخوارج و بعض احتجاجاته صلوات الله عليه و آله معهم فأقول:

قال في شرح المعتزلي روى ابن ويزيل في كتاب صفّين عن عبدّ الرحمن بن زياد، عن خالد بن حميد، عن عمر مولى غفرة، قال: لما رجع عليٌّ من صفين إلى الكوفة أقام الخوارج حتّي جموا ثمّ خرجوا إلى صحراء بالكوفة يسمّى حروراء، فتنادوا لا حكم إلاّ لله و لو كره المشركون ألا إنّ عليّا و معاوية أشركا في حكم الله.

فأرسل عليٌّ عليه السلام إليهم عبدالله بن العباس فنظر في أمرهم و كلّمهم ثمّ رجع إلى عليّ عليه السلام فقال له ما رأيت؟ فقال ابن عباس: والله ما أدري ماهم فقال: أرأيتهم منافقين فقال: والله ما سيماهم سيماء منافقين انّ بين أعينهم لأثر السّجود يتأوّلون القرآن فقال دعوهم مالم يسفكوا دماً او يغصبوا مالا.

و أرسل اليهم ما هذا الذى أحدثتم و ما تريدون؟ قالوا نريد أن نخرج نحن و أنت و من كان معنا بصفين ثلاث ليال و نتوب إلى الله من أمر الحكمين ثمّ نسير إلى معاوية فنقاتله حتّى يحكم الله بيننا و بينه، فقال عليٌّ عليه السلام فهلاّ قلتم حين بعثنا الحكمين و أخذنا منهم العهد و أعطيناهموه الا قلتم هذا حينئذ قالوا: كنا قد طالت الحرب علينا واشتدّ الباس و كثر الجراح و كلّ الكراع (١)

١ـ الكراع من الدابة قوايمها.

و السلاح .

فقال لهم أفحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام (١) قلتم ننقض العهد إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفى للمشركين أفتأ مرونني بنقضه ، فمكثوا مكانهم لايزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ ولا يزال الآخر منهم يخرج من عند عليّ عليه السلام.

فدخل الواحد منهم على عليّ عليه السلام بالمسجد والناس حوله فصاح لاحكم إلاّ لله ولو كره المشركون فتلفت (٢) الناس فقال : لاحكم إلاّ لله ولو كره المتلفتون فرفع عليّ عليه السلام رأسه إليه فقال : لاحكم إلاّ لله ولو كره أبو حسن فقال عليه السلام إنّ أباحسن لايكره أن يكون الحكم لله ، ثمّ قال حكم الله انتظر فيكم ، فقال النّاس هلاّ ملت ياأمير المؤمنين على هولاء النّاس فأفنيتهم ؟ فقال : إنهم لايفنون إنّهم لفى أصلاب الرّجال و أرحام النّساء إلى يوم القيامة.

و روى أنس بن عياض المدني ، عن جعفر بن محمّد عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام أنّ عليّا كان يوما يؤمّ النّاس و هو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكوا من خلفه:

« وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

فلما جهر ابن الكوا من خلفه بها سكت عليّ عليه السلام فلما أنهاها ابن الكوا أعاد عليّ عليه السلام فأتمّ قراءته ، فلما شرع عليّ عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكوا الجهر بتلك الآية فسكت عليّ عليه السلام فلم يزالا كذلك يسكت هذا و يقرء هذا مراراً حتّى قرء عليّ عليه السلام :

« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ »

---

١ ـ جم الفرس جما وجما ماترك فلم يركب فعفى عن تعبه .

٢ ـ لفته يلفته لواه وصرفه عن رايه ومنه الالتفات والتلفت ق

فسكت ابن الكوا وعاد عليٌّ عليه السلام إلى قراءته.

و ذكر الطبري صاحب التاريخ أنّ عليّاً عليه السلام لما دخل الكوفة دخل معه كثير من الخوارج و تخلّف منهم بالنخيلة و غيرها خلق كثير لم يدخلوها ، فدخل حرقوص بن زهير السعدي و زرعة البرج الطائي وهما من رؤوس الخوارج على عليّ عليه السلام فقال له حرقوص : تب من خطيئتك و اخرج بنا إلى معاوية نجاهده ، فقال عليه السلام إنّي كنت نهيت عن الحكومة فأبيتم ثمّ الآن تجعلونها ذنباً أما أنّها ليست بمعصية و لكنّها عجز من الرّأي وضعف في التّدبير وقد نهيتكم عنه.

فقال زرعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرّجال لأقتلنك اطلب بذلك وجه الله و رضوانه ، فقال له عليّ عليه السلام: بؤساً لك ما أشقاك كأنّي بك قتيلا يسفي عليك الرّياح ، قال زرعة : وددت أنّه كان ذلك قال : و خرج عليّ عليه السلام يخطب فصاحوا به من جوانب المسجد لاحكم إلّا لله وصاح به رجل :

« وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » فقال عليٌّ عليه السلام : « فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ».

قال أبو العباس المبرّد: ويقال أوّل من حكم عروة بن اوّية، واوّية جدّة له جاهلية و هو عروة جدير أحد بني ربيعة ، وقال قوم أوّل من حكم رجل من بني محارب يقال له سعيد ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبدالله بن وهب الرّاسبي و أنّه امتنع عليهم و اومأ إلى غيره فلم يقنعوا إلّا به ، فكان امام القوم وكان يوصف برأي.

فامّا اوّل سيف سلّ من الخوارج فسيف عروة بن اوّية ، و ذاك أنّه أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنية ياأشعث و ما هذا التّحكيم أشرط أوثق من شرط الله عزّ وجل، ثمّ شهر عليه السّيف والأشعث مولّ فضرب به عجز بغلته.

قال أبوالعباس : و عروة هذا من النّفر الذين نجوا من حرب النّهروان فلم يزل باقيا مدّة من ايّام معاوية ثمّ أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكروعمر فقال خيراً،فقال له:فماتقول في أمير المؤمنين عثمان وفي أبي تراب «قال ظ»فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثمّ شهد عليه بالكفر و فعل في أمر عليّ عليه السلام مثل ذلك إلى أن حكم ثمّ شهد عليه بالكفر ثمّ سأله عن معاوية فسبه سبّا قبيحا ثمّ سأله عن نفسه فقال أوّلك لزينة و آخرك لدعوة وأنت بعدعاص لربّك فأمر به فضربت عنقه.

ثمّ دعا مولاه فقال:صف لي أموره قال: اطنب أم اختصر ، قال: بل اختصر،قال: ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط .

قال المبرّد: و سبب تسميتهم الحروري انّ عليّا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنّ هذه مكيدة ووهن ولو أنّهم قصدوا إلى حكم المصاحف لآتوني وسألوني التّحكيم أفتعلمون أنّ أحداً أكره على التحكيم منّي قالوا صدقت.

قال فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتكم فاشرطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء .و أنتم تعلمون أنّ حكم الله لا يعدوني ، قالوا : اللهمّ نعم، قال: وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكواوهذا من قبل أن يذبحوا عبدالله بن خباب و إنّما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسكر فقالوا له: حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأنّا كنّا كفرنا ولكن الآن تائبون فاقرّ بمثل ماأقررنا به وتب ننهض معك إلى الشام.

فقال : أما تعلمون أنّ الله قدأمر بالتّحكيم في شقاق بين الرّجل و امرأته فقال سبحانه :

« فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها »

وفي صيد أُصيب كارنب يساوي نصف درهم فقال:

«يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ»

فقالوا له : فانّ عمراً لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبدالله عليّ أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة و كتبت عليّ بن أبي طالب فقد خلعت نفسك

فقال عليه السلام: لي اسوة برسول الله حين أبى عليه سهل بن عمرو أن يكتب هذا ما كتبه محمّد رسول الله و سهيل بن عمرو، وقال لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك و لكني اُقدّمك لفضلك فاكتب محمّد بن عبدالله فقال لي: ياعلي امح رسول الله فقلت يا رسول الله لاتشجعني نفسي على محو اسمك من النّبوة قال: فقفني عليه فمحاه بيده، ثمّ قال اكتب محمّد بن عبدالله، ثمّ تبسّم إليّ وقال: إنك ستسام (أي تعامل) مثلها فتعطي.

فرجع معه عليه السلام منهم الفان من الحروراء، وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على ما نسمّيكم؟ ثمّ قال: أنتم الحروريّة لاجتماعكم بحروراء.

قال المبرّد: إنّ عليّا في أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجّهه إليهم و زياد بن نضر الحارثي مع عبدالله بن العباس فقال لصعصعة: بأيّ القوم رأيتم أشدّ إطاعة، فقال: بيزيد بن قيس الأرحبي، فركب إلى حزوراء فجعل يتخلّلهم حتّى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فاتكاء على قوسه واقبل على النّاس.

فقال هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة ثمّ كلّمهم وناشدهم، فقالوا إنّا أذنبنا ذنبا عظيماً بالتّحكيم وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعدلك، فقال عليّ عليه السلام : أنا استغفر الله من كلّ ذنب فرجعوا معه وهم ستّة ألف فلما استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّا رجع عن التّحكيم ورآه ضلالا، وقالوا : إنّما ينتظر أن يسمن الكراع و يجيء المال ثمّ ينهض بنا إلى الشّام.

فأتى الأشعث عليّاً فقال: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا ، و الاقامة عليها كفراً فقام عليّ عليه السلام فخطب فقال : من زعم أنّي

رجعت عن الحكومة فقد كذب و من رآها ضلالا فقد ضلّ فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت.

قال الشّارح المعتزلي : قلت كلّ فساد كان في خلافة عليّ عليه السلام وكلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث ولو لا محاقته أمير المؤمنين في معنى الحكومة في هذه المرة لم يكن حرب النهروان، و لكان أمير المؤمنين ينهض بهم إلى معاوية و يملك الشّام فانّه عليه السلام حاول أن يسلك معهم مسلك التّعريض والموارية وفي المثل النبويّ صلوات الله على قائله: الحرب خدعة.

و ذلك انّهم قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم كلمة مجملة مرسلة يقولها الأنبياء والمرسلون والمعصومون، وهي قوله: استغفر الله من كل ذنب فرضوا بها وعدوها اجابة لهم إلى سؤالهم، وصفت لهم نياتهم ، واستخلصت بها ضمايرهم من غير أن يتضمّن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب.

فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسراً و كاشفاً عن الحال و هاتكاً ستر التورية والكناية و مخرجا لها من مشكلة الاجمال إلى تفسيرها بما يفسد التّدبير و يوعر الصّدور، و يعيد الفتنة ، فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة فانتقض ما دبّره و عادت الخوارج إلى شبهها الأولى و راجعوا التّحكيم و هكذا الأوّل التي يظهر فيها أمارات الزّوال والانقضاء يتاح لها مثال الأشعث اولى الفساد في الأرض.

« سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً »

ثمّ قال: قال المبرّد: ثمّ مضى القوم إلى النهروان وقد كانوا أرادوا المضيّ إلى المداين فمن طريق أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مسلما و نصرانيا فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم ، و استوصوا بالنّصراني و قالوا احفظوا ذمة نبيّكم.

قال : ولقاهم عبدالله بن خباب في عنقه مصحف على حمار ومعه امرأة وهي حامل فقالوا له : إنّ هذا الذى في عنقك ليأمرنا بقتلك فقال لهم: ما أحياه القرآن فأحيوه

و ما اماته فأميتوه ؛ فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به، فلفظها تورّعا و عرض لرجل منهم خنزير فضربه وقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض و أنكروا قتل الخنزير.

ثمّ قالوا لابن خباب : حدّثنا عن أبيك ، فقال سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرّجل كما يموت بدنه يمسي مؤمناً و يصبح كافراً فكن عند الله المقتول ولاتكن القاتل ، قالوا : فما تقول في أبي بكر و عمر؟ فأثنى خيرا ، قالوا . فما تقول في عليّ قبل التّحكيم و في عثمان في السّنين الستّ الأخيرة؟ فأثنى خيراً قالوا: فما تقول في عليّ بعد التّحكيم والحكومة؟ قال: إنّ عليّا أعلم بالله وأشدّ توقيا على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا: إنّك لست تتّبع الهدى انما تتّبع الرّجال على أسمائهم ثمّ قرّبوه إلى شاطىء النهر فأضجعوه فذبحوه.

قال المبرّد : و ساوموا رجلا نصرانيّا بنخلة له فقال هي لكم ، فقالوا : ما كنا لنأخذها إلاّ بثمن، فقال : و اعجباه أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولاتقبلون جنا نخلة إلاّ بثمن.

قال أبوعبيدة : و استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل ابن خبّاب فأقرّوا به ؛ فقال، انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة ، فتكتبوا كتائب و أقرّت كلّ كتيبة بما أقرّت به الأخرى من قتل ابن خباب ، و قالوا : لنقتلنّك كما قتلناه ، فقال : و الله لو أقرّ أهل الدّنيا كلّهم بقتله هكذا و أنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال : شدّوا عليهم فأنا أوّل من يشدّ عليهم فحمل بذى الفقار حملة منكرة ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوج متنه ، ثمّ يخرج فيسوّيه بركبتيه ثمّ يحمل به حتّى أفناهم.

و روى قيس بن سعد بن عبادة أنّ عليّا عليه السلام لما انتهى إليهم قال لهم: اقيدونا بدم عبدالله بن خباب ، فقالوا : كلّنا قتله فقال عليه السلام : احملوا عليهم.

و روى مسلم الضّبّي أيضاً عن حبة العرني: قال لما انتهينا إليهم رمونا ،

فقلنا لعليّ: يا أمير المؤمنين قدرمونا، فقال: كفوا ثم رمونا فقال: كفوا، ثمّ الثالثة فقال: الآن طاب القتال احملوا عليهم.

و روى المحدّث العلامة المجلسي في البحار من كتاب الخرايج قال: روى عن جندب بن زهير الأزدي، قال: لما فارقت الخوارج عليّا خرج عليه السلام إليهم وخرجنا معه فانتهينا إلى عسكرهم فاذا لهم دويّ كدويّ النّحل في قراءة القرآن و فيهم أصحاب البرانس و ذو والثّفنات (١).

فلما رأيت ذلك دخلني شكّ و نزلت عن فرسي و ركزت رمحي ووضعت ترسي و نثرت عليه درعي و قمت أصلّي و أنا أقول في دعائي: اللّهم إن كان قتال هؤلاء القوم رضا لك فأرني من ذلك ما أعرف به أنّه الحقّ، و إن كان لك سخطا فاصرف عنّي إذ أقبل عليّ فنزل عن بغلة رسول الله و قام يصلّي إذ جائه رجل فقال: قطعوا النّهر، ثمّ جاء آخر يشدّ دابته فقال: قطعوه و ذهبوا، فقال أمير المؤمنين ما قطعوه ولايقطعونه و ليقتلنّ دون النّطفة عهد من الله و رسوله.

و قال لي يا جندب ترى الشّك؟ قلت: نعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدّثني أنّهم يقتلون عنده، ثم قال انا نبعث إليهم رسولا يدعوهم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه فيرشقون وجهه بالنّبل و هو مقتول، قال: فانتهينا إلى القوم فاذاهم في معسكرهم لم يبرحوا ولم يترحّلوا، فنادى النّاس و ضمّهم.

ثمّ أتى الصّف و هو يقول من يأخذ هذا المصحف و يمشي به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه وهو مقتول وله الجنّة فما أجابه احد إلّا شابّ من بني عامر بن صعصعة، فلما رأى عليه السلام حداثة سنّه قال له: ارجع إلى موقفك، ثمّ أعاد فما أجابه إلّا ذلك الشّاب.

قال خذه أما أنّك مقتول فمشى به حتّى إذا دنى من القوم حيث يسمعهم ناداهم إذ رموا وجهه بالنّبل، فأقبل علينا و وجهه كالقنفذ، فقال عليّ عليه السلام دونكم القوم فحملنا عليهم، قال جندب ذهب الشّك عنّي وقتلت بكفّي ثمانية.

١- الثفنة بالكسر من البعير ركبته ق.

و من كتاب المناقب لابن شهر آشوب لما دخل عليٌّ عليه السلام الكوفة جاء إليه زرعة بن البرج الطائي، و حرقوص بن زهير التميمي ذوالثدية، فقال لاحكم إلاالله فقال عليّ عليه السلام كلمة حقّ يراد بها باطل، قال حرقوص: فتب من خطيئتك و ارجع عن قصتك و اخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا، فقال عليّ عليه السلام قدأردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا و شروطا و أعطينا عليها عهودا و مواثيق، وقد قال الله تعالى:

« و أوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدْتُمْ »

فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب عنه فقال عليّ عليه السلام ما هو بذنب ولكنّه عجز من الرّأي و ضعف في العقل، و قد تقدّمت فنهيتكم عنه، فقال ابن الكواء: الآن صحّ عندنا أنّك لست بامام، ولوكنت إماما لما رجعت، فقال عليّ عليه السلام: ويلكم قدرجع رسول الله صلى الله عليه و آله عام الحديبيّة عن قتال أهل مكّة.

ففارقوا أمير المؤمنين و قالوا: لاحكم إلاّ لله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، و كانوا إثناعشر ألفاً من أهل الكوفة والبصرة و غيرهما، و نادى مناديهم أنّ أمير القتال شبث بن ربعي و أمير الصّلاة عبدالله بن الكوّا، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، و استعرضوا النّاس و قتلوا عبدالله بن خباب و كان عامله عليه السلام على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يابن عبّاس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ماهم عليه و لماذا اجتمعوا، فلما وصل إليهم قالوا: و يلك يابن عباس أكفرت بربّك كما كفر صاحبك عليٌّ بن أبي طالب. و خرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثّعلبي.

فقال ابن عبّاس: من بنا الاسلام؟ فقال: الله ورسوله، فقال النّبيُّ أحكم أموره و بيّن حدوده أم لا؟ قال بلى، قال: فالنّبيُّ بقي في دار الاسلام أم ارتحل؟ قال: بل ارتحل، قال: فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقى بعده؟ قال: بل بقيت، قال: فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟ قال: نعم الذّرية والصّحابة، قال: أفعمروها او خربوها؟

قال : بل عمروها ؟ قال : فالآن هي معمورة أم خراب ؟ قال : بل خراب ، قال: خربها ذريته أم أمّته ؟ قال: بل أمّته ، قال : أنت من الذرّية أو من الأمة ؟ قال: من الأمة ، قال : أنت من الأمّة و خربت دار الاسلام فكيف ترجو الجنّة ، و جرى بينهم كلام كثير.

فحضر أمير المؤمنين في مأة رجل ، فلما قابلهم خرج إليه ابن الكوا في مأة رجل ، فقال : انشدكم الله هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم إنّي أعلم بالقوم منكم و ذكر مقالة إلى أن قال فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه ، و إن أبيا فنحن منه براء .

فقالوا له : اخبرنا أترى عدلاً تحكيم الرّجال في الدّماء؟ فقال : إنا لسنا الرّجال حكمنا وإنما حكمنا القرآن ،والقرآن إنّما هو خط مستور بين دفتين لا ينطق إنّما يتكلّم به الرّجال.

قالوا : فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك و بينهم ؟ قال ليعلم الجاهل و يثبت العالم ، و لعلّ الله يصلح في هذه المدّة هذه الأمة ، و جرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع ، فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام راية أمان مع أبي ايّوب الأنصاري فناداهم أبو أيوب : من جاء إلى هذه الرّاية أو خرج من بين الجماعة فهو آمن ، فرجع منهم ثمانية آلاف ، فأمرهم أمير المؤمنين أن يتميّزوا منهم ، و أقام الباقون على الخلاف و قصدوا إلى نهروان ، فخطب أمير المؤمنين و استنفرّهم (١) فلم يجيبوه فتمثّل بقوله:

امرتكم امرى بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد

ثمّ استنفرهم فنفر ألفا رجل يقدمهم عديّ بن حاتم و هو يقول:

إلى شرّ خلق من شراة تخرّبوا و عادوا إله النّاس ربّ المشارق

فوجّه أمير المؤمنين نحوهم و كتب إليهم على يدي عبدالله بن أبي عقب و فيها :

١- اى استخفّه و اخرجه من داره واز عجه ق.

والسّعيد من سعدت به رغبته ، والشّقي من شقيت به رغبته ، و خير النّـاس خيرهم لنفسه ، و شرّ النّاس شرّهم لنفسه ، ليس بين الله و بين أحد قرابة

« وَ كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »

فلما أتاهم أميرالمؤمنين عليه السلام فاستعطفهم فأبوا إلاّ قتاله و تنادوا أن دعوا مخاطبة عليّ عليه السلام و أصحابه ، و بادروا الجنّة و صاحوا : الرّواح الرّواح إلى الجنّة و أميرالمؤمنين يؤبى أصحابه و نهاهم أن يتقدّم إليهم أحد ، فكان أوّل من خرج أخنس بن العزيز الطائي و جعل يقول:

ثمانون من حى جديلة(١) اقتلوا — على النهر كانوا يخصبون العواليا
ينادون لا لاحكم إلاّ لربّنـا — حنانيك فاغفر حوبنا والمسائيا
هم فارقوا من جاز في الله حكمه — فكلّ على الرحمن أصبح ثاويا

فقتله أميرالمؤمنين عليه السلام و خرج عبدالله بن وهب الرّاسبى يقول:

انا ابن وهب الرّاسبى الشّارى — أضرب في القوم لأخذ الثّار
حتّى تزول دولة الأشرار — و يرجع الحقّ إلى الأخيار

و خرج مالك بن الوضّاح و قال:

انّى لبايع ما يفنى بباقيه — ولا أريد لدى الهيجاء تربيصاً (٢)

و خرج أميرالمؤمنين والوضاح بن الوضاح من جانب ، و ابن عمه حرقوص من جانب فقتل الوضاح و ضرب ضربة على رأس الحرقوص فقطعه و وقع رأس سيفه على الفرس فشرد و رجله في الرّكاب حتّى أوقعه في دولاب خراب فصارت الحروريّة:

« كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يَوْمٍ عاصِفٍ »

١ـ القبيلة،ق

٢ـ التربيص الانتظار

فكان (١) المقتولون من أصحاب عليّ زوبة بن وبر البجلي ، و رفاعة بن وابل الأرجي والفياض بن خليل الازدي ، و كيسوم بن سلمة الجهني و حبيب بن عاصم الأزدي إلى تمام تسعة و انفلت من الخوارج تسعة و كان ذلك لتسع خلون من صفر سنة ثمان و ثلاثين (٢).

و من كتاب كشف الغمّة قال : قال ابن طلحة لمّا عاد أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة بعد إقامة الحكمين أقام ينتظر انقضاء المدّة التي بينه و بين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والمحاربة إذا انخزلت طائفة من خاصّة أصحابه في أربعة آلاف فارس وهم العباد والنساك ، فخرجوا من الكوفة و خالفوا عليّا عليه السلام ، و قالوا : لاحكم إلاّ لله ولا طاعة لمن عصى الله ، و انحاز نيف عن ثمانية آلاف ممّن يرى رأيهم فصاروا اثناعشر ألفا ، و ساروا الى أن نزلوا الحروراء ، و أمّروا عليهم عبدالله ابن الكوا .

فدعا عليٌّ عليه السلام عبدالله بن عبّاس فأرسله إليهم فحاجّهم فلم يرتدعوا ، و قالوا : ليخرج الينا عليٌّ عليه السلام بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه ، فرجع ابن عبّاس فأخبره فركب في جماعة ومضى إليهم فركب ابن الكوّا في جماعة منهم ، فوافقه.

فقال له علي عليه السلام : يابن الكوّا إنّ الكلام كثير فابرز إليّ من أصحابك

١ـ وفى مناقب ابن شهرآشوب قال الاعثم المقتولون من اصحاب اميرالمؤمنين روبية بن وبر العجلى وسعدبن خالدالسبيعى وعبدالله بن حماد الارحبى والفياض بن خليل الازدى و كيسوم ابن سلمة الجهنى وعبيدبن عبيدالخولانى وجميع بن جشم الكندى وضب بن عاصم الاسدى' انتهى

أقول وهؤلاء ثمانية و سقط التاسع من قلم الراوى أو الكاتب منه.

٢ـ هكذا فى نسخة البحار والظاهر انه غلط والصحيح تسع وثلاثين اذقد مضى فى شرح الخطبة السابقة ان مانع المصالحة فى صفين كان تسعا وثلاثين و وقعة النهروان كانت بعدها والله العالم منه .

لاكلمك فقال : وأنا آمن من سيفك ؟ فقال: نعم فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له: عن الحرب مع معاوية و ذكر له رفع المصاحف على الرّماح و أمر الحكمين ، فقال : ألم أقل لكم إن أهل الشّام يخدعونكم بها ، فانّ الحرب قد عضّتهم فذرونى أناجزهم فأبيتم ، ألم أرد نصب ابن عمّي وقلت إنّه لاينخدع فأبيتم إلاّ أباموسى وقلتم رضينا به حكما ، فأجبتكم كارهاً ، ولو وجدت في ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتكم ، و شرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته و السّنّة الجامعة و أنّهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما عليّ كان ذلك ، أولم يكن؟

قال ابن الكوّا : صدقت كان هذا كلّه فلم لانرجع الآن إلى حرب القوم ؟ فقال : حتّى ينقضي المدّة التي بيننا وبينهم؛ قال ابن الكوّا : وأنت مجمع على ذلك ، قال : نعم لايسعني غيره ، فعاد ابن الكوا والعشرة الذين معه إلى أصحاب عليّ عليه السلام راجعين عن دين الخوارج و تفرّق الباقون وهم يقولون ؛ لاحكم إلاّ لله و أمّروا عليهم عبدالله بن واهب الرّاسبي و حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذى الثّدية وعسكروا بالنّهروان .

و خرج عليّ حتّى بقي على فرسخين منهم و كاتبهم وراسلهم فلم يرتدعوا فاركب إليهم ابن عبّاس و قال : سلهم ما الذي نقموه و أنا ردفك فلاتخف منهم ، فلماجائهم ابن عبّاس قال: ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفرناه بها، و عليّ عليه السلام و رائه يسمع ذلك، فقال : ياأمير المؤمنين قدسمعت كلامهم و أنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم و قال : أيّها النّاس أنا عليّ بن أبي طالب فتكلّموا بما نقمتم عليّ.

قالوا : نقمنا عليك أوّلا إنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة فلمّا أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم و منعتنا النّساء والذرّية فكيف حلّ لنا ما في العسكر و لم يحلّ لنا النّساء؟

فقال لهم: يا هؤلاء إنّ أهل البصرة قاتلونا و بدؤونا بالقتال فلمّا ظفرتم أقسمتم

سلب من قاتلكم و منعتكم من النّساء والذرّية فانّ النساء لم يقاتلن والذرّية ولدوا على الفطرة ولم ينكثوا ولاذنب لهم، ولقد رأيت رسول الله منّ على المشركين فلا تعجبوا أن مننت على المسلمين فلم أسب نسائهم ولاذرّيتهم.

و قالوا : نقمنا عليك يوم صفّين كونك محوت اسمك من امرة المؤمنين فاذن لم تكن أميرنا فلانطيعك ولست أميراً لنا.

قال : يا هؤلاء إنّما اقتديت برسول الله حين صالح سهيل بن عمرو و قد تقدّمت (١).

قالوا : فانّا نقمنا عليك أنّك قلت للحكمين : انظرا كتاب الله فان كنت أفضل من معاوية فاثبتانى في الخلافة فاذا كنت شاكّا في نفسك فنحن فيك أشدّ و أعظم شكّا.

فقال : إنّما أردت بذلك النّصفة فانّى لو قلت : احكما لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل ، ولو قال النّبيّ لنصارى نجران لما قدموا عليه تعالوا نبتهل ثمّ اجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا ، ولكن انصفهم من نفسه كما أمره الله فقال :

« فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ »

فأنصفهم من نفسه فكذلك فعلت أنا و لم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعة أبي موسى.

قالوا : فانّا نقمنا عليك أنك حكّمت حكما في حقّ هو لك فقال : إنّ رسول الله حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة و لو شاء لم يفعل ، وأنا اقتديت به فهل بقى عندكم شيء؟ فسكتوا و صاح جماعة منهم من كلّ جانب : التّوبة التّوبة يا أمير المؤمنين و استأمن إليه ثمانية آلاف و بقي على حربه أربعة آلاف ، فأمر المستأمنين بالاعتزال عنهم في ذلك الوقت ، و تقدّم بأصحابه حتّى دنى منهم.

و تقدّم عبدالله بن وهب و ذو الثّدية حرقوص و قالا مانريد بقتالنا إيّاك

١- اى قصة مصالحة سهيل بن عمرو وهو صلح الحديبية منه.

إلاّ وجه الله والدّار الآخرة، فقال ﷺ:

«هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ألَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيوةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»

ثمّ التحم القتال بين الفريقين، و استعرّ الحرب بلظاها و اسفرت عن زرقة صبحها و حمرة ضحاها، فتجادلوا و تجالدوا بالسنة رماحها و حداد ظباها (١) فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائي و كان شهد صفّين مع عليّ ﷺ فحمل و شقّ الصّفوف يطلبه ﷺ فبدره عليٌّ بضربة فقتله.

فحمل ذوالثّدية ليضرب عليّا فسبقه عليٌّ ﷺ و ضربه ففلق البيضة و رأسه فحمله فرسه وهو لما به فألقاه في آخر المعركة في جرف دالية على شط النهروان، و خرج من بعده ابن عمّه مالك بن الوضاح و حمل على عليّ فضربه فقتله.

و تقدّم عبدالله بن وهب الرّاسبي فصاح يابن أبي طالب والله لانبرح من هذه المعركة حتّى تأتي على أنفسنا أو ناتي على نفسك فابرز إليّ و أبرز إليك و ذر الناس جانبا، فلماسمع عليٌّ ﷺ كلامه تبسّم و قال: قاتله الله من رجل ما أقلّ حياؤه أما أنّه ليعلم أ لحليف السّيف و خدين (٣) الرّمح و لكنّه قديئس من الحياة، و أنّه ليطمع طمعا كاذبا ثمّ حمل على عليّ، فحمله عليٌّ عليه السلام فضربه و قتله وألحقه بأصحابه القتلى.

واختلطوا فلم تكن إلاّ ساعة حتّى قتلوا بأجمعهم و كانوا أربعة آلاف، فما أفلت منهم إلاّ تسعة أنفس: رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان و بها نسلهما و رجلان صارا إلى بلاد عمّان وفيها نسلهما و رجلان صارا إلى اليمن فبها نسلهما، وهم الاباضية، و رجلان

١- ظبا كهدى جمع ظبة حدّ سيف اوسنان ق.

٢- الخدين الصديق لغة.

صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن (١) و البوازيخ و إلى شاطي الفرات و صار آخر إلى تلّ موزون.

و غنم أصحاب علي غنايم كثيرة ، و قتل من أصحاب عليّ تسعة بعدد من سلم من الخوارج ، وهي من جملة كرامات عليّ عليه السلام فانّه قال نقتلهم ولا يقتل منّا عشرة ولا يسلم منهم عشرة ، فلما قتلوا قال عليّ عليه السلام التمسوا المخدج (٢) فالتمسوه فلم يجدوه فقام عليٌّ عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض فقال أخّروهم فوجدوه ممّا يلي الأرض فكبّر عليٌّ عليه السلام و قال صدق الله و بلغ رسوله.

قال أبوالوضيئى فكأنّى أنظر إليه حبشى عليه قريطق إحدى يديه مثل ثدى المرأة عليها شعرات مثل شعر ذنب اليربوع ، و هذا أبوالوضيئى هو عباد بن نسيب القيسى تابعي يروي عنه هذا القول أبوداود .

و في كتاب المناقب لابن شهر آشوب عن أبي نعيم الاصفهاني عن سفيان الثوري إنّ أمير المؤمنين أمر أن يفتش على المخدج بين القتلى فلم يجدوه فقال رجل : والله ما هو فيهم فقال عليٌّ عليه السلام ما كذبت ولا كذبت.

و عن تاريخ الطبري و ابانة بن بطة و مسند أحمد عن عبدالله بن أبي رافع و أبي موسى الوابلي و جندب و أبي الوضيئي واللفظ له قال عليٌّ عليه السلام اطلبوا المخدج فقالوا : لم نجده فقال والله ما كذبت ولا كذبت يا عجلان ايتيني ببغلة رسول الله ، فأتاه بالبغلة فركبها وجال في القتلى ثمّ قال: اطلبوه ههنا، قال : فاستخرجوه من تحت القتلي في نهروطين.

و عن تاريخ القمي أنّه رجل أسود عليه شعرات عليه قريطق (٣) مخدج اليد أحد ثدييه كثدى المرئة عليه شعيرات مثل مايكون على ذنب اليربوع.

١ـ السن جبل بالمدينة وموضع بالراى وبلد على دجلة وبوازيخ بلد قريب تكريت ق.

٢ـ رجل مخدج اليد ناقصها ق .

٣ـ فى حديث منصور جاء الغلام وعليه قرطق ابيض اى قباء وهو تعريب كرته. وقد يضم طاؤه وابدال القاف من الهاء في الاسماء المعربة كثير ومنه حديث الخوارج

و عن أبي داود بن بطة انّه قال عليّ من يعرف هذا؟ فلم يعرفه أحد قال رجل أنا رأيت هذا بالحيرة فقلت : إلى أين تريد؟ فقال إلى هذه و أشار إلى الكوفة ومالى بهذا معرفة فقال عليٌّ عليه السلام : صدق هو من الجانّ و في رواية هو من الجنّ.

و في رواية أحمد قال أبوالوضي : لايأتينّكم أحد يخبركم من أبوه ، قال : فجعل النّاس يقول: هذا ملك هذاملك و يقول علي :ابن من.

و في مسند الموصلي في حديث : من قال من النّاس أنّه رآه قبل مصرعه فهو كاذب.

و في مسند أحمد عن أبي الوضي أنّه قال عليٌّ عليه السلام: أما ان خليلى أخبرنى بثلاثة اخوة من الجنّ هذا أكبرهم ، والثّانى له جمع كثير والثالث فيه ضعف .

و في شرح المعتزلي عن ابن ويزيل عن الأعمش عن زيدبن وهب قال : لمّا شجرهم عليٌّ عليه السلام بالرّماح قال : اطلبواذاالثّدية فطلبوه طلباً شديداً حتّى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى ، فاتى به و إذارجل على يديه مثل سبلات السّنور ؛ فكبرّ عليٌّ عليه السلام و كبرّ النّاس معه سروراً بذلك.

و عن ابن ويزيل أيضاً عن مسلم الضبي عن حبة العرني قال : كان رجلا أسود منتن الرّيح له يد كثدي المراة إذامدّت كانت بطول اليد الأخرى، و إذا تركت اجتمعت و تقلّصت و صارت كثدى المرأة عليه شعرات مثل شوارب الهرّة ، فلما وجدوه قطعوا يده و نصبوها على رمح ، ثمّ جعل عليٌّ يقول صدق الله و بلغ رسوله ، ولم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر الى أن غربت الشّمس أو كادت.

و عن العوام بن الحوشب ، عن أبيه ، عن جدّه يزيدبن رويم ، قال : قال عليٌّ عليه السلام يقتل اليومَ أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذوالثّدية ، فلما طحن القوم ورام استخراج ذى الثّدية فأتعبه ، أمرنى أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، فركب بغلة رسول الله و قال اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة ، فلم يزل كذلك و أنا بين يديه و هو راكب خلفي والنّاس يتّبعونه حتّى بقيت في يدي واحدة فنظرت وإذا وجهه أربد، و اذا

كانى انظر اليه حبشي عليه قريطق هو تصغير قرطق نهاية ٠

هو يقول : والله ما كذبت ولاكذبت فاذا حزير (١) ماء عند موضع دالية ، فقال : فتّش هذا ، ففتشته فاذا قتيل قدصار في الماء و اذا رجله في يدي فجذ بتها، و قلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الأُخرى و جررناه حتّى صارعلى التّراب ، فاذا هوالمخدج فكبرّ عليّ بأعلى صوته ثمّ سجد فكبرّ النّاس كلّهم هذا.

و بقيّة الكلام في اقتصاص وقعة الخوارج تأتى إن شاءالله عند شرح بعض الخطب الآتية المسوقة لهذاالغرض والله الموفق والمعين .

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن سرور أولياء عليه وآله آلاف التّحية و الثّناست در ترسانيدن أهل نهروان كه ميفرمايد:

پس من ترسانندهٔ شما هستم از اينكه صباح نمائيد جان داده و افتاده در اثناى اين‌جوى ودرزمينهاى همواز اين كودال در حالتيكه هيچ حجة شرعيّه‌نبوده باشد شما را از جانب پروردگار خود در خروج و نه برهان عقلى باشد باشمادر ارتكاب اين امر ، بتحقيق كه متحير و سرگشته ساخت يا اينكه بورطهٔ هلاكت انداخت شمارا دنياى فانى و در حباله و دام واقع نمود شما را قضا و قدر ربانى و بتحقيق كه بودم نهى كردم شما را از اين حكومت حكمين پس ابا و امتناع كرديد بر من مثل ابا كردن مخالفان و شكنندكان پيمان تا اينكه صرف نمودم راى خود را بميل و خواهش شما و حال آنكه شما جماعتى هستيد سبك مغز و شوريده عقل نياوردم من بشما حادثهٔ و داهيهٔ را پدر مباد شما را ، و اراده نكردم در حقّ شما شر و ضرر را بلكه جزاى سوء تدبير خودتان است كه مى بريد.

١ـ الحزير صوت الماء والريح

و من كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة وهو السابع والثلاثون من المختار فى باب الخطب

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، و تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، و نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، و مَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا، و كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وأَعْلاَهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

اللغة

(فشل) كفرح فهو فشل ضعف و كسل و تراخى و جبن و (التّطلع) هو الاشراف من عال و تطلعه أشرف عليه و علم بهو (التّقبع) التّقبض يقال قبع القنفذ

أدخل رأسه في جلده، وقبع الرّجل في قميصه دخل و تخلّف عن أصحابه و (التّعتعة) في الكلام التّردّد والاضطراب فيه من حصر أوعيّ و (الفوت) السّبقة يقال فاته فلان بذراع سبقه بها و منه يقال افتات فلان افتياتا اذا سبق بفعل شيء و(استبدّ) برأيه و استبدّ بالشّيء استقلّ به و انفرد.

و (الرّهان) إما جمع الرّهن كالرّهون والرّهن و هو ما يوضع عندك لينوب مناب ما يؤخذ منك، او مصدر كالمراهنة يقال راهنت فلانا على كذا رهانا وتراهن القوم اخرج كلّ واحد رهنا ليفوز السّابق بالجميع اذا غلب ، والثانى هو الأظهر و عليه فالمراد به ما يرهن و يستبق عليه.

و (القواصف) جمع القاصف يقال قصفت الرّيح العود قصفا فانقصف مثل كسرته فانكسر و زناً و معناً و (العواصف) جمع العاصف يقال عصفت الرّيح عصفا اشتدّت فهي عاصف و عاصفة ، والأولى يجمع على العواصف والثّانية على العاصفات صرّح به الفيومى في المصباح و (المهمز) و (المغمز) المطعن اسم مكان من الهمز والغمز يقال همزه همزاً اعتابه في غيبته وغمزه غمزاً اشار إليه بعين أو حاجب ، و ليس فيه مغمزة ولا غميزة أى عيب.

الاعراب

صوتا وفوتا منصوبان على التّميز، والباء في بعنانها للاستعانة و في قوله برهانها للصّلة ، و يحتمل كونها بمعنى في فلابدّ حينئذ من ابقاء الرّهان على معناه المصدري فيكون المعنى انفردت من الأقران في مقام المراهنة والرّهان ، و جملة لاتحرّكه القواصف كالجملات التي بعدها منصوبة المحلّ على الحاليّة؛ وقوله : حتّى اخذ بنصب المضارع بنفس حتّى كما يقوله الكوفيّون ، أو بأن مضمرة نظراً إلى أن حتّى خافضة للأسماء و ما تعمل في الأسماء لاتعمل في الأفعال ، وكذا العكس.

المعنى

اعلم انّ المستفاد من شرح المعتزلي هو أنّ هذا الكلام له فصول أربعة يلتقطه من كلام طويل له قاله بعد وقعة النّهروان مشتمل على وصف حاله منذ توفّي

رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقته ، فجعل السيد (ره) ما التقطه سرداً فصار عند السامع كانه يقصد به مقصداً و احداً.

فالفصل الاول

مشتمل على ذكر مناقبه الجميلة الممتاز بها عن غيره و هو قوله : (فقمت بالأمر حين فشلوا) والمراد به قيامه عليه السلام بتشييد أمر الدين و تأسيس أساس اليقين و ترويج سنة سيد المرسلين في الحروب والخطوب حين ضعف عنه ساير أصحابه صلوات الله عليه ، وفشلوا و جبنوا و كسلوا و كان ذلك دأبه و ديدنه في زمن الرسول و بعده.

و قال الشارح المعتزلي : الاشارة بذلك الفصل إلى قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان و كون المهاجرين كلهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به و ينهاه عنه ، فمعنى قمت بالأمر قيامه عليه السلام بالنهي عن المنكر حين فشل أصحاب محمد انتهى.

والأظهر هو ما ذكرنا إلا أن يكون في بيان الذي أسقطه السيد (ره) من كلامه قرينة على ما ذكره الشارح عثر عليه هو و لم يعثر عليه بعد (و تطلعت حين تقبعوا) اى اشرفت على حقايق المعقولات و دقايق المحسوسات واطلعت عليها حين قصر عنه ساير الأصحاب فحصل لي التطاول فيها ولهم القصور (و نطقت حين تعتعوا) أراد به تكلمه في الأحكام المشكلة والمسائل المفصلة و غيرها بكلام واف بالمراد كاف في أداء المقصود مطابق لمقتضى الحال والمقام على ما كان يقتضيه ملكة الفصاحة والبلاغة التي كانت فيه ، و أما غيره عليه السلام فقد عييوا به و عجزوا من أدائه و اضطربوا فيه ولم يهتدوا الوجهه وطرقه.

(و مضيت بنور الله حين وقفوا) حايرين بايرين جاهلين مفتونين، والمراد بنور الله هو علم الامامة المتلقى من منبع النبوة والرسالة و إليه الاشارة بآية النور على ما رواه في البحار من جامع الأخبار باسناده عن فضيل بن يسار قال :

قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام : «أَللّٰهُ نُورُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ» قال عليه السلام

كذلك قال الله عزّ وجلّ قلت «مَثَلُ نُورِهِ» قال لي محمّد ﷺ قلت «كَمِشْكوةٍ» قال صدر محمّد قلت «فِيها مِصْباحٌ» قال فيه نور العلم يعني النّبوّة قلت «ٱلمِصْباحُ في زُجاجَةٍ» قال علم رسول الله صدر إلى قلب عليّ قلت «كَأَنَّها» قال لأيّ شيْءٍ تقرء كأنّها؟ قلت فكيف جعلت فداك؟ قال كأنّه «كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» قلت «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ ولاَ غَرْبِيَّةٍ» قال ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب لا يهوديّ ولا نصراني قلت «يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ» قال يكاد العلم يخرج من فم آل محمّد من قبل أن ينطق به قلت «نُورٌ عَلى نُورٍ» قال الإمام على أثر الإمام.

(وكنت أخفضهم صوتا) لأنّ خفض الصوت دليل الدّعة والاستكانة والتّواضع ودفع الصّوت علامة الجلافة والتّكبّر والتجبّر وقد كان مشركو العرب يتفاخرون بالأصوات الرافعة فوبّخهم الله بما حكاه من وصيّة لقمان لابنه بقوله:

«وَاقْصُدْ في مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ».

هذا كلّه مضافا إلى أنّ السكوت وخفض الصّوت في الحروب دليل العزم والثّبات والقوة ورفعه علامة الضّعف والجبن كماقال ؑ في بعض كلماته السابقة: وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل ولسنا نرعد حتّى نوقع، ولانسيل

حتّى نمطر.

و لما كان الخفض علامة القوّة و عدم المبالات حسن إردافه بقوله (وأعلاهم فوتا) إذ لاشكّ أنّ من كان أشدّ ثباتا و قوّة كان أشدّ تقدّما و سبقة إلى مراتب الكمال و السّعادة حائزاً قصب السّبق في مضمار البراعة (فطرت بعنانها و استبددت برهانها) الضّميران راجعان إلى الفضايل النّفسانية و الكمالات المعنويّة و ان لم يجرلها ذكر لفظيّ في الكتاب.

قال الشّارح البحراني: استعار ههنا لفظ الطيران للسّبق العقلي لما يشتركان فيه من معنى السّرعة و استعار لفظي العنان و الرّهان الّذين هما من متعلّقات الخيل للفضيلة التي استكملها نفسه تشبيها لها مع فضايل نفوسهم بخيل الجلبة و وجه المشابهة أن الصّحابة لما كانوا يقتنون الفضايل و يستبقون بها إلى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت فضايلهم الّتي عليها يستبقون كخيل الرّهان، و لما كانت فضيلته أكمل فضايلهم و أتمّها كانت بالنّسبة إلى فضايلهم كالفرس لايشقّ غباره فحسن منه أن يستعير لسبقه بها لفظ الطيران و يجرى عليها لفظ العنان والرّهان

و الفصل الثاني

مشتمل على ذكر حاله في زمن الخلافة و حين انتهائها إليه عليه السلام يقول كنت لما وليت الأمر (كالجبل) العظيم في الثّبات على الحقّ و الوقوف على القانون العدل فكما (لاتحرّكه) الرّياح (القواصف) عن مكانه (ولاتزيله) الزّعازع (العواصف) عن مقامه فكذلك أنا لا يحرّكني عن سواء السّبيل و عن الصّراط المستقيم مراعاة هوى النّاس و متابعة طباعهم المايلة إلى خلاف ما يقتضيه السّنة النّبويّة و الأوامر الالهيّة.

و حاصله أنّه لايأخذني في الله لومة لايم (ليس لأحد في مهمز ولا لقائل في مغمز) أى لايسع لأحد أن يعيب عليّ و يطعن فيّ في الغيبة و الحضور في شيء من الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام كما عابوا على من كان قبلى من المتخلّفين لأحداث

وقعت منهم و جراير صدرت عنهم (الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له) ممّن ظلم في حقّه (والقويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه) و أنتصفه للمظلوم.

والفصل الثالث

مشتمل على الرّضا بالقضا و تسليم الأمر لله سبحانه و تعالى، لمّا تفرّس في طائفة من قومه أنّهم يتّهمونه بالكذب فيما يخبرهم به من الغيوبات والملاحم الواقعة في القرون المستقبلة كما يأتى شطر منها في شرح كلامه السّادس والخمسين، و يأتي في تلك الأخبار أنّ بعضهم واجهه بالشّك والتّهمة فعند ذلك قال: (رضينا عن الله قضائه و سلّمنا له أمره) و ذلك لأنّه لمّا كان القضاء الآلهي قدجري على قوم بالتّكذيب له والتّهمة فيما يقول لاجرم كان أولى بلزوم باب الرّضا والتّسليم إلى الله فيماجرى عليه قلم القضاء، ثمّ ابطل أوهامهم على سبيل الاستفهام الانكارى الابطالي و قال: (أتراني) الخطاب لكلّ من أساء الظنّ في حقّه (أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله) و كيف لي بذلك (فوالله لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه)

الفصل الرابع

يذكر فيه حاله بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّه قد عهده النّبيّ بعدم المنازعة في الأمر و أوصى له بطلبه بالرفق والمداراة فان حصل له و إلاّ فليمسك عنه و ليحقن دمه كما قال: (فنظرت في أمرى) اى أمر الخلافة التي هى حقّ لى (فاذا طاعتى قدسبقت بيعتى) أى وجوب طاعتى لرسول الله فيما أمرني به من ترك القتال عندعدم الأعوان قدسبق على بيعتى للقوم فلا سبيل لي إلى الامتناع (وإذا الميثاق في عنقى لغيرى) اى ميثاق الرّسول و عهده إليّ بترك الشّقاق والمنازعة فلم يحلّ لي أن أتعدّى أمره، أوأخالف نهيه.

وينبغي التنبيه على أمرين

الاول قال الشّارح المعتزلي بعد شرح الفصل الأخير من كلامه عليه السلام على نحو ما شرحناه: فان قيل: فهذا تصريح بمذهب الاماميّة.

قيل : ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديّين لأنّهم يزعمون أنّه الأفضل والأحقّ بالامامة و أنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من الأصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدّم عليه هالكاً ، فرسول الله صلّى الله عليه وآله أعلمه أنّ الامامة حقه و أنّه أولى بها من النّاس أجمعين و أعلمه أنّ في تقديم غيره و صبره على التأخّر عنها مصلحة للدّين راجعة إلى المكلّفين ، و أنّه يجب عليه أن يمسك عن طلبها و يغضي عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله و لم يحرجه تقدّم من تقدّم عليه من كونه الأفضل و الأولى و الأحقّ .

ثمّ قال : وقد صرّح شيخنا أبوالقاسم البلخي بهذا و صرّح به تلامذته وقالوا: لونازع عقيب وفات رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ، و لكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها ، و إذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها و حكمه في ذلك حكم رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصّحيحة أنّه قال عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار ، و قال صلّى الله عليه وآله له غير مرّة: حربك حربي و سلمك سلمي و هذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي و به أقول انتهى كلامه.

أقول : ما ذكره هنا ملخّص ما ذكره في شرح الخطبة الشّقشقيّة و قد نقلنا كلامه في المقدّمة الثّانية من مقدّمات تلك الخطبة ،و ذكرناهنالك ما يتوجّه عليه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

و نقول ههنا مضافا إلى ما سبق هناك : أن تقدّم غيره عليه إمّا أن يكون بفعل الله سبحانه و فعل رسوله ، و إمّا أن لايكون بفعلهما بل تقدّم الغير بنفسه لاعتقاده أنّه أحقّ بها منه عليه السلام ، أو قدّمه من ساير الصّحابة والمكلّفين إمّا بهوى أنفسهم أو رعاية المصلحة العامّة.

أمّا الأوّل ففيه أولا أنّهم لايقولون به ، لاتّفاقهم على عدم النّصّ من الله

و من رسوله في باب الامامة وثانيا أنّه لو كان ذلك بفعلهما لم يكن لتشكّيه من القوم وجه و لما نسبهم إلى التّظليم و لما كان يقول مدّة عمره والله ما زلت مظلوما مدفوعا عن حقّي مستأثراً عليّ منذ قبض الله رسوله و لكان الواجب أن يعذرهم في ذلك وثالثاً أنّ تقديم المفضول على الفاضل والأفضل قبيح عقلاً وبنصّ القرآن قال سبحانه:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَىٰ» الآية وقال أيضاً: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ».

و مع كونه قبيحا كيف يمكن صدوره من الله سبحانه أو من رسوله.

فان قلت: تقديم المفضول إذا كان لمصلحة الدّين راجعة إلى المكلّفين فلا نسلّم قبحه

قلت: بعد تسليم الصّغرى أوّلا و تسليم كون الحسن والقبح في الأشياء مختلفا بالوجوه والاعتبارات ثانيا إنّ أمير المؤمنين إذا كان عالماً بالمصلحة في تقدّم الغير على ما صرّح به من أنّ رسول الله أعلمه به، كان اللازم حينئذ له السّكوت؛ إذ المعلوم بالضّرورة من حاله أنّ طلبه للخلافة لم يكن للدّنيا و حرصا على الملك، بل إنّما كان غرضه بذلك حصول نظام الدّين و انتظام أمر المكلّفين و إقامة الحقّ و إزاحة الباطل، كما صرّح عليه السلام به في قوله في الخطبة الثّالثة والثّلاثين، والله لهي أحبّ إليّ من أمارتكم هذه إلاّ أن أقيم حقّا أو أدفع باطلا، فاذا كان حصول هذا النّظام والانتظام و صلاح المكلّفين بتقدّم الغير لابدّ و أن يكون مشعوفاً به و راضيا بذلك أشدّ الرّضا لا شاكيا و مظهراً للتظلّم و الشّكوى كما مرّ في الخطبة الشّقشقيّة، و في قوله في الخطبة السّادسة و العشرين فنظرت فاذاً ليس لي معين اه.

و أمّا الثّاني و هو أنّ تقدّم الغير عليه إنّما كان لزعم الغير أنّه أحقّ بها

منه عليه السلام ففيه أنّ الأمر إذا دار بين متابعة راى الأفضل و متابعة رأى المفضول كان اللاّزم ترجيح الأوّل على الثّاني دون العكس و هو واضح.

و أمّا الثّالث و هو أنّ التّقدّم كان بتقديم المكلّفين بمقتضا هوى أنفسهم الأمّارة بالسّوء و لما كان في صدورهم من الحسد والسّخايم فهو الحقّ و الصّواب من دون شكّ فيه و ارتياب.

و لنعم ما قال أبوزيد النّحوي الخليل بن أحمد حين سئل عنه ما بال أصحاب رسول‌الله كأنّهم بنو أمّ واحدة و عليّ عليه السلام كأنّه ابن علة (١)؟ قال تقدّمهم إسلاما و بذّهم شرفا وفاقهم علما و رجهم حلما و كثرهم هدى فحسدوه والنّاس إلى أمثالهم و أشكالهم أميل.

و قال ابن عمر لعليّ عليه السلام كيف تحبّك قريش وقد قتلت في يوم بدر واحد من ساداتهم سبعين سيداً تشرب انوفهم الماء قبل شفاههم؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما تركت بدر لنا مذيقا (٢) ولا لنا من خلفنا طريقا.

و سئل زين العابدين عليه السلام و ابن عباس أيضاً لم أبغضت قريش عليّا؟ قال: لأنه أورد أوّلهم النّار و آخرهم العار.

و قال أبوزيد النّحوي: سألت الخليل بن أحمد العروضي لم هجر النّاس عليّاً و قرباه من رسول‌الله صلى الله عليه وآله قرباه و موضعه من المسلمين موضعه و عناؤه فى الاسلام عناؤه، فقال: بهر والله نوره أنوارهم و غلبهم على صفو كلّ منهل، و النّاس إلى أشكالهم أميل أما سمعت الأوّل حيث يقول:

و كلّ شكل لشكله ألف | أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال: و أنشد الرّياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

و قائل كيف تهاجرتما | فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلي فهاجرته | والنّاس أشكال و آلاف

١- اولاد العلاء الذين ابوهم و احد امّهاتهم مختلفة، نهاية.

٢- اللّبن الممزوج بالماء.

و أمّا الرّابع ففيه أنّ التّقديم إمّا أنّه كان بفعل جميع المكلّفين أوبفعل البعض والاول ممنوع لما قدعرفت في شرح الخطبة الشّقشقية من تخلّف وجوه الصّحابةعن البيعة و عرفت هناك أيضاً قول الشّارح بأنّه لولا عمر لم يثبت لأبي بكر أمر ولاقامت له قائمة والثاني لاحجيّة فيه ، هذا مضافا إلى أنّه كيف يمكن أن يخفى عليه ﷺ مالم يخف على غيره من وجوه المصلحةالتّي لاحظوهافي التّقديم على زعمك ، إذ قدذكرنا أنّه لوعلم المصلحة في ذلك لسكت ولم يتظلّم.

فان قيل : انّ هذايجري مجرى امرأة لهااخوة كباروصغار فتولّى أمرهاالصغار في التزويج فانّه لابدّ أن يستوحش الكبار و يتشكّوا من ذلك.

قيل : إنّ الكبير متى كان دّينا خائفا من الله فانّ استيحاشه و نقل ما يجري على طبعه لايجوز أن يبلغ به إلى إظهار الكراهة للعقد والخلاف فيه و ايهام أنّه غير ممضى ولاصواب، و كلّ هذا جرى من أمير المؤمنين فيكشف ذلك كلّه عن عدم المصلحة في تقدّم الغير عليه بوجه من الوجوه.

ثمّ إنّ ماحكاه من شيخه أبي القاسم البلخي وبنا عليه مذهبه من أنّه صاحب الخلافة و مالك الأمر إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها وإذا أمسك عنها وجب القول بعدالة من غضي لها:

فيه أنّ الشرطية الأولى مسلّمة والمقدّم فيها حقّ فوجب القول بتفسيق المنازعين والدّليل على طلبه ﷺ لها واضح لمن له أدنى تتبّع في الأخبار، ويكفي في ذلك قوله في الخطبة التي رواها الشّارح المعتزلي في شرح كلامه لماقلّد محمد بن أبي بكر المصر ، وقد مضت روايتها منّا في شرح الخطبة السّادسة والعشرين وهو قوله ﷺ: ثمّ قالوا هلمّ فبايع وإلاّ جاهدناك ، فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا ، فقال قائلهم : يابن أبي طالب انك على هذا الأمر لحريص ، فقلت أنتم أحرص منّي و أبعدأيّنا أحرص أنا الذي طلبت تراثي وحقّي الذي جعلني الله و رسوله أولى به، ام أنتم تضربون وجهي دونه و تحولون بيني و بينه ، فبهتوا والله لايهدي القوم الظالمين إلى آخر مامرّ .

و يشهد بذلك ماروا. الشّارح أيضاً في شرح الخطبة المذكورة من أنّ قوله عليه السلام : فنظرت فاذاليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت فتقول مازال يقوله ولقد قاله عقيب وفات رسول الله و قال لووجدت أربعين ذوى عزم.

و يدلّ عليه ما رواه أيضاً في شرح الخطبة المذكورة حيث قال : و من كتاب معاوية المشهور؛ و عهدك أمس تحمل قعيدة .بيتك ليلاً على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبوبكر الصّديق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسّوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرئتك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول الله ، فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة ، إلى غير ذلك ممّا مضى و يأتي في تضاعيف الكتاب، وبالجملة فمطالبته لها واضح لأُولى الأبصار كالشّمس في رابعة النّهار.

و يعجبنى أن أورد هنا حكاية مناسبة للمقام ، و هو ما نقله شيخنا البهائى في الكشكول قال: كتب عليّ بن صلاح الدّين يوسف ملك الشّام إلى الامام الناصر لدين الله يشكو أخويه أبابكر وعثمان لما خالفا وصية أبيهم له:

مولاى إنّ أبابكر و صاحبه عثمان قد غصبا بالسّيف حق علي
و كان بالأمس قد ولاّه والده في عهده فأضاعا الأمر حقد ولى
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى من الأواخر مالا قا من الاول
إذ خالفاه و حلاّ عقد بيعته و ابينهما و النّصّ فيه جلى

فوقّع الخليفة النّاصر على ظهر كتابه:

و افا كتابك يابن يوسف منطقا بالخير يخبر انّ أصلك طاهر
منعوا عليّا إرثه إذ لم يكن بعد النّبيّ له بيثرب ناصر
فاصبر فانّ غداً عليّ حسابهم و ابشر فناصرك الامام النّاصر

و أمّا الشّرطية الثّانية فممنوعة إذ الامساك عنها لادلالة فيه على عدالة من غضى لها، نعم إنّما يدلّ عليها إذالم يكن للامساك وجه إلاّ الرّضا و طيب النّفس و أمّا إذا كان هناك احتمال أن يكون وجهه هوالخوف والتّقية فلا.

و قال المرتضى «ره» و ليس لأحد أن يقول: كيف يجوز على شجاعته وما خصّه الله به من القوّة الخارجة للعادة أن يخاف منهم ولايقدم على قتالهم لولا أنّهم كانوا محقّين؟ و ذلك إنّ شجاعته و إن كانت على ما ذكرت و أفضل فلايبلغ أن يغلب جميع الخلق و يحارب ساير النّاس و هو مع الشّجاعة بشر يقوي و يضعف و يخاف و يأمن والتّقية جايزة على البشر الذين يضعفون عن دفع المكروه عنهم هذا.

و أمّا الحديث الذي رواه من قوله صلى الله عليه وآله: عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ فمن الأحاديث المعروفة المعتبرة المستفيضة بل لايبعد دعوى تواتره، وقد رواه السّيد المحدّث البحراني في كتاب غاية المرام بخمسة عشر طريقا من طرق العامة وأحد عشر طريقا من طرق الخاصّة.

ففي بعض الطرق العاميّة عن شهربن حوشب قال: كنت عند أمّ سلمة (رض) إذا استاذن رجل فقالت من أنت؟ فقال: أنا أبوثابت مولى عليّ عليه السلام، فقالت أمّ سلمة: مرحبابك يا أبا ثابت ادخل. فدخل فرحّبت به ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طارقلبك حين طارت القلوب مطايرها؟ قال: تبع عليّ عليه السلام قالت: وفّقت و الذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليٌّ مع الحقّ والقرآن، والحقّ والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

و في بعضها عن عايشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

و في رواية موفق بن أحمد باسناده عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة والاسود قالا: سمعنا أبا أيّوب الأنصاري قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لعمار ابن ياسر: يا عمّار تقتلك الفئة الباغية و أنت مع الحقّ والحق معك، يا عمّار إذا رأيت عليّا سلك واديا وسلك واديا غيره فاسلك مع عليّ ودع النّاس، إنّه لن يدلّك على ردى ولن يخرجك عن الهدى، يا عمّار إنّه من تقلّد سيفا أعان به عليّا على عدوّه قلّده الله يوم القيامة و شاحا (١) من درّ، و من تقلّد سيفا أعان به عدوّ عليّ قلّده يوم

١ـ الوشاح بالضم كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على

القيامة و شاحا من نار قال قلت: حسبك.

أقول: لاخفاء في دلالة هذا الخبر على عصمته و إمامته، و بطلان خلافة الثلاثة غير خفيّة من وجوه عديدة:

الأوّل أنّه أخبر بكون الحقّ معه عليه السلام و هو يقتضي عصمته إذ لايجوز أن يخبر على الاطلاق بأنّ الحقّ مع عليّ مع جواز وقوع القبيح عنه عليه السلام، لأنّه إذا وقع كان اخباره بذلك كذبا وهو محال فلابدّ أن يكون معصوما.

الثّاني أنّ لن إمّا لنفي التّابيد أو لنفي المستقبل فتدلّ على التّقديرين على عدم انفكاك الحقّ منه، فاذا كان الحقّ لاينفكّ عنه أبداً ثبت إمامته و بطل خلافة من خالفه.

الثّالث أنّ قوله: لعمّار إذا رأيت عليّا سلك واديا و سلك و اديا غيره فاسلك مع عليّ نصّ صريح في وجوب الاقتداء به و عدم جواز الاقتداء بغيره ولا سيّما بملاحظة تعليله بأنّه لن يدلّك على ردى ولن يخرجك عن الهدى، فانّه يدلّ على أنّه إن سلك سبيل الغير يكون خارجا من الهدى إلى الرّدى، ولذلك إنّ عمّار لازم عليّا و أنكر على الأوّل و تخلّف عن البيعه حتّى أكرهوه على البيعة فبايع بعد بيعة مولاه عليه السلام بكره و اجبار هذا.

و من العجب العجاب أنّ بعض النّاصبيين (١) قال: إن صحّ الخبر دلّ على أنّ عليّا كان مع الحقّ أينما دار و هذا شيء لايرتاب فيه حتّى يحتاج إلى دليل، بل هذا دليل على حقيّة الخلفاء، لأنّ الحقّ كان مع عليّ و عليّ كان مع الخلفاء حيث تابعهم و ناصحهم، فثبت من هذا خلافة الخلفاء و أنّها كانت حقّا صريحاً، و أمّا من خالف عليّا من البغاة فمذهب أهل السّنة والجماعة أنّ الحقّ كان مع عليّ وهم كانوا على الباطل، ولاشكّ في هذا انتهى.

الاخر، واديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقيها و كشحيها جمعه وشيع كذا قاله صاحب القاموس فيه.

١ــ وهو شارح كشف الحق لفضل بن روزبهان، منه.

و يتوجّه عليه اولا أنّ صحّة الخبر ممّا لامجال للكلام فيها و ثانياً أنّ كونه مع الخلفاء و تابعهم ممنوع إلاّ بمعنى كونه معهم في سكون المدينة و بمعنى التّابعة الاجباريّة والمماشاة في الظاهر ، و إلاّ فما وقع بينهم من المخالفات والتنازع والمشاجرات قد بلغ في الظهور إلى حدّ لامجال للاخفاء و في الشناعة إلى مرتبة لا تشتبه على الآراء كما مضى و سيجيء أيضاً إنشاءالله تعالى ، و أمّا نصحه لهم فمسلّم لكن لامور الدّين وانتظام شرع سيّد المرسلين ، لالأجل ترويج خلافتهم ونظم أسباب شوكتهم و جلالتهم.

و ثالثاً أنّ التّفرقة بين الخلفاء وبين البغاة بكون الآخرين على الباطل دون الأوّلين لاوجه له، إذ كلّ من الفرقتين كان مريداً لقتله عليه السلام غاية الأمر أنّه وجد هناك أعواناً فقاتلهم ذويهم عن نفسه ولم يجد ههنا ناصراً فبايعهم اجباراً و كفّ عن القتال و حقن دمه، فلو أنّه وجد أعواناً له يومئذ لشهر عليهم سيفه و جاهدهم ويشهرون سيفهم عليه و يقاتلونه ، كما أنّه لو يجد أعواناً مع البغاة و كفّ عنهم وتابع آرائهم لم يكونوا مقاتلين له ولم يجادلوا معه عليه السلام.

هذا كلّه مضافا إلى أنّ بغي البغاة و خروجهم عليه عليه السلام من بركة البرامكة و من ثمرة هذه الشجرة الملعونة عذبهم الله عذابا اليما.

الثاني

قد عرفت أنّ سبب تقاعده عليه السلام عن جهاد من تقدّم عليه هو عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليه بالكفّ عنهم ، حيث لم يجد أعواناً و فيه مصالح أخر قد أشير إليها في أخبار الأئمة الأطهار ، ولابأس بالاشارة إلى تلك الأخبار والأخبار التي أشير فيها إلى معاهدة النبيّ صلى الله عليه وآله إليه حتّى يتّضح الأمر و يظهر لك بطلان ما زعمه العامة من إنّ سكوته و عدم نهوضه إليهم دليل على رضاه بتقدّمهم وعلى كونهم محقّين فأقول وبالله التّوفيق:

روى الشّيخ السّعيد عزّ الدّين أبو المنصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسي (ره) في الاحتجاج ، قال : روى أنّ أمير المؤمنين كان جالسا في بعض مجالسه بعد

رجوعه من نهروان فجرى الكلام حتّى قيل له لم لا حاربت أبا بكر و عمر كما حاربت الطلحة والزّبير و معاوية ؟ فقال إنّي كنت لم أزل مظلوما مستأثرا على حقّي، فقام إليه أشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك ولم تطلب بحقّك ؟ فقال : يا أشعث قد قلت قولا فاسمع الجواب وعه و استشعر الحجّة إنّ لي أسوة بستّة من الأنبياء عليهم السّلام.

أوّلهم نوح عليه السلام حيث قال : « رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ »

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلاّ فالوصيّ أعذر.

و ثانيهم لوط عليه السلام حيث قال : « لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ »

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، و إلاّ فالوصيّ أعذر.

و ثالثهم إبراهيم خليل الله عليه السلام حيث قال : « وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، و إلاّ فالوصيّ أعذر.

و رابعهم موسى عليه السلام حيث قال : « فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ »

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، و إلاّ فالوصيّ أعذر.

وخامسهم أخوه هارون عليه السلام حيث قال : « يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي »

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، و إلا فالوصيّ أعذر.

و سادسهم أخي محمّد صلى الله عليه وآله خير البشر حيث ذهب إلى الغار و نوّمني على فراشه ، فان قال قائل إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف فقد كفر وإلّا فالوصيّ أعذر فقام إليه النّاس بأجمعهم فقالوا : يا أمير المؤمنين قد علمنا أنّ القول قولك و نحن المذنبون التّائبون وقد عذرك الله.

و فيه أيضاً عن أحمد بن همام قال : أتيت عبادة بن الصّامت في ولاية أبي بكر فقلت : يا عبادة أكان النّاس على تفضيل أبي بكر قبل ان يستخلف ؟ فقال : يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا عنّا ولا تبحثونا ، فوالله لعليّ بن أبي طالب أحقّ بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول الله أحقّ بالنّبوة من أبي جهل .

قال : و ازيدكم انّا كنّا ذات يوم عند رسول الله فجاء عليّ و أبو بكر وعمر إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل أبو بكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل عليّ عليه السلام على اثرهما ، فكانّما سفي (١) وجه رسول الله الرّماد ، ثمّ قال : يا عليّ أيتقدّمك هذان و قد أمّرك الله عليهما ؟ فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله ، و قال عمر : سهوت يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما نسيتما ولا سهوتما و كأنّي بكما قد أسلبتماه ملكه و تحاربتما عليه و أعانكما على ذلك أعداؤه و أعداء رسول الله و كأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسّيف على الدّنيا ، و كأنّي بأهل بيتى وهم المقهورون المشتتون (٢) في أقطارها ، و ذلك لأمر قد قضى.

ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سالت دموعه ، ثمّ قال : يا علي الصّبر الصّبر حتّى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، فانّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك ، فاذا أمكنك الأمر فالسّيف السّيف فالقتل القتل حتّى يفيؤوا إلى أمر الله وأمر رسوله ، فانّك على الحقّ و من ناواك على الباطل ، و كذلك

١- سفت الريح التراب ذرته ق ، .
٢- التشتت التفرق وضمير اقطارها راجع الى الارض ، منه .

ذرّيتك من بعدك إلى يوم القيامة.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي عن أحمد بن علي قال: حدّثنا الحسين بن عبدالله السّعدي، قال: حدّثنا الحسن بن موسى الخشاب، عن عبدالله بن الحسين، عن بعض أصحابه عن فلان (١) الكرخي قال: قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: ألم يكن عليّ قويّاً في بدنه قويّاً في أمر الله؟ قال له أبوعبدالله عليه السلام بلى، قال فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، منع عليّاً من ذلك آية من كتاب الله، قال: و أيّ آية؟ قال: فاقرء:

«لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً».

إنّه كان لله ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين و منافقين، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتّى يخرج الودايع، فلمّا خرج ظهر على من ظهر وقتله، و كذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر حتّى يخرج ودايع الله، فاذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله.

أقول: هذا هو التّأويل، وتنزيله أنّه لو تميّز هؤلاء الّذين كانوا بمكة من المؤمنين و المؤمنات و زالوا من الكفّار لعذّبنا الذين كفروا، بالسّيف و القتل بأيديكم.

و في البحار من أمالي المفيد «ره» باسناده عن جندب بن عبدالله، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد بويع بعثمان بن عفان، فوجدته مطرقا كئيباً، فقلت له: ما أصابك جعلت فداك من قومك؟ فقال: صبر جميل، فقلت: سبحان الله، والله انّك لصبور، قال: فأصنع ماذا؟ قلت: تقوم في النّاس و تدعوهم و تخبرهم أنّك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله و بالفضل والسّابقة و تسألهم النّصر على هؤلاء المتظاهرين عليك، فان أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة على المائة، فان دانوا لك كان ذلك ما أحببت، و إن أبوا قاتلتهم، فان ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي آتاه نبيّه و كنت أولى به منهم، و إن قتلت في طلبه قتلت إن شاء الله شهيداً

١- و في العيون والاكمال عن ابراهيم الكرخي، منه.

و كنت بالعذر عندالله ، لأنّك أحقّ بميراث رسول‌الله

فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتراه يا جندب كان يبايعني عشرة من مائة : فقلت أرجو ذلك ، فقال : لكنّي لا أرجو ولا من كلّ مأة اثنان ، و سأخبرك من أين ذلك إنّما ينظر النّاس إلى قريش و إنّ قريشا يقول : إنّ آل محمّد يرون لهم فضلا على ساير قريش و إنّهم أولياء هذا الأمر دون غيرهم من قريش ، و إنّهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السّلطان إلى احد أبداً، و متى كان في غيرهم تداولوه بينهم، ولا والله لا تدفع إلينا هذا السّلطان قريش أبداً طائعين.

فقلت له : أفلا أرجع فاخبر النّاس بمقالتك هذه و أدعوهم إلى نصرك؟ فقال: يا جندب ليس ذا زمان ذاك ، قال جندب : فرجعت بعد ذلك إلى العراق فكنت كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب شيئاً زبرونى ونهروني حتّى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة فبعث إليّ فحبسني حتّى كلّم فيّ فخلّى سبيلى.

و من العيون و علل الشرايع عن الطالقانى عن الحسن بن عليّ العدوي ، عن الهيثم بن عبدالله الرّمانى قال : سألت الرّضا عليه السلام فقلت له :يابن رسول‌الله أخبرني عن عليّ عليه السلام لم لم يجاهد أعدائه خمسة و عشرين سنة بعد رسول‌الله صلى الله عليه وآله ثمّ جاهد في أيّام ولايته ؟ فقال : لأنّه اقتدى برسول‌الله في تركه جهاد المشركين بمكّة بعد النّبوة ثلاث‌عشرة سنة و بالمدينة تسعة عشر شهراً ، و ذلك لقلّة أعوانه ، و كذلك عليّ عليه السلام ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم، فلما لم تبطل نبوّة رسول‌الله مع تركه الجهاد ثلاث‌عشرة سنة وتسعة عشر شهراً فكذلك لم تبطل إمامة عليّ مع ترك الجهاد خمسة و عشرين سنة إذا كانت العلّة المانعة لهما عن الجهاد واحدة.

و من كتاب الغيبة للشّيخ باسناده عن سليم بن قيس الهلاليّ ، عن جابر بن عبدالله وعبدالله بن العبّاس قالا، قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله في وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام: ياعليّ ان قريشاً ستظاهر عليك و يجتمع كلّهم على ظلمك و قهرك، فان وجدت أعوانا فجاهدهم ، و إن لم تجد أعوانا فكفّ يدك و احقن دمك ، فانّ الشّهادة من ورائك لعن الله قاتلك.

و من كتاب سليم بن قيس الهلالي قال : كنّا جلوسا حول أمير المؤمنين عليّ

ابن أبي طالب عليه السلام و حوله جماعة من أصحابه ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين لو استنفرت النّاس ؟ فقام و خطب و قال: اما إني قد استنفرتكم فلم تنفروا، ودعوتكم فلم تسمعوا ، فأنتم شهود كغيّاب ، و أحياء كأموات ، وصمّ ذو و أسماع، أتلوعليكم الحكمة و أعظكم بالموعظة الشّافية الكافية و أحثكم على جهاد أهل الجور فما أتى على آخر كلامي حتّى أراكم متفرّقين حلقا شتّى ، تناشدون الأشعار ، و تضربون الأمثال ، و تسألون عن سعر التّمر واللبن.

تبّت أيديكم لقد دعوتكم إلى الحرب والاستعداد لها ، واصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالاباطيل والأضاليل اغزوهم (١) قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قطّ في عقردارهم الاّ ذلّوا ، و أيم الله ما أظنّ أن تفعلوا حتّى يفعلوا.

ثمّ وددت أنّي قدرأيتهم فلقيت الله على بصيرتي ويقيني واسترحت من مقاساتكم و ممارستكم ، فما أنتم إلاّ كابل جمّة ضلّ راعيها ، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب ، كأني بكم و الله فيما أرى أن لو حمس الوغا ، و احمر الموت قد انفرجتم عن عليّ بن أبيطالب انفراج الرأس و انفراج المرأة عن قبلها لاتمنع منها.

قال الأشعث بن قيس : فهلاّ فعلت كما فعل ابن عفّان ؟ فقال عليه السلام أوكمافعل ابن عفّان رأيتموني فعلت أنا عائذ بالله من شرّ ما تقول يابن قيس ، والله إنّ التي فعل بن عفان لمخزاة لمن لادين له ولا وثيقة معه ، فكيف أفعل ذلك و أنا على بيّنة من ربّي ، والحجة في يدي والحقّ معي ، والله إنّ امرءاً أمكن عدوّه من نفسه يجزّ لحمه و يفرى جلده و يهشّم عظمه و يسفك دمه و هو يقدرعلى أن يمنعه لعظيم و زره ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك يابن قيس

فأمّا أنا فوالله دون أن أعطي بيده ضرب بالمشرفي تطير له فراش الهام وتطيح منه الأكفّ و المعاصم ، و يفعل الله ما يشاء، و يلك يابن قيس ان المؤمن يموت

١- اي وقلت لكم اغزوهم،منه.

كلّ ميتة غير أنّه لايقتل نفسه فمن قدر على حقن دمه ثم خلّى عمّن يقتله فهو قاتل نفسه.

يابن قيس إنّ هذه الامّة تفترق على ثلاث و سبعين فرقة، واحدة في الجنّة و اثنتان و سبعون في النّار، و لشرّها و أبغضها و أبعدها منه السّامرة الذين يقولون لاقتال و كذبوا قد أمر الله بقتال الباغين في كتابه و سنّة نبيّه و كذلك المارقة.

فقال ابن قيس لعنه الله و غضب من قوله: فما منعك يابن أبيطالب حين بويع أبوبكر أخو بني تيم وأخو بني عديّ بن كعب وأخو بني اميّة بعدهم ،أن تقاتل وتضرب بسيفك و أنت لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلاّ قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر والله إنّي لأولى النّاس بالنّاس، و ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله ، فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك.

قال: يابن قيس اسمع الجواب ، لم يمنعني من ذلك الجبن ولاكراهة للقاء ربّي و أن لاأكون أعلم ، إنّ ما عند الله خير لي من الدّنيا والبقاء فيها ، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله و عهده إليّ أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الامّة صانعة بعده ، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به ولا أشدّ استيقانا منّي به قبل ذلك.

بل أنا بقول رسول الله أشدّ يقينا منّي بما عاينت و شهدت ، فقلت يارسول الله فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم و جاهدهم و إن لم تجد أعوانا فكفّ يدك و احقن دمك حتّى تجد على إقامة الدّين وكتاب الله وسنّتي أعوانا.

و أخبرني أنّ الامّة ستخذلني و تبايع غيري و أخبرني أنّي منه بمنزلة هارون من موسى ، و أنّ الامّة بعده سيصيرون بمنزلة هارون و من تبعه، والعجل ومن تبعه إذ قال له موسى:

« يا هٰرُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ،

قالَ يَابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتي وَلا بِرَأْسي إِنّي خَشيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَني إِسْرائيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلي ».

و إنّما يعنى أنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعوانا أن يجاهدهم و إن لم يجد أعوانا أن يكفّ يده و يحقن دمه ولايفرّق بينهم و إنّي خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله صلى الله عليه وآله لم فرّقت بين الأمّة ولم ترقب قولي و قد عهدت إليك أنّك إن لم تجد أعواناً أن تكفّ يديك و تحقن دمك و دم أهلك و شيعتك.

فلمّا قبض رسول الله مال النّاس إلى أبي بكر فبايعوه و أنا مشغول برسول الله نغسله ؛ ثمّ شغلت بالقرآن فآليت يميناً بالقرآن أن لاأرتدي إلاّ للصّلاة حتّى أجمعه في كتاب ففعلت، ثمّ حملت فاطمة و أخذت بيد الحسن والحسين فلم أدع أحداً من أهل بدر و أهل السّابقة من المهاجرين والأنصار إلاّ ما نشدتهم الله و حقّي و دعوتهم إلى نصرتي فلم يستجب من جميع النّاس إلاّ أربعة رهط : الزّبير ، و سلمان ، و أبوذر ، و المقداد و لم يكن معى أحد من أهل بيتي أصول به ولا اقوى به .

أمّا حمزة فقتل يوم احد ، و أمّا جعفر فقتل يوم موتة وبقيت بين جلفين خائفين ذليلين حقيرين: العباس وعقيل و كانا قريبي عهد بكفر، فأكرهوني وقهروني فقلت كما قال هارون لأخيه : يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلي بهارون أُسوة حسنة ولي بعهد رسول الله حجّة قويّة.

قال الاشعث : كذلك صنع عثمان استغاث بالنّاس و دعاهم إلى نصرته فلم يجد اعوانا فكفّ يده حتّى قتل مظلوما ، قال عليه السلام . ويلك يابن قيس إنّ القوم حين قهروني و استضعفوني و كادوا يقتلونني فلو قالوا نقتلك البتّة لامتنعت من قتلهم إياى ولولم أجد غير نفسي وحدي ، ولكن قالوا إن بايعت كففنا عنك و أكرمناك وقرّبناك

و فضلناك ، و إن لم تفعل قتلناك ، فلما لم أجد أحداً بايعتهم و بيعتي لهم لما لاحق لهم فيه لايوجب لهم حقا ولايلزمني رضا.

ولو ان عثمان لما قال له الناس : اخلعها و نكف عنك ، خلعها لم يقتلوه ، و لكنه قال: لا أخلعها ، قالوا : فانا قاتلوك فكف يده عنهم حتى قتلوه ، ولعمري لخلعه إياها كان خيراً له ، لأنه أخذها بغير حق ولم يكن له فيها نصيب وادعى ما ليس له وتناول حق غيره.

و يلك يابن قيس إن عثمان لايعدو أن يكون أحد الرجلين إما أن يكون دعا الناس إلى نصرته فلم ينصروه، و إما أن يكون القوم دعوه إلى أن ينصروه فنهاهم عن نصرته ، فلم يكن يحل له ان ينهى المسلمين عن أن ينصروا إما ماهاديا مهتدياً لم يحدث حدثا ولم يؤد محدثا ، و بئس ما صنع حين نهاهم و بئس ما صنعوا حين أطاعوه، فاما أن يكونوا لم يروه أهلا لنصرته لجوره و حكمه بخلاف الكتاب و السنة وقد كان مع عثمان من أهل بيته و مواليه و أصحابه أكثر من أربعة آلاف رجل، ولو شاء الله أن يمتنع بهم لفعل ولم ينههم عن نصرته ، ولو كنت وجدت يوم بويع أخوتيم أربعين رجلا مطيعين لجاهدتهم ، أما يوم بويع عمر و عثمان فلا لأني كنت بايعت و مثلي لاينكث بيعته .

ويلك يابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان ووجدت أعواناً هل رأيت مني فشلا أوجبنا أو تقصيراً في وقعتي يوم البصرة وهي حول جملهم الملعون من بيعة الملعون و من قتل حوله الملعون و من ركبه الملعون و من بقي بعده لا تائبا ولا مستغفراً : فانهم قتلوا أنصاري و نكثوا بيعتي و مثلوا بعاملي و بغوا علي دمرت إليهم في اثنى عشر ألفا ، و في رواية أخرى أقل من عشرة آلاف وهم نيف على عشرين و مائة ألف ، و في رواية زيادة على خمسين ألفا فنصرني الله عليهم و قتلهم بأيدينا و شفى صدور قوم مؤمنين.

و كيف رأيت يابن قيس وقعتنا بصفين قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفا في صعيد واحد إلى النار ، وفي رواية أخرى زيادة على سبعين ألفاً.

و كيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم مستبصرون ومتديّنون قد ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، فقتلهم الله في صعيد واحد إلى النّار ، ولم يبق منهم عشرة ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة.

و يلك يابن قيس هل رأيت لي لواء ردّ وراية ردت إياى تعيّر يابن قيس و أنا صاحب رسول الله في جميع مواطنه و مشاهده والمتقدّم إلى الشّدايد بين يديه لا أفرّ ولا ألوذ ولا أعتلّ ولا أمنح اليهود ويراى(أرىظ)انّه لاينبغي للنبيّ ولا للوصيّ إذا لبس لامته و قصد لعدوّه أن يرجع أو ينثنى حتّى يقتل أو يفتح الله له.

يابن قيس هل سمعت لي بفرار قط أو بنوة «كذا» يابن قيس أما والذي فلق الحبّة وبرء النّسمة لو وجدت يوم بويع أبو بكر الذي عيّرتني بدخولي في بيعته رجلا كلّهم على مثل بصيرة الأربعة الذين وجدت ، لما كففت يدي ولنا هضت القوم ولكن لم أجد خامسا.

قال الأشعث : و من الأربعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : سلمان ، و أبوذر ، والمقداد ، والزّبير بن صفيّة قبل نكثه بيعتي فانّه بايعني مرّتين أمّا بيعته الأولى الّتي وفى بها فانّه لما بويع أبو بكر أتاني أربعون رجلا من المهاجرين والأنصار فبايعوني فأمرتهم أن يصبحوا عند بابى محلّقين رؤوسهم عليهم السّلاح فما وافى منهم أحد ولاصبحنى منهم غير أربعة : سلمان ، و أبوذر ، والمقداد ، والزّبير ، و أمّا بيعته الأخرى فانّه أتاني هو و صاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني طائعين غير مكرهين ، ثمّ رجعا عن دينهما مرتدّين ناكثين مكابرين معاندين حاسدين فقتلهما الله إلى النّار ، و أما الثلاثة : سلمان : و أبوذر، والمقداد ، فثبتوا على دين محمّد وملّة ابراهيم حتّى لقوا الله يرحمهم الله.

يابن قيس فوالله لو أنّ أولئك الأربعين الذين بايعوني و فوالى و اصبحوا على بابى محلّقين قبل أن تجب لعتيق في عنقى بيعة ، لناهضته و حاكمته إلى الله عزوجل ولو وجدت قبل بيعة عثمان أعوانا لناهضتهم و حاكمتهم إلى الله ؛ فانّ ابن عوف جعلها لعثمان و اشترط عليه فيما بينه و بينه أن يردّها عليه عند موته، فأمّا بعد بيعتي ايّاهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل.

فقال الأشعث : والله لان كان الأمر كما تقول : لقد هلكت الامة غيرك وغير شيعتك فقال عليه السلام إنّ الحقّ والله معي يابن قيس كما أقول ، وما هلك من الامّة إلاّ النّاصبين (١) والمكاثرين و الجاهدين والمعاندين ، فأمّا من تمسّك بالتّوحيد والاقرار بمحمّد والاسلام ولم يخرج من الملّة ولم يظاهر علينا الظلمة ولم ينصب لنا العداوة و شكّ في الخلافة ولم يعرف أهلها ولم يعرف ولاية ولم ينصب لنا عداوة، فانّ ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله و يتخوّف عليه ذنوبه.

قال أبان : قال سليم بن قيس : فلم يبق يومئذ من شيعة عليّ أحد إلاّ تهلّل وجهه و فرح بمقالته إذ شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر و باح به و كشف الغطاء و ترك التقيّة ، ولم يبق أحد من القرّاء ممن كان يشكّ في الماضين و يكفّ عنهم و يدع البرائة منهم و دعاو تأثما إلاّ استيقن واستبصرو حسن و ترك الشّك والوقوف و لم يبق أحد حوله أتى ببيعته على وجه ما بويع عثمان و الماضون قبله إلاّ رأى ذلك في وجهه و ضاق به أمره و كره مقالته ثمّ انّهم استبصر عامّتهم و ذهب شكّهم.

قال أبان عن سليم : فما شهدت يوما قط على رؤوس العامة أقرّ لأعيننا من ذلك اليوم لما كشف للناس من الغطاء و أظهر فيه من الحقّ و شرح فيه الأمر والقى فيه التّقيّة والكتمان ، و كثرت الشيعة بعد ذلك المجلس مذ ذلك اليوم و تكلموا وقد كانوا اقل اهل عسكره و صار النّاس يقاتلون معه على علم بمكانه من الله و رسوله ، و صار الشّيعة بعد ذلك المجلس أجلّ النّاس و أعظمهم.

و في رواية اخرى جل الناس و عظمهم ، و ذلك بعد وقعة النّهروان وهو يأمر بالتّهية والمسير الى معاوية ، ثمّ لم يلبث ان قتل قتله ابن ملجم لعنه الله غيلة و فتكاً، وقد كان سيفه مسموما قبل ذلك.

اقول : ولاحاجة لنا بعد هذه الرّواية الشّريفة إلى ذكر سايرما روي في هذا

١ـ هكذا في النسخة والظاهر أنه تصحيف والصحيح الاالناصبون والمكاثرون، والجاهدون والمعاندون بالواو ، منه .

المعنى ، لأنها قاطعة للعذر كافية في توضيح ما اوردناه وتثبيت ما قصدناه من انّ قعوده عن جهاد المتخلّفين كان بعهد من النبيّ صلى الله عليه وآله إليه مضافا إلى ساير المصالح التي فيه ، فلايمكن مع ذلك كلّه دعوى كون ترك الجهاد دليلا على حقيّة خلافة الثلاثة ، و كاشفا عن رضاه عليه السلام بذلك ، و في هذا المعنى روايات عامية لعلّنا نشير اليها في شرح بعض الخطب الآتية في المقام المناسب إن ساعدنا التوفيق والمجال إنشاءالله تعالى .

الترجمة

از جملهٔ كلام هدايت فرجام آن امام عاليمقام است كه جارى مجراى خطبه است ، و آن جمع شده است از كلام طويلى كه آنحضرت بعد از وقعهٔ نهروان ادا فرموده‌اند و مدار آنچه كه سيد اينجا ذكر نموده است بچهار فصل است .

فصل اول

مشتملست بذكر مناقب جميله و فضايل جليلهٔ خود كه مى‌فرمايد: پس بر خواستم بأمر خدا وامرحضرت خاتم الأنبيا عليه آلاف التحية والثناء درزمانى كه ضعيف شدند و ترسيدند مردمان، ومطلع شدم بر حقايق اشياء و احكام خدا هنگامى كه سر فرو بردند مردمان و عاجز گرديدند ، و گويا شدم در احكام مشكله و مسائل معضله در وقتى كه درمانده بودند، و گذشتم بنور خداوند در حينى كه ايستاده و سر گردان شدند ، و بودم من پست‌تر ايشان از حيث آواز وبلندترايشان ازحيث سبقت بمراتب كمالات و درجات سعادات ، پس پرواز نمودم بدوال لجام فضيلت و بتنهائى قيام نمودم ببردن كر ومنقبت.

فصل دويم

مشتملست به بيان حال بهجت منوال خود در زمان نشستن درمسندخلافت و استقرار در سرير ولايت كه مى‌فرمايد : بودم من در آن هنگام مثل كوه باشكوه كه نجنباند اورا بادهاى شكننده ، و زايل نگرداند او را بادهاى تند و زنده ، در حالتى كه نبود هيچ احدى را در شان من جاى عيب و عار و نه هيچ گوينده‌رادر

حق من جای طعن بکردار و گفتار، ذلیل و خوار در نزد من عزیز است و با مقدار تا اینکه بازیافت بکنم حق اورا از جابر و ستمکار، و صاحب قوة واقتدار در نزد من ضعیف است و بی‌مقدار تا اینکه اخذ بکنم از او حق ستم کشید گانرا در روز گار.

فصل سیم

مشتملست برضای بقضای خدا و دفع توهم کذب و افترا در حق آنسرور اوصیا که می‌فرماید: راضی شدیم از خدا حکم اورا و گردن نهادیم مرخداوندرا امر او را، آیا گمان میبرید مرا که دروغ بگویم بر پیغمبر خدا پس‌قسم‌بخداوند هر آینه من اول کسی هستم که‌تصدیق نمودم او را پس نباشم اول کسیکه‌تکذیب نماید اورا.

فصل چهارم

مشتملست باعتذار از ترك جهاد و خصومت با غاصبین خلافت که سبب آن اطاعت و امتثال بود بعهد و وصیت حضرت خاتم رسالت صلوات الله و سلامه علیه که می‌فرماید: پس نظر کردم در امر خود پس ناگاه فرمان بردن من امر پیغمبررا به ترك قتال پیشی گرفته بود بر بیعت من باین گروه بدفعال، و ناگاه پیمان در گردن من بوده از برای غیر من یعنی درذمهٔ من بود پیمان پیغمبر خدا بطلب‌خلافت با رفق ومدارا ودر صورت عدم حصول آن ترك نمایم جهاد وقتال را، بصبر ورزم و اختیارکنم زاویهٔ خمول و اعتزالرا.

ومن خطبة له عليه السلام وهى الثامنة والثلاثون من المختار فى باب الخطب

وَ إِنَّما سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّها تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ

فَضِيَآؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ، وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ، وَ دَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

اللغة

(السّمت) بالفتح فالسكون الطريق و هيئة أهل الخير، والسّير على الطريق بالظنّ و حسن النّحو وقصد الشيء والسّكينة والوقار.

الاعراب

البقاء إمّا بالرّفع كما في اكثر النّسخ، و هو الأظهر(١) على قرائة يعطى بصيغة المجهول أو منصوب كما في بعضها على كون يعطي مبنيّا على الفاعل فيكون مفعولا ثانيا قدّم على الأوّل.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له فصلان غير ملتئمين: فإمّا أنّ السّيد «ره» جمعهما من كلام طويل على ما هو دابه في هذا الكتاب، و إمّا أن يكون الفصل الثانى مربوطا على كلام مذكور قبل الفصل الأوّل حسن ارتباطه به فيكون الفصل الأوّل اعتراضا بينهما و كيف كان.

فالفصل الاول

و ارد في بيان وجه تسمية الشّبهة و بيان حال النّاس فيها، أمّا وجه التسمية

١- وجهه ان البقاء مفعول ثان لاداعى الى تقديمه على الاوّل مع كونه باقيا على المفعولية بخلاف مالوكان نائبا مناب الفاعل فيكون له حينئذ رتبة التقدم، منه.

فأشار إليه بقوله: (و انّما سمّيت الشّبهة شبهة لانّها تشبه الحقّ) اعلم أنّ الشّبهة هو الالتباس مأخوذة من التشابه وهو كون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التّمييز بينهما قال الله تعالى:

«إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا»

و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك ثمّ لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن التّمييز بينهما سمّي كلّ مالايهتدى الانسان إليه بالمتشابه، و نظيره المشكل سمّى بذلك لأنّه أشكل أى دخل في شكل غيره فأشبهه و شابهه.

قال الصّادق عليه السلام: أمر بيّن رشده فيتبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه إلى الله ورسوله، ثمّ يقال لكلّ ماغمض و إن لم يكن غموضه من هذه الجهة إنّه مشكل

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ في قوله إشارة إلى أنّ الأُمور على ثلاثة: حقّ بيّن رشده، و باطل بيّن غيّه، و شبهة بين ذلك سمّيت بها لأ نها تشبه الحقّ، واللازم فيها الرّجوع إلى الرّاسخين في العلم الذّين تثبتوا و تمكنوا فيه، و لهم حسن التدبر وجودة الذهن لتجرّد عقولهم عن غواشى الحسّ لكون نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بنور النبوّة في سلوك الصّراط المستقيم، فبهم يكشف النقاب عن وجه الشّبهة و يرتفع الحجاب و يهتدى إلى صوب الصّواب كما قال عليه السلام.

(فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى) فيخرجون تابعيهم والمهتدين بهم من الرّدى و يدلّونهم على الهدى و هو هدى الله سبحانه و تعالى و قد قال:

« فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ »

في البحار من كنز جامع الفوايد و تأويل الآيات باسناده عن داوود النجّار عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام أنّه سأل أباه عن قول الله:

« فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقى »

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أيها النّاس اتّبعوا هدى الله تهتدوا و ترشدوا وهو هداي وهداي هدى علي بن أبي طالب فمن اتّبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتّبع هداي ومن اتّبع هداي فقد اتّبع هدى الله و من اتّبع هدى الله فلا يضلّ ولا يشقى.

(و أمّا أعداء الله) الذين في قلوبهم زيغ و عدول عن الحقّ (فدعاؤهم فيها الضّلال) والغوى (و دليلهم العمى) فيهدون المهتدين بهم إلى طريق الرّدى ويخرجونهم عن قصد الهدى و هم الأئمة الهادون إلى النّار الموقفون لتابعيهم كأنفسهم في غضب الجبّار كما قال تعالى:

« وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمٰى قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَني أَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسٰى ».

روي في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ :

« وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً »

قال : يعنى به ولاية أمير المؤمنين قلت:

« وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمٰى »

قال يعنى أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدّنيا عن ولاية أمير المؤمنين قال و هو سيحشر يوم القيامة يقول :

«رَبِّ لِمَ حَشَرْتَني أَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا»

قال الآيات الأئمة عليهم السّلام «فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ» يعني تركتها فكذلك تترك في النّار كما تركت الأئمة فلم تطع قولهم و لم تسمع أمرهم.

وقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ مقصوده بذلك الاشارة إلى وجوب الرّجوع في الوقايع المشتبهة والامور الملتبسة إلى أئمة الحقّ الّذينهم أولياء الله سبحانه وتعالى، لأنّهم من حيث كمال نفوسهم القدسيّة بنور اليقين قادرون على رفع الشكوكات و دفع الشّبهات ، و من حيث أنّ دليلهم سمت الهدى يهدون الرّاجعين إليهم إلى طريق النّجاة.

و أما أئمة الجور الّذينهم أعداءالله عزّ و علا فلايمكن الرّجوع فيها إليهم لأنهم من حيث اتّصافهم بالجهل والعمى عاجزون عن رفع النّقاب و كشف الحجاب في الامور المشتبهة والوقايع المشكلة ، و من حيث إنهم معزولون عن الحقّ يدعون الراجعين إليهم والتابعين لهم الى طريق الضّلال.

و قدقال لكميل بن زياد: الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، و متعلّم على طريق النجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق هذا.

و يحتمل أن يكون غرضه بذلك الكلام الاشارة إلى خصوص أمر الخلافة الذي اشتبه على الناس و صاروا منه في شبهة فمنهم من رآه أهلا لها و اقتدى فسعد و نجى و صار من أصحاب الصراط السويّ و اهدى ، فتنوّر قلبه بنوره ﷺ و يهدي الله لنوره من يشاء من عباده ؛ و منهم من قدّم غيره عليه و ائتمّ به فضلّ وهلك وخاب و غوى و يحشر يوم القيمة أعمى (١).

١- روى في البحار من كنز جامع الفوائد و تاويل الايات باسناده عن عيسى بن داود عن موسى بن جعفر «ع» في قول الله عزّوجلّ فسيعلمون من اصحاب الصراط السويّ و من اهتدى قال الصراط السويّ هو القائم «ع» والهدى من اهدى طاعته و مثلها في كتاب الله عزّوجلّ و انّي لغفّار

و إلى الفريقين أشير في قوله عزّ وجلّ:

« أوَ مَنْ كانَ مَيتاً فَأحيَيناهُ »

قال عليّ بن ابراهيم في تفسيره: جاهلا عن الحقّ والولاية فهديناه اليها.

« و جَعَلنا لَهُ نوراً يَمشي بِهِ في النّاسِ » قال النّور الولاية « كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُماتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنها » يعني في ولاية غير الأئمّة (ع)

« كَذلِكَ زُيِّنَ لِلكافِرينَ ما كانوا يَعمَلونَ »

و روى العياشي عن بريد العجلي قال: قال:

« أوَ مَنْ كانَ مَيتاً فَأحيَيناهُ و جَعَلنا لَهُ نوراً يَمشي بِهِ في النّاسِ »

قال الميت الّذي لايعرف هذا الشأن قال أتدري ما يعني ميتا قال قلت: جعلت فداك لا، قال الميت الذي لايعرف شيئا فأحييناه بهذا الأمر و جعلنا له نوراً يمشي به في الناس قال إما ما فأتمّ به قال:

« كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُماتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنها »

قال كمثل هذا الخلق الّذين لايعرفون الامام.

و في قوله: « أللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلَى النُّورِ »

قال الصادق عليه السلام في رواية الكافى عن ابن أبي يعفور عنه عليه السلام من ظلمات الذّنوب إلى نور التّوبة أو المغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله قال:

« وَالَّذينَ كَفَروا أولِياؤُهُمُ الطّاغوتِ يُخرِجونَهُم مِنَ النُّورِ

لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثمّ اهتدى، منه.

إلى الظلمات »

فأيّ نور يكون للكافر فيخرج منه إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الاسلام فلمّا تولّوا كلّ امام جاير ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم عن نور الاسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النّار مع الكفّار و قال:

« أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون »

والى الفرقة الأولى خاصّة وقعت الاشارة في قوله سبحانه:

« فآمنوا بالله و رسوله و النّور الّذي أنزلنا »

قال أبو خالد سألت أباجعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام: ياأباخالد النّور والله الأئمة إلى يوم القيامة هم والله نور الله الذي انزل، وهم والله نور الله في السّموات والأرض والله يا أبا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله ياأباخالد لايحبّنا عبد و يتولاّنا حتّى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتّى يسلم ويكون سلما لنا، فاذا كان سلما لنا سلّمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الاكبر.

والى الفرقه الثّانية خاصّة أشيرت في قوله سبحانه:

« فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه »

فقد روى في الكافي باسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ:

« هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات » قال أمير المؤمنين و الأئمّة عليهم السّلام « و أخر متشابهات » قال فلان و فلان

و فلان «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»

و هم أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام هذا.

و غير خفيّ على النّاقد البصير المجدّ الخبير أنّ التّأويل الذي ذكرته في شرح كلامه عليه السلام ممّا لم يسبقني أحد من الشرّاح، و إنّما حاموا حول القيل والقال و أخذوا بشرح ظاهر المقال وقد هداني إلى هذا التحقيق نور التوفيق، وقد اهتديت إليه بميامن التمسك بولاية أئمّة الهدى والاعتصام بعراهم الوثقى، ربّنالاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انّك انت الوهّاب.

والفصل الثانى

و ارد في مقام التذكير بالموت الذي هو هادم اللذات كما قال عليه السلام (فماينجو من الموت من خافه) يعنى:

«إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»

و قوله عليه السلام (ولا يعطى البقآء من أحبّه) يعنى أنّ حبّ البقاءفي الدّنيا لايثمر البقاء فيها و في معنى هذا الفصل قال في الدّيوان المنسوب إليه:

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمّرة على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقية لحىّ ولا حىٌ على الدّنيا بباق

و قال ايضا

حياتك انفاس تعدّ فكلّما مضى نفس منها انتقضت به جزءاً

و يحييك ما يغنيك في كلّ حالة ويحدوك حاد ما يريدبك الهزءا
فتصبح في نفس وتمسى بغيرها و مالك من عقل تحسّ به رزءا

و قال ايضاً

الموت لا والداً يبقى ولا ولداً هذا السبيل الى أن لاترى أحداً
كان النّبيّ و لم يخلد لأمّته لو خلّد الله خلقاً قبله خلداً
للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غداً

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است که مشتمل است بدو فصل یکی در بیان وجه تسمیهٔ شبهه میفرماید که: بدرستی نام نهاده شد شبهه بشبهه بجهة آنکه آن شباهت دارد بحق پس أما دوستان خدا پس روشنی ایشان در آن شبهه نور یقین است، و راه نمائی ایشان قصد راه راست است، وأما دشمنان خدا پس خواندن ایشان در امورمشتبه گمراهی است و ضلالت، و دلیل ایشان کوری است وعدم بصیرت

فصل دوم درتذکیر موت میفرماید: پس نجات نیافت از مرگ کسیکه ترسید از او، و عطانشدبقا برکسیکه دوست داشت آنرا، بلکه مآل هر دو أجل است پس هرکه راه خدا گزید به بهشت ونعیم رسید، و هرکه راه دشمنان خدا اختیار نمود گرفتار عقوبت وجهنم گردید.

و من خطبة له عليه السلام و هى التاسعة والثلاثون من المختار فى باب الخطب

خطب بها في غزاة النّعمان بن بشير بعين التّمر على ما تعرفها إن شاء الله قال :

مُنيتُ بِمَنْ لا يُطيعُ إذا أمَرْتُ ، وَلا يُجيبُ إذا دَعَوْتُ ، لا أبا لَكُمْ ما تَنتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ، أما دينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلا حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ أقُومُ فيكُمْ مُسْتَصْرِخاً ، وأُناديكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلا تَسْمَعُونَ لي قَوْلاً ، وَلا تُطيعُونَ لي أمْراً ، حَتّى تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَواقِبِ المَساءَةِ ، فَما يُدْرَكُ بِكُمْ ثارٌ ، وَلا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إلى نُصْرَةِ إخْوانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأسَرِّ ، وَتَثاقَلْتُمْ تَثاقُلَ النِّضْوِ الأدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذائِبٌ ضَعيفٌ ، كَأنَّما يُساقُونَ إلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

قال السّيد (ره) أقول قوله ﷺ : متذائب أى مضطرب من قولهم تذائبت الرّيح اى اضطرب هبوبها ، و منه سمى الذّئب ذئبا لاضطراب مشيته.

اللغة

(منيت) على البناء للمفعول اى ابتليت و (حمشه) جمعه كحمشه و أغضبه كأحمشه و حمش القوم ساقهم بغضب و (المستصرخ) المستنصر مأخوذ من الصّراخ و هو الصّياح باستغاثة و (المتغوث) القائل و اغوثاه و (تكشف) بصيغة المضارع من باب ضرب أي تظهر و في بعض النّسخ تنكشف و في بعضها تكشف بصيغة الماضى من باب التّفعل يقال تكشف الامر و انكشف أى ظهر.

و (الثّار) الدّم والطلب به و قاتل حميمك قاله في القاموس و (الجرجرة) صوت يردّده الابل في حنجرته و أكثر مايكون ذلك عند الاعياء والتّعب و (السرر)

داء يأخذ البعير في سرّته يقال : منه جمل السرّ و (النضو) البعير المهزول و(الأدبر) الذي به دبر وهي القروح في ظهره و (الجنيد) تصغير الجند للتحقير.

الاعراب

ما تنتظرون استفهام على سبيل الانكار التوبيخي ، وأما دين يجمعكم استفهام على سبيل التقرير أو للتوبيخ ، و مستصرخاو متغوثا منصوبان على الحال من فاعل أقوم و أنادي ، و قوله : حتّى تكشف الامور الغاية داخل في حكم المغيّى، وعلى ما في بعض النسخ من تكشف بصيغة الماضى فحتّى ابتدائية على حدّ قوله سبحانه : ثمّ بدلنا مكان السيّئة الحسنة حتّى عفوا ، و إضافة العواقب إلى المسائة بيانيّة ، و جملة وهم ينظرون منصوبة المحلّ على الحال من فاعل يساقون.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة خطب بها في غزاة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر، و هو عين ماء قرب الكوفة ، و كيفية تلك الغزوة على ما ذكره في شرح المعتزلي من كتاب الغارات هي أنّ النعمان قدم هو و أبوهريرة على عليّ من عند معاوية بعد أبي مسلم الخولاني يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقدهم بعثمان لعلّ الحرب أن يطفأ و يصطلح النّاس .

و إنّما أراد معاوية أن يرجع مثل النّعمان وأبي هريرة من عند عليّ عليه السلام وهم لمعاوية عاذرون ولعليّ لايمون وقد علم معاوية أنّ علياً لايدفع قتلة عثمان اليه ، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشّام بذلك و أن يظهرا عذره ، فقال لهما ائتيا عليّا فانشداه الله و سلاه بالله لما دفع الينا قتلة عثمان فانّه قد آواهم ومنعهم ثمّ لاحرب بيننا و بينه ، فان أبى فكونوا شهداء لله عليه و أقبلا على النّاس فاعلماهم ذلك ، فأتيا إلى عليّ عليه السلام فدخلا عليه .

فقال له أبوهريرة : يا أباالحسن انّ الله قدجعل لك في الاسلام فضلا و شرفا أنت ابن عمّ محمّد رسول الله ، وقد بعثنا اليك ابن عمّك معاوية يسألك أمراً يسكن به هذه الحرب ويصلح الله تعالى به ذات البين أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمّه فيقتلهم به ، ويجمع الله تعالى أمرك وأمره ويصلح بينكم وتسلم هذه الأُمّة من الفتنة والفرقة.

ثمّ تكلّم النّعمان بنحو من هذا.

فقال عليه السلام لهما دعيا الكلام في هذا حدّثني عنك؟ يا نعمان أنت أهدى قومك سبيلا؟ يعني الأنصار قال : لا قال : فكل قومك تبعني إلاشذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشّذاذ ؟ فقال النّعمان : أصلحك الله إنّما جئت لأكون معك وألزمك وقد كان معاوية سألني أن أؤدّي هذا الكلام و رجوت أن يكون لي موقف اجتمع فيه معك و طمعت أن يجري الله بينكما صلحا ، فاذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازم و كاين معك فأما أبوهريرة فلحق بالشّام و أقام النّعمان عند عليّ عليه السلام فأخبر أبوهريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل.

و أقام النّعمان بعده ثمّ خرج فاراً من عليّ حتّى إذامرّ بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي و كان عامل عليّ عليها فأراد حبسه و قال له: ما مرّبك ههنا ؟! قال إنّما أنا رسول بلّغت رسالة صاحبي ثمّ انصرفت فحبسه ، و قال كما أنت حتى اكتب إلى عليّ فيك فناشده و عظم عليه أن يكتب إلى عليّ فيه فأرسل النّعمان إلى قرطة بن كعب الانصاري و هو كاتب عين التّمر يجبى خراجها لعليّ عليه السلام فجائه مسرعا فقال لمالك بن كعب : خلّ سبيل ابن عمّي يرحمك الله ، فقال يا قرطة اتّق الله ولاتتكلّم في هذا فانّه لو كان من عبّاد الانصار و نسّاكهم لم يهرب من أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أمير المنافقين فلم يزل به يقسم عليه حتّى خلا سبيله و قال له يا هذا لك الأمان اليوم و الليلة و غداً والله لان أدركتك بعدها لأضربنّ عنقك.

فخرج مسرعا لايلوي على شيء و ذهبت به راحلته فلم يدر اين يتسكع من الأرض ثلاثة إيام لايعلم أين هو ثمّ قدم الى معاوية فخبره بمالقي ولم يزل معه مصاحباً له يجاهد عليّا و يتبع قتلة عثمان حتّى غزا الضّحاك بن قيس أرض العراق ، ثمّ انصرف إلى معاوية فقال معاوية : أما من رجل أبعث معه بجريدة خيل حتى يغير على شاطي الفرات فانّ الله يرغب بها أهل العراق فقال له النّعمان : فابعثني فانّ لي في قتالهم نيّة و هوى ، و كان النّعمان عثمانيّا ، قال فانتدب على اسم الله فانتدب وندب

معه ألفي رجل و أوصاه أن يتجنّب المدن والجماعات ، و أن لايغير إلاّ على مسلحة وأن يعجّل الرّجوع.

فأقبل النّعمان حتّى دنى من عين التّمر و بها مالك بن كعب الارحبى الّذي جرى له معه ما ذكرناه و مع مالك ألف رجل وقدأذن لهم فقد رجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلاّ مأة أو نحوها.

فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد فانّ النّعمان بن بشير قد نزل بى في جمع كثيف فمر رأيك سدّدك الله تعالى و ثبّتك و السّلام.

فوصل الكتاب إلى عليّ عليه السلام فصعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم ، فانّ النّعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشّام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الكافرين طرفا ثمّ نزل.

فلم يخرجوا فأرسل عليه السلام إلى وجوههم و كبرائهم فأمر أن ينهضوا و يحثّوا النّاس على المسير فلم يصنعوا شيئاً و اجتمع منهم نفر يسير نحو ثلثمأة فارس أو دونها فقام عليه السلام.

فقال: ألا إنّى (منيت بمن لايطيع)نى (إذا أمرت ولايجيب) دعوتي (اذا دعوت) و هو اظهار لعذر نفسه على أصحابه لينسب التّقصير اليهم دونه و يقع عليهم لائمة غيرهم (لا ابالكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم)و هو توبيخ لهمَ على التّثاقل والتقاعد والانتظار واستنهاض بهم على نصرةالله (أما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم) وهو إمّا تقرير لهم بما بعد النفى ليقرّوا بذلك و يعترفوا بكونهم صاحب دين و حمية فيلزم عليهم الحجة ويتوجّه عليهم اللّوم والمذمّة ، وإمّا توبيخ بعدم اتّصافهم بدين جامع و حمية مغضبة.

و نظيره في الاحتمالين قوله سبحانه :

« أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »

و على التقديرين فالمقصود به حثهم و ترغيبهم على الجهاد تهيجا و إلهابا بأن صاحب الدين والحمية لايتحمل أن ينزل على إخوانه المؤمنين داهية فلاتنصرهم مع قدرته على الذب عنهم و تمكنه من حماية دمارهم و معاونتهم.

(أقوم فيكم مستصرخا ، و أناديكم متغوثا ، فلاتسمعون لى قولا ، و لاتطيعون لى امرأ حتى تكشف الأمور عن عواقب المسائة) أراد أن عدم طاعتهم له مستمر إلى أن تظهر الأمور (١) أى الأمور الصادرة عنهم عن عواقب السوء و ترجع مآلها إلى الندامة وملامة النفس اللوامة ، أو المراد انه ظهر (٢)الامور الفظيعة اى الأمور الصادرة عن عدوهم بالنسبة اليهم كالقتل والغارة وانتقاص الاطراف.

(فما يدرك بكم ثار ولايبلغ بكم مرام) تهييج لهم على التألف في النصرة إذ من شأن العرب ثوران طباعهم بمثل هذه الأقوال (دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر)قال الشارح البحراني استعار لفظ الجرجرة لكثرة تملهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم إليه ، و لما كانت جرجرة الجمل الأسر أشد من جرجرة غيرها لاحظ شبه ما نسبه إليهم من التضجر بها ، و كذلك التشبيه في قوله (و تثاقلتم تثاقل النضو الأدبر).

و قوله (ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب) مضطرب(ضعيف)اشارة إلى حقارة شأنهم و قلة عددهم وقد ذكرنا أنهم كانوا نحواً من ثلثمأة أو دونها و قوله (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)اشارة إلى شدة خوفهم وجبنهم واضطرابهم فيما يساقون إليه مثل اضطراب من يساق إلى الموت و خوفه منه هذا.

و قال صاحب الغارات : إنه بعد ما خطب هذه الخطبة نزل من المنبر فدخل منزله ، فقام عدي بن حاتم فقال : هذا والله الخذلان ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين ، ثم دخل إليه فقال : يا أمير المؤمنين ان معي من طيّ ألف رجل لايعصوني فان شئت أن أسير بهم سرت،قال : ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبايل العرب للناس ولكن اخرج

١- هذا المعنى على كون تكشف بصيغة المضارع من باب ضرب،منه

٢- هذا المعنى مبنى على كون تكشف بصيغة الماضى من باب التفعل و نحوه تنكشف بصيغة المضارع من باب الانفعال على ما في بعض النسخ،منه .

إلى النخيلة و عسكربهم ، فخرج و عسكر و فرض علي عليه السلام لكلّ رجل منهم سبعمأة فاجتمع إليه ألف فارس عداطيا أصحاب عديّ و ورد عليه الخبر بهزيمة النعمان.

و روى عبدالله بن جوزة الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النّعمان وهوفي ألفين وما نحن إلا مأة ؛ فقال لنا: قاتلوهم فى القرية واجعلوا الجدرفى ظهوركم ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وا علموا أنّ الله ينصر العشرة على المأةو المأة على الألف والقليل على الكثير.

ثمّ قال انّ اقرب من ههنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين قرظة بن كعب ومخنف ابن سليم فاركض إليهما فاعلمهما حالنا و قل لهما فلينصرانا. فمررت بقرظة فاستصرخته فقال إنّما أنا صاحب خراج وليس عندي من اغيثه به ، فمضيت إلى مخنف فسرح معي عبدالرّحمن بن مخنف في خمسين رجلا .

و قاتل مالك و أصحابه النّعمان و أصحابه إلى العصر فأتيناه وقد كسر هو و أصحابه جفون سيوفهم واستقبلوا الموت، فلوأبطانا منهم هلكوا، فما هو إلاأن رآنا أهل الشام وقدأقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم و يرتفعون و رآنا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتّى دفعوهم عن القرية ، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجالاثلاثة فظنّ القوم أنّ لنا مدداً وحال الليل بيننا وبينهم فانصرفوا إلى أرضهم.

و كتب مالك إلى عليّ عليه السلام أمّا بعد : فانّه نزل بنا النّعمان بن بشير في جمع من أهل الشّام كالظاهر علينا و كان أعظم أصحابي متفرّقين و كنا للّذي كان منهم آمنين فخرجنا رجالا مصلتين فقاتلناهم حتّى المساء و استصرخنا مخنف بن سليم فبعث لنا رجالا من شيعة أمير المؤمنين و ولده ، فنعم الفتى و نعم الأنصار كانوا فحملنا على عدوّنا و شددنا عليهم ، فأنزل الله علينا نصره و هزم عدوّه و أعزّ جنده والحمدلله ربّ العالمين والسّلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته.

الترجمة

از جمله خطب آن حضرتست در وقتيكه نعمان بن بشير بأمر معاوية بد ضمير با دو هزار سوار بجهت تخويف أهل عراق از شام حركت نموده چون بعين التمر رسيد با مالك بن كعب، ارحبى كه عامل أمير المؤمنين بود جنك نموده مالك

آن حضرت را از ماوقع اخبار نموده آن‌حضرت‌هرچند ترغیب فرمودأصحاب‌خودرا بنصرت مالك و کارزاردشمنان‌ایشان‌تکاهل‌ورزیدند پس‌حضرت اینخطبه‌راخواندکه:

مبتلا شدم بکسیکه اطاعت نمیکند مرا در قتال أهل ضلال هر گاه أمر نمایم اورا به آن،واجابت‌نمینماید قول مرا در جدال هر گاه دعوت میکنم اورا به آن، پدر مباد شمارا چه انتظار میکشید بیاری دادن پروردگار خود آیا نیست شمارا دینی که جمع نماید شمارا از این تفرّق و اختلاف آراء ،و نیست غیرتی که بخشم آورد شما را أز این حرکت و کردار أعداء ، ایستاده‌ام در میان شما فریاد کننده بجهت دفع أشرار ، و میخوانم شما را بفریاد رسی در قتل دشمنان جفا کار.

پس گوش نمی دهید به گفتار من ؛ و اطاعت نمیکنید بأمر و فرمان من تا اینکه اظهار میکند این کارهای ناشایستهٔ شما از عاقبت های بدی ، یا اینکه ظاهر می شود کارهای دشوار از عاقبت های بد، پس ادراك نمیشودباعانت شما کینه جوئی و خون‌خواهی از اعداء ، و رسیده نمیشود بیاری و حمایت شما مقصودي از مقصودها.

دعوت کردم شما را بیاری برادران خودتان پس آواز گردانیدید در حنجره بجهت دلتنگی از دعوت من چون آواز گردانیدن شتریکه درد ناف داشته باشد و ناله کند از آن ، و گرانی نمودید در کار زار چون گرانی شتر لاغر ریش پشت در رفتار ،پس بیرون آمد بسوی شمااز‌جانب شما لشگرکی مضطرب‌وناتوان گویا که رانده میشوند با جبر و اکراه بسوی مرك در حالتیکه نظر میکنندبشداید مرك و أهاویل آن.

و من کلام‌له عليه السلام فی الخوارج وهو الاربعون من المختار فی باب الخطب

لمّا سمع قولهم لاحکم إلاّ لله قال عليه السلام : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِهَا ٱلْبَاطِلُ

نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلّهِ وَلَكِنْ هٰؤُلاَءِ يَقُولُونَ : لاَ إِمْرَةَ وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ اللّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ . وفي رواية أخرى أنه لمّا سمع تحكيمهم قال : حُكْمَ اللّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ ، وقال عليه السلام : أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

اللغة

(نعم) بفتحتين حرف جواب لتصديق المخبر إذا وقعت بعد الخبر و(الامرة) بالكسر الولاية اسم مصدر من امر علينا مثلثة اذا ولى و (البرّ) بفتح الباء كالبارّ الكثير البرّ والجمع أبرار و(الفيء) الغنيمة و لفظ(التّحكيم) في قول الرّضى(ره) من المصادر المولّدة من قولهم لاحكم إلاّ لله مثل التسبيح والتهليل من قول سبحان الله ولا إله إلاّ الله.

الاعراب

لكن مخففّة من الثّقيلة وهي حرف ابتداء غير عاملة لدخولها على الجملتين و معناها الاستدراك و فسّر بأن ينسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها ، و لذلك لابدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها ، نحو ما هذا ساكنا ولكن متحرّك ، أو ضدّ له نحو ما هذا أبيض ولكن أسود ، قيل أو خلاف نحو ما زيد قائما ولكن شارب ، وقيل لايجوز ذلك و كلامه عليه السلام دليل على الجواز .

و جملة و أنّه لابدّ للنّاس اه حاليّة ؛ والضّمير في أنّه للشّأن : و جملة يعمل في امرته كالتّالية لها مجرورة المحلّ على الوصفيّة ، و قوله حتّى يستريح كلمة حتّى إمّا بمعنى إلى على حدّ قوله سبحانه:

« حَتّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ » أو بمعني كي التعاليلية على حدّ قوله :

« و لاٰ يَزالُونَ يُقاتِلونَكُمْ حَتّىٰ يَرُدُّوكُمْ » و قوله : « هُمُ الّذينَ يَقولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتّىٰ يَنْفَضُّوا » .

المعنى

قدمضى في شرح الخطبة السادسةوالثّلاثين كيفيّة قتال الخوارج ، ومرّ هناك أنّهم اتّخذوا قول لاحكم إلاالله شعاراً لهم و أنّه عليه السلام لمّادخل الكوفة جآء اليه زرعة بن البرج الطائي و حرقوص بن زهير التّميمي ذوالثّدية فقال : لاحكم إلاالله و مرّ أيضاً أنّه خرج يخطب النّاس فصاحوا به من جوانب المسجد لاحكم إلاّ لله وصاح به رجل:

« و لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ و إِلىَ الّذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ » فقال عليه السلام : « فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ و لاٰ يَسْتَخِفَنَّكَ الّذينَ لاٰ يُوقِنُونَ »

و لما سمع قولهم لاحكم إلاّ لله قال عليه السلام إنّها (كلمة حقّ يراد بها الباطل) أمّا انّها كلمة حقّ فلكونها مطابقة لنفس الأمر إذ هو سبحانه أحكم الحاكمين لارادّ لحكمه ولادافع لقضائه كما قال تعالى:

« إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ و هُوَ خَيْرُ الْفاصِلينَ » .

يعنى أنّه إذا أرادشيئاًلابدّ من وقوعه ويحتمل أن يكون الحكم لحقيّتها نظراً إلى كون

جميع الأحكام مستندا إليه سبحانه بملاحظة أنه سبحانه جاعلها و شارعها كماقال:

« و لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً و مِنْهاجاً » .

ولأجل مطابقتها لنفس الأمر صدّقهم بقوله (نعم لاحكم إلاّ لله) و أما أنّهم أرادوا بها الباطل فلأنّ مقصودهم بذلك إنّما كان إبطال جعل الحكمين و إنكار صحّة تفويض الأمر إليهما بزعم أنّ الأحكام كلّها لله سبحانه، و هو الحاكم لاغير ، فلا يجوز لأحد الحكم في شيء من الأشياء إلاّ بنصّ به في القرآن ، فلايصح التحكيم و إناطة الأمر برأى الحكمين ، لعدم ورود نصّ فيه بصحّته ، و هو معنى قولهم بعد ما سمعوا صحيفة الصّلح في صفّين على ما مرّ : الحكم لله يا عليّ لالك فلا نرضى بأن يحكم الرّجال في دين الله ، و قولهم لابن عبّاس لما احتجّ معهم بأمره: و الرّابعة أنّه حكم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

و وجه بطلان ذلك أوّلا أنّ كون الأحكام لله لايستلزم كون جميع الأحكام منصوصا به في القرآن إذربّ حكم مستنبط من السنة ومن ساير الأدلّة الشرعية، وهولايخرج بذلك عن كونه حكم الله و ثانياً منع عدم ورود النصّ بالتحكيم في القرآن وقد امر بالتّحكيم في شقاق بين الرّجل و امرئته فقال سبحانه :

« فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ و حَكَماً مِنْ أَهْلِها » وحكم الرّجال في طاير فقال: « و مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزآءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ »

فدماء المسلمين أعظم من دم طاير ،والشّقاق بينهم أشدّ من الشقاق بين الرّجل والمرأة .

و ثالثا أنّ مقتضى نفيهم الحكم لغير الله هو نفى الامارة للملازمة التي بينهما كما أشار إليه بقوله (ولكن هؤلاء يقولون لا امرة) إلاّ أنّ التّالى باطل فالمقدّم مثله بيان الملازمة أنّ الأمير لابدّ أن يكون حاكما و ناظرا إلى وجوه المصلحة فاذا لم يجر له حكم ولم ينفذ له امر ولم يمض له رأى فلايكون له امارة البتة (و) أمّا بطلان التّالى فلأنه (لابدّ للنّاس من أمير برّأو فاجر) و ذلك لأنّ النوع

الانساني بمقتضى النّفس الأمّارة المودعة فيه مايل إلى الشّرور والمفاسد ، فلابدّ في بقاء نظامهم و انتظام أمر معاشهم و معادهم من مانع يمنعه من ظلمه ، و رادع يردعه عن شره.

والعلّة المانعة عند الاستقراء مرجعها إلى أحد أمور أربعة إمّا عقل زاجر أو دين حاجز أو عجز مانع أو سلطان رادع، والسّلطان القاهر أبلغها نفعاً لأنّ العقل والدّين ربّما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فيكون رهبة السّلطان أقوى ردعا وأعمّ نفعا وإن كان جائراً و لهذا اشتهر أنّ ما نزع السّلطان أكثر ممّا نزع القرآن ، و مايلتئم بالسّنان لاينتظم بالبرهان.

و كفاك شاهداً ما يشاهد من استيلاء الفتن والابتلاء بالمحن بمجرّد هلاك من يقوم بامارة الحوزة و رعاية البيضة و إن لم يكن على ما ينبغي من الصّلاح والسّداد ، ولم يخل من شائبة شرّ و فساد ولهذا لاينتظم أمراً دنى اجتماع كرفقة طريق بدون رئيس يصدرون عن رأيه و مقتضى أمره و نهيه.

بل ربّما يجرى مثل هذا فيما بين الحيوانات العجم كالنّحل لها يعسوب يقوم مقام الرئيس ينتظم أمرها مادام فيها، فاذا هلك انتشر الأفراد انتشار الجراد وشاع فيما بينها الهلاك والفساد.

و بالجملة فقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ وجود السّلطان و إن كان جايراً خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة و وقوع الهرج والمرج بين الخلق إذ كان بوجوده صلاح بعض الأمور ، على أنّه و ان كان لاخير فيه أيضاً من جهة جايريّته إلاّ أنّ هيبته و وجوده بين ا لخلق ممّا يوجب الانزجار عن إثارة الفتن ويكون ذلك خيراً وقع في الوجود بوجوده لايحصل مع عدمه، فوجوده مطلقا واجب.

و هذا معنى قوله ولابدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر و قوله (يعمل في امرته المؤمن) روي في شرح المعتزلي عن بعض شارحي كلامه ﷺ أنّ النّظر فيه إلى أمارة الفاجر و هكذا الألفاظ التى بعد ذلك كلّها راجعة إليها و أنّ المقصود بذلك أنّ أمارة الفاجر ليست بمانعة للمؤمن من العمل لأنّه يمكنه أن يصلّي ويصوم ويتصدّق

و إن كان الأمير فاجراً في نفسه (١) و بقوله (و يستمتع فيها الكافر) أنّه يتمتّع بمدّته كماقال سبحانه للكافرين :

« قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » .

و قال الشّارح البحراني : الضّمير في امرته راجع إلى الأمير، و لمّا كان لفظ الأميرمحتملا للبرّ والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الأمير من حيث هو برّ و بالتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر قال: و هذا أولى من قول بعض الشّارحين إنّ الضّمير يعود إلى الفاجر فان إمرةالفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله.

والمراد بعمل المؤمن في امرة البرّ عمله على وفق أو امرالله و نواهيه إذذلك وقت تمكنه منه و المراد باستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها أوامرالله و نواهيه و ذلك وقت تمكّنه من مخالفة الدّين.

أقول و يؤيّد هذا الوجه الرّواية الأخرى الآتية، و يمكن أن يكون المعنىأنّه لابدّ من انتظام امور المعاش من أمير برّأ و فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنّات النعيم ، و يتمتّع فيها الكافر ليكون حجّة عليه (ويبلغ الله فيها الاجل) أى في أمارة الأمير برّا كان أو فاجراً و فايدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الأجل و تخويفهم به (ويجمع به)أي بالأمير مطلقا(الفيء و يقاتل به)وجود (ه العدوّ و تأمن بـ) سطوت(ه السّبل و يؤخذ به)عد ل(ه) الحقّ (للضّعيف من القويّ) و هذه الأمور كلّها ممكنة الحصول في أمارة الفاجر كحصولها في أمارة البرّ .

ألاترى أنّ امراء بني اميّة مع كونهم فسّاقا كان الفيءيجمع بهم والبلادتفتح في أيامهم ، والثغور الاسلامية محروسة والسّبل آمنة ، والقويّمأخوذ بالضّعيف،ولم يضرّ جورهم شيئاً في تلك الأمور.

و قوله (حتّى يستريح برّ و يستراح من فاجر) يعنى أنّ هذه الأمور لاتزال

١ـ عطف على قوله بذلك،منه.

تحصل بوجود الامير برّاً كان أو فاجراً إلى أن يستريح البرّ من الأُمراء أو مطلق النّاس و يستريح النّاس من الأمير الفاجر أو مطلق الفاجر بالموت أو العزل، وفيهما راحة للبرّ لأنّ الآخرة خير من الأولى ولايجري الامور غالبا على مراده ولايستلذّ كالفاجر بالانهماك في الشّهوات، و راحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره و إن انتظم به نظام الكلّ في المعاش.

و على كون حتّى مرادفة كي التّعليلية فالمعنى أنّ غاية صدور هذه الأُمور أن يستريح البرّ من النّاس في دولة البرّ من الأُمراء، و يستريح الناس مطلقا من بغي الفجار و من الشرور والمكاره في دولة الأمير مطلقا، ولاينافي ذلك اصابة المكروه من فاجر احيانا هذا.

و قال السّيد ره (وفي رواية أُخرى انّه) عليه السلام (لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم) اى جريان القضاء بقتلهم و حلول وقت القتل وقد مرّت هذه الرّواية في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين عن ابن ويزبل في كتاب صفّين ولاحاجة إلى الاعادة.

و قال (أما الامرة البرّة فيعمل فيها التّقيّ) و يقوم بمقتضا تقواه (وأما الامرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشّقيّ) بمقتضى شقاوته (إلى أن تنقطع مدّته) اي مدّة دولته أو حياته (و تدركه منيته)

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي في شرح المقام: إنّ هذا الكلام نصّ صريح منه عليه السلام بانّ الامامة واجبة، فأمّا طريق وجوب الامامة ماهي فانّ مشايخنا البصريّين يقولون طريق وجوبها الشّرع و ليس في العقل ما يدلّ على وجوبها، و قال البغداديّون و أبوعثمان الجاحظ من البصريّين و شيخنا أبوالحسين إنّ العقل يدلّ على وجوب الرّياسة و هو قول الاماميّة إلاّ أنّ الوجه الذي يوجب أصحابنا الرّياسة غير الوجه الذي توجب الاماميّة منه الرّياسة.

و ذاك إنّ أصحابنا يوجبون الرّياسة على المكلّفين من حيث كان في الرياسة

مصالح دنيويّة و دفع مضار دنيويّة ، والاماميّة يوجبون الرّياسة على الله من حيث كان في الرّياسة لطفاً به و بعداً للمكلّفين عن مواقعة القبايح العقليّة ، و الظاهر من كلام أميرالمؤمنين يطابق ما يقوله أصحابنا ألاتراه كيف علّل قوله: لابدّ للنّاس من أمير فقال في تعليله يجمع بها الفيء و يقاتل بها العدوّ و يؤمن به السّبل و يؤخذ الضّعيف من القوي، و هذه كلّها مصالح الدّنيا انتهى.

أقول: و أنت خبير بما فيه ، لأنّ كلامه عليه السلام نصّ صريح في وجوب الامارة ، والامارة غير الامامة ، لامكان حصولها من البرّ والفاجر كما هو صريح كلامه بل من الكافر أيضاً ، بخلاف الامامة فانّها نيابة عن الرّسول والغرض العمدة فيها هو مصلحة الدّين واللّطف في حقّ المكلّفين كما أنّ المقصود من بعث النّبيّ أيضاً كان ذلك ، فلايمكن حصولها من الفاجر و إن كان يترتّب عليها مصلحة دنيويّة أيضاً إلاّ أنّ المصالح الدّنيوية زايدة في جنب المصالح الأخرويّة لاصلاحيّة فيها للعلّية للامامة و إنّما يصلح علّة لوجوب الامارة و يكتفى فيها بذي شوكة له الرّياسة العامة إماما كان أو غير إمام ، فانّ انتظام الأمر يحصل بذلك كما في عهد فجّار بني اميّة حيثما ذكرنا سابقا ، ولأجل كون نظره عليه السلام إلى وجوب الامارة علّل الوجوب بأمور راجعة إلى المصالح الدّنيويّة ، ولو كان نظره إلى الامامة لعللها بأمور راجعة إلى مصالح الدّين والدّنيا.

و بالجملة فلا دلالة في كلامه عليه السلام على مذهب الشّارع تبعاً للبغداد يّين من كون وجوب الامامة مستنداً إلى أنّ فيها جلب منافع دنيويّة و دفع مضارّ دنيويّة ، وليس مقصوده الاشارة إلى وجوب الامامة فضلا عن كونه نصّاً صريحاً فيه ، و إنّما كان مقصوده بذلك ردّ الخوارج المنكرين لوجوب الامارة ، فأثبت وجوبها لاحتياج النّاس إليها فافهم جيّداً.

الترجمة

أز جملهٔ كلام آن عاليمقام است در شأن خوارج نهروان وقتى كه شنيد گفتار ايشان را كه لاحكم إلاّ لله مى گفتند يعنى هيچ حكم نيست مگرخداوندرا

آن حضرت فرمود :

که این سخن سخن حقی است که اراده شده به آن أمر باطل بلی بدرستی که هیچ حکمی نیست مگر خدای را ولکن این جماعت مقصودشان از این سخن این است که هیچ امارت نیست در میان مردمان و حال آنکه این حرف بی‌وجه است از جهت اینکه ناچاراست مردم‌را از امیری نیکوکار یا بد کار تا اینکه عمل کند در زمان امارت أمیر نیکوکار مؤمن پرهیزکار به أوامر ونواهی پروردگار، و لذت بر دارد در زمان أمیرفاجر منافق و کافر، و تا برساند خدای تعالی در امارت آن امیر مردمانرا بمنتهای زمان و جمع شود به وجود آن أمیر غنیمت ، و قتال کرده شود بواسطهٔ او با دشمنان ، و آسوده شود بسبب او راههای بیابان ، و گرفته شود به عدالت او حق ضعیف بیچاره أز صاحب قوة با شوکت تا آسوده و راحت شود نیکوکار وراحتی یافته شود از شریر روزکار.

سید مرحوم گفته در روایت دیگر وارد شده که آنحضرت زمانی که شنید لاحکم إلا لله گفتن خارجیانرا فرمود: که حکم خداوند را انتظار می‌کشم درحق شما که حلول وقت قتل ایشان بود و فرمود آنحضرت که أما أمارت نیکو پس عمل می‌کند در آن پرهیزکار و أما أمارت بد پس تمتع یابد در آن تبه کار تا آنکه منقطع شود و بنهایت برسد مدت عمر او در زمان، و در یابد وادارك نماید اورا مرك ناگهان، والله أعلم بسرّ کلامه عليه السلام .

و من خطبة له عليه السلام وهي الاحدى والاربعون من المختار في باب الخطب

وقد رواها المحدّث المجلسي في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة قال : و من خطبه عليه السلام الحمدلله و إن أتى الدّهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل ، فانّه لاينجو من الموت من خافه ولايعطى البقاء من أحبه ألا و

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ، ولاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ، ولاَ يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ ٱلْمَرْجِعُ ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنا في زَمانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْساً ، و نَسَبَهُمْ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ فيهِ إِلىٰ حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ ، ما لَهُمْ قاتَلَهُمُ اللهُ قَدْ يَرَى ٱلْحُوَّلُ ٱلْقُلَّبُ وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ ودُونَهُ مانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ و نَهْيِهِ ، فَيَدَعُها رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْها ، و يَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ .

اللغة

(التوأم) معروف يقال هذا توأم هذاو هذه توأم هذه وهما توأمانو(الجنّة) بالضم الترس و (المرجع) اسم مكان أو مصدر والموجود في اكثر النّسخ بفتح الجيم و في بعضها بالكسر ،والظاهر انّه الصّحيح ، قال الفيروز آبادى : رجع يرجع رجوعا و مرجعا كمنزل و مرجعة شاذّان ، لأنّ المصادر من فعل يفعل إنّما تكون بالفتح و (الكيس) وزان فلس مصدر من كاس كيسا و هو الفطنة والعقل و (الحوّل القلّب) البصير بتقليب الامور و تحويلها و (الرّاى) مصدر كالرّؤية و (الانتهاز) المبادرة يقال انتهز الفرصة اغتنمها و بادر إليها و(الحريجة) التّحرج ، والتّأثم ، اى التحرّز من الحرج والاثم ، قال الفيومي تحرّج الانسان تحرّجا هذا ممّا ورد لفظه مخالفا لمعناه والمراد فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال ، تحنّث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث ، قال ابن الاعرابي: للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها يقال تحرّج و تحنّث و تأثّم وتهجّد إذا ترك الهجود.

الاعراب

قوله : كيف المرجع كيف اسم استفهام مبنيّ على الفتح و هو في محلّ رفع على الخبريّة ، والمرجع مبتداء مؤخر و الجملة في موضع نصب بعلم و هي معلّقة عنها العامل لأنّ الاستفهام لايعمل فيه ما قبله ، و مالهم استفهام انكاريّ ، و جملة

قاتلهم الله دعائية لامحلّ لها من الاعراب ، و جملة و دونه مانع حالية ، و انتصاب رأى عين على حذف المضاف لدى بعد رايه أو مع رايه بعين و يحتمل أن يكون حالا أى يتركها حالكونهامرئية بعين، وجملة و ينتهز فرصتها استينافيةلامحلّ لهامن الاعراب ، و من الموصولة فاعل ينتهز.

المعنى

اعلم انّ الوفاء والصّدق من جنود العقل كما أنّ الغدر و الكذب من جنود الجهل على ما ورد في رواية الكافي باسناده عن ابن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام ، و تقابل الأوّلين مع الآخرين تقابل العدم والملكة ، لأنّ عدّ هذه الأوصاف من جنود العقل والجهل باعتبار مباديها الرّاسخة و ملكاتها الثّابتة في النّفس دون آثارها التي هى من الأعمال والأفعال ، و على هذا فالوفاء ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه ، والغدرعدم الوفاء عمن من شأنه الوفاء، والصّدق ملكة تحصل من لزوم مطابقة الأقوال للواقع ، و الكذب عدم الصّدق لمن من شأنه الصّدق.

و أما النّسبة بين الوفاء والصّدق فهى أنّ الأوّل أخصّ من الثّاني مطلقا لأنّ الوفاء هوالصّدق في الوعد وربّما يكون صادقا في غير مقام الوعد فكلّ وفاء صدق ولايكون كلّ صدق وفاء ، و يمكن أن يقال: انّ النسبة عموم من وجه إذ الصّدق لايكون إلّا في القول ،لأنّه من أنواع الخبر ، والخبر قول والوفاء قد يكون بالعمل ، و مثلها النّسبة بين الغدر والكذب قال الشّاعر:

غاض الوفاء وفاض الغدر واتّسعت مسافة الخلف بين القول والعمل

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ الوفاء والصّدق لما كانا متشاركين في كونهما من جنود العقل متلازمين غالبا لاجرم شبّههما بالتّوأمين وقال عليه السلام (إنّ الوفاء توأم الصّدق) و ذلك إنّ التّوأم الولد المقارن للولد في بطن واحد ، فشبّه الوفاء به لتقارنه الصّدق بحسب العقل وتصاحبه معه غالبا (ولا أعلم جنّة أوقى منه) أى أشدّ وقاية منه من عذاب الآخرة و من عار الدّنيا المترتّبين على الغدر و خلف

الوعد ، مضافا إلى ما فيه من الثمرات والمنافع الأُخر ، وسنشير إلى منافعه الأُخروية بعد الفراغ من شرح الخطبة ، و أما الثمرات الدّنيويّة فمنها اعتماد الناس على قول الوفيّ و ثقتهم به و ركونهم إليه و استحقاق المدح والثّناء عند الخالق والخلائق، ومن هنا قيل الوفاء مليح والغدر قبيح.

قال المطرزي في شرح المقامات : السّمؤل يضرب به المثل في الوفاء يقال أوفى من السمؤل ، و من وفائه أنّ امرء القيس بن الحجر لما أراد الخروج استودع السمؤل دروعا فلما مات امرء القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السمؤل ، فأخذ ابناً له كان مع ظئر خارجا من الحصن ، ثمّ صاح بالسمؤل فأشرف عليه ثمّ قال هذا ابنك في يدي وقد علمت أنّ امرء القيس ابن عمّي و أنا احقّ بميراثه ، فان دفعت إليّ الدّروع وإلاّ ذبحت ابنك ، فقال: أجّلني ، فأجّله فجمع أهل بيته و نساءه فشاورهم فكلّ أشار إليه أن يدفع الدّروع ، فقال : ما كنت لأُحقّر أمانة فاصنع ما انت صانع إنّ الغدر طوق لايبلى ولابني هذا اخوة فذبح الملك ابنه و هو ينظر إليه، و رجع خائبا فلما دخلت أيّام الموسم وافى السّمؤل بالدّروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرء القيس.

وفي الأثر إنّ النّعمان بن المنذر قد جعل له يومين ، يوم بؤس من صادفه فيه قتله و أرداه ، و يوم نعيم من لقى فيه أحسن إليه و أغناه ، و كان رجل من طيّ قد خرج ليطلب الرّزق لأولاده ، فصادفه النّعمان في يوم بؤسه فعلم الطائيّ أنّه مقتول ، فقال : حيا الله الملك إنّ لي صبية صغاراً ولم يتفاوت الحال في قتلي بين أوّل النّهار وآخره ، فان رأى الملك أن اوصل إليهم هذا القوت و أوصى بهم أهل المروّة من الحيّ ثمّ أعود للملك ، فقال النعمان : لا إذن لك إلاّ أن يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه ، و كان شريك بن عديّ نديم النعمان معه ، فقال : أيّها الملك أنا أضمنه فمضى الطائيّ مسرعا و صار النعمان يقول لشريك جاء وقتك فتأهّب للمقتل ، فقال: ليس للملك عليّ سبيل حتّى يأتي المساء.

فلما قرب المساء قال النعمان : تأهّب للمقتل ، فقال شريك ، هذا شخص قد لاح

مقبلا و أرجو أن يكون الطائي ، فلما قرب إذا هو الطائي قد اشتدّ في عدوه مسرعا حتّى وصل ؛ فقال : خشيت أن ينقضي النّهار قبل وصولي فعدوت ، ثمّ قال : أيّها الملك مر بأمرك، فأطرق النّعمان ثم رفع رأسه فقال: ما رأيت أعجب منكم، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء ، فلا أكون أنا الأم الثلاثة ألا و إنّي قد رفعت يوم بؤسى عن النّاس و نقضت عادتي كرما لوفاء الطائي و كرم شريك ، فقال له النعمان : ما حملك على الوفاء و فيه اتلاف نفسك ، فقال : من لاوفاء له لادين له فأحسن إليه النعمان و وصله بما أغناه.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد الترغيب في الوفاء و بيان حسنه رهّب عن الغدر بقوله (ولا يغدر من علم كيف المرجع) يعني من كان له علم بحالة الغادر في الآخرة و بما يستحقّ به بغدره من الجحيم و العذاب الأليم ، لا يصدر منه غدر ولا يكون له رغبة إليه.

روى في البحار من الكافي مسنداً عن الاصبغ بن نباتة ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفة : يا أيّها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس الا أن لكلّ غدرة فجرة، ولكلّ فجرة كفرة ألا و إنّ الغدر والفجور والخيانة في النّار هذا.

و لمّا بيّن حسن الوفاء و قبح الغدر أشار إلى ما عليه أكثر أهل زمانه من رغبتهم إلى الغدر وعدّهم ذلك حسناً و غفلتهم عن قبحه فقال : و (لقد أصبحنا في زمان اتّخذ أكثر أهله الغدر) والخديعة (كيسا) و فطانة (ونسبهم أهل الجهل فيه إلى) صحة التّدبير و(حسن الحيلة).

و ذلك لأنّ الغدر كثيراً ما يستلزم الذّكاء والتفطن لوجه الحيلة و ايقاعها بالمغدور به كما أنّ الكيس أيضاً عبارة عن الفطانة وجودة الذّهن في استخراج وجوه المصالح ، فالغادر والكيس يشتركان في الاتصاف بالفطنة إلاّ أنّ

الأول يستعمل فطنته في استخراج وجوه الحيلة لجلب منفعة دنيويّة و إن خالفت القوانين الشّرعيّة ، والكيّس يستعمل تفطنه في استنباط وجوه المصالح الكلية على وجه لايخالف قواعد الشّريعة ، فلدقّة الفرق استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس و نسبهم أهل الجهالة والغفلة إلى صحّة الرأى و حسن الحيلة ، كما كانوا يقولون في عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ولم يعلموا أنّ حيلة الغادر تخرجه إلى رذيلة الفجور و أنّه لاحسن في حيلة جرّت الى رذيلة.

(مالهم) اى لهؤلاء الغادرين في افتخارهم بغدرهم (قاتلهم الله) و أبعدهم من رحمته (قديرى الحوّل القلّب) أى كثير البصيرة في تحويل الامور و تقليبها لاستنباط وجوه المصالح ، و أراد به نفسه الشّريف و مقصوده أنّ الغدر والخديعة ليس قابلا لأن يفتخر به فانّ صاحب البصيرة ربّما يعرف (وجه الحيلة) كأنّه يراه عيانا (و)مع ذلك لايقدم عليها لما يشاهد أنّ (دونها) أى دون الحيلة والعمل بها (مانع من أمرالله) بتركها (و نهيه) عن فعلها (فيدعها) و يتركها (رأى عين) أى مع رؤيته عيانا (بعد القدرة عليها) و تمكّنه منها تجنّباً من الرّذايل الموبقة و خوفا من الله سبحانه (و ينتهز فرصتها) و يبادر إليها (من لاحريجة له فى الدّين) ولامبالاة له في أوامر الشّرع المبين ولاخوف له من الله ربّ العالمين.

تبصرة

قدعرفت حسن الوفاء و أنّه ممّا يترتب عليه المدح والثّواب ، وقبح الغدر و أنّه ممّا يترتب عليه اللّوم والعقاب ، فيكون الأول واجبا سواء كان في عهودالله سبحانه أو عهود الخلق ، والآخر حراماً ، وقد اشير إلى ذلك المعنى في غيرموضع من القرآن و وردت بذلك أخبار كثيرة ولابأس بالاشارة إلى بعضها فانّ الاستقصاء غير ممكن.

فأقول: قال سبحانه في سورة المائدة:

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »

اى بالعهود قال ابن عباس : والمراد بهاالعهود التي أخذالله سبحانه على عباده بالايمان به و طاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم ، و في رواية أخرى قال :ماهوأحل وحرم ومافرض وما حد في القرآن كلّه، أى فلاتتعدوا ولاتنكثوا،و قيل المراد العقو دالتي يتعاقدها النّاس بينهم.

و في سورة النّحل « وأوفوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم »وفيها أيضاً :

« ولا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَليلاً إنّما عِنْدَاللهِ هُوَ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

قال الطبرسيّ : أى لاتخالفوا عهدالله بسبب شيء يسير تنالوه من حكّام الدّنيا فتكونوا قدبعتم عظيم ما عندالله بالشيء الحقير.

و في سورة مريم: « وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إسْمعيلَ إنّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وكانَ رَسُولاً نَبيّاً » .

قال في مجمع البيان : إذا وعد بشيء و فى به ولم يخلف ، قال ابن عبّاس : إنّه واعد رجلا أن ينتظره في مكان و نسي الرّجل فانتظره سنة حتّى أتاه الرّجل،وعن الكافي عن الصادق ، والعيون عن الرّضا عليه السلام ما في معناه والاسماعيل ابن خرقيل و قيل اسماعيل بن إبراهيم ، والأوّل رواه أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام .

أقول : و لعلّه أراد بهذه الرّواية ما رواه المحدّث العلامة المجلسي في البحار عن الصّدوق باسناده عن الصّادق عن آبائه عليهم السّلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ أفضل الصّدقة صدقة اللّسان تحقن به الدّماء و تدفع به الكريهة و تجرّالمنفعة الى أخيك المسلم.

ثمّ قال : إنّ عابد بني اسرائيل الذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج النّاس عند الملك ، و إنّه لقى اسماعيل بن خرقيل فقال لاتبرح حتّى أرجع اليك يااسماعيل،فسهل عنه عندالملك فبقى عندالملك ، فبقى اسماعيل إلى الحول هناك فأنبت الله

لاسماعيل عشباً فكان يأكل منه و اجرى له عينا و أظلّه بغمام فخرج الملك بعد ذلك إلى التنزه و معه العابد فرأى اسماعيل : فقال له : إنك لهٰهنا يا اسماعيل: فقال له: قلت لاتبرح فلم أبرح فسمّي صادق الوعد.

قال : و كان جبّار مع الملك فقال : أيّها الملك كذب هذا العبد قد مررت بهذه البرّية فلم أراه ههنا ، فقال اسماعيل إن كنت كاذبا فنزع الله صالح ماأعطاك قال فتناثرت أسنان الجبّار ، فقال جبّار إنّي كذبت على هذا العبد الصّالح فاطلب أن يدعوالله أن يردّ عليّ أسناني فاني شيخ كبير ، فطلب إليه الملك فقال : إنّي أفعل قال : الساعة ،قال :لا ، و أخّره إلى السّحر،ثمّ دعى ثمّ قال: يا فضل إنّ أفضل مادعوتم الله بالأسحار ، قال الله تعالى و بالأسحارهم يستغفرون.

وفي سورة الأحزاب : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ و مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » .

روى في الصافي من الكافي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال المؤمن مؤمنان ، فمؤمن صدق بعهدالله و و فى بشرطالله ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، و ذلك الذي لايصيبه أهوال الدّنيا ولا أهوال الآخرة ، وذلك ممّن يشفع ولايشفع له ، و مؤمن كخامة الزّرع يعوج احيانا و يقوم احيانا ، فذلك ممّن يصيبه أهوال الدّنيا و أهوال الآخرة ، وذلك ممّن يشفع له ولايشفع .

و عنه عليه السلام لقد ذكّركم الله في كتابه فقال من المؤمنين رجال صدقوا ، الآية إنّكم و فيتم بماأخذالله عليه ميثاقكم من ولايتنا و انكم لم تبدلوا بنا غيرنا.

و في سورة الصّف : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مالا تَفْعَلُونَ » الآية و نحوها آيات أخر.

و أمّا الأخبار فمضافا إلى ماذكرنا ما رواه في الوسايل من الكافي باسناده عن شعيب العقرقوفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يؤمن

بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد.

و من العلل باسناده عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام، يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعد رجلا إلى صخرة فقال أنا لك ههنا حتّى تأتي، قال: فاشتدّت الشمس عليه فقال له أصحابه يا رسول الله لو أنك تحوّلت إلى الظلّ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: قد وعدته إلى ههنا و إن لم يجيء كان منه المحشر.

وفي كتاب تحف العقول قال: ومن حكم أمير المؤمنين عليه السلام وترغيبه وترهيبه ووعظه أما بعد فانّ المكر والخديعة في النار فكونوا من الله على وجل و من صولته على حذر إنّ الله لايرضى لعباده بعد اعذاره و انذاره استطراداً و استدراجاً لهم من حيث لايعلمون، و لهذا يضلّ سعى العبد حتّى ينسى الوفاء بالعهد و يظنّ أنّه قد أحسن صنعاً.

ولايزال كذلك في ظنّ و رجاء و غفلة عمّا جائه من النباء يعقد على نفسه العقد و يهلكها بكل الجهد وهو في مهلة من الله على عهد(عمد خ) يهوى مع الغافلين، ويغدو مع المذنبين و يجادل في طاعة الله المؤمنين، ويستحسن تمويه المترفين «المسرفين خ»، فهؤلاء قوم شرحت قلوبهم بالشّبهة ؛ و تطاولوا على غيرهم بالفرية، و حسبوا أنّها لله قربة.

و ذلك لانّهم عملوا بالهواء، و غيّروا كلام الحكماء، و حرّفوه بجهل وعمى وطلبوا به السّمعة والرّياء، بلا سبيل قاصدة، ولا أعلام جارية، ولا منار معلوم إلى أمدهم و الى منهل هم واردوه حتّى إذا كشف الله لهم عن ثواب سياستهم، واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبراً و استدبروا مقبلا، فلم ينتفعوا بما أدركوا من امنيّتهم، ولا بما نالوا من طلبتهم، ولا ماقضوا من وطرهم، و صار ذلك عليهم وبالا فصاروا يهربون ممّا كانوا يطلبون.

و إنّى أحذّركم هذه المنزلة، و آمركم بتقوى الله الذي لاينفع غيره فلينتفع بتقية «بنفسه خل» إن كان صادقا على ما يجنّ ضميره، فانّ البصير من سمع وتفكّر و نظر فأبصر، و انتفع بالعبر، و سلك جدداً واضحاً يتجنّب فيه الصّرعة في الهوى،

و يتنكّب طريق العمى ، ولايعين على فساد نفسه الغوات بتعسّف في حقّ أو تحريف في نطق أو تغيير في صدق ، ولاقوّة إلاّ بالله، الحديث.

و في حديث الائمة إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم ألست بربكم فمن وفى لنا وفى الله له بالجنّة.

و عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ويجيء كلّ غادر يوم القيامة بامام مايل شدقه(١) حتّى يدخل النّار هذا.

وقد ظهر لك ممّا ذكرناه ورويناه أنّ متعلّق الوفاء أعمّ من عهود الله سبحانه ومواثيقه التّي أخذها من العباد ، و من عهود النّاس و شروط بعضهم مع بعض و مواثيقهم الموافقة للقوانين الشّرعية ، و الاولى عامة لأصول العقايد من التّوحيد و النّبوة والولاية حيث أخذ ميثاق النّاس عليها في عالم الذرّ ، و بالسّنة الأنبياء و الرّسل والكتب المنزلة ، والفروع العقايد من العبادات البدنية والواجبات العملية، و الثانية شاملة للعقود التي يتعاقدونها بينهم من البيع والصّلح والاجارة و نحوها ، و للعهود والعدات المجرّدة عن العقد.

و ثمرة الوفاء بالاولى الترقّى الى مدارج الكمال واليقين والطيران في حظيرة القدس مع الأولياء المقربين ، و ثمرة الوفاء بالفروع البدنيّة النجاة من الجحيم والخلاص من العذاب الأليم ، و نتيجة الوفاء بالعقود المعقودة استكمال النّظام و حصول الانتظام ، و بالعهود المجرّدة اقتناء الفضايل و اجتناب الرّذايل.

والظاهر من كلامه عليه السلام الذي نحن في شرحه هو أنّ مراده بالوفاء هو وفاء الناس بما يتعاهدون بينهم، و بالغدر الغدر المقابل له ، و غير خفىّ أنّ حسن الوفاء و وجوبه إنما هو في حقّ أهل الوفاء كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته : الوفاء لأهل الغدر غدر عندالله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عندالله.

يعنى أنّه إذا كان بينهما عهد و مشارطة فغدر أحدهما و خالف شرطه فيجوز للآخر نقض العهد أيضاً ، ولايجب له الوفاء بل يكون وفائه في حقّه غدراً قبيحا ،

١ـ الشدق بالكسر و بفتح الدّال المهملة طفطفة الفم من باطن الخدّين، ق.

و غدره وفاء متصفا بالحسن ، و ذلك لأن الله سبحانه قد أمر بالوفاء مع وفاء الطرف الآخر و بالنقض مع نقضه كما اشير اليه في قوله:

« كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَاللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّالَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ »

فيكون الوفاء مع مخالفة الطرف الآخر مخالفاً لأمر الله و لحكمه الذي كان يجب عليه امتثاله و الالتزام به، فيكون ذلك الوفاء غدراً في حكم الله و يترتب عليه أثره، والغدر له امتثالا لأمر الله و وفاء بحكم الله فيستحق الثناء الجميل والأجر الجزيل، ويحتمل أن يكون المراد أنه يترتب على الموفى إثم الغادر و على الغادر أجر الموفي ، والله العالم.

الترجمة

از جملهٔ خطب آن حضرتست در مدح وفا و ذمّ غدر ميفرمايد :

بدرستی که وفا نمودن بعهد همزاد راستی و درستی است ، و نميدانم هيچ سپری که نگاه دارنده‌تر باشد از اين خصلت ، و غدر نمی‌کند کسی که داند که چگونه است بازگشت بخدا، و بتحقيق که صباح کرده‌ايم در زمانی که أخذ نموده‌اند بيشترين أهل آن زمان بی وفائی را کياست و زيرکی ، و نسبت داده أهل جهالت جماعت غدار را در آن روزگار به نيکوئی حيلت وفراست ، چيست اينجماعت را خدا دور گرداند ايشان‌را ازرحمت خود در هردوجهان بدرستی که می بيند مردی که صاحب بصيرتست در تحويل امور و تقليب آنها و در استنباط وجوه مصالح ظاهر حيله را و حال آنکه نزد آن حيله مانعی است از امر خدا و نهی او ، پس ترك می کند آن حيله را در حال ديدن آن بچشم بعداز قدرت او بر آن بجهت خوف از عقاب خداوند ، و غنيمت ميشمارد مجال آن را کسی که صاحب پرهيز از گناه نيست در دين.

و من خطبة له عليه السلام و هى الثانية و الاربعون من المختار فى باب الخطب

وقد رواها المحدّث المجلسي و غيره بطرق مختلفة و اختلاف يسير، ورواها الشارح المعتزلي أيضاً في شرح الخطبة الآتية، و نشير الى تلك الرّوايات بعد الفراغ من شرح ما أورده السّيد قدّس سرّه في الكتاب و هو قوله عليه الصّلاة والسّلام:

أيُّها النّاسُ إنّ أخْوفَ ما أخافُ عَلَيْكُمْ إثْنَتانِ: اتّباعُ الْهَوى، وَطُولُ الْأمَلِ، فَأمّا اتّباعُ الْهَوى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقّ، وَ أمّا طُولُ الْأمَلِ فَيُنْسى الْآخِرَةَ، ألا وَإنّ الدُّنيا قَدْ وَلَّتْ حَذّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلّا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الْإناء إصْطَبّها صابُّها، ألا وَ إنّ الْآخِرَةَ قَدْ أقْبَلَتْ، وَ لِكُلٍّ مِنْهُما بَنُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أبْناء الْآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أبْناءِ الدُّنيا، فَإنّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأبِيهِ (بأمّه خ ل) يَوْمَ الْقِيمَةِ، وَإنّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسابُ، وَغداً حِسابٌ وَلا عَمَلُ.

اللغة

قال السّيد (ره) قوله: (حذّاء) الحذّاء السّريعة ومن الناس من يروى جذّاء بالجيم والذال اى انقطع خيرها و درّها انتهى (١) و (الصّبابة) بضمّ الصّاد المهملة بقية الماء في الاناء و(الاصطباب) افتعال من الصّبّ وهو الاراقة.

الاعراب

كلمة ما في قوله أخوف ما أخاف نكرة موصوفة، والعايد من الصّفة إلى الموصوف محذوف، أى أخوف ما أخافه على حدّ قوله ربما تكره النّفوس له فرجة

١ـ حذّاء بالحاء والذال المعجمة وهى السريعة قطاة حذا اخف ريش ذنبها و رجل حذا أحصف اليد وقد روى قد أدبرت جذاء بالجيم اى قد انقطع خيرها ودرّها، ابن ابى الحديد.

كحلّ المقال، أي ربّ شيء تكرهه النّفوس، و قوله: اتّباع الهوى و طول الأمل مرفوعان على أنّهما خبران لمبتداء محذوف واقعان موقع التفسيرلاثنتان، و هومن باب الايضاح بعد الابهام المسمّى في فنّ البلاغة بالتّوشيح، و هو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنّى مفسّر باسمين ثانيهماعطف على الأوّل، و مثله يشيب ابن آدم و يشبّ فيه خصلتان: الحرص و طول الأمل، و حذاء منصوب على الحالية، والاّ صبابة مرفوع على الاستثناء المفرغ.

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبة النّهى عن اتّباع الهوى والمنع من طول الأمل في الدّنيا، فانّهما من أعظم الموبقات و أشدّ المهلكات كما قال سبحانه:

« فَأَمّا مَنْ طَغى و آثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ، و أمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ و نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ»

يعنى من تجاوز الحدّ الذي حدّه الله و ارتكب المعاصي و فضّل الدّنياعلى الآخرة و اختارها عليها: فانّ النّار منزلها و مأواها، و أمّا من خاف مقام مسألة ربّه فيما يجب عليه فعله أو تركه، و نهى نفسه عن الحرام الذي تهويه و تشتهيه، فانّ الجنّة مقرّه و مثواه و لكونهما من أعظم المهلكات كان خوفه منهما أشدّ كما أشار إليهما بقوله ﷺ (أيها النّاس إنّ أخوف ما أخاف) ه (عليكم اثنتان) اى خصلتان إحداهما (اتّباع الهوى) والمراد به هو ميل النّفس الأمارة بالسّوء الى مقتضى طباعها من اللّذات الدّنيوية إلى حدّ الخروج عن قصد الشّريعة.

و مجامع الهوى خمسة أمورجمعها قوله سبحانه:

« إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنيا لَعِبٌ، ولَهْوٌ، وزِينَةٌ، و تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ، وتَكاثُرٌ في الْأَمْوالِ و الْأَوْلادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً و فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ»

والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة جمعها قوله سبحانه:

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ »

(و) الخصلة الثانية (طول الأمل) والمراد بالأمل تعلّق النّفس بحصول محبوب في المستقبل، و يرادفه الطمع والرّجاء إلاأنّ الأمل كثير أما يستعمل فيما يستبعد حصوله والطمع فيما قرب حصوله والرّجاء بين الأمل والطمع و طول الأمل عبارة عن توقع امور دنيوية يستدعى حصولها مهلة في الاجل و فسحة من الزمان المستقبل

ثمّ إنّه عليه السلام بعد تحذيره عن اتباع الهوى وطول الأمل أشار إلى مايترتّب عليهما من المفاسد الدّينية والمضار الأخرويّة فقال: (أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ) وذلك لانّ اتّباع الهوى يوجب صرف النّظر إلى الشهوات الدّنيوية و قصر الهمّة في اللذات الفانية و هو مستلزم للاعراض عن الحقّ و هو واضح ، لأنّ حبّك للشيء صارفك عمّا وراه و شاغلك عمّا عداه.

(و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة) و ذلك لما قد عرفت من أنّ طول الأمل عبارة عن توقع امور محبوبة دنيويّة فهو يوجب دوام ملاحظتها و دوام ملاحظتها مستلزم لاعراض النّفس عن ملاحظة أحوال الآخرة و هو مستعقب لانمحاء تصورها في الذّهن وذلك معنى النّسيان لها.

قال بعضهم : سبب طول الأمل هو حبّ الدّنيا فانّ الانسان إذا أنس بها و بلذّاتها ثقل عليه مفارقتها وأحبّ دوامها ، فلا يتفكّر في الموت الذي هو سبب مفارقتها فانّ من أحبّ شيئا كره الفكر فيما يزيله و يبطله ، فلايزال تمنّى نفسه البقاء في الدّنيا و تقدّر حصول ماتحتاج إليه من أهل ومال وأدوات و أسباب، و يصير فكره مستغرقا في ذلك فلايخطر الموت والآخرة بباله.

و إن خطر بخاطره الموت والتّوبة والاقبال على الأعمال الأخرويّة أخّر ذلك

من يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام و قال إلى أن اكتهل ويزول سن الشباب ، فاذا اكتهل قال إلى أن أصير شيخا ، فاذا شاخ قال إلى أن اتم هذه الدار و ازوّج ولدي فلانا و إلى أن أعود من هذا السفر و هكذا يسوّف التوبة كلّما فرغ من شغل عرض له شغل آخر بل اشغال حتى يختطفه الموت و هو غافل عنه غير مستعد له مستغرق القلب في أمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته وتكثر ندامته وذلك هو الخسران المبين.

ثم إنه بعد الاشارة إلى كون اتباع الهوى صادّاً عن الحق وطول الأمل منسياً للآخرة أردف ذلك بالتنبيه على سرعة زوال الدنيا و فنائها كي يتنبه الغافل عن نوم الغفلة و يعرف عدم قابليتها لأن يطال الأمل فيها أو يتّبع الهوى فقال (ألا وإن الدّنيا قد ولّت حذّاء) أي أدبرت سريعة لكونها مفارقة لكل شخص (فلم يبق منها) بالنسبة إليه (إلا صبابة كصبابة الاناء اصطبّها صابّها) اطلاق الصبابة استعارة لبقيّتها القليلة ، والقلّة هي الجامع بين المستعار منه والمستعار له (ألا وإن الآخرة قد أقبلت) إشارة إلى سرعة لحوق الآخرة ؛ إذا إدبار العمر مستلزم لاقبال الموت الذي هو آخر أيام الدنيا و أوّل أيام الآخرة.

والاتيان بأنّ المؤكدة و حرف التنبيه وقد التحقيقية ، من أجل تنزيل العالم منزلة الجاهل فكان المخاطبين لغفلتهم عن اقبالها حيث لم يتزوّدوا لها ولم يتخذوا لها ذخيرة جاهلون له و قوله ﷺ (ولكلّ منهما بنون) شبّه الدنيا والآخرة بالأب أو الامّ وأهلها بالأبناء والأولاد إشارة إلى فرط ميل أهل الدّنيا إلى دنيا هم وأهل الآخرة إلى آخرتهم فهم من فرط المحبة إليهما بمنزلة الابن إلى أبويه ، وهما من حيث تهيّة الاسباب لأهلهما بمنزلة الأبوين الصّارفين نظرهما إلى تربية الأولاد.

ثم لما كان غرضه ﷺ حثّ الخلق على السّعي للآخرة ، والميل إليها والاعراض عن الدّنيا قال (فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا) و علّله بقوله (فانّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة) قال الشّارح البحراني: وأشار بذلك إلى أنّ أبناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لأجلها مقرّبون في الآخرة لاحقون لمراداتهم فيها،

ولهم فيها ماتشتهى أنفسهم ولهم ما يدّعون نزلا من غفور رحيم

و أما أبناء الدّنيا فانّ نفوسهم لما كانت مستغرقة فى محبّتها و ناسية لطرف الآخرة و معرضة عنها ، لاجرم كانت يوم القيامة مغمورة في محبّة الباطل ، مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الرّديّة ، فهي لتعلّقها بمحبة الدّنيا حيث لايتمكّن من محبوبها بمنزلة ولد لاتعلّق له إلاّ بوالده ولا ألف له إلاّ هو ولا انس إلاّ معه، ثمّ حيل بينه و بينه مع شدّة تعلّقه به و شوقه إليه ، و اخذ إلى ضيق الأسجان و بدل بالعزّ الهوان فهو في أشدّ وله و همّ وأعظم حسرة وغمّ.

و أمّا أبناء الآخرة ففي حضانة أبيهم و نعيمه قد زال عنهم بؤس الغربة و شقاء اليتم و سوء الحضن فمن الواجب إذا تعرف احوال الوالدين و اتباع اثرهما وادومهما شفقة و أعظمهما بركة ، وما هى الاّ الآخرة وليكن ذو العقل من أبناء الآخرة وليكن براً بوالده متوصلا إليه بأقوى الاسباب و أمتنها (و انّ اليوم عمل ولاحساب) أراد باليوم مدّة الحياة يعنى أنّ هذا اليوم يوم عمل ، لأنّ التكليف إنّما هو في هذا اليوم والعمل به والامتثال له إنّما يكون فيه (و غداً حساب ولاعمل) أراد بالغدما بعد الموت و هو وقت الحساب ولاعمل فيه لانقطاع زمان التكليف فعلى هذا فاللاّزم للعاقل أن يبادر إلى العمل الذي به يكون من أبناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل ، والله ولىّ التوفيق.

تبصرة

اعلم أنّ طول الأمل من أعظم الموبقات حسبما مرّت إليه الاشارة ، وكفى في ذلك قوله سبحانه:

« رُبَما يَوَدُّ الّذينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمينَ ، فَذَرْهُمْ يَأْكُلُوا و يَتَمَتَّعُوا و يُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »

فنبّه سبحانه على أنّ ايثار التنعّم والتلذّذ الذي هو من شئونات اتباع الهوى و ما

يؤدّي إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لا من أخلاق المؤمنين.

وأمّا الأخبار في ذمّه والتحذير منه و بيان ما يترتب عليه من المفاسد فهو فوق حدّ الاحصاء.

فمن ذلك ما ورد في الحديث القدسي: يا موسى لا تطول في الدّنيا أملك فيقسو لذلك قلبك و قاسي القلب منّي بعيد.

و في النّبويّ المعروف المرويّ في البحار بعدّة طرق قال صلى الله عليه وآله : يا باذر إيّاك والتّسويف بأملك فانك بيومك و لست بما بعده فان يكن غدلك فكن في الغد كما كنت في اليوم ، و إن لم يكن غدلك لم تندم على ما فرطت في اليوم ، ياباذر كم مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه ، ياباذر لو نظرت إلى الأجل و مصيره لأبغضت الأمل وغروره، ياباذر إذا أصبحت لا تحدّث نفسك بالمساء ؛ و إذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصّباح، وخذ من صحّتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك ، فانّك لاندرى ما اسمك غداً

و عن أنس أنّ النّبيّ خطّ خطاً و قال : هذا الانسان ، و خطّ إلى جنبه و قال : هذا أجله ، و خطّ اخرى بعيداً منه فقال : هذا الأمل فبينما هو كذلك إذ جائه الأقرب.

و في رواية أنّه اجتمع عبدان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملي إذا أصبحت أن لا امسى و إذا امسيت أن لا اصبح ، فقال: إنك لطويل الأمل ، أمّا أنا فلا اؤمّل أن يدخل لي نفس إذا خرج ولا يخرج لي نفس إذا دخل .

و في الصّحيفة السّجادية على منشئها آلاف السّلام والتّحية : اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و اكفنا طول الأمل ، و قصره عنّا بصدق العمل ، حتّى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة ، ولا استيفاء يوم بعد يوم ، ولا اتّصال نفس بنفس، ولا لحوق قدم بقدم، و سلّمنا من غروره، و آمنّا من شروره.

• في الدّيوان المنسوب الى علىّ عليه السلام :

تؤمّل في الدّنيا طويلا ولاتدرى / اذا جنّ ليل هل تعيش إلى فجر
فكم من صحيح مات من غير علّة / و كم من مريض عاش دهراً الى دهر
وكم من فتى يمسى ويصبح آمناً / وقد نسجت اكفانه و هو لايدرى

و بالجملة فانّ مضار طول الأمل ومفاسده غير خفيّة على من تنوّر قلبه بنور العرفان، ولو لم يكن فيه إلاّ نسيان الآخرة الذى أشار عليه السلام إليه بقوله: وأمّاطول الأمل فينسى الآخرة لكفى، فكيف بمفاسد متجاوزة عن حدّ الاحصاء، و قاصرة عن طىّ مسافتها قدم الاستقصاء، عصمنا الله من طول الأمل في الدّنيا و من طول الحساب في الآخرة بمحمد و آله أعلام الهدى إنّه على كلّ شيء قدير و بالاجابة حقيق و جدير.

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة مرويّة في البحار و غيره مسندة بعدة طرق و اختلاف يسير أحببت الاشارة إليها.

فأقول: في البحار من مجالس المفيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن معروف عن ابن مهزيار عن عاصم عن فضيل الرّسال عن يحيى بن عقيل قال: قال عليّ عليه السلام: إنّما أخاف عليكم اثنتين اتّباع الهوى و طول الأمل فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة، ارتحلت الآخرة مقبلة و ارتحلت الدّنيا مدبرة، و لكلّ بنون فكونوا من بني الآخرة ولاتكونوا من بني الدّنيا، اليوم عمل ولاحساب و غداً حساب ولاعمل.

و في بعض مؤلّفات أصحابنا من المجالس و الأمالى عن المفيد عن الجعابي عن محمّد بن الوليد عن عنبر بن محمّد عن شعبة عن مسلمة عن أبي الطفيل قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتّباع الهوى، فأمّا طول الامل فينسى الآخرة، و أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، ألا و إنّ الدّنيا قد تولّت مدبرة، و انّ الآخرة قد أقبلت مقبلة، و لكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولاتكونوا من أبناء الدّنيا فانّ اليوم عمل ولاحساب

والآخرة حساب ولاعمل.

و في شرح المعتزلي من كتاب نصربن مزاحم أنّ عليّا قدم من البصرة في غرة شهر رجب من سنة ستّ وثلاثين إلى الكوفة وأقام بها سبعة عشر شهراً يجرى الكتب بينه و بين معاوية و عمروبن العاص حتّى صار إلى الشام.

قال نصر وقد روى من طريق أبي الكنود وغيره أنّه قدم الكوفة بعد وقعة الجمل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ستّ و ثلاثين ، فدخل الكوفة و معه أشراف النّاس من أهل البصرة و غيرهم فاستقبل أهل الكوفة و فيه قرّائهم وأشرافهم فدعوا له بالبركة و قالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل أتنزل القصر ؟ قال عليه السلام : ولكنّي أنزل الرهبة ، فنزلها و أقبل حتّى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ، ثمّ صعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه وصلّى على رسوله ثمّ قال:

أما بعد يا أهل الكوفة فانّ لكم في الاسلام فضلا ما لم تبدّلوا و تغيّروا ، دعوتكم إلى الحقّ فأجبتم و بدأتم بالمنكر فغيّرتم ، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله ، فأمّا الأحكام والقسم فأنتم اُسوة غيركم ممّن أجابكم ، و دخل فيما دخلتم فيه ، ألا إنّ أخوف ماعليكم اتّباع الهوى و طول الأمل أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة ، ألا إنّ الدّنيا قد رحلت مدبرة ، و إنّ الآخرة قدترحلت مقبلة ، و لكلّ واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

و يأتي روايتها بسند آخر في شرح الخطبة المأتين والرّابعة والعشرين إنشاء الله تعالى باختلاف وزيادة كثيرة.

الترجمة

از جملهٔ خطب آن حضرتست در تنفير مردمان از اتباع هوى و طول أمل باين وجه كه ميفرمايد:

أى مردمان بدرستى كه ترسناك ترين چيزي كه مى‌ترسم بر شما از عقوبت آن دو چيز است : يكى متابعت خواهشات نفس أماره ، و دويمى درازى اميد در

امور دنیویه ، پس أما متابعت هوای نفس پس باز میدارد بنده را ازراه حق وأما درازي امید پس فراموش می گرداند آخرت را آگاه باشید که دنیای فانی رو گردانیده است در حالتی که شتابان است یا در حالتی که مقطوع المنفعة است ، آگاه باشید که آخرت رو آورده است و مر هر یکی را از دنیا و آخرت پسرانست ، پس باشید از فرزندان آن جهان تا داخل شوید در بهشت جاویدان ، و نباشید از فرزندان این جهان تا معذب شوید بعذاب نیران ، پس بدرستی که هر فرزند ملحق میشود به پدر خود فردای قیامت ؛ وبدرستی امروز که روز زندگانیست روز عملست وحساب نیست ، و فردا روز حسابست و عمل نیست ، پس لازم است که امروز که روز عملست فرصت را غنیمت شمرده ودر عمل کوشید تا فردا که روز حسابست فارغ البال از کوثر و سلسبیل آب نوشید ، و از سندس و استبرق لباس پوشید ، والله العالم .

و من كلام له عليه السلام و هو الثالث والاربعون من المختار في باب الخطب

وقد أشار عليه «إليه خل» أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشّام بعد ارساله إلى معاوية لجرير بن عبدالله البجلي:

إِنَّ اسْتِعْدادي لِحَرْبِ أَهْلِ الشّامِ وَ جَريرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاقٌ لِلشّامِ ، وَ صَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيرٍ إِنْ أَرادُوهُ ، وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَريرٍ وَقْتاً لا يُقيمُ بَعْدَهُ إِلاّ مَخْدُوعاً أَوْ عاصِياً ، وَ الرَّأْيُ مَعَ الْأَناةِ ، فَأَرْوِدُوا وَلا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدادَ ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَ قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ

فَلَمْ أرَ فيهِ إلاّ الْقِتالَ أوِ الْكُفْرَ بِماجاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ (بما أنزل على محمّد خ ل) إنَّهُ قَدْ كانَ عَلى الأُمَّةِ والٍ أحْدَثَ أحداثاً وَأوْجَدَ النّاسَ مَقالاً فَقالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا

اللغة

(أشار) عليّ بكذا اى أرانى ما عنده من المصلحة و (البجليّ) بالتّحريك منسوب إلى البجيلية حىّ باليمن من معدو (الاغلاق) الاكراه كما في القاموس و قيل إنّه من أغلق الباب اذا عسر فتحه و (الاناة) كالقناة اسم من التّأنى وَ هو الرّفق والتثبّت و (أرودوا) أمر من باب الافعال يقال أرودفي السير إرواداً أى سار برفق و(الحدث) بالتّحريك الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة ، هكذا فسّره ابن الأثير على ما حكى عنه و (أوجد) هنا للصيرورة أى صيّرهم واجدين مقالا (و نقم) منه نقما من باب ضرب وعلم عاقبه و نقم الأمر كرهه و أنكره.

الاعراب

اللاّم في قول الرضى لجرير زايدة للتقوية و في بعض النّسخ بدون اللاّم ، و جملة وجرير عندهم حالية ، و اغلاق خبر ان والضّمير في انّه للشأن والكوفيّون يسمّونه ضمير المجهول لأنّ ذلك الشّأن مجهول لكونه مقدّراً إلى أن يفسّر الضّمير .

قال نجم الأئمة الرّضيّ : وهذا الضّمير كأنّه راجع في الحقيقة إلى المسؤول عنه بسوال مقدّر ، تقول هو الأمير مقبل كأنه سمع ضوضاة وجلبة فاستبهم الأمر فسأل ما الشأن و القصّة ؛ فقلت هو الأمير مقبل ، أى الشّأن هذا ، فلما كان المعود إليه الذي تضمنه السّؤال غير ظاهر قبل اكتفى في التّفسير بخبر هذا الضّمير الذى يتعقبه بلافصل ، لأنّه معين للمسؤول عنه، ومبين له، فبان لك بهذا أنّ الجملة بعد الضّمير لم يؤت بها

لمجرّد التفسير ، بل هي كساير أخبار المبتدءات ، لكن سمّيت تفسيراً لماقررته، والقصدبهذاالابهام ثم التّفسيرتعظيم الأمروتفخيم الشّأن ، فعلى هذا لابدّ أن يكون مضمون الجملة المفسّرة شيئاً عظيماً يعتنى به فلا يقال مثلا هوالذّباب يطير

المعنى

اعلم أنّه كان ظنّ كثير من النّاس بعدولايته عليه السلام أنّ معاوية لا يمكّن له ولاينقاد لبيعته بأمارات كانت لائحة عندهم (و) لذلك (قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد) والتّهيؤ (لحرب أهل الشّام بعد ارساله) ﷺ (إلى معاوية لجرير بن عبدالله البجلي) مع كتاب له كتبه اليه على ما يأتي ذكره ، ولمّا لم يكن هذه الاشارة من الأصحاب مطابقة لرأيه الصّواب أجابهم بقوله : (إنّ استعدادي لحرب أهل الشّام وجرير عندهم إغلاق للشّام) واكراه (وصرف لأهله عن خير إن أرادوه)

وذلك لأنّهم مادام كون جرير عندهم في مقام الشّور والتروّى فى متابعة أىّ الأميرين وإن لم يكن كلّهم فبعضهم كذلك لا محالة فاستعداده لحربهم في تلك الحال موجب لاستعدادهم لحربه وتأهّبهم للقائه وملجئاً(١) لهم إلى قتاله ، ففيه صرف لقلب من كان متردّداً في الأمر و مريداً للخير (ولكن قد وقّتّ لجرير وقتاً لا يقيم بعده الّامخدوعا أو عاصياً) وجه الحصر أنّ تخلّفه عن الوقت الموقت له إمّا أن يكون بسبب تأخيرهم في الجواب خداعا له وأخذاً في تلك المدّة بتهيئة الأسباب ، و إمّا أن يكون بسبب تقصير منه في المبادرة إلى المراجعة إليه ، فيكون عاصياً

ولما لم يستصوب رأيهم أشار إلى وجه المصلحة وما هوالرّأى الصّواب بقوله : (والرّأى مع الاناة) ، وذلك لأنّ إصابة المطالب والظفر بها إنّما يكون في الغالب بالتثبّت والتّأنّي ، لأنّ اناة الطالب هى مظنّة فكره في الاهتداء إلى تلخيص الوجه الأليق والأشمل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ، ولذلك جعل التؤدة من جنود العقل والتّسرّع وهوضدّها من جنود الجهل

١ـ اسم فاعل من الالجاء وهوالاكراه والاغلاق منه

قال بعض المحققين(١) : التؤدة صفة نفسانية من فروع ملكة التوسط والاعتدال في القوة الغضبية يعني هيئة الوقار كما أن التسرع الذي هو ضدها و هو الاشتياط من فروع الافراط فيها .

و توضيحه ما قاله بعض (٢) شراح الكافي حيث قال: التؤدة تابعة للسكون والحلم الذين من أنواع الاعتدال في القوة الغضبية فان حصولها يتوقف عليهما أما على السكون فلأنه عبارة عن ثقل النفس وعدم خفتها في الخصومات ، وأما على الحلم فلأنه عبارة عن الطمأنينة الحاصلة للنفس باعتبار ثقلها و عدم خفتها بحيث لا يحركها الغضب بسرعة وسهولة ، وإذا حصلت للنفس هاتان الصفتان أمكن لها التأني و التثبت و عدم العجلة في البطش و الضرب و الشتم إلى غير ذلك من أنواع المؤاخذة .

و كيف كان فلما أجابهم بكون صلاح الامر في الاناة عقبه بالأمر بملازمتها بقوله (فأرودوا) فان الرفق و المداراة الذين هما معنى الارواد لا زمان للتثبت والاناة ، ولما كان ظاهر كلامه مفيداً لكون الصواب في الاناة مطلقاً استدرك ذلك بقوله (ولا اكره لكم الاعداد) قال الشارح المعتزلي : ولا تناقض بينه وبين نهيه لهم سابقاً عن الاستعداد ، لانه كره منهم إظهار الاستعداد و الجهر به و لم يكره الاعداد في السر وعلى وجه الكتمان والخفاء ، وقال الشارح البحراني: إنه ﷺ نبه بذلك على أنه ينبغي لهم أن يكونوا على يقظة من هذا الامر حتى يكونوا حال إشارته إليهم قريبين من الاستعداد .

و قال البحراني أيضاً : إن قوله (ولقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه و قلبت ظهره و بطنه) استعارة على سبيل الكناية فانه استعار لفظ العين و الانف و الظهر و البطن اللتي حقايق في الحيوان ، لحاله مع معاوية في أمر الخلافة و خلاف أهل الشام له ، وكنى بالعين والأنف عن المهم من هذا الأمر وخالصه ، فان العين والانف

١ـ ملاصدرا في شرح اصول الكافي منه

٢ـ ملا صالح المازندراني في شرح اصول الكافي منه

أعزّ مافي الوجه ، و كنّى بالضّرب لهما عن قصده للمهمّ على سبيل الاستعارة أيضاً ، وكنّى بلفظ الظهر والبطن لظاهر هذا الأمر وباطنه ووجوه الرّأى فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحداً واحداً .

ثمّ أشار إلى ماتحصّل له بعد التّروي والتفكّر والتّقليب بقوله : (فلم أرفيه إلاّ القتال أو الكفر بماجاء) به (محمد صلّى الله عليه وآله) ومن المعلوم أنّ الكفر في حقّه عليه السلام محال فتعيّن القتال ، ووجه انحصار الأمر فيهما أنّه كان مأموراً من الله ومن رسوله بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين ، فكان أمره دائراً بين المقاتلة والجهاد امتثالا للأمر والتّرك والمنابذة كفراً وعصياناً ، وربّما يسمّى ترك بعض الواجبات بالكفر حسبما مرّ تفصيلاً في شرح آخر فقرات الخطبة الأولى أعنى قوله : ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين، فتذكّر

ويدلّ على كونه مأموراً بقتال هؤلاء مارواه في البحار من أمالي الشّيخ باسناده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال لمّا نزلت :

« يا أيُّها النَّبيُّ جاهِدِ الكُفّارَ وَ المُنافِقينَ »

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : لأجاهدنّ العمالقة يعني الكفّار والمنافقين ، فأتاه جبرئيل قال : أنت أو عليّ

ومن الكافي باسناده عن الفضيل بن عياض عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال : قال : بعث الله محمّداً بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة ، و سيف منها مكفوف ، و سيف سله إلى غيرنا ثمّ قال : و أمّا السّيف المكفوف فسيف على أهل البغى و التأويل ، قال الله تعالى:

« وإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنينَ اقْتَتَلوُا فَأصْلِحوُا بَيْنَهُما فإنْ بَغَتْ إحْديهُما عَلَى الاُخْرىٰ فَقاتِلوُا الَّتي تَبْغي حَتّىٰ تَفيءَ إلىٰ أمرِ اللهِ »

فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّ منكم من يقاتل بعدى على التّأويل كما قاتلت على التّنزيل فسئل النبي صلّى الله عليه وآله من هو ؟ فقال : خاصف النّعل يعني أمير المؤمنين

فقال : عمّار بن ياسر : قاتلت بهذه الرّاية مع النّبيّ ثلاثاً ، وهذه الرّابعة، والله لو ضربونا حتّى بلغوا بنا السّعفات من هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل

و من العيون باسناد التّميمي عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال عليّ عليه السلام : اُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين

و من رجال النّجاشي مسنداً عن عبدالله بن عبيدالله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن أبي رافع قال : دخلت رسول الله و هو نائم أو يوحى إليه وإذا حيّة في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فاُوقظه ، فاضطجعت بينه و بين الحيّة حتّى ان كان منها سوء يكون لي دونه ، فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية :

« إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم راكعون »

ثمّ قال : الحمدلله الذي أكمل لعليّ منيته ، وهنيئاً لعليّ بتفضيل الله إيّاه ، ثمّ التفت فرآني إلى جانبه فقال : ما أضجعك ههنا يا أبارافع؟ فأخبرته خبر الحيّة فقال : قم إليها فاقتلها ، فقتلتها ، ثمّ أخذ رسول الله بيدى فقال يا أبا رافع كيف أنت و قوم يقاتلون عليّاً هو على الحقّ وهم على الباطل يكون في حقّ الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم فبقلبه ومن لم يستطع بقلبه فليس وراء ذلك شيء ، فقلت : ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله و يقويني على قتالهم ، فقال صلّى الله عليه وآله : اللّهمّ إن أدركهم فقوّه و أعنه ثمّ خرج إلى النّاس فقال : يا أيّها النّاس من أحبّ أن ينظر إلى أميني على نفسي فهذا أبو رافع أميني على نفسي .

قال عون بن عبيدالله بن أبي رافع : فلمّا بويع عليّ و خالفه معاوية بالشّام وسار طلحة والزّبير إلى البصرة ، قال أبورافع هذا قول رسول الله سيقاتل عليّاً قوم يكون حقّاً في الله جهادهم فباع أرضه بخيبر وداره ثمّ خرج مع عليّ عليه السلام وهو شيخ كبير له خمس و ثمانون سنة ، وقال: الحمدلله لقد أصبحت و لا أحد بمنزلتي لقد بايعت البيعتين : بيعة العقبة ، و بيعة الرّضوان ، و صلّيت القبلتين و هاجرت الهجر الثلاث ،

قلت : وما الهجر الثلاث ؟ قال : هاجرت مع جعفر بن أبيطالب إلى أرض الحبشة ، وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وهذه الهجرة مع عليّ بن أبيطالب إلى الكوفة فلم يزل مع عليّ حتّى استشهد عليّ عليه السلام فرجع أبورافع إلى المدينة مع الحسن لادار له بها و لا أرض فقسّم له الحسن دار عليّ بنصفين و أعطاه سنخ أرض اقطعه إيّاها فباعها عبيدالله بن رافع من معاوية بمأة ألف و سبعين ألفاً

و الأخبار في هذا المعنى من طريق الخاصّة و العامّة كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .

ثمّ إنّه عليه السلام بعد الاشارة إلى مصير مآل أمره مع معاوية إلى القتال ، نبّه على بطلان ما نسبه إليه معاوية وجعله عذراً لمخالفته وسبباً لعصيانه له ، وهو الطلب بدم عثمان وتهمته له بذلك فقال : (انّه كان على الأمة وال) وهو عثمان بن عفان (أحدث) في الدّين (احداثاً) وأبدع بدعا (و أوجد النّاس مقالا) أى أبدى لهم طريقاً إليه باحداثه (فقالوا) في حقّه وأكثروا القول في أحداثه (ثمّ نقموا فغيّروا) أى أنكروا وعتبوا وطعنوا عليه فغيّروه وأزالوه

وينبغي تذييل المقام بامرين: الاول

اعلم أنّ الشّارح المعتزلي قد ذكر في شرح هذا الكلام حال أميرالمؤمنين منذ قدم الكوفة بعد وقعة الجمل إلى أن سار إلى صفّين ، وقد أردت أن اذكر طرفاً ماخصّاًممّا رواه ممّاله أرتباط بالمقام وفيه توضيح للمرام باسقاط الزّوايد المستغني عنها حذراً من الاطناب المملّ فأقول :

في الشّرح من كتاب الصّفين لنصر بن مزاحم أنّ عليّاً حين قدم مر ا بصرة إلى الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل كاتب إلى العمّال فكتب إلى جرير بن عبدالله البجلي وكان عاملا لعثمان على ثغرهمدان كتاباً مع زجر بن قيس ، فلمّا قره جرير الكتاب قام فقال : أيّها النّاس هذا كتاب أميرالمؤمنين و هو المأمون على الدّين والدّنيا وقدكان من أمره وأمر عدوّه ما يحمدالله عليه ، وقد بايعه النّاس الأوّلون من المهاجرين والأنصاروالتّابعين باحسان ، ولوجعل هذاالأمرشورى بين المسلمين

كان أحقّهم بها ، ألا و إنّ البقاء في الجماعة و الفناء في الفرقة ، و إنّ عليّاً حاملكم على الحقّ ما استقمتم ، فان ملتم أقام ميلكم ، فقال النّاس : سمعاً و طاعة رضينا رضينا ، فكتب جرير إلى عليّ جواب كتابه بالطاعة

قال نصر : وأقبل جرير سايراً من ثغر همدان حتّى ورد على عليّ الكوفة ، فبايعه ودخل فيما دخل فيه النّاس في طاعته ولزوم أمره ، فلمّا أراد عليّ أن يبعث إلى معاوية رسولاً قال له جرير : ابعثني يا أميرالمؤمنين إليه فأدعوه على أن يسلّم لك الأمر ويجامعك على الحقّ على أن يكون أميراً من اُمرائك وأدعو أهل الشّام إلى طاعتك فجلّهم قومي و أهل بلادي ، و قد رجوت أن لا يعصوني ، فقال له عليه السلام الأشتر : لا تبعثه ولا تصدّقه فوالله إنّي لأظنّ هواه هواهم ونيته نيّتهم ، فقال له عليه السلام : دعه حتّى ننظر مايرجع به إلينا ، فبعثه عليّ و قال له حين أراد أن يبعثه إنّ حولي من أصحاب رسول الله من أهل الرأى و الدّين من قد رأيت و قد اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ فيك من خير ذى يمن ائت معاوية بكتابي فان دخل فيمادخل فيه المسلمون وإلاّ فانبذ إليه واعلمه أنّي لا أرضى به أميراً ، وإنّ العامّة لا ترضى به خليفة .

فانطلق جرير حتّى أتى الشّام ونزل بمعاوية ، فلمّا دخل عليه حمدالله وأثنى عليه وقال : أمّابعديامعاوية فانّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل العروض ، والعروض عمان ، وأهل البحرين واليمامة فلم يبق إلاّ هذه الحصون التي أنت فيها لوسال عليها سيل من أوديته غرقها و قد أتيتك أدعوك إلى مايرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرّجل ، ودفع إليه كتاب عليّ ويأتي ذكر هذا الكتاب في باب المختار من كتبه عليه السلام في الكتاب إنشاءالله

فلمّا قرء الكتاب قام جرير فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال ، أيّها النّاس إنّ أمر عثمان قد أعيى من شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ، و إنّ النّاس بايعوا عليّاً غيرواتر ولاموتور ، وكان طلحة وزبير ممّن بايعه ثمّ نكثا بيعته على غيرحدث ألا و إنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن ، ألا وانّ العرب لا يحتمل السّيف ، و قد كانت بالبصرة

أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للنّاس ، وقد بايعت العامّة عليّاً ولو ملكنا والله امورنا لم نختر لها غيره و من خالف هذا استعتب فادخل يا معاوية فيما دخل فيه النّاس .

فان قلت استعملني عثمان ثمّ لم يعزلني، فانّ هذا قول لو جاز لم يقم لله دين و كان لكلّ امرء مافي يديه ، ولكن الله جعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل و جعل الامور موطاة وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً ، فقال معاوية انظر وننظر واستطلع رأى أهل الشّام ، فمضت أيّام وأمر معاوية مناديا ينادي الصّلاة جامعة

فلمّا اجتمع النّاس صعد المنبر وقال بعد كلام طويل : أيّها النّاس قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أمير المؤمنين عثمان بن عفّان عليكم ، و إنّي لم اقم رجلا منكم على خزاية قطّ ، و انّي وليّ عثمان و قد قتل مظلوماً والله تعالى يقول :

« وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً »

وأنا أُحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان ، فقام أهل الشّام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك وأوثقوا الله على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتّى يدركوا بثاره أو يفني الله أرواحهم

قال نصر : فلمّا أمسى معاوية اغتمّ بما هو فيه و جنّه اللّيل وعنده أهل بيته واستحثّه جرير بالبيعة ، فقال ياجرير : إنّها ليست بخلسة وإنّه أمر له مابعده فابلع (فابلغ خ ل) ريقي و دعا ثقاته فأشار عليه أخوه بعمرو بن العاص ، و قال إنّه من قد عرفت ، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لامرك أشدّ اعتزالا إلاّ أن يثمن له دينه

و قد ذكرنا في شرح الفصل الثّالث من فصول الخطبة السّادسة و العشرين رواية استدعائه عمرو بن العاص و ما شرط له من ولاية مصر و استقدامه شرجيل بن السّمط ودسّ الرّجال عليه يغرّونه بعليّ عليه السلام ويشهدون عنده أنّه قتل عثمان حتّى

ملئوا قلبه و صدره حقداً بما لا حاجة إلى اعادته

قال نصر : فخرج شرجيل فأتى حصين بن نمير فقال : ابعث فليأتنا فبعث إليه حصين ان زرنا فعندنا شرجيل فاجتمعا عند حصين ، فتكلّم شرجيل فقال : يا جرير أتيتنا بأمر ملفّف اتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشّام بالعراق وأطريت عليّاً وهو قاتل عثمان والله سائلك عمّا قلت يوم القيامة

فاقبل عليه جرير وقال يا شرجيل أما قولك : إنّي جئت بأمر ملفّف فكيف يكون أمراً ملفّفا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار و قوتل على ردّه طلحة والزّبير ، و أمّا قولك إنّي ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواتها القيت نفسك ، و أمّا خلط الشّام بأهل العراق فخلطهما على حقّ خير من فرقتهما على باطل ، وأمّا قولك : إنّ عليّاً قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك الاّ الرّجم بالغيب من مكان بعيد ، ولكنّك ملت الى الدّنيا وشيء كان فى نفسك على زمن سعد بن أبي وقاص

فبلغ معاوية قول الرّجلين فبعث الى جرير وزجره وكتب جرير الى شرجيل أبياتاً يعظه فيها فذعر شرجيل وفكر وقال هذا نصيحة لي في ديني لا والله لا اعجل في هذا الأمر لشيء و كاد يحول عن نصر معاوية فلفف معاوية له الرّجال يدخلون اليه ويخرجون ويعظّمون عنده قتل عثمان ، حتّى أعادوا رأيه وشحذوا عزمه ؛ ثمّ حثّه معاوية على السّير في مداين الشّام و النّداء فيها انّ عليّاً قتل عثمان و أنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه ، فسار شرجيل فبدء بأهل حمص فأجابه النّاس كلّهم إلاّ نساكا من أهل حمص ، فانّهم قالوا له : بيوتنا قبورنا ومساجدنا وأنت أعلم بما ترى و جعل شرجيل يستنهض مداين الشّام حتّى استفرغها لا يأتي على قوم إلاّ قبلوا ما أتاهم به .

قال نصر : فآيس جرير عند ذلك من معاوية و من عوام أهل الشّام ، و كان معاوية قد أتى جريراً قبل ذلك في منزله فقال : ياجرير انّي قد رأيت رأياً ، قال : هاته ، قال : اكتب الى صاحبك يجعل لي الشّام ومصر جباية فاذا حضرته الوفات لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعة وأسلّم له هذا الأمر ، وأكتب اليه بالخلافة ، فقال جرير:

أكتب ماأردت واكتب معك ، فكتب معاوية بذلك الى عليّ فكتب عليّ إلى جرير أمّا بعد .

فانّما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ وأراد أن يورثيك و يبطيك حتّى يذوق أهل الشّام ، وأنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشارعليّ أن استعمل معاوية على الشّام و أنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً ، فان بايعك الرّجل و إلاّ فاقبل والسّلام ، و فشا كتاب معاوية في النّاس

و في حديث صالح بن صدقة قال : أبطأ جرير عند معاوية حتّى اتّهمه النّاس وقال عليّ عليه السلام : قد وقّت لجرير وقتا لايقيم بعده إلاّ مخدوعا أوعاصيا ، وأبطأعلى عليّ حتّى آيس منه

وفي حديث محمّد وصالح بن صدقة قال : وكتب عليّ إلى جرير : أمّا بعد فاذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل ثمّ خيّره وخذه بالجواب بين حرب مخزية أو سلم محظية ، فان اختار الحرب فانبذ إليه ، وإن اختار السّلم فخذه ببيعته والسّلام ويأتي ذكر هذا الكتاب من السّيد في باب المختار من كتبه

قال : فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فاقرئه الكتاب وقال له : يا معاوية انّه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب ، ولا يشرح صدر إلاّ بتوبة ، ولا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعا عليه أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يد غيرك فقال معاوية ألقاك بالفصل في أوّل مجلس انشاءالله ، فلمّا بايع معاوية أهل الشّام و ذاقهم قال : ياجرير الحق بصاحبك و كتب اليه بالحرب وكتب في أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل

أرى الشّام تكره أهل العراق — و أهل العراق لهم كارهونا

وقد مرّ تمام ذلك الشّعر في شرح الكلام الثلاثين

أقول وروى انّ الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير صورته:

انّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير والسّلام

وقال لجرير : صن نفسك عن خداعه فان سلّم إليك الأمر وتوجه إليّ فأقم أنت بالشام ، وإن تعلّل بشيء فارجع ، فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلّل بمشاورة أهل الشام و غير ذلك ؛ فرجع جرير وكتب معاوية في اثره في ظهر كتاب عليّ عليه السلام : من ولاّك حتى تعزلني والسلام

قال نصر لمّا رجع جرير إلى عليّ كثر قول النّاس في التهمة لجرير في أمر معاوية فاجتمع جرير والاشتر عند عليّ فقال الاشتر : أما والله يا أمير المؤمنين ان لو كنت ارسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخا من خناقه وأقام عنده حتّى لم يدع بابا يرجو فتحه إلاّ فتحه ، ولا بابا يخاف أمره إلاّ سدّه ؛ فقال جرير : والله لكنت أتيتهم لقتلوك وخوّفه بعمر و ذوى الكلاع و حوشب ، و قال : إنّهم يزعمون إنّك من قتلة عثمان ، فقال الأشتر : والله لو أتيتهم لم يعيني جوابها ولم يثقل عليّ محملها ولحملت معاوية على خطة اعجله فيها عن فكره ، قال : فأتهم إذن ، قال : الآن وقد افسدتهم ووقع بيننا الشرّ

قال نصر و روى الشّعبي قال : اجتمع جرير والأشتر عند عليّ فقال الأشتر : أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً و أخبرتك بعداوته و غشّه ، و أقبل الأشتر يشتمه ويقول : يا أخا بجيله إنّ عثمان اشترى منك دينك بهمدان ، والله ما أنت بأهل أن تمشى فوق الأرض حيّا إنّما أتيتهم لتتّخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم ثمّ رجعت إلينا من عندهم تهدّدنا بهم ، أنت والله منهم ولا أرى سعيك إلاّ لهم ، لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنّك وأشباهك في محبس لا يخرجون حتّى يستتمّ هذه الأمور ويهلك الله الظالمين .

قال جرير : وددت والله لو كنت مكاني بعثت اذن والله لا ترجع ، قال : فلمّا سمع جرير مثل ذلك من قوله فارق عليّا عليه السلام فلحق بقرقيساء ، و لحق به اناس من قسر من قومه فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلا ، ولكن شهدها من أحمس سبعمائة رجل وخرج عليّ عليه السلام إلى دار جرير فهدمه وهدم دور قوم ممّن خرج معه حيث فارق عليّاً .

التذييل الثاني

في احداث عثمان وبدعه ومطاعنه والمثالب التي طعن بها فيه وهي كثيرة ونحن نذكر منها هنا عشرين .

الاول

أنّه ولّى اُمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه ، ومن ظهر منه الفسق والفساد ، ومن لا علم له مراعاتا لحرمة القرابة وعدولا عن مراعاة حرمة الدّين والنّظر للمسلمين حتّى ظهر ذلك منه وتكرّر ، وقد كان عمر حذّره من ذلك حيث وصفه بأنّه كلف بأقاربه وقال له : إذا وليت هذا الامر فلا تسلّط بني أبي معيط على رقاب النّاس ، فوقع منه ما حذّره إيّاه وعوتب في ذلك فلم ينفع العتب

وذلك نحو استعماله الوليد بن عقبة وتقليده إيّاه حتّى ظهر منه شرب الخمر واستعماله سعيد بن العاص حتّى ظهرت منه الاُمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة وتوليته عبدالله بن أبي سرج ، وعبدالله بن عامر بن كريز حتّى روى عنه في أمر ابن أبي سرج أنّه لمّا تظلّم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمّد بن أبي بكر كاتبه بأن يستمر على ولايته فأبطن خلاف ما أظهر فعل من غرضه خلاف الدّين ، ويقال إنّه كاتبه بقتل محمّد بن أبي بكر وغيره ممّن يرد عليه ، وظفر بذلك الكتاب ولذلك عظم التظلم من بعد وكثر الجمع ، وكان سبب الحصار والقتل حتّى كان من أمر مروان وتسلّطه عليه وعلى امور ما قتل بسببه

الثاني

أنّه ردّ الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله إلى المدينة وقد امتنع أبو بكر من ردّه ، فصار بذلك مخالفا للسنّة ولسيرة من تقدّمه وقد شرط عليه في عقد البيعة اتّباع سيرتهما .

الثالث

أنّه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة من بيت مال المسلمين، وقد مرّ ما يوضحه في شرح كلامه في الخطبة الشقشقيّة يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع ، فتذكّر .

الرابع

أنّه حمى الحمى عن المسلمين مع أنّ رسول الله جعلهم شرعاً سواء في الماء والكلاء

روى المرتضى عن الواقدي باسناده قال: كان عثمان يحمي الرّبذة والشرف والنّقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا لبني اميّة حتّى كان آخر الزّمان فكان يحمي الشّرف لابله وكانت ألف بعير، ولابل الحكم بن أبي العاص، والرّبذة لابل الصّدقة، ويحمي النّقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بني اميّة

الخامس

أنّه اعطى من بيت مال الصّدقة المقاتلة وغيرها، وذلك ممّا لا يحلّ في الدّين لأنّ المال الذي جعل الله له جهة مخصوصة لا يجوز العدول به عن تلك الجهة

السادس

أنه ضرب عبدالله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه، وقد رووا في فضله في صحاحهم أخباراً كثيرة

قال المرتضى في محكيّ الشّافي: قد روى كلّ من روى السّيرة على اختلاف طرقهم أنّ ابن مسعود كان يقول: ليتني وعثمان برمل عالج يحثو عليّ وأحثو عليه حتّى يموت الأعجز منّي ومنه، وكان يقول في كلّ يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمّد، وشرّ الأمور محدثاتها، و كلّ محدث بدعة، و كلّ بدعة ضلالة، و كلّ ضلالة في النّار، و إنّما كان يقول ذلك معرّضاً بعثمان حتّى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه و نهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهي فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه

و روى الواقدي وغيره أنّ ابن مسعود لمّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلمّا علم عثمان بدخوله قال: أيّها النّاس إنّه قد طرقكم الليلة دويبة من تمش (من تمرّ على طعامه نقى وتسلخ خ ل) على طعامه يقي ويصلح، فقال ابن مسعود لست كذلك، ولكنّني صاحب رسول الله يوم بدر، وصاحبه يوم أُحد، وصاحبه يوم بيعة

الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين، قال: وصاحت عايشة ياعثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ فقال عثمان: اسكتي، ثمّ قال لعبدالله بن زمعة بن الأسود أخرجه اخراجاعنيفاً، فاحتمله حتّى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه فقال: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان

السابع

أنّه جمع النّاس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف و أبطل ما لا شك أنّه منزل من القرآن و أنّه مأخوذ من الرّسول، ولو كان ذلك حسنا لسبق إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد مرّ توضيح ذلك في التّنبيه الثّاني من تنبيهات الفصل من فصول الخطبة الأولى

والطعن في ذلك من وجهين **احدهما** أنّ جمع النّاس على قراءة زيد إبطال للقرآن المنزّل و عدول عن الرّاجح إلى المرجوح في اختيار زيد من جملة قرّاء القرآن، بل هو ردّ صريح لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كاف شاف على ما ورد في صحاح أخبارهم **الثاني** أنّ إحراق المصاحف الصّحيحة استخفاف بالدّين محادّة لله ربّ العالمين

الثامن

أنّه أقدم على عمّار بن ياسر بالضّرب حتّى حدث به فتق، ولهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله وكان يقول قتلنا كافراً

قال المرتضى في محكيّ الشّافي: ضرب عمّار ممّا لم يختلف فيه الرّواة و إن اختلفوا في سببه، فروى عبّاس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف في اسناده أنّه كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجوهر فأخذ منه عثمان ماحلى به بعض أهله و اظهر النّاس الطعن عليه في ذلك و كلّموه فيه بكلّ كلام شديد حتّى غضب فخطب وقال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام، فقال له عليّ اذاً تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه، فقال عمّار: اشهدوالله انّ أنفي أوّل راغم من ذلك، فقال عثمان أعليّ يابن ياسر و سميّة تجترى؟ خذوه، فأُخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتّى غشى عليه، ثمّ اخرج فحمل حتّى اتى به منزل امّ سلمة فلم يصلّ

الظهر و العصر و المغرب فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال الحمدلله ليس هذا أوّل يوم أوذينا في الله .

فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفا لبني مخزوم : يا عثمان أمّا علي عليه السلام فاتّقيته ، و أمّا نحن فاجرأت علينا و ضربت أخانا حتّى أشفيت به على التّلف أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلا من بني اميّة عظيم الشأن ، فقال عثمان : و إنّك ههنا يابن القسريّة قال : فانّهما قسريّتان و كانت امّ هشام وجدته قسريتين من بحيلة فشتمه عثمان وأمربه فاُخرج ، وأتى به امّ سلمة فاذا هي قد غضبت لعمّار و بلغ عايشة ما صنع بعمّار فغضبت أيضاً و أخرجت شعراً من شعر رسول الله ونعلا من نعاله وثوبا من ثيابه وقالت أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم و هذا شعره وثوبه ونعله لم تبل

وروى آخرون أنّ السّبب في ذلك أنّ عثمان مرّ بقبرجديد فسأل عنه فقيل عبدالله بن مسعود ، فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصّلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطيء عثمان عمّاراً حتّى أصابه الفتق

وروى آخرون أنّ المقداد وطلحة والزّبيروعمّاراوعدّة منأصحاب رسول الله كتبوا كتاباًعدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه وأعلموا أنّهم موانبوه انلم يقلع فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به فقرءه منه صدراً ، ثمّ قال لهأعليّ تقدم من بينهم ، فقال إنّي أنصحهم لك ، قال : كذبت يابن سميّة ، فقال : أنا والله ابن سميّة وابنياسر ، فأمر عثمان غلماناً له فمدّوا بيديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفّين على مذاكيره فأصابه الفتق وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه

وقال المحدّث المجلسي : وعندي أنّ السّبب الحامل لعثمان علىماصنع بعمّار هوأنّ عمّاراً كان من المجاهرين بحبّ علي عليه السلام وأنّمن غلبه على الخلافة غاصب لها فحملته عداوته لأمير المؤمنين و حبّه للرّياسة علي إهانته وضربه حتّى حدث بهالفتق وكسر ضلعاً منأضلاعه

التاسع

ماصنع بأبي ذر من الاهانة والضرب والاستخفاف مع علوّ شانه وتقدّمه في الاسلام حتّى سيّره إلى الربذة ونفاه ويأتي تفصيل ذلك في الكتاب حيثما بلغ الكلام محلّه

العاشر

تعطيله الحدّ الواجب على عبيدالله بن عمر بن الخطاب ، فانه قتل الهرمزان بعد اسلامه بتهمة أنّه اغرى أبا لؤلوأة إلى قتل أبيه عمر ، فلم يقده عثمان به و قد كان أمير المؤمنين يطلبه ، وروى أنّه لمّا ولى الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام

الحادي عشر

و هو اجماليّ قاليّ و هو أنّه لو لم يقدم عثمان على إحداث يوجب خلعه والبرائة منه لوجب على الصّحابة أن ينكروا على من قصده من البلاد متظلّماً ، وقد علمنا أنّ بالمدينة كان كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ولم ينكروا على القوم بل أسلموه ولم يدفعوا عنه ، بل أعانوا قاتليه ولم يمنعوا من قتله وحصره ومنع الماء عنه ، وهذا من أقوى الدّليل على تصديق الصّحابة للمطاعن فيه وبرائتهم منه ، و لو لم يكن في أمره إلاّ ما روى عن أمير المؤمنين من قوله: الله قتله وأنا معه مريدا بذلك رضائهما به لكفى

هذا كلّه مضافا إلى أنّهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيّام على المزابل لم يدفنوه وهو من أدلّ الدلايل على رضاهم بقتله

ويناسب المقام حكاية ظريفة روى في كتاب الصّراط المستقيم وغيره إنّ ابن الجوزي قال يوماً على منبره سلوني قبل أن تفقدوني فسألته امرأة عمّا روى أنّ عليّا سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه و رجع ، فقال : روي ذلك ، قالت : فعثمان ثمّ ثلاثة أيّام منبوذاً في المزابل وعليّ حاضر ، قال : نعم ، قالت : فقد لزم الخطاء لأحدهما ، فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله ، وإلاّ فعليه ، فقالت : خرجت عايشة إلى حرب عليّ عليه السلام باذن النبيّ أولا؟ فانقطع ولم يحر جوابا

الثاني عشر

إتمامه الصّلاة بمنى مع كونه مسافراً و هو مخالف للسّنة و للسّيرة ، فقد

روى في البحار من كتاب جامع الاصول عن عبدالرحمن بن يزيد قال : صلّى بنا عثمان بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبدالله بن مسعود ، فقال : صلّيت مع رسول الله بمنى ركعتين ومع أبي بكر ركعتين ومع عمر ركعتين

الثالث عشر

جرأته على الرّسول صلى الله عليه وآله ومضادّته له، فقد حكى العلامة في كتاب كشف الحقّ عن الحميدي قال : قال السدي في تفسير قوله تعالى :

« ولا أنْ تَنكِحُوا أزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبداً »

انّه لمّا توفّى أبوسلمة و عبدالله بن حذافة و تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله امرئتهما امّ سلمة وحفصة قال طلحة وعثمان : أينكح محمد نسائنا إذا متنا ولا ننكح نسائه إذا مات ، والله لوقد مات لقد اجلنا على نسائه بالسّهام ، و كان طلحة يريد عايشة و عثمان يريد امّ سلمة فأنزل الله تعالى :

« وما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ولا أنْ تَنكِحُوا أزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبداً إنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَاللهِ عَظيماً » وأنزل « إنْ تُبدُوا شَيئاً أوْتُخفُوهُ فَإنَّ اللهَ كانَ بِه عَليماً » وأنزل « إنَّ الّذينَ يُؤْذُونَ اللهَ و رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ وأَعدَّ لَهُمْ عذاباً مُهيناً »

الرابع عشر

عدم اذعانه بقضاء رسول الله ، روى العلامة أيضاً في كشف الحقّ عن السّدى في تفسير قوله تعالى :

« و يَقولُونَ آمنّا بِاللهِ و الرَّسُولِ وأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلّى فَريقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وما أولئكَ بِالْمُؤْمِنينَ ، وإذا دُعُوا إلَى اللهِ و رَسُولِه لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ و رَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ»

الآيات قال السدى : نزلت هذه في عثمان بن عفان ، قال : لما فتح رسول الله بني النضير فغنم أموالهم فقال عثمان لعلي : ائت رسول الله فاسأله أرض كذا و كذا ، فان أعطاكها فأنا شريكك و آتيه أنا فأسأله إياها ، فان أعطانيها فأنت شريكي فيها فسأله عثمان أولا فأعطاه إياها فقال له علي اشركني فأبى عثمان ، فقال بيني وبينك رسول الله فأبى أن يخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وآله فقيل له لم لم تنطلق معه إلى النبي ؟ فقال : هو ابن عمه فأخاف أن يقضى له فنزل قوله :

« و إِذا دُعُوا إِلَى اللهِ و رَسُولِهِ » إلى قوله « بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ»

فلما بلغ النبي ما انزل الله فيه أتى النبي فأقر لعلي بالحق

الخامس عشر

انه زعم أن في المصحف لحناً ، فقد حكى في البحار من كشف (١) الحق عن تفسير الثعلبي في قوله تعالى : « إن هذا ن لساحران » قال قال عثمان : إن في المصحف لحنا فقيل له ألا تغيره ؟ فقال : دعوه فلا يحلل حراماً و لا يحرم حلالا قال في البحار : ورواه الرازي أيضاً في تفسيره

السادس عشر

تقديمه الخطبتين في العيدين ، وكون الصلاة مقدمة على الخطبتين قبل عثمان مما تظافرت به الأخبار العامية وأخبار أهل البيت في ذلك أيضاً بالغة حد الاستفاضة و قال العلامة (ره) في محكي المنتهى : لا نعرف في ذلك خلافاً إلا من بني أمية ، و في البحار من التهذيب باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال : الصلاة قبل

١- ولم نجده في الكتاب المذكور ولذلك رويناه عن البحار عنه ،منه

الخطبتين : و كان أوّل من أحدثها بعدالخطبة عثمان لمّا أحدث احداثها كان إذا فرغ من الصّلاة قام النّاس ليرجعوا فلمّارأى ذلك قدّم الخطبتين و احتبس النّاس للصّلاة

السابع عشر

إحداثه الأذان يوم الجمعة زايداً على ما سنّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو بدعة محرّمة

الثامن عشر

أنّه لم يتمكّن من الاتيان بالخطبة ، فقد روى في البحار من روضة الأحباب أنّه لمّا كان أوّل جمعة من خلافته صعد المنبر فعرضه العيّ فعجز عن أداء الخطبة فتركها ، و قال : بسم الله الرّحمن الرّحيم أيّها النّاس سيجعل الله بعد عسر يسراً و بعدعيّ نطقاً ، و إنّكم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى امام قوّال ، أقول قولي وأستغفرالله لي ولكم فنزل

قال وفي رواية أنّه قال: الحمدلله و عجز عن الكلام ، وفي رواية أنّه قال أوّل كلّ مركب صعب وأنّ أبابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا و أنتم إلى امام عادل أحوج منكم إلى امام قائل ، و إن أعش فآتكم الخطبة على وجهها و يعلم الله إنشاء الله تعالى

فانّ الظّاهر من الرّواية أنّ الخطبة كانت خطبة الجمعة الواجبة وأنّ عثمان لمّا حصر وعرضه العيّ ترك الخطبة ولم يأمر أحداً بالقيام بها وإقامة الصّلاة و إلاّ لرووه فالأمر في ذلك ليس مقصوراً على العجز والقصور، بل فيه ارتكاب المحظور فيكون أوضح في الطعن .

التاسع عشر

جهله بالأحكام ، فقد روى العلامة في كشف الحقّ من صحيح مسلم أنّ امرأة دخلت على زوجها فولدت لستّة أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفّان فأمربها أن ترجم فدخل عليه عليّ عليه السلام فقال : إنّ الله عزّ وجل يقول :

« حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْراً » وقال أيضاً « وَ فِصالُهُ في عامَيْنِ »

فلم يصل رسولهم إليه إلاّ بعد الفراغ من رجمها ، فقتل المرأة المسلمة، عمداً لجهله بحكم الله وقد قال الله :

« وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمَ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً » وقال أيضاً « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ »

الطعن العشرون

قلّة اعتنائه بالشريعة ، و قد قال في البحار أنّ مرويّاته في كتب الجمهور مع حرص أتباعه من بني اميّة والمتأخّرين عنهم على إظهار فضله لم يزد على مأة وستّة وأربعين ، وقد رووا عن أبي هريرة خمسة آلاف وثلاثمأة وأربعة وسبعين حديثاً ، وذلك إمّا لغلبة الغباوة حيث لم يأخذ في طول الصّحبة إلاّ نحوا ممّا ذكر أو لقلّة الاعتناء برواية كلام الرّسول و كلاهما يمنعان من استيهال الخلافة والامامة

واعلم أنّ الشّارح المعتزلي بعد ما أورد المطاعن العشرة الاول مع الطعن الحاديعشر في الشّرح وما أجاب به قاضي القضاة عن تلك المطاعن في المغني وما أورده السّيد في الشّافي على تلك الأجوبة أجاب عنها جميعاً بوجه إجماليّ و هو انّا لاننكر أنّ عثمان أحدث أحداثاً أنكرها كثير من المسلمين ، ولكنّا ندعى مع ذلك أنّها لم تبلغ درجة الفسق و لا احبطت ثوابه وأنّها من الصغاير التي وقعت مكفّرة ، وذلك لأنّا قد علمنا أنّه مغفور له وأنّه من أهل الجنّة لثلاثة أوجه :

أحدها أنّه من أهل بدر وقد قال رسول الله إنّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم **لايقال** : إنّ عثمان لم يشهد بدراً **لانا نقول : صدقتم** إنّه لم يشهدها ولكنّه تخلّف على رقية ابنة رسول الله بالمدينة لمرضها و ضرب له رسول الله صلّى الله عليه وآله بسهمه وأجره باتّفاق ساير الناس

وثانيها أنه من أهل بيعة الرّضوان الذين قال الله تعالى فيهم :

« لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ »

لايقال : إنّه لم يشهد البيعة تحت الشّجرة لانانقول : صدقتم إنّه لم يشهدها ولكنّه كان رسول الله أرسله إلى أهل مكّة ولأجله كانت بيعة الرّضوان حيث ارجف بأنّ قريشاً قتلت عثمان ، فقال رسول الله ﷺ : و إن كانوا قتلوه لأضرمنّها عليهم ناراً ثمّ جلس تحت الشّجرة وبايع النّاس على الموت ثم قال : إن كان عثمان حيّاً فأنا بايع عنه فصفح بشماله على يمينه وقال : شمالي خير من يمين عثمان ، روى ذلك جميع أرباب أهل السّيرة متّفقاً عليه

و ثالثها انّه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنّهم من أهل الجنّة وإذا كانت هذه الوجوه الثلاثة دالّة على أنّه مغفور له وأنّ الله قد رضى عنه وأنّه من أهل الجنّة بطل أن يكون فاسقا ، لأنّ الفاسق عندنا يخرج من الايمان وينحطّ ثوابه ويحكم له بالنّار ولا يغفر له ولا يرضى عنه ولايرى الجنّة ولايدخلها ، فاقتضت هذه الوجوه الصّحيحة الثّابتة أن يحكم بأنّ كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغاير المكفّرة توفيقاً بين هذه الوجوه وبين روايات الأحداث المذكورة انتهى

ويورد عليه انّ المستند في جميع تلك الوجوه ليس إلاّ ماتفرّد المخالفون بروايته ولايصحّ التمسّك به في مقام الاحتجاج كمامرّ مراراً ، والأصل في أكثرها ما رواه البخاري عن عثمان عبدالله قال : قال رجل من أهل مصر لعبدالله بن عمر : أنا سائلك عن شيء فحدّثني هل تعلم أنّ عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم ، فقال : تعلم أنّه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم قال : تعلم أنّه تغيب عن بيعة الرّضوان فلم يشهدها ؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبيّن لك ، أمّا فراره يوم أحد فاشهد أنّ الله عفا عنه وغفر له، وأمّا تغيّبه عن بدر فانّه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ : وكانت مريضة فقال رسول الله ﷺ : إنّ لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيّبه عن بيعة الرّضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرّضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان ، ثمّ قال ابن عمر اذهب بها الآن معك

وابن عمر هو الذي قعد عن نصرة أمير المؤمنين وبايع رجل الحجّاج و لاعبرة

بقوله و لا روايته مع قطع النّظر عن ساير رواة الخبر ، و حديث العشرة المبشّرة أيضاً ممّا تفرّدوا بروايته ، وقد روى أصحابنا تكذيب أمير المؤمنين لهذه الرّواية .

وهو ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالي قال : لمّا التقى أمير المؤمنين أهل البصرة يوم الجمل نادى الزّبير يا أباعبدالله اخرج إليّ ، فخرج الزّبير و معه طلحة ، قال : والله إنّكما لتعلمان و اُولوا العلم من آل محمّد و عايشة بنت أبي بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد وقد خاب من افترى ، قال الزّبير : كيف نكون ملعونين و نحن أهل الجنّة ؟ فقال عليّ عليه السلام : لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم .

فقال له الزّبير أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل ، و هو يروي أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : عشرة من قريش في الجنّة قال عليّ عليه السلام : سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته، فقال له الزّبير: أفتراه يكذب على رسول الله فقال عليّ عليه السلام لست اُخبرك بشيء، حتّى تسمّيهم، قال الزّبير: أبوبكر، وعمر ، وعثمان ،وطلحة، والزبير، وعبدالرّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ، وأبوعبيدة بن الجرّاح، وسعيد بن عمرو ابن نفيل ، فقال له عليّ عليه السلام عددت تسعة فمن العاشر؟ قال له: أنت

قال له عليّ عليه السلام : أمّا أنت فقد أقررت أنّي من أهل الجنّة ، وأمّا ما ادّعيت لنفسك و أصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين ، قال الزّبير : أفتراه كذب على رسول الله ؟ قال : ما أراه كذب ولكنّه والله اليقين ، فقال عليّ عليه السلام : والله إن بعض ما سمّيته لفي تابوت في شعب في جبّ في أسفل درك من جهنّم ، على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنّم رفع تلك الصّخرة، سمعت ذلك من رسول الله وإلاّ أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك وإلاّ أظفرني الله عليك وعلى أصحابك و عجّل أرواحكم إلى النّار . فرجع الزّبير إلى أصحابه وهو يبكي

ويؤيّد ضعفه أيضاً أنّه ليس بمرويّ في صحاحهم إلاّ عن رجلين عدّا أنفسهما، وهما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، و عبدالرحمن بن عوف والتّهمة في روايتهما لتزكيتهما أنفسهما واضحة

ويؤكّده أيضاً ما ذكره السيّد (ره) في الشافي من أنّه تعالى لايجوز ان يعلم مكلفا يجوز أن يقع منه القبيح والحسن وليس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنة لأنّ ذلك يغريه بالقبيح ولاخلاف في أنّ أكثر العشرة لم يكونوا معصومين من الذّنوب وقد أوقع بعضهم بالاتفاق كباير وان ادّعى المخالفون أنّهم تابوا منها

قال و مايبيّن بطلان هذا الخبر أنّ أبابكر لم يحتجّ به لنفسه و لا احتجّ به له في مواقع وقع فيه الاحتياج إلى الاحتجاج ، كالسقيفة وغيرها ، وكذلك عمر وعثمان لمّا حوصر و طولب بخلع نفسه و همّوا بقتله ، وقد رأينا احتجّ بأشياء يجرى مجرى الفضايل والمناقب ، وذكر القطع له بالجنة أولى وأحرى بأن يعتمد عليه في الاحتجاج وفى عدول الجماعة عن ذكره دلالة واضحة على بطلانه

تبصرة

روى الشارح المعتزلي في تضاعيف شرح هذا المقام عن إبراهيم بن ويزيل ، قال : حدّثنا زكريّا بن يحيى ، قال : حدّثنا عليّ بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا أدلكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا ، إنّ وليّكم الله و إمامكم عليّ بن أبيطالب فناصحوه وصدّقوه ، فان جبرئيل أخبرني بذلك

ثمّ قال الشارح : فان قلت : هذا نصّ صريح في الامامة فما تصنع المعتزلة قلت : يجوز أن يريد أنّه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشّرعية لا في الخلافة ، وأيضاً فانّا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديّين ما محصوله أنّ الامامة كانت لعليّ ان رغب فيها ونازع عليها ، وإن أقرّها في غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير ، و قلنا بصحّة خلافته ، وأمير المؤمنين لم ينازع الأئمّة الثلاثة ولا جرّد السّيف ولااستنجد بالنّاس عليهم ، فدلّ ذلك على اقراره لهم على ماكانوا فيه ، فلذلك توليناهم وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصّلاح ، ولوحاربهم وجرّد السّيف عليهم واستصرخ العرب على حربهم ، قلنا فيهم ماقلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التّفسيق والتّضليل انتهى

أقول : بعد الاعتراف بكون الرّواية نصّاً صريحاً في الامامة كما هي كذلك

في الواقع أيضاً كيف يجوز تأويله، إذ التأويل إنّما يأتي في المتشابهات والمحتملات لا في النّصوصات، وعلى فرض التنزيل أقول: لا أقلّ من كونها ظاهرة في الامامة المطلقة ولا دليل ولا داعي إلى رفع اليد عن الظهور وحملها على الامامة في الفتاوى والأحكام مع تنافي المعطوف عليه أعني قوله: وليّكم، لذلك الحمل أيضاً، لأنّ المتبادر منه هو الاولى بالتّصرف حسبما ذكرناه في مقدّمات الخطبة الشّقشقيّة، مضافا إلى عدم تعارف استعمال لفظ الامامة في مقام الفتوى والقضا كما لا يخفى

و أمّا ما ذكره من قول شيوخه البغداديّين فهو محصّل ما حكيناه عنه في مقدّمات الخطبة الشقشقية و في شرح الكلام السابع و الثلاثين في أوّل التنبيهين، ونبّهنا هناك على فساده بما لا مزيد عليه ودللنا على أنه ﷺ طلب الخلافة و رغب فيها واستنجد في الناس واستصرخ العرب على الحرب وحمل امرأته وابناءه معه، فلم يدع أحداً من المهاجرين و الأنصار إلاّ استنجد بهم واستنصر منهم، فلم يجبه إلاّ ثلاثة أو أربعة ولما لم يجد أعواناً كفّ وسكت تقيّة و حقناً لدمه، فليس في عدم تجريد السيف والنزاع دليلا على التقرير والرّضاء كما علمت تفصيلا فتذكّر

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام عالی مقام است در وقتي كه اشاره كردند براو أصحاب او بمهيا شدن از برای حرب اهل شام بعد از فرستادن آنحضرت جرير بن عبدالله بجلی را بسوی معاويهٔ ملعون ميفرمايد:

بدرستی كه مهيا شدن من از برای محاربهٔ اهل شام وحال آنكه جرير نزد ايشان است اكراه كردن است يا در بستن شامرا وبازگردانيدنست اهل آن را از قبول طاعت اگر ارادهٔ طاعت داشته باشند، ولكن من تعيين كرده‌ام از برای جرير وقتی را كه نمی‌ايستد بعد از آن وقت مگر فريفته شده يا عصيان ورزيده، و فكر صايب با تأنّي و آهستگی است، پس بنرمی كار كنيد، ومكروه نميشمارم از برای شما مهيا ساختن لسباب حربرا بجهة حزم واحتياط وبتحقيق كه زدم بينی اينكار را وچشم اورا وگردانيدم پشت وشكم اورا، پس نديدم از برای خود در آن كار مگر

محاربه نمودن يا كافر شدن بآنچيزى كه پيغمبر خدا آنرا آورده است ، بدرستى كه بود برامّة حضرت رسالت حاكمى كه پديد آورد كارهاى بيموقع ونامناسب را ، وموجود ساخت ازبراى مردمان محلّ گفتگورا ، پس گفتند درحق او آنچه گفتنى بود ، بعدازآن انكار كردند وعتاب نمودند ، پس تغيير دادند وبقتل آوردند اورا .

و من كلام له عليه السلام و هو الرابع و الاربعون من المختار فى باب الخطب

لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشّيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع سبى بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم ، فلمّا طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشّام

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السّادَةِ ، و فَرَّ فِرارَ الْعَبِيدِ ، فَما أَنْطَقَ مادِحَهُ حَتّى أَسْكَتَهُ ، ولاَ صَدَّقَ واصِفَهُ حَتّىْ نَكَبَهُ ، وَ لَوْ أَقامَ لَأَخَذْنا مَيْسُورَهُ ، وَانْتَظَرْنا بِمالِهِ وُفُورَهُ .

اللغة

(مصقلة) بفتح الميم وهو مصقلة بن هبيرة بن شبل بن ثيرى بن امرء القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن شيبان ، و (بنو ناجية) قوم نسبوا انفسهم إلى سامة بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة ، فدفعتهم قريش عن هذا النسب ونسبتهم إلى امّهم ناجية وهى امرأة سامة بن لوى

قالوا إنّ سامة خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لوي فطاطات ناقته رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعىّ ثم عطفت على قبتها فحكته به ، فدبّ الأفعيّ على القبت « كذا » حتّى نهش ساق سامة فقتله ، وكانت معه امرئته ناجية فلمّا مات تزوّجت رجلا في البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير فلمّا ترعرع طمعت امّه أن تلحقه بقريش فأخبرته أنّه ابن سامة بن لوي فرحل من البحرين إلى

مكّة ومعه أمّه ، فاخبر كعب بن لوى أنّه ابن أخيه سامة ، فعرف كعب أمّه ناجية فظنّ أنّه صادق في دعواه فقبله ، و مكث عنده مدّة حتّى قدم ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلّموا عليه و حادثوه فسألهم كعب بن لوي ابن يعرفونه ، فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان ، وشرحوا له خبره فنفاه كعب عن مكة ونفي أمّه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوّج الحارث وأعقب هذا العقب

و (خاس به) يخيس ويخوس أى غدر به ، وخاس فلان بالعهد أى أخلف و(التنكيب) التّوبيخ والتّقريع و (الميسور) ضدُّ المعسور و (الوفور) مصدر وفر المال اى كثر وتمّ ويجيء متعدّيا وفي بعض النّسخ موفوره وهوالتّامّ

الاعراب

جملة قبّح الله مصقلة دعائية لامحلّ لها من الاعراب ، وجملة فعل فعل السّادة استينافيّة بيانيّة واقعة موقع الجواب عن سؤال علّة الدّعاء بالتّقبيح

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام (لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني) منه (إلى معاوية وكان) سبب هربه انّه (قد ابتاع سبى بني ناجية من) معقل بن قيس الرياحى (عامل أمير المؤمنين واعتقهم فلمّا طالبه) أمير المؤمنين (بالمال خاس به) و غدر (وهرب إلى الشّام) نحو معاوية فبلغ ذلك إليه عليه السلام فقال (قبّح الله مصقلة) ونحاه عن الخير (فعل فعل السّادة) حيث اشترى القوم واعتقهم (و فرّ فرار العبيد) على ماهو شيمتهم و عادتهم (فما أنطق مادحه حتّى أسكته) يعنى أنّه جمع بين عاتبين متنافيين انطاقه لمادحه بفداء الاسرى مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه ، وهو وصف لسرعة إلحاقه رذيلته بفضيلته حتّى كأنّه قصد الجمع بينهما (ولا صدّق واصفه حتّى بكّته) يعنى أنّه لم يصدق الواصف له بحسن فعله حتّى وبخه بسوء عمله ، ثمّ أشار إلى جواب مايتوهّم اعتذاره به وهو خوف التضييق عليه في بقيّة المال فقال (ولو أقام) ولم يهرب (لأخذنا) منه (ميسوره وانتظرنا بماله) تمامه (ووفوره) هذا

و **أما قصة بني ناجية** و سبب هرب مصقلة فعلى ما ذكره في البحار وشرح المعتزلي من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي بتلخيص منا هو : أن الخريت ابن راشد النّاجي أحد بني ناجية قد شهد مع علي عليه السلام صفّين ثم استهواه الشّيطان و صار من الخوارج بسبب التّحكيم ، فخرج هو و أصحابه إلى المداين و قتلوا في طريقهم مسلما فوجه أمير المؤمنين إليهم زياد بن حفصة في مأة و ثلاثين رجلا ، فلحقوهم بالمداين و اقتتلوا هنالك واستشهد من اصحاب زياد رجلان و اصيب منهم خمسة نفر و حال اللّيل بين الفريقين فبات أصحاب زياد في جانب و تنحّى الخوارج فمكثوا ساعة من اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا

و لمّا أصبح أصحاب زياد وجدوا أنّهم ذهبوا فمضى أصحاب زياد إلى البصرة و بلغهم أنّهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها ، و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مأتين ، فأقاموا معهم وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين يخبره الخبر ، ويأتي ذكر ذلك الكتاب وتفصيل قتال الفريقين في شرح المختار المأة والثمانين إنشاءالله

قال إبراهيم فلمّا أتاه الكتاب قرأه على النّاس ، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحي فقال : أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنّما كان ينبغي أن يكون مكان كلّ رجل من هؤلاء الذين بعثتهم في طلبهم عشرة من المسلمين فاذا لحقوهم استاصلوا شافتهم و قطعوا دابرهم ، فقال عليه السلام له : تجهّز يا معقل إليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة فيهم يزيد بن المعقل وكتب إلى عبدالله بن العباس وكان عامل البصرة

أمّا بعد فابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصّلاح في ألفي رجل من أهل البصرة فليتبع معقل بن قيس فاذا خرج من أرض البصرة فهو أمير أصحابه حتّى يلقى معقلا ، فإذا لقاه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه و ليطعه و لا يخالفه ، و مر زياد بن حفصة فليقبل إلينا فنعم المرء زياد و نعم القبيل قبيلته وكتب عليه السلام إلى زياد

أمّا بعد فقد بلغني كتابك و فهمت ما ذكرت به النّاجي و أصحابه الذين طبع الله على قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فهم حيارى عمون يحسبون أنهم يحسنون

صنعا ، ووصفت ما بلغ بك و بهم الأمر فأمّا أنت و أصحابك فللّه سعيكم و عليه جزائكم و أيسر ثواب‌الله للمؤمن‌خيرله من الدّنيا التي يقتل الجاهلون أنفسهم‌عليها فما عندكم ينفد و ما عندالله باق و لنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، و أمّا عدوّكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى وارتكابهم في الضّلالة و ردّهم الحق و جماحهم في التّيه ، فذرهم و ما يفترون ، و دعهم في طغيانهم يعمهون ، فاسمع بهم و أبصر فكانّك بهم عن قليل بين أسير و قتيل ، فاقبل الينا أنت و أصحابك ما جورين، فقدأطعتم وسمعتم وأحسنتم‌البلاء والسلام.

قال : و نزل النّاجي جانباً من الأهواز و اجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممّن أراد كسر الخراج و من اللّصوص و طايفة اخرى من الأعراب يرى رأيه.

قال إبراهيم : و روى عن عبدالله بن قعين قال : كنت أنا و أخي كعب‌بن‌قعين في ذلك الجيش مع معقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أتى أميرالمؤمنين يودّعه فقال عليه السلام : يا معقل بن قيس اتّق الله مااستطعت‌فانّه (فانها خ) وصيّة الله للمؤمنين‌لاتبغ على أهل القبلة ولاتظلم على أهل الذّمة ولاتتكبّر فانّ الله لايحبّ المتكبّرين ، فقال معقل : الله المستعان ، فقال عليه السلام : خير مستعان، ثمّ قام فخرج و خرجنا معه حتّى نزل الأهواز ، و بعث ابن عباس خالدبن معدان مع جيش البصرة فدخل‌على‌صاحبنا فسلّم عليه بالامرة و اجتمعا جميعافي عسكر واحد.

قال عبدالله بن قعين ثمّ خرجنا إلى النّاجي و أصحابه فأخذوا نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة حصينة ، و جائنا أهل البلدفأخبرونا بذلك فخرجنافي آثارهم فلحقناهم وقددنوا من الجبل فصففنا لهم ، ثمّ أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيدبن معقل ، و على ميسرته منجاب بن راشد ، ووقف النّاجي بمن معه من‌العرب فكانوا ميمنة و جعل أهل البلد والعلوج و من أراد كسر الخراج و جماعة من الاكراد ميسرة.

و سارفينا معقل يحرّضنا و يقول : يا عباد الله لاتبدؤواالقوم وغضّوا الأبصار

و أقلّوا الكلام و وطنوا أنفسكم على الطعن و الضرب و ابشروا في قتالهم بالأجر العظيم إنّما تقاتلون مارقة مرقت و علوجا منعوا الخراج ولصوصا وأكرادا فما تنتظرون فاذا حملت فشدّوا و اشدّة رجل واحد.

قال فمرّ في الصّف لكلّهم يقول: هذه المقالة حتّى إذا مرّ بالنّاس كلّهم أقبل فوقف وسط الصّف في القلب و نظرنا إليه ما يصنع فحرّك رايته تحريكتين ثمّ حمل في الثالثة و حملنا معه جميعا، فوالله ما صبروا لنا ساعة حتّى ولّوا وانهزموا، و قتلنا سبعين عربيا من بني ناجية، ومن بعض من اتّبعه من العرب، و نحو ثلثمأة من العلوج، والأكراد، وخرج النّاجي منهزما حتّى لحق بسيف من أسياف البحر وبها جماعة من قومه كثير فما زال يسير فيهم و يدعوهم إلى خلاف عليّ عليه السلام و يزيّن لهم فراقه و يخبرهم أنّ الهدى في حربه و مخالفته حتّى اتّبعه منهم ناس كثير.

و أقام معقل بن قيس بأرض الأهواز و كتب إلى أمير المؤمنين بالفتح و كان في الكتاب: لعبدالله عليّ أمير المؤمنين من معقل بن قيس سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد، فانّا لقينا المارقين وقد استظهروا علينا بالمشركين فقتلنا منهم ناسا كثيرا ولم نعد فيهم سيرتك، لم نقتل منهم مدبراً ولا أسيراً و لم نذفف منهم على جريح، و قد نصرك الله والمسلمين والحمدلله ربّ العالمين.

فلما قدم الكتاب على عليّ عليه السلام قرأه على أصحابه و استشارهم فاجتمع رأى عامّتهم على قول واحد قالوا: نرى أن نكتب إلى معقل بن قيس يتّبع آثارهم ولايزال في طلبهم حتّى يقتلهم أو ينفيهم من أرض الاسلام.

فكتب عليه السلام إليه أمّا بعد فالحمدلله على تأييده أوليائه و خذله أعدائه، جزاك الله والمسلمين خيراً فقد أحسنتم البلاء و قضيتم ما عليكم فاسأل عن أخي بنى ناجية فان بلغك أنّه استقرّ في بلد من البلدان فسر إليه حتّى تقتله أو تنفيه، فانّه لم يزل للمسلمين عدوّاً و للفاسقين وليّا.

قال فسأل معقل عن مسيره والمكان الذي انتهى إليه فنبئ بمكانه بسيف (١) البحر بفارس و أنه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ عليه السلام و أفسد من قبله من عبد القيس و من والاهم من ساير العرب، ، و كان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين و منعوها في ذلك العام أيضاً.

فسار إليهم معقل في ذلك الجيش من أهل الكوفة والبصرة فأخذوا على أرض فارس حتى انتهوا إلى أسياف البحر فلما سمع الناجي بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأى الخوارج فأسرّ إليهم أني أرى رأيكم وأن عليا ما كان ينبغي له أن يحكم الرّجال في دين الله ، و قال للآخرين من أصحابه مسرّاً إليهم : إنّ عليّا قد حكم حكما ورضى به فخالف حكمها الذي ارتضاه لنفسه و هذا الرّأى الذي خرج عليه من الكوفة ، و قال لمن يرى رأى عثمان و أصحابه : إنّا على رأيكم وإنّ عثمان قتل مظلوما ، و قال لمن منع الصّدقة : شدّوا أيديكم على صدقاتكم ثمّ صلوا بها أرحامكم و عودوا إن شئتم على فقرائكم فأرضى كلّ طائفة بضرب من القول.

و كان فيهم نصارى كثير أسلموا ، فلما رأوا ذلك الاختلاف قالوا : والله لديننا الذي خرجنا منه خير و أهدى من دين هؤلاء الذين لاينهيهم دينهم عن سفك الدّماء و إخافة السّبل فرجعوا إلى دينهم ، فلقى الناجي أولئك فقال: و يحكم إنّه لاينجيكم من القتل إلاّ الصّبر لهؤلاء القوم و اتّصالهم أتدرون ماحكم عليّ فيمن أسلم من النصارى ثمّ رجع الى النّصرانية لا والله لايسمع له قولا، ولايرى له عذراً ، ولادعوة ولايقبل منه توبة ولايدعوه اليها و أنّ حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعة يستمكن منه، فمازال حتى خدعهم فاجتمع اليه ناس كثير و كان منكرا (٢) داهيا ، فلما رجع معقل قرء على أصحابه كتابا من عليّ فيه:

١- السيف بالكسر ساحل البحر والجمع أسياف، لغة .

٢- والنكر والنكارة والنكراء الدهاء والفطنة يقال رجل نكر كفرح و منكر كمكرم اى ذونكرة والدهى كالدهاء جودة الراى، منه

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا من المسلمين والمؤمنين والمارقين والنّصارى والمرتدّين، سلام على من اتّبع الهدى و آمن بالله و رسوله و كتابه و البعث بعد الموت وافيا بعهد الله و لم يكن من الخائنين.

أمّا بعد فانّي أدعوكم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه و أن أعمل فيكم بالحقّ و بما أمر الله تعالى به في كتابه فمن رجع منكم إلى رحله و كفّ يده و اعتزل هذا المارق الهالك المحارب الذي حارب الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فساداً فله الأمان على ماله ودمه، و من تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا استعنّا بالله عليه و جعلناه بيننا و بينه وكفى بالله وليّاً والسّلام.

قال فأخرج معقل راية أمان فنصبها و قال: من أتاها من الناس فهو آمن إلّا الخريت و أصحابه الذين نابذوا أوّل مرّة، فتفرّق عن الخريت كلّ من كان معه من غير قومه و عبا معقل أصحابه ثمّ زحف بهم نحوه، وقد حضر مع الخريت جميع قومه مسلمهم و نصرانيهم و مانع الصّدقة منهم فجعل مسلمينهم يمنة و مانع الصّدقة يسرة.

و سار معقل يحرّض أصحابه فيما بين الميمنة والميسرة و يقول: أيّها النّاس ماتدرون ماسيق اليكم في هذا الموقف من الأجر العظيم إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصّدقة و ارتدّوا من الاسلام و نكثوا البيعة ظلما و عدوانا، انّى شهيد لمن قتل منكم بالجنّة، و من عاش بأنّ الله يقرّ عينه بالفتح والغنيمة، ففعل ذلك حتّى مرّ بالنّاس أجمعين ثمّ وقف في القلب برايته فحملت الميمنة عليهم ثمّ الميسرة و ثبتوا لهم و قاتلوا قتالا شديدا، ثمّ حمل هو و أصحابه عليهم فصبروا لهم ساعة.

ثمّ إنّ النعمان بن صهبان أبصرت بالخريت فحمل عليه و ضربه فصرعه عن فرسه ثمّ نزل إليه وقد جرحه فاختلفا بينهما ضربتين فقتله النّعمان وقتل معه في المعركة سبعون و ماة و ذهب الباقون في الأرض يمينا و شمالا، و بعث معقل الخيل

إلى رحالهم فسبى من أدرك فيها رجالا و نساء و صبيانا ، ثمّ نظر فيهم فمن كان مسلما خلاه و أخذ بيعته و خلا سبيل عياله، و من كان ارتدّ عن الاسلام عرض عليه الرّجوع إلى الاسلام أو القتل فأسلموا فخلّى سبيلهم و سبيل عيالاتهم إلاّ شيخا منهم نصرانيا أبى فقتله .

و جمع النّاس فقالوا ردّوا ما عليكم في هذه السّنين من الصّدقة فأخذ من المسلمين عقالين (١) وعمد إلى النّصارى و عيالاتهم فاحتملهم معه، و أقبل المسلمون الذين كانوا معهم يشيّعونهم ، فأمر معقل بردّهم فلما ذهبوا لينصرفوا تصايحوا و دعا الرّجال و النساء بعضهم إلى بعض ، قال : فلقد رحمتهم رحمة مارحمتها أحداً قبلهم ولا بعدهم.

و كتب معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام أمّا بعد فانى اخبر أمير المؤمنين عن جنده و عن عدوّه إنّا رفعنا إلى عدوّنا بأسياف البحر فوجدنا بها قبايل ذات جدّ و عدد وقد جمعوا لنا فدعوناهم إلى الجماعة والطاعة وإلى حكم الكتاب والسنّة وقرء نا عليهم كتاب أمير المؤمنين و رفعنا لهم راية أمان ، فمالت الينا طائفة منهم ونبتت طائفة اخرى ، فقبلنا أمر التي أقبلت ، و صمدنا إلى التي أدبرت فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم ، فأمّا من كان مسلما فانا مننّا عليه و أخذنا بيعته لأمير المؤمنين و أخذنا منهم الصّدقة التي كانت عليهم ، و أمّا من ارتدّ فعرضنا عليهم الرّجوع إلى الاسلام وإلاّ قتلنا فرجعوا إلى الاسلام غير رجل واحد فقتلناه و أمّا النّصارى فانا سبيناهم وأقبلنا لهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذّمة كيلا يمنعوا الجزية ولا يجترؤا على قتال أهل القبلة وهم للصّغار والذّلة أهل، رحمك الله يا أمير المؤمنين و أوجب لك جنات النّعيم والسّلام.

قال : ثمّ أقبل بالاسارى حتّى مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامل عليّ على أردشير خرّة وهم خمسماة إنسان فبكى إليه النساء و الصّبيان وتصايح الرّجال يا أباالفضل يا حامل الثقيل يا مأوى الضعيف و فكاك العصاة ، امنن علينا فاشترنا

١- اى صدقة عامين قال فى القاموس العقال ككتاب زكاة عام من الابل

و اعتقنا ، فقال مصقلة : اقسم بالله لأتصدّقنّ عليهم إنّ الله يجزى المتصدّقين، فبلغ قوله معقلا فقال : والله لواعلمه قالها توجعاً لهم،ووجداً و إزراء عليّ لضربت عنقه،وإن كان في ذلك فناء بني تميم و بكربن وايل.

ثمّ إنّ مصقلة بعث زهل بن الحارث إلى معقل فقال : بعني نصارى بني ناجيه فقال أبيعكم بألف ألف درهم ، فأبى عليه فلم يزل يراضيه حتّى باعه إيّاهم بخمسمأة ألف درهم ، و دفعهم إليه و قال : عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين فقال مصقلة : أنا باعث الآن بصدر منه، ثمّ أبعث بصدر آخر و كذلك حتّى لايبقى منه شيء.

و أقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بما كان من الامر فقال أحسنت و أصبت و وفقت و انتظر عليّ عليه السلام أن يبعث مصقلة بالمال فأبطأ به ، و بلغ عليّا أن مصقلة خلّى الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء فقال : ما أرى مصقلة إلاّ قدحمل حمالة و لا أراكم إلاّ سترونه عن قريب مبلدحا (١)

ثمّ كتب عليه السلام إليه أمّا بعد ، فانّ أعظم الخيانة خيانة الامة، و أعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الامام ، و عندك من حقّ المسلمين خمسمأة ألف درهم ، فابعث بها إليّ حين ياتيك رسولي و إلاّ فاقبل إليّ حين تنظر في كتابي فاني قد تقدّمت إلى رسولي أن لايدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك إلاّ أن تبعث بالمال و السّلام.

فلما قرء كتابه أتاه بالكوفة فأقرّه أياما لم يذكر له شيئاً ، ثمّ سأله المال فأدّى ، إليه مأتى ألف درهم وعجز عن الباقي ففرّ ولحق بمعاوية فلما بلغ ذلك عليّاً قال : ماله ترحه الله فعل فعل السّيد و فرّ فرار العبد ، و خان خيانة الفاجر فلو عجز مازدنا على حسبه ، فان وجدنا له شيئاً أخذناه ، و إن لم نجد له مالاً تركناه.

ثمّ سار عليّ عليه السلام إلى داره فهدمها و كان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعليّ عليه السلام مناصحاً فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النّصارى تغلب يقال له حلوان أمّا بعد

١- بلدح ضرب بنفسه الى الارض ووعدولم ينجز العدة، ق.

فانّي كلّمت معاوية فيك فوعدك الكرامـة ، و مناك الامارة فأقبل ساعـة تلقى رسولي والسّلام .

فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرح به إلى عليّ عليه السلام فأخذ كتابه فقرأه ثمّ قدّمه فقطع يده فمات ، و كتب نعيم إلى مصقلة شعراً يتضمّن امتناعه و تعييره ، فلما بلغ الكتاب إليه علم أنّ النّصراني قد هلك ولم يلبث التغلبيّون إلاّ قليلا حتّى بلغهم هلاك صاحبهم ، فأتوا مصقلة فقالوا : أنت أهلكت صاحبنا فامّا أن تجيئنا به ، وإمّا أن تديه فقال: أمّا أن أجيء به فلست أستطيع ذلك ، وأمّا أن أديه فنعم فوديه

قال إبراهيم : و حدّثني ابن أبي سيف عن عبدالرّحمن بن جندب عن أبيه قال: قيل لعليّ عليه السلام حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا ولم يستوف ثمنهم في الرّقّ ، فقال عليه السلام ليس ذلك في القضاء بحقّ قد عتقوا إذ اعتقهم الذي اشتراهم و صار مالي دينا على الذي اشريهم

الترجمة

ازجملۀ کلام آن حضرت است درحینی که بگریخت مصقلة بن هبيرة شيباني بسوى معاويۀ ملعون ، وجهة فرار او این بود که خریده بود اسیران بني ناحيه را از معقل بن قيس رياحي عامل أميرالمؤمنين عليه السلام و آزاد کرده بود ایشانرا ، پس زمانی که مطالبه کرد إمام عليه السلام ثمن آنهارا غدر کرد مصقله بآن وگریخت بطرف شام پس چون آن خبر بحضرت رسید فرمود :

دور گرداند خدا مصقله را ازرحمت خود ، کرد کارخواجگان را که خریدن بندگان بود و آزاد کردن ایشان ، و گریخت همچو گریختن غلامـان پس گویا نگردانید مدح گویندۀ خودرا تا اینکه ساکت ساخت اورا بغدر وفرار ، وتصدیق نکرد وصف کنندۀ خودرا تا اینکه توبیخ نمود اورا بجهة سوءکردار ، واگر اقامت میکرد ونمی گریخت هر آینه دریافت میکردیم ازاو آنچه مقدور اوبود ، و انتظار میکشیدیم بمال اوافزونی اورا ، یعنی میگذاشتیم مال او زیاده شود وازعهدۀ قرض ودین خود برآید

و من خطبة له عليه السلام و هى الخامسة والاربعون من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبادَتِهِ، أَلَّذي لا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَالدُّنيا دارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَناءُ، وَلأَهْلِها مِنْهَا الْجَلاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَقَدْ عُجِّلَتْ لِلطّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْها بِأَحْسَنِ ما بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزّادِ، وَلا تَسْئَلُوا فِيها فَوْقَ الْكَفافِ، وَلاَ تَطْلُبُوا مِنْها أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاغِ.

اللغة

(القنوط) الياس و(الاستنكاف) الاستكبار والمستنكف على صيغة المفعول و (مناه) الله أى قدره و (الجلاء) بفتح الجيم الخروج من الوطن قال سبحانه:

« وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ »

و (الخضرة) بفتح الخاء المعجمة و كسر الضّاد و الخضر ككتف الغصن و الزّرع والبقلة الخضراء و (الكفاف) من الرزق كسحاب ما اغنى عن النّاس و (البلاغ) كسحاب أيضاً الكفاية.

الاعراب

غيرمقنوط نصب على الحال، ولا مخلوّ عطف على مقنوط ونحوه قوله سبحانه

« فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلاعادٍ »

وربّما يجيء المعطوف بالنّصب عطفا على موضع غير ، و جملة الذي لايبرح و صفته ولأهلها إمّا متعلق بمقدّر وهوخبرمقدّم والجلاء مبتداء مؤخّر والواوعاطفةللجملة على الجملة فتكون المعطوفة في محلّ الرّفع على كونها صفة لدار كالمعطوف عليها أو لأهلها عطف على لها والجلاء مرفوع على النيابة عن الفاعل كما أنّ الفناء مرفوع كذلك ، و الباء في قوله بأحسن للمصاحبة والملابسة ، وفي قوله بحضرتكم للظرفيّة ومن الزّاد بيان لما

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحراني هو أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة له عليه السلام خطبها يوم الفطر ، و أنّ بين قوله : ونعمة ، وقوله : والدّنيا ، فصل طويل ، والمستفاد منه أيضاً أنّ الخطبة الثامنة والعشرين أيضاً من فصول تلك الخطبة الطويلة إذا عرفت ذلك ظهرلك أنّ ما أتى به السيّد (ره) هنامنتظم من فصلين

الفصل الاول

مشتمل على حمدالله سبحانه وثنائه وهوقوله (الحمدللهغيرمقنوط من رحمته) أصل الرّحمة رقّة القلب و انعطاف أى نيل روحاني يقتضي التّفضّل و الاحسان ، وإذا اسندت إلى الله سبحانه كان المراد بها غايتها أعنى التفضّل و الاحسان ، لأنّ الرّقة من الكيفيّات المزاجيّة المستحيلة في حقّه سبحانه ، فيكون اطلاقها على التّفضّل إمّا من باب المجازالمرسل من قبيل ذكر السّبب وإرادة المسبّبلكون الرّقة سبباللتّفضّل وإمّامن باب التمثيل بأن شبّه حاله تعالى بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم فأصابهم بمعروفه و انعامه ، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للأولى من غير أن يتمحّل في شيء من مفرداته

وكيف كان ففي كلامه عليه السلام تنبيه على عدم جواز اليأس من رحمة الله سبحانه لعمومها وسعتها للخلايق في الدّنيا والآخرة كما قال سبحانه : « و رحمتي و سعت كلّ شيء » وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله إنّ لله عزّ وجلّ مأة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض

فقسّمها بين خلقه فبها يتعاطفون و يتراحمون ، و أخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها يوم القيامة .

و روى إنّ الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مأة يرحم بها عباده يوم القيامة (و لا مخلوّ من نعمته) لأنّ سبوغ نعمته دائم لآثار قدرته التي استلزمت طبايعها الحاجة إليه فوجب لها فيض جوده إذكلّ ممكن مفتقر إلى كرمه وجوده (ولامأيوس من مغفرته) وذلك لأنّ عفوه تعالى غالب على عقابه، ورحمته سابقة على غضبه، ومغفرته قاهرة لعقوبته كما قال سبحانه :

« قُلْ يا عِبادِيَ الَّذينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ »

وفي الحديث ليغفرنّ الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قطّ على قلب أحد حتّى أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه هذا

ونظير كلامه في الفقرات الثلاث المفيدة لاتّصافه سبحانه بالرّحمة و الانعام والمغفرة ما ورد في دعاء الاستقالة عن الذّنوب من الصّحيفة السّجاديّة وهو قوله عليه السلام :

« أنْتَ الَّذي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً ، و أنْتَ الَّذي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ في نِعَمِكَ سَهْماً ، و أنْتَ الّذي عَفْوُهُ أعْلى مِنْ عِقابِه »

(ولا مستنكف عن عبادته) إذ هو المستحقّ للعبادة دون ما عداه ، لأنّه جامع الكمال المطلق ليس فيه جهة نقصان إليها يشار ، فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار فالمقصود بقوله : و لا مستنكف عن عبادته ، أنّ عبادته ليست محلاّ لأن يستنكف عنها ، لأنّها لا استنكاف عنها ولا استكبار ، ضرورة أنّ المستكبرين و المستنكفين من الجنّة والنّاس من الكافرين والمنافقين فوق حدّ الاحصاء ، ولذلك خصّ سبحانه عدم الاستكبار بأهل التّقرّب والمكانة كما قال :

« و لَهُ مَنْ في السّمواتِ وَ الْأرْضِ و مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبادَتِه ولا يَسْتَحْسِرُونَ »

و قال : «إنَّ الذينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِه و يُسَبِّحُونَه وَ لَهُ يَسْجُدُونَ »

و قال : « لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسيحُ أنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِه و يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إلَيْهِ جَميعاً فَأمّا الّذينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُوَفّيهِمْ أُجورَهُمْ و يَزيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه و أمّا الّذينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أليماً »

(الذي لا تبرح له رحمة و لا تفقدله نعمة) الاتيان بهذين الوصفين للاشارة إلى وجوب شكره سبحانه بهذين الاعتبارين أيضاً

فان قلت أليس قوله غير مقنوط من رحمته و لا مخلوّ من نعمته مغنيا عن هذين الوصفين ؟

قلت : لا إذ عدم القنوط من رحمته لا يستلزم دوام الرّحمة فلا يغنى ذكره عنه وهو ظاهر ، وأمّا عدم الخلوّ من النّعمة وإن كان ملازما لعدم فقدانها إلاّ أنّه يمكن أن يكون المراد بالأوّل الخصوص يعنى عدم خلوّ نفسه من نعمته كما أنّ الظاهر في الفقرات الثلاث الباقية أيضاً ذلك ، وبالثّاني مشمول نعمته لجميع الخلايق وعدم فقدانها في حقّ أحد

وأمّا البرهان على دوام رحمته وكمال نعمته فهو على ماذكره الفخر الرّازي أنّ الأشياء على أربعة أقسام : **الذى** يكون نافعا وضروريّاً معا و **الذى** يكون نافعا ولا يكون ضروريّاً و **الذى** يكون ضروريّاً ولا يكون نافعاً و **الذى** لا يكون نافعاً ولا يكون ضروريّاً

أمّا القسم الأوّل و هو الذي يكون نافعاً و ضروريّاً معا ، فامّا أن يكون

كذلك في الدنيا فقط و هو مثل النفس ، فانه لو انقطع منك لحظة واحدة لحصل الموت ، وإما أن يكون كذلك في الآخرة وهو معرفةالله تعالى فانها إن زالت عن القلب لحظة واحدة حصل الموت للقلب واستوجب العذاب الأبد

وأما القسم الثاني وهوالذي يكون نافعاً ولا يكون ضرورياً فهو كالمال في الدنيا وكسايرالعلوم والمعارف في الآخرة

و أما القسم الثالث وهوالذي يكون ضرورياً ولا يكون نافعا فكالمضار التي لابد منها في الدنيا ، كالأمراض و الموت و الفقر و الهرم و لا نظير لهذا القسم في الآخرة ، فان ضروريات الآخرة لا يلزمها شيء من المضار

وأما القسم الرابع وهوالذي لا يكون ضروريا ولا نافعا فهو كالفقرفي الدنيا والعذاب في الآخرة

إذا عرفت ذلك فنقول : قد ذكرنا أن النفس في الدنيا نافع و ضروري ، فلو انقطع عن الانسان لحظة لمات في الحال ، وكذلك معرفةالله تعالى أمر لابد منه في الآخرة فلوزالت عن القلب لحظة لمات القلب لا محالة ، لكن الموت الأول أسهل من الثاني لأنه لم يتألم في الموت الأول إلا ساعة واحدة ، و أما الموت الثاني فانه يبقى ألمه أبدالآباد .

وكما أن التنفس له أثران : أحدهما إدخال النسيم الطيب على القلب وابقاء اعتداله وسلامته ، و الثاني إخراج الهواء الفاسد الحار المحترق عن القلب ، كذلك الفكر له أثران : أحدهما ايصال نسيم الحجة و البرهان إلى القلب و ابقاء اعتدال الايمان و المعرفة عليه ، و الثاني إخراج الهواء الفاسد المتولد من الشبهات عن القلب ، و ما ذاك إلا بان يعرف أن هذه المحسوسات متناهية في المقدار منتهية بالأخرة إلى الفناء بعد وجودها ، فمن وقف على هذه الأحوال بقي آمناً من الآفات واصلاً إلى الخيرات والمسرات وكمال هذين الأمرين ينكشف بعقلك بأن تعرف أن كل ما وجدته ووصلت إليه فهوقطرة من بحار رحمة الله وذرة من أنوار إحسانه فعند هذا ينفتح على قلبك معرفة كون الله رحمانا رحيما .

فاذا أردت أن تعرف هذا المعنى على التفصيل فاعلم أنك جوهر مركب من نفس و بدن و روح وجسد ، أمّا نفسك فلا شكّ أنّها كانت جاهلة في مبدء الفطر كما قال تعالى :

« وَاللهُ اخرَجكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعلَمُونَ شَيْئاً و جَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشكُرُونْ »

ثمّ تامّل في مراتب القوى الحسّاسة و المحرّكة و المدركة و العاقلة و تأمّل في مراتب المعقولات و في جهاتها و اعلم أنّه لا نهاية لها البتّة ولوأنّ العاقل أخذ في اكتساب العلم بالمعقولات وسرى فيها سيران البرق الخاطف والرّيح العاصف ، وبقى في ذلك السّير أبد الآبدين ودهر الداهرين لكان الحاصل له من المعارف و العلوم قدراً متناهياً ،ولكانت المعلومات التي ماعرفها ولم يصل إليها أصلاً غير متناهية و المتناهي في جنب غير المتناهي قليل في كثير فعند هذا يظهر له أنّ الذي قاله الله تعالى في قوله :

« وما أُوتيتُمْ إلاّ قَليلاً » حقّ وصدق .

وأمّا بدنك فانّه جوهرمركب من الأخلاط الأربعة ، فتأمّل كيفيّة تركيبها وتشريحها وتأمّل ما في كلّ واحد من الأعضاء والأجزاء من المنافع العالية والآثار الشّريفة ، وحينئذ يظهرلك صدق قوله سبحانه وتعالى :

« وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحصُوها »

وحينئذ ينجلى لك أثر من آثار كمال رحمته في خلقك وهدايتك ، فتفهم شيئاًقليلا من رحمته الكاملة ونعمته السّابغة الشّاملة .

الفصل الثاني

متضمّن للتّنفير عن الدّنيا و التّنبيه على بعض عيوباتها وهوقوله (و الدّنيا دارمني لها الفناء) قدّر (لأهلها منها الجلاء) كما قال سبحانه :

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » وقال : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ »

(وهي حلوة) في الذوق (خضرة) في النظر يستلذ بها الذائق والناظر (و) لكنها (قد عجلت للطالب) فليس لها دوام و ثبات حتى يتمتع منها على وجه الكمال (والتبست بقلب الناظر) أي اشتبهت لديه حتى صار مولعا بحبها مفتتناً بخضرتها و نضارتها .

« كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ »

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في رواية أبي هريرة : لا تكونوا ممّن خدعته العاجلة و غرّته الامنيّة ، فاستهوته الخدعة ، فركن إلى دار السوء سريعة الزّوال ، و شيكة الانتقال إنّه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلاّ كاناخة راكب أوصر حالب فعلى ما تعرجون و ماذا تنتظرون ، فكأنكم والله وما أصبحتم فيه من الدّنيا لم يكن ، و ما يصيرون إليه من الآخرة لم يزل ، فخذوا اهبة لا زوال لنقلة ، وأعدّوا الزّاد لقرب الرّاحلة ، واعلموا أنّ كلّ امرء على ما قدّم قادم ، وعلى ما خلف نادم

ولما نبّه عليه السلام على فناء الدّنيا وتعجيل زوالها أردف ذلك بقوله (فارتحلوا عنها) يعني تهيئوا للارتحال واستعدّوا للموت قبل نزول الفوت (بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد) وهو التّقوى والأعمال الصّالحة (و لا تسألوا فيها فوق الكفاف و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ)

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في رواية انس بن مالك : يا معشر المسلمين شمّروا فانّ الأمر جدّ ، وتأهّبوا فانّ الرّحيل قريب ، وتزوّدوا فانّ السّفر بعيد ، وخفّفوا أثقالكم فانّ ورائكم عقبة كؤداً لايقطعها إلاّ المخفّفون ، أيها النّاس إنّ بين يدي السّاعة اموراً شداداً ، وهوالاعظاماً ، وزماناً صعبا يتملّك فيه الظلمة ، ويتصدّر فيه الفسقة ، ويضام فيه الآمرون بالمعروف ، ويضطهد فيه النّاهون عن المنكر ، فأعدّوا لذلك الايمان و عضّوا عليه بالنّواجذ ، والجأوا إلى العمل الصّالح و أكرهوا عليه

النفوس تفضوا إلى النعيم الدائم

هداية

عقد ثقة الاسلام الكليني عطر الله مضجعه في الكافي باباً للكفاف و روى فيه الأخبار الواردة في مدحه وحسنه ولا بأس برواية بعضها تيمناً وتبركاً فأقول:

فيه باسناده عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول قال: رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ: إنّ من أغبط أوليائي عندي رجلا خفيف الحال ذا حظ من صلاة أحسن عبادة ربه بالغيب . وكان غامضا في الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه عجّلت منيته فقلّ تراثه وقلّت بواكيه

و عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافا

و عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهمّ ارزق محمداً وآل محمد و من أحبّ محمداً وآل محمد العفاف و الكفاف ، و ارزق من أبغض محمداً وآل محمد المال والولد

وعن النوفلي رفعه إلى عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال: مرّ رسول الله براعي إبل فبعث يستسقيه فقال: أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ وأمّا ما في آنيتها فغبوقهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهمّ أكثر ماله وولده ، ثم مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله صلى الله عليه وآله و بعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهمّ ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله دعوت للذي ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه ، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ ما قلّ وكفى خير ممّا أكثر وألهى اللهمّ ارزق محمداً وآل محمد الكفاف

و عن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه و ذلك أقرب له منّي ، ويفرح عبدي المؤمن إن وسّعت عليه وذلك أبعد له منّي

وفي حديث أبي ذرّ المرويّ في البحار قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا باذر إنّي قد دعوت الله جلّ ثناؤه أن يجعل رزق من يحبّني الكفاف ، و أن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد

وقد أكثر شعراء العرب والعجم في مدح الكفاف والاستغناء عن النّاس ، ومن جيّد ما قالوه قول أبي العلاء المعرّى :

فان كنت تهوى العيش قانع توسطا فعند التناهي يقصر المتطاول
توفى البدور النقص و هى أهلّة و يدركها النّقصان و هى كوامل

وقال سليمان بن مهاجر البجلي :

كسوت جميل الصّبر وجهي فصانه به الله عن غشيان كلّ بخيل
فلم يتبذلني البخيل و لم اقم على بابه يوما مقام ذليل
و انّ قليلا يستر الوجه ان يرى إلى النّاس مبذ و لا بغير قليل

و قال بعض شعراء الحكماء :

فلا تجزع إذا أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدّهر الطويل
و لا تظنن بربّك ظنّ سوء فإنّ الله أولى بالجميل
و إنّ العسر يتبعه يسار و قيل الله أصدق كلّ قيل
و لو أنّ العقول تجرّ رزقا لكان المال عند ذوي العقول

تكملة

قد ذكرنا سابقا أنّ المستفاد من شرح البحراني أنّ هذه الخطبة و الخطبة الثّامنة والعشرين ملتقطتان من خطبة طويلة خطب بها يوم الفطر ، و قد ظفرت بعد ما شرحت الخطبة على تمامها برواية الصّدوق في كتاب من لايحضره الفقيه فأحببت ايرادها على ما رواها قدّس سرّه فأقول : قال :

و خطب أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال : الحمدلله الذي خلق السّموات و الأرض و جعل الظلمات والنّور ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون ، لا نشرك بالله شيئاً ولا نتّخذ من دونه وليّا ، والحمدلله له ما في السّموات و ما في الأرض وله

الحمد في الدّنيا و الآخرة وهوالحكيم الخبير ، يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها وما ينزل من السّماء وما يعرج فيها وهوالرّحيم الغفور ، كذلك الله لاإله إلاّ هو إليه المصير ، و الحمدلله الذي يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلاّ باذنه إنّ الله بالنّاس لرؤف رحيم

اللهمّ ارحمنا برحمتك ، واعممنا بمغفرتك إنّك أنت العليّ الكبير ، والحمدلله الذي لا مقنوط من رحمته ، ولامخلوّ من نعمته ، ولا مؤيس من روحه ، ولا مستنكف عن عبادته ، بكلمته قامت السّماوات السّبع ، و استقرّت الأرض المهاد ، وثبتت الجبال الرّواسي ، و جرت الرّياح اللواقع ، و سار في جوّ السّماء السّحاب ، وقامت على حدودها البحار ، و هو إله لها وقاهر يذلّ له المتعزّزون ، ويتضأل له المتكبّرون ، ويدين له طوعاً وكرهاً العالمون.

نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله، ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لا شريك له يعلم ما تخفى النّفوس وما يجنّ البحار وماتوارى منه ظلمة ، ولا يغيب عنه غائبة ، وما يسقط من ورقة من شجرة ، ولا حبّة في ظلمات الأرض إلاّ يعلمها ، لاإله إلاّ هو ، ولارطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين ، ويعلم مايعمل العاملون ؛ وأيّ مجرى يجرون ، وإلى أيّ منقلب ينقلبون

ونستهدى الله بالهدى ونشهد أنّ محمّداً عبده ونبيّه ورسوله إلى خلقه ، و أمينه على وحيه ، و أنّه قد بلغ رسالات ربّه و جاهد في الله الحائدين عنه العادلين به ، وعبدالله حتّى أتاه اليقين صلّى الله عليه و آله

اُوصيكم بتقوى الله الذي لا تبرح منه نعمة ، ولا تفقد منه رحمة ، ولا يستغنى العباد عنه ، ولايجزى انعمه الاعمال، الذي رغب في التّقوى ، وزهد في الدّنيا و حذر المعاصي وتعزّز بالبقاء ، وذلّل خلقه بالموت والفناء ، والموت غاية المخلوقين ، وسبيل العالمين ، ومعقود بنواصي الباقين ، لا يعجزه إباق الهاربين ، وعند حلوله ياسرأهل الهوى يهدم كلّ لذّة ، ويزيل كلّ نعمة ، ويقطع كلّ بهجة

والدّنيا دار كتب الله لها الفناء ، ولأهلها منها الجلاء ، فأكثرهم ينوى بقائها ويعظم بنائها: وهى حلوة خضرة قدعجلت للطالب، والتبست بقلب النّاظر ويضني ذوالثروة

الضّعيف ، ويحتويها الخائف الوجل ، فارتحلوا منها يرحمكم الله بأحسن ما بحضرتكم ولا تطلبوا منها أكثر من القليل ولا تسألوا منها فوق الكفاف ، وارضوا منها باليسير ولا تمدّن أعينكم منها إلى ما متّع المترفون و استهينوا بها ولا توطنوها وأضرّوا بأنفسكم فيها ، وإيّاكم والتنعّم والتلهّي والفاكهات ، فانّ في ذلك غفلة واغتراراً

ألا إنّ الدّنيا قد تنكّرت وادبرت وأصولت وآذنت بوداع ، ألا وإنّ الآخرة قد رحلت فأقبلت وأشرفت وآذنت باطلاع ، ألا وإنّ المضمار اليوم والسّباق غداً ، ألا و إنّ السّبقة الجنّة و الغاية النّار ، أفلا تائب من خطيئته قبل يوم منيته ، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ، وفقره ، جعلنا الله وإيّاكم ممّن يخافه فيرجو ثوابه

ألا وإنّ هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً ، وجعلكم له أهلا ، فاذكروا الله يذكركم وادعوه يستجب لكم و أدّوا فطرتكم فانّها سنّة نبيّكم وفريضة واجبة من ربّكم فليؤدّها كلّ امرء منكم عن نفسه وعن عياله كلّهم ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم وحرّهم ومملوكهم عن كلّ إنسان منهم صاعاً من برّ أوصاعا من تمر أوصاعا من شعير

وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به من إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة وحجّ البيت وصوم شهر رمضان و الأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر ، و الاحسان إلى نسائكم وما ملكت أيمانكم

و أطيعوا الله فيما نهيكم عنه من قذف المحصنة ، و إتيان الفاحشة ، و شرب الخمر وبخس المكيال ، و نقص الميزان ، و شهادة الزّور ، والفرار عن الزّحف

عصمنا الله و إيّاكم بالتّقوى ، و جعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأولى ، إنّ أحسن الحديث وأبلغ موعظة المتّقين كتاب الله العزيز أعوذ بالله العظيم من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ، قل هو الله أحد الله الصّمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

الترجمة

ازجمله خطبه‌هاى آنحضرت است : حمد وثنا مر خداى را است درحالتى كه نوميد كرده نشده است از رحمة او ، وخالى كرده نشده است از نعمة او ، و نوميد

کرده نشده است از مغفرة او ، و کبر ورزیده نشده است از عبادت او ، چنان خداوندی که زایل نمیشود از او هیچ رحمتی ، و نایاب نمیشود از او هیچ نعمتی ، ودنیا سرائیست تقدیر کرده شده است ازبرای اوفنا ، واز برای اهل او بیرون رفتن از آن بارنج وعنا ، وآن دنیا شیرینست درمذاق وسبز وخرمست درنظرأهل آفاق وبتحقیق که شتابانیده شده‌است‌ازبرای جوینده او ، ومشتبه شده است در قلب نظر کننده او ، پس رحلت نمائید و کوچ کنید از او به نیکوترین چیزی که در حضور شماست ازتوشه که عبارتست از تقوی وأعمال صالحه ، وسؤال نکنید دراو بالاتر از قدر کفاف در معیشت ، و طلب ننمائید از او زیاده ازحد کفایة که اینست شعار صاحبان بصیرت ، وسالکان طریق حقیقت

و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام و هو السادس والاربعون من المختار فى باب الخطب

أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ ، وَ كَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَ الْمالِ ، أَللّٰهُمَّ أَنْتَ الصّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، وَلا يَجْمَعُهُما غَيْرُكَ ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً ، وَ الْمُسْتَصْحَبَ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

وفي نسخة ابن أبي الحديد قال الرّضيّ وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وبأحسن تمام من قوله : ولا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل

اللغة

(و عثاء السّفر) مشقّته و أصل الوعث المكان السّهل الدّهس ، تغيب فيه الأقدام والطريق العسر . وقد وعث الطريق كسمع وكرم تعسّر سلوكه و(الكآبة) والكأب الغمّ وسوء الحال والانكسار من حزن و (المنقلب) مصدر ومكان من القلب اى اى رجع ومثله (المنظر) قال الفيروزآبادي : نظره كضربه وسمعه وإليه نظراً ومنظراً ونظراناً ومنظرة وقال : والمنظر و المنظرة مانظرت إليه فأعجبك حسنه أوساءك

الاعراب

لفظة اللّهمّ منادى محذوف النّداء و لا يجوز حذف حرف النّداء من لفظ الجلالة إلاّ مع الحاق الميم المشدّدة به ، و ذلك لأنّ حقّ ما فيه اللام أن يتوصّل إلى ندائه بأيّ أو باسم الاشارة ، فلمّا حذفت الوصلة في هذه اللفظة الشّريفة لكثرة ندائه لم يحذف الحرف إلاّ نادراً لئلاّ يكون إجحافاً ، فان أردت الحذف ألحقت الميم المشدّدة ؛ وإنّما اخرّت الميم تبرّكا باسمه سبحانه ، وقال الكوفيّون : إنّ الميم ليست عوضاً بل مأخوذة من فعل و الأصل يا الله آمنّا بخير فيخيّرون الجمع بينها وبين ياء في السّعة وردّ بأنه لوكان كذلك لما حسن اللهمّ آمنّا بخير و في حسنه دليل على أنّ الميم ليست مأخوذة منه إذ لوكان كذلك لكان تكراراً

المعنى

اعلم أنّ هذا الدّعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الرّكاب حين ما توجّه من النّخيلة إلى الشّام لحرب معاوية وأتباعه ، قال نصر بن مزاحم لمّا وضع عليّ عليه السلام رجله في ركاب دابّته قال : بسم الله ، فلمّا جلس على ظهرها قال : سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون (اللهمّ إنّي أعوذبك من وعثاء السّفر) ومشقّته (وكآبة المنقلب) أى الحزن بعد الرّجوع إلى الوطن ، و في رواية نصر بعده والحيرة بعد اليقين (و سوء المنظر في الأهل والمال) المورث للكآبة والملال

(اللهمّ أنت الصّاحب في السّفر) ومن شأن الصّاحب العناية بأمور صاحبه

(وأنت الخليفة في الأهل و)من وظيفة الخليفة على الشيء حسن القيام والولاية على ضروريّات ذلك الشيء و حفظه ممّا يوجب له الضّرر (لايجمعهما) أى الصّحابة والخلافة في آن واحد (غيرك) لامتناع ذلك في حقّ الأجسام (لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفا) و أمّا الله سبحانه فلتنزّهه عن الجهة والجسميّة يجوز كونه خليفة وصاحبا معا في آن واحد كما قال سبحانه

« وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ » وقال : « ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ و لا أَدْنى مِنْ ذٰلِكَ ولا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كانُوا »

و قد مضى تحقيق الكلام في ذلك في الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبة الاولى عند شرح قوله : مع كلّ شيء لا بمقارنة فتذكّر

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّ الدّعاء من معظم أبواب العبادات و أعظم ما يستعصم به من الآفات وأمتن مايتوسل به إلى استنزال الخيرات ، ووجوبه وفضله معلوم من العقل والشّرع

أما العقل فلأنّ دفع الضّرر عن النّفس مع القدرة عليه والتمكّن منه واجب وحصول الضّرر ضروريّ الوقوع فى دار الدّنيا ، إذكلّ انسان لا ينفكّ عمّا يشوّش نفسه ويشغل عقله ويتضرّر به إمّا من داخل كحصول عارض يغشي مزاجه ، أو من خارج كأذيّة ظالم و نحوها ولو خلا من الكلّ فالعقل يجوز وقوعه فيها ، و كيف لا وهو في دار الحوادث التي لاتستقرّ على حال ، وفجايعها لا ينفك عنها آدميّ إمّا بالفعل أو بالقوّة ، فضررها إمّا واقع حاصل أو ممكن الوقوع و متوقّع الحصول ، و كليهما يجب إزالته مع القدرة عليه ، والدّعاءمحصّل لذلك و هو مقدور فيجب المصير إليه .

وقد نبّه على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : ما من أحد ابتلي وان عظمت بلواه بأحقّ بالدّعاء من المعافى الّذي لايأمن من البلاء

فقد ظهر من هذا الحديث احتياج كلّ أحد إلى الدّعاء معافاً ومبتلاً، وفايدته رفع البلاء الحاصل ودفع السّوء النّازل أوجلب نفع مقصود أوتقرير خير موجود

فان قلت: المطلوب بالدّعاء إمّا أن يكون معلوم الوقوع لله سبحانه، أومعلوما عدم وقوعه، فعلى الأوّل يكون واجباً و على الثاني ممتنعاً، و على التّقديرين فلا يكون للدّعاء فايدة، لأنّ الأقدار سابقة، و الأقضية واقعة و قد جفّ القلم بماهو كائن، فالدّعاء لا يزيد ولا ينقص فيها شيئاً

قلنا: هذه شبهة ربّما سبقت إلى الأذهان القاصرة وفسادها ظاهر، لأنّ كلّ كاين فاسد موقوف في كونه وفساده على شرايط توجد وأسباب تعدّ لأحدهما لا يمكن بدونها، و على ذلك فلعلّ الدّعاء من شرايط ما يطلب به وهما و ان كانا معلومي الوقوع لله سبحانه وهوتعالى علّتهما الأولى إلاّ أنّه هوالذي ربط أحدهما بالآخر، فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدّعاء كماجعل سبب صحّة المرض شرب الدّواء ومالم يشرب الدّواء لم يصحّ، وبذلك ايضاً ظهر فساد ما قيل إنّ المطلوب بالدّعاء إن كان من مصالح العباد فالجواد المطلق لا يبخل به، و إن لم يكن من مصالحهم لم يجز طلبه، وجه ظهور الفساد أنّه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله مصلحة بعد الدّعاء ولا يكون مصلحة قبل الدّعاء

وأما النقل فمن الكتاب قوله سبحانه:

«قُلْ ما يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبّي لَوْلا دُعائُكُمْ» وقوله: «وقالَ رَبُّكُمْ أُدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ».

فجعل الدّعاء عبادة والمستكبر عنها كافراً وقوله:

«وإذا سَئَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَلْيُؤْمِنُو بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ».

قال أحمد بن فهد الحلي في كتاب عدة الداعي : هذه الآية قد دلت على أمور

الأول تعريفه تعالى لعباده بالسؤال بقوله :

« وإذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإنّي قَريبٌ »

الثاني غاية عنايته بمسارعة اجابته و لم يجعل الجواب موقوفا على تبليغ الرسول بل قال : فانّي قريب ولم يقل قل لهم إنّي قريب

الثالث خروج هذا الجواب بالفاء المقتضي للتعقيب بلا فصل

الرابع تشريفه تعالى لهم بردّ الجواب بنفسه لينبّه بذلك على كمال منزلة الدعاء وشرفه عنده تعالى ومكانه منه ، قال الباقر عليه السلام لا تمل من الدعاء فانّه من الله بمكان .

الخامس دلّت هذه الآية على أنّه لامكان له إذلو كان له مكان لم يكن قريبا من كلّ من يناجيه .

السادس أمره تعالى لهم بالدعاء في قوله : فليستجيبوا لي أي فليدعوني

السابع قوله تعالى : و ليؤمنوا بي أي و ليتحققوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه ، فأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم و فيه فايدتان : إعلامهم باثبات صفة القدرة له وبسط رجائهم في وصولهم إلى مقترحاتهم و بلوغ مراداتهم و نيل سؤالاتهم فانّ الانسان إذا علم قدرة معامله ومعاوضه على دفع عوضه كان ذلك داعياً له إلى معاملته ومرغباله في معاوضته ، كما أنّ علمه بعجزه عنه على الضدّ من ذلك ، ولهذا تراهم يجتنبون معاملة المفلس

الثامن تبشيره تعالى لهم بالرشاد الذي هو طريق الهداية المؤدّي إلى المطلوب فكأنّه بشّرهم باجابة الدعاء ، ومثله قول الصادق عليه السلام : من تمنّى شيئاً وهو لله رضى لم يخرج من الدنيا حتّى يعطاه ، وقال : إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب

فان قلت : نحن نرى كثيراً من النّاس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله : اجيب دعوة الداع إذا دعان ؟ و بعبارة اُخرى إنّه سبحانه وعد إجابة الدعاء وخلاف الوعد عليه تعالى محال لأنّه كذب قبيح في حقّه عزّوجلّ

قلت : قد أجاب الطبرسي في مجمع البيان بأنّه ليس أحد يدعوالله على ما يوجبه الحكمة إلاّ أجابه الله ، فانّ الداعي إذا دعاه يجب أن يسأل مافيه صلاح له في دينه و لا يكون له مفسدة فيه فانّه سبحانه يجيب إذا اقتضت المصلحة إجابته أو يؤخّر الاجابة إن كانت المصلحة في التأخير ، ثمّ قال : و إذا قيل إنّ ما يقتضيه الحكمة لابدّ أن يفعله فما معنى الدعاء واجابته ؟ أجاب بأنّ الدّعاء عبادة في نفسها لما فيه من إظهار الخضوع والانقياد ، وأيضاً لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله إنّما صار مصلحة بعد الدّعاء

أقول : أمّا ما ذكره من أنّه ليس أحد يدعوالله اه ، فهوحقّ لا ريب فيه وبه صرّح في عدّة الداعي حيث قال : ليس أحد يدعوالله سبحانه وتعالى على ما يوجبه الحكمة ممّا فيه صلاحه إلاّأجابه و على الداعي أن يشرط ذلك بلسانه او يكون منويّاً في قلبه ، فالله يجيبه البتّة إن اقتضت المصلحة إجابتها ، أو يؤخّر له إن اقتضت المصلحة التأخير قال الله تعالى :

« وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ »

وفي دعائهم : يا من لا تغيّر حكمته الوسايل ، و لما كان علم الغيب منطوياً عن العبد وربّما تعارض عقله القوى الشّهويّة ويخالطه الخيالات النّفسانيّة فيتوهّم أمراً ممّا فيه فساده صلاحا له فيطلبه من الله سبحانه ويلحّ في السؤال عليه ، ولو يعجّل الله إجابته ويفعله به لهلك البتّة ، وهذا أمرظاهر العيان غنيّ عن البيان كثير الوقوع ، فكم نطلب أمراً ثمّ نستعيذ منه وكم نستعيذ من أمر ثمّ نطلبه ، و على هذا خرج قول علي عليه السلام : ربّ أمرحرص الانسان عليه فلمّا أدركه ودّ أن لم يكن أدركه وكفاك قوله تعالى :

« وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ »

فانّ الله سبحانه وتعالى من وفور كرمه وجزيل نعمه لايجيبه، وذلك إمّا لسابق رحمته

به فانه هو الذي سبقت رحمته غضبه و إنما أنشاه رحمة به وتعريضاً لاثابته و هو الغني عن خلقته ومعاقبته أو لعلمه سبحانه بأن المقصود للعبد من دعائه هو إصلاح حاله فكان ما طلبه ظاهراً غير مقصود له مطلقاً ، بل بشرط نفعه له فالشرط المذكور حاصل في نيته وإن لم يذكره بلسانه بل وإن لم يخطر بقلبه حالة الدعاء

و إيضاح ذلك على سبيل المثل أنه إذ قال كريم أنا لا أرد سائلا ولا أخيب آملا ، ثم اتى سفيه وطلب منه ما يعلم أنه يقتله والسائل لم يكن عالما بذلك، أوأتى صبي جاهل و طلب منه أفعياً لحسن نقشه و نعومته ، فالحكمة و الجود يقتضيان منعهما لاعطائهما ، ولوأعطاهما لذمه العقلاء ، فظهر أن هذا الوعد من الحكيم لابد أن يكون مشروطاً بالمصلحة

وتوهم أن ما فيه صلاح العباد يأتي الله تعالى به لا محالة من دون حاجة إلى الدعاء ، مدفوع بما أشار إليه الطبرسي من إمكان كون المصلحة في الاعطاء مع الدعاء ومع عدمه يكون الصلاح في المنع

و على هذا فالمطالب ثلاثة **الاول** ما يكون المصلحة في إعطائه مطلقاً كالرزق الضروري **الثاني** مايكون المصلحة في المنع كذلك **الثالث** أن يكون المصلحة في العطاء مع الدعاء و في العدم مع العدم و إنما يظهر أثر الدعاء في الثالث هذا .

و أما ما ذكره أخيراً في الجواب من أن الدعاء عبادة في نفسها فصحيح إلا أنه لا ربط له بالسؤال هذا ، و الانصاف أن مجرد اشتمال الدعاء على المصلحة لا يستلزم الاجابة بل لابد من اقترانه مضافا إلى ذلك بشرايطها المقررة المستفادة من الأخبار مع كونه صادراً عن وجه الاخلاص وتمام الانقطاع والفراغ و التخلية التامة للقلب

و لنعم ما قال إبراهيم بن أدهم حيث قيل له : ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا قال : لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، و أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة

فلم تطلبوها ، وعرفتم النّار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشّيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدّوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، و تركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب النّاس

والحاصل أنّ الدّعاء كساير العبادات لها شروط لحصولها وموانع عن قبولها فلمّا لم يتحقّق الشّرايط ولم ترتفع الموانع لم يترتّب عليها آثارها الدّنيويّة والاُخرويّة مثلا الصّلاة إذا ورد فيها من صلّى دخل الجنة أو زيد في رزقه ، فاذا صلّى بغير وضوء أو فعل ما يبطلها و يحبطها لم يترتّب عليها آثارها الدّنيويّة والاُخرويّة ، و إذا قال الطبيب : السّقمونيا مسهل فاذا شرب الانسان معه ما يبطل تأثيره كالأفيون فهو لا ينافي قول الطبيب ولا ينافي حكمه في ذلك

فكذا الدّعاء استجابتها و قبولها و ترتيب الأثر عليها مشروطة بشرايط ، فاذا أخلّ لشيء منها لم تترتّب عليها الاستجابة ، وقد وردت أخبار كثير في شرايط الدّعاء ومنافاته ، وربّما يشير إليه قوله تعالى : اُوفوا بعهدي اُوف بعهدكم

قال الشّارح البحراني : سبب اجابة الدّعاء هو توافى الأسباب ، وهو أن يتوافي دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وساير أسباب وجود ذلك الشّيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهيّة على ما قدر وقضى ، ثمّ الدّعاء واجب وتوقّع الاجابة واجب ، فانّ انبعاثنا للدّعاء سببه من هناك ، و يصير دعانا سببا للاجابة وموافاة الدّعاء لحدوث الأمر المدعوّ لأجله و قد يكون أحدهما بواسطة الاخر ، و إذا لم يستجب الدّعاء لداع وإن كان يرى أنّ الغاية التي يدعو لأجلها نافعة فالسّبب في عدم الاجابة أنّ الغاية النّافعة ربّما لاتكون نافعة بحسب نظام الكلّ بل بحسب مراده فلذلك تتأخّر إجابة الدّعاء أو لا يستجاب له ، و بالجملة قد يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدّعاء

واعلم أنّ النّفس الزّكيّة عند الدّعاء قد يفيض عليها من الأوّل قوّة تصير بها مؤثّرة في العناصر فتطاوعها متصرّفة على ارادتها فيكون ذلك إجابة للدّعاء ، فانّ العناصر موضوعة لفعل النّفس فيها و اعتبار ذلك في أبداننا فانّا ربّما تخيلنا شيئاً

فتتغير أبداننا بحسب ماتقتضيه أحوال نفوسنا وتخييلاتها وقد يمكن أن تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها ، وقد تؤثر في نفس غيرها وقد يستجيب الله لتلك النفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكلّ .

و من السنة أخبارفوق حدّ الاحصاء ولنقتصر على بعض مارواه في عدّة الداعي فعن حنّان بن سدير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أيّ العبادة أفضل ؟ فقال عليه السلام : ما شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل و يطلب ماعنده ، و ما أحد أبغض إلى الله ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ماعنده

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ يقول :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »

قال : هوالدّعاء وأفضل العبادة الدّعاء ، قلت :

« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ » قال : الأوّاه هو الدّعاء .

و عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أحبّ الأعمال إلى الله في الأرض الدّعاء ، وأفضل العبادة العفاف ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء .

وعن عبيد بن زرارة ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام الدّعاء هو العبادة التي قال الله :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » ولا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه.

و عن عبدالله بن ميمون القداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام الدّعاء كهف الاجابة كما أنّ السّحاب كهف المطر

و عن هشام بن سالم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : هل تعرفون طول البلاء من

قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا الهم أحدكم الدعاء فاعلموا أن البلاء قصير

و عن أبي ولاد قال : قال أبوالحسن عليه السلام : ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء و شيكا (١) ، ومامن بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان البلاء طويلا ، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل .

و عن النبي صلى الله عليه وآله أفزعوا إلى الله عز وجل في حوائجكم ، والجأوا إليه في ملماتكم ، وتضرعوا إليه وادعوه ، فان الدعاء مخ (٢) العبادة ، ومامن مؤمن يدعو الله إلا استجاب له فاما أن يعجل له في الدنيا أو يؤجل له في الآخرة ، و إما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا مالم يدع بما ثم

وعنه صلى الله عليه وآله أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، و أبخل الناس من بخل بالدعا

وعنه صلى الله عليه وآله الاأدلكم على أبخل الناس وأكسل الناس وأسرق الناس وأجفا الناس وأعجز الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ، أما أبخل الناس فرجل يمر بمسلم و لم يسلم عليه ، وأما أكسل الناس فعبد صحيح فارغ لا يذكر الله بشفة و لا بلسان ، و أما أسرق الناس فالذي يسرق من صلاته ، فصلاته تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ، و أما أجفى الناس فرجل ذكرت بين يديه فلم يصل علي ، وأما أعجز الناس فمن عجز عن الدعاء

وعنه صلى الله عليه وآله أفضل العبادات الدعاء وإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة ، إنه لن يهلك مع الدعاء أحد

وعن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام في الرجلين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه ، ودعا هذا فكان دعاؤه أكثر من تلاوته ، ثم انصرفا في ساعة واحدة أيهما أفضل ؟ قال عليه السلام : كل فيه فضل وكل حسن ، قلت : إني قد علمت أن كلا حسن و أن كلا فيه فضل ، لكن أيهما

١ـ اى سريعا

٢ـ اى خالصها

أفضل ؟ فقال عليه السلام الدّعاء أفضل أما سمعت قول الله عزّ وجلّ :

« وقالَ رَبُّكُمْ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ »

هى(١) والله العبادة هي والله أفضل أليست هي العبادة هي والله العبادة، أليست هي أشدّهن هي والله أشدّهنّ هي والله أشدّهنّ

و عن يعقوب بن شعيب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ الله أوحى إلى آدم إنّي سأجمع لك الكلام في أربع كلمات ، قال : يا ربّ وماهنّ ؟ قال : واحدة لي، واحدة لك، واحدة فيمابيني وبينك ، واحدة بينك وبين النّاس ، فقال آدم : بيّنهنّ لي يارب ، فقال الله تعالى : أمّا التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً ، و أمّا التى لك فاجزيك بعملك أحوج ماتكون إليه ، وأمّا التي بيني و بينك فعليك الدّعاء وعلىّ الاجابة و أمّا التي بينك وبين النّاس فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك

و من كتاب الدّعاء لمحمّد بن حسن الصّفار في حديث مرفوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل الجنّة رجلان كانا يعملان عملا واحداً فيرى أحدهما صاحبه فوقه فيقول : يا ربّ بما أعطيته و كان عملنا واحداً ، فيقول الله تبارك و تعالى سألني ولم تسألني ثمّ قال : اسألوا الله واجزلوا فانّه لا يتعاظمه شيء

ومنه أيضاً برواية مرفوعة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله ليسألنّ الله أو ليقضين عليكم إنّ لله عباداً يعملون فيعطيهم و آخرين يسألونه صادقين فيعطيهم ثمّ يجمعهم في الجنّة فيقول الذين عملوا ربّنا عملنا فأعطيتنا فبما اعطيت هؤلاء ؛ فيقول : عبادي اعطيتكم اجوركم ولم ألتكم من أعمالكم شيئاً وسألني هؤلاء فأعطيتهم وهو فضلي أُوتيه من أشاء

وعن الصّادق عليه السلام قال لميسر بن عبدالعزيز : ياميسر ادع الله ولا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه إنّ عندالله منزلة لاتنال إلاّ بمسألة ، ولو أنّ عبداً سدّ فاه و لم يسأل لم

١ـ اى الدعاء والتانيث باعتبار الخبر أعنى العبادة أوكانه داخل فى الحكم بكونه عبادة واللام فى العبادة للعهد اى المرا. يقول عبادتى اى العبادة المعهودة اى الدّعاء والله أعلم .

يعط شيئاً فاسأل تعط، يا ميسر انّه ليس يقرع باب إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه

وفي هذه الرّواية دلالة على ما قدّمناه سابقا من أنّه لاامتناع في كون الدّعاء محدثا للمصلحة في المطلوب بعد أن لم يكن فيه مصلحة ولا بعد في كونه من أسباب وجود المطلوب وشرايط حصوله حسبما مرّ تفصيلاً والله وليّ التّوفيق

الترجمة

ازجمله كلام آن حضرت است هنكام عزم بر تشريف بردن شام و آن اينست : كه بار خدايا بدرستيكه من پناه ميبرم بتو ازمشقت سفر وازغم واندوه باز كشت ، يعني ازپريشاني كه بعداز مراجعت وطن حاصل ميشود ، واز بدى نظردر أهل وَمال، بار خدايا توئي همراه درسفر ، وتوئي جانشين درمحافظت أهل در حضر، و جمع نميكند مصاحبت و خلافت غير تو ، از جهت اينكه كسيكه خليفه ساخته شده باشد نميباشد همراه داشته شده و كسيكه همراه داشته شده باشد نميشود خليفه ساخته شده ، يعني محالست كه جانشين همراه در سفر باشد بجهت اينكه ممكن نيست جسم واحد در آن واحد در دو مكان بوده باشد، أما خداوند ذوالعزة كه منزهست ازجهت و جسمية پس در حق او جايز است خلافت و مصاحبت معا.

و من كلام له عليه السلام فى ذكر الكوفة و هو السابع والاربعون من المختار فى باب الخطب

كَأَنِّي بِكِ يا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ العُكاظِي، و تُعْرَكِينَ بِالنَّوازِلِ، و تُرْكَبِينَ بِالزَّلازِلِ، و إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ ما أَرادَ بِكِ جَبّارٌ سُوءً إِلاّ ابْتَلاهُ اللهُ بِشاغِلٍ، و رَماهُ بِقاتِلٍ.

اللغة

(الاديم) الجلد أو مدبوغه وجمعه ادم و(عكاظ) بالضمّ اسم سوق للعرب بناحية مكة

كانت العرب يجتمع بها في كل سنة ويقيمون شهراً و يتبايعون ويتعاكظون أى يتفاخرون ويتناشدون الأشعار قال أبوذويب :

اذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الألوف

فلما جاء الاسلام هدمه و أكثر ما كان يباع بها الأديم فنسب إليهاو (العرك) الدلك والحكّ و عركه أى حمل عليه الشرّ و عركت القوم في الحرب إذا ما رستهم حتّى اتعبتهم و (النّوازل) المصائب والشّدايد و (الزّلازل) البلايا.

الاعراب

المستفاد من المطرزى في شرح المقامات أنّ الفعل في كأني بك محذوف ، والأصل كانّى ابصرك فزيدت الباء بعد حذف الفعل ، و قال الرّضىّ : والأولى أن تبقى كان على معنى التّشبيه ولا تحكم بزيادة شيء و تقول التّقدير كأنّي ابصر بك أى أشاهدك من قوله تعالى فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ، والجملة بعد المجرور بالباء حال أى كانّي ابصربك يا كوفة حالكونك ممدودة مدّ الأديم،و قوله تركبين على البناء للمجهول كالفعلين السّابقين أى تجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون الباء للسّببيّة كالسّابقة.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له ﷺ من جملة ما أخبر به عن المغيبات بيّن فيه حال الكوفة وحال أهلها و تجاذب أيدى الظالمين وتسلّطهم عليهم بالظلم والعدوان وفي قوله(كأنّي بك يا كوفة) إشارة إلى أنّ المخبر به لامحالة واقع ووقوعه شاهد بعين اليقين(تمدّين مدّ الأديم العكاظى) وجه الشّبه شدّة ما يقع بأهله من الظلم والبلاء كما أنّ الاديم العكاظى مستحكم الدّباغ شديد المدّ (تعركين بالنّوازل و تركبين بالزّلازل)أراد بهما الشّدايد والمصايب التي نزلت بأهل الكوفة والظلم والبلايا التي حلّت بها و أوجبت أضطراب أهلها ، وهي كثيرة معروفة مذكورة في كتب السّير و التواريخ.

و في قوله : (و إنّي لأعلم)مؤكداً بانّ واللاّم والقسم إشارة إلى تحقّق وقوع المخبر به يعنى أنّه معلوم بعلم اليقين (أنّه ما أراد بك جبّار سوءاً إلاّ ابتلاه

الله بشاغل و رماه بقاتل).

قال أبوالحسن الكيدري في شرحه : فمن الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد وقد جمع النّاس في المسجد ليلعن علياً صلوات الله عليه فخرج الحاجب و قال انصرفوا فانّ الأمير مشغول عنكم وقد أصابه الفالج في هذه الساعة و ابنه عبيدالله بن زياد وقد أصابه الجذام والحجاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّى مات و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف وقد أصابهما البرص وخالد القسري وقد حبس فطوات حتّى مات جوعاً.

و أمّا الذين رماهم الله بقاتل فعبيدالله بن زياد ومصعب بن الزبير وابو السرايا و غيرهم قتلوا جميعا ويزيد بن مهلب قتل على أسوء حال هذا.

والعجب من الشّارح البحراني حيث قال : و أمّا الجبابرة التي أرادوا بها سوءً و طعنوا فيها فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب و أخذهم بذنوبهم و ما كان لهم من الله من واق ، فجماعة و ذكر التي تقدّم ذكرها من الكيدري و أضاف إليها المختار بن أبي عبيدة الثّقفي.

و أنت خبير بأنّ عد المختار في ذلك العداد ظلم في حقّه و سوء أدب بالنّسبة إليه إذ الأخبار في ذمّه و إن كانت كثيرة إلاّ أنّها مع ضعف سندها معارضة بأخبار المدح، وقد ذكرهما الكشي في رجاله فغاية الأمر مع عدم التّرجيح لأخبار المدح هو التوقف ، و على فرض الترجيح لأخبار الذّم فهي لم تبلغ حدّاً يوجب الجرئة على عدّه في عداد أمثال زياد و حجاج و مصعب و نحوهم ، و على جعله من الجبابرة الموصوفة لعنهم الله.

كيف؟ وابن طاووس بعد القدح في روايات الذّم قال: إذا عرفت هذا فان الرجحان في جانب الشكر والمدح ،و لولم يكن تهمة فكيف و مثله موضع أن يتّهم فيه الرواة ويستغشّ فيما يقول عنه المحدّثون لعيوب تحتاج إلى نظر

و يكفى في فضله ما رواه الكشّي عن عبدالله بن شريك قال : دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النّحر وهو متّك وقد أرسل إلى الحلاّق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبّلها فمنعه ، ثمّ قال : من أنت ؟ قال : أنا

أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، و كان متباعداً من أبي جعفر فمدّ يده إليه حتّى كاد أن يقعده في حجره بعد منعه يده ، ثمّ قال : أصلحك الله إنّ النّاس قد أكثروا في أبي وقالوا : والقول والله قولك ، قال : أيّ شيء يقولون ؟ قال : يقولون كذّاب ولاتأمرني بشيء إلاّ قبلته ، فقال : سبحان الله أخبرني أبي والله أنّ مهر أُمّي كان ممّا بعث به المختار أولم يبن دورنا ، و قتل قاتلنا ، وطلب بدمائنا؟ رحم الله ، وأخبرني والله أنّه كان ليقيم عند فاطمة بنت عليّ يمهدها الفراش ويثنى لها الوسائد ومنها أصاب الحديث رحم الله أباك رحم الله أباك ماترك لنا حقّاً عند أحد إلاّ طلبه قتل قتلتنا وطلب بدمائنا هذا

واعلم أنّ في قوله : ما أراد بك جبّار سوءً إلاّ ابتلاه الله إشعاراً بمدح الكوفة وفضلها وقد جاء عن أهل البيت عليهم السّلام في ذلك شيء كثير مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام نعمت المدرة ، وقوله عليه السلام إنّه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم في صورة القمر ، وقوله عليه السلام مدينتنا ومحلّتنا ومقرّ شيعتنا . وقول الصّادق عليه السلام اللّهمّ ارم من رماها وعاد من عاداها ، وقوله عليه السلام تربة تحبّنا ونحبّها

وفي البحار من معانى الأخبار والخصال للصّدوق باسناده عن موسى بن بكير عن أبي الحسن الأوّل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله اختار من البلدان أربعة فقال عزّ وجلّ :

« وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ »

فالتّين المدينة ، والزّيتون البيت المقدّس ، وطور سينين الكوفة ، وهذا البلد الأمين مكّة، الخبر .

قال المجلسي : لعلّه إنّما كنى عن المدينة بالتّين لوفوره وجودته فيها ، أو لكونها من أشارف البلد كما أنّ التّين من أفاضل الثّمار ، وكنّى عن الكوفة بطور سينين لأنّ ظهرها و هو النّجف كان محلّ مناجاة سيّد الأوصياء كما أنّ الطور محلّ مناجاة الكليم ، أو لأنّ الجبل الذي سأل موسى عليه الرّؤية تقطّع فوقع جزء منها

هناك كما ورد في بعض الأخبار، أو أنّ ابن نوح لمّا اعتصم بهذا الجبل تقطّع فصار بعضها في طور سينا، أو أنّه طور سينا حقيقة.

وغلط فيه المفسّرون و اللغويّون كما روى الشّيخ في التّهذيب باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في وصيّة أمير المؤمنين أن أخرجوني إلى الظهر فاذا تصوّبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني وهو أوّل طور سينا ففعلوا ذلك

و من مجالس الشّيخ باسناده عن عبدالله بن الوليد قال: دخلنا على أبيعبدالله عليه السلام فسلّمنا عليه وجلسنا بين يديه فسألنا من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة فقال: أما إنّه ليس من بلد من البلدان أكثر محبّا لنا من أهل الكوفة، ثمّ هذه العصابة (١) خاصّة إنّ الله هداكم لأمر جهله النّاس، احببتمونا وأبغضنا النّاس، وصدّقتمونا وكذبنا النّاس، واتّبعتمونا وخالفنا النّاس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا

الترجمة

ازجمله كلام آنحضرتست در ذكر حال كوفه وخراب شدن آن ازدست ظلمه ميفرمايد: گويا مى‌بينم تو را اى كوفه در حالتى كه كشيده ميشوى همچو كشيدن چرم عكاظى، ماليده شوى بسبب فرود آمدن مصيبتها وحادثها، وسوار كرده شوى بجنبشها وزلزلها، اينهمه اشاره است به انواع بلا ومحنت وجفا ومصيبت كه واقع شد بأهل كوفه از ظلم ظلمه وستم فجره، و بدرستي كه مى‌بينم آنكه اراده نكند بتو هيچ گردن كش ستمكار بدى ومضرت را مگر اينكه گرفتار سازد اورا خداوند قهّار ببلائى كه مشغول كنندۀ اوست، وبيندازد اورا بدست قاتلي كه كشندۀ اواست والله أعلم بمعاني كلامه

و من خطبة له عليه السلام عند المسير الى الشام وهى الثامنة و الاربعون من المختار فى باب الخطب

وهى مرويّة في كتاب صفين لنصر بن مزاحم باختلاف وزيادة تطّلع عليه انشاءالله

---

١ - اى هم فيها أكثر من ساير البلدان والمراد عصابة الشيعة فانّ المحب أعمّ منها (بحار)

أَلْحَمْدُ لِلّهِ كُلَّما وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كُلَّما لاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ وَالْحَمْدُ لِلّهِ غَيرَ مَفْقُودِ الإِنْعامِ، ولا مُكافَا الإِفْضالِ، أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتي وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطاطِ، حَتّى يَأْتِيَهُمْ أَمْري، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلىٰ شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوَطِّنينَ أَكْنافَ دَجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلىٰ عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال السّيد (ره) أقول يعني عليه السلام بالملطاط السّمت الذي أمرهم بلزومه، و هو شاطىء الفرات، ويقال ذلك لشاطىء البحر وأصله ما استوى من الأرض، ويعني بالنّطفة ماء الفرات وهومن غريب العبارات وأعجبها

اللغة

(الوقوب) الدّخول و (غسق) الليل أظلم، ومنه الغاسق قال سبحانه :

« ومِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ »

قال الطبرسي : الغاسق في اللغة الهاجم بضرره و هوههنا الليل لأنّه يخرج السّباع من آجامها والهوام من مكانها فيه، يقال : غسقت القرحة إذا جرى صديدها ومنه الغساق صديد أهل النّار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه سال دمعها و (خفق) النّجم يخفق خفوقا غاب و (المكافا) بصيغة المفعول من كافاه مكافئة كمعاملة وكفاء جازاه و (مقدمة) الجيش بالكسر وقد يفتح أوّله ما يتقدّم منه على العسكر و (الملطاط) حافة الوادي وساحل البحر، والمراد هنا شاطىء الفرات كما قال السّيد و (النّطفة) بالضّم الماء الصّافي قلّ أو كثر و (الشّرذمة) بالكسر القليل من النّاس و (موطنين) إمّا من باب الافعال أو التّفعيل يقال: أوطنه ووطنه واستوطنه اتّخذه وطنا و (الكنف) بالتّحريك الجانب والنّاحية و (نهض) كمنع قام وأنهضه غيره أقامه و (الامداد)

جمع مدد بالتحريك وهوالناصر والمعين.

الاعراب

غير منصوب على الحالية ، وقوله : ولا مكافا الافضال ، لا زايدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير كماقالوا جئت بلا شيء فادخلوا عليها حرف الجر فيكون لها حكم غير ، وأجاب البصريون عن هذا بأن لا دخلت للمعنى فتخطاها العامل ، والجار في قوله : إلى شرذمة ، متعلق بمحذوف أى متوجها إليهم و مثلها إلى في قوله : إلى عدوكم

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجها إلى صفين بخمس مضين من شوال سنة سبع وثلاثين فقال : (الحمد لله كلما وقب ليل و غسق) أى دخل و أظلم (و الحمد لله كلما لاح نجم وخفق) أى ظهر و غاب .

تقييد الحمد بالقيود المذكورة قصداً للدوام و الثبات مع ما في ذلك من الاشارة إلى كمال القدرة و العظمة و التنبيه بما في وقوب الليل من النعم الجميلة من النوم والسكون و السبات ، و التذكير بما في طلوع الكواكب و غروبها من المنافع الجليلة من معرفة الحساب والسنين والشهور والساعات والاهتداء بها في الفيافي والفلوات إلى غير هذه مما يترتب عليها من الفوايد و الثمرات (والحمد لله غير مفقود الأنعام) وقد مر تحقيق ذلك في شرح الخطبة الرابعة والأربعين في بيان معنى قوله عليه السلام ولا تفقد له نعمة (ولا مكافا الافضال) إذ إحسانه سبحانه لا يمكن أن يقابل بالجزاء ، إذ القدرة على شكره و ثنائه الذي هو جزاء احسانه نعمة ثانية من نعمه

و قد مر تفصيل ذلك في شرح الخطبة الأولى في بيان معنى قوله عليه السلام: و لا يؤدي حقه المجتهدون (أما بعد فقد بعثت مقدمتي) أراد مقدمة جيشه التي بعثها مع زياد بن النضر و شريح بن هاني نحو صفين ، و قد كانوا إثناعشر ألف فارس

(وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط) والوقوف في شاطيء الفرات (حتّى يأتيهم أمرى) ويبلغهم حكمي (وقد رأيت) المصلحة في (ان اقطع هذه النّطفة) أراد ماء الفرات كما مرّ متوجّها (إلى شرذمة منكم موطنين أكناف دجلة) أراد بهم أهل المداين (فانهضهم معكم إلى عدوّكم و أجعلهم من أمداد القوّة لكم) و في رواية نصر بن مزاحم الآتية فانهضهم معكم إلى أعداءالله

وقال نصر : فسار عليه السلام حتّى انتهى إلى مدينة بهر سير ، وإذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم بن طريف من بني ربيعة ينظر إلى آثار كسرى و يتمثّل بقول الاسود بن يعفر

جرت الرّياح على محلّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام له ألا قلت :

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ ، و زُرُوعٍ و مَقامٍ كَرِيمٍ ، و نَعْمَة كانُوا فيها فاكِهِينَ ، كَذٰلِكَ وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ ، فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ و الْأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرِينَ »

انّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين ، ولم يشكروا النّعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إيّاكم و كفر النّعم لا تحلّ بكم النّقم انزلوا بهذه النّجوة ، قال نصر فأمر الحرث الأعور فصاح في أهل المداين من كان من المقاتلة فليواف أميرالمؤمنين صلاة العصر فوافوه في تلك السّاعة فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال :

فانّي قد تعجّبت من تخلّفهم عن دعوتكم ، وانقطاعكم من أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها الهالك أكثر ساكنها ، لامعروف تأمرون به ، ولامنكر تنهون عنه

قالوا : يا أميرالمؤمنين إنّا كنّا ننتظر أمرك مرنا بما أحببت ، فسار وخلّف عليهم عديّ بن حاتم فأقام عليهم ثلاثا ، ثمّ خرج في ثمانمأة رجل منهم و خلّف ابنه زيداً بعده فلحقه في أربعمأة رجل ، و هؤلاء هم الذين جعلهم من أمداد القوّة لجيشه هذا .

و من عجايب ما روي عنه عليه السلام ما في البحار من كتاب الفضايل لشاذان بن جبرئيل القمّي عن الأحوص، عن أبيه، عن عمار الساباطي قال: قدم أمير المؤمنين عليه السلام المداين فنزل بايوان كسرى و كان معه دلف بن بحير، فلمّا صلّى عليه السلام قام وقال لدلف قم معي، وكان معه جماعة من أهل ساباط، فمازال يطوف منازل كسرى و يقول لدلف: كان لكسرى في هذا المكان كذاو كذا ويقول دلف: هووالله كذلك فمازال كذلك حتّى طاف المواضع بجميع من كان عنده ودلف يقول: ياسيّدي ومولاى كأنّك وضعت هذه الأشياء في هذه المساكن

ثمّ نظر إلى جمجمة نخرة فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة ثمّ جاء إلى الايوان وجلس فيه، ودعا بطشت فيه ماء فقال للرّجل دع هذه الجمجمة في الطشت ثمّ قال: أقسمت عليك يا جمجمة أخبرني من أنا وأنت، فقال الجمجمة بلسان فصيح: أمّا أنت فأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين و إمام المتّقين، وأمّا أنا فعبدالله وابن أمة الله كسرى أنوشيروان.

فقال له أمير المؤمنين: كيف حالك، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي كنت ملكا عادلا شفيقا على الرّعايا رحيما لا يرضى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس، وقد ولد محمّد في زمان ملكي فسقط من شرفات قصري ثلاثة وعشرون ليلة ولد، فهممت أن امن به من كثرة ماسمعت من الزّيادة من أنواع شرفه وفضله ومرتبته وعزّه في السّموات و الأرض و من شرف أهل بيته، ولكنّي تغافلت عن ذلك و تشاغلت منه في الملك، فيالها من نعمة و منزلة ذهبت منّي حيث لم أومن به، فأنا محروم من الجنّة بعدم ايماني به ولكنّي مع هذا الكفر خلّصني الله من عذاب النّار ببركة عدلي وانصافي بين الرّعيّة و أنا في النّار، و النّار محرّمة عليّ فواحسرتا لو آمنت لكنت معك يا سيّد أهل بيت محمّد ويا أمير امّته

قال: فبكى النّاس و انصرف القوم الذين كانوا من أهل ساباط إلى أهليهم و أخبروهم بما كان و ما جرى، فاضطربوا و اختلفوا في معنى أمير المؤمنين، فقال

المخلصون منهم : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله ووليّه ووصيّ رسول الله ، وقال بعضهم بل هو النّبيّ ، وقال بعضهم : بل هو الرّبّ ، وهو مثل عبدالله بن سبا وأصحابه، وقالوا لولا أنّه الرّب كيف يحيي الموتى .

قال ، فسمع بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، وضاق صدره وأحضرهم وقال : يا قوم غلب عليكم الشيطان إن أنا إلاّ عبدالله أنعم عليّ بامامته وولايته ووصيّة رسوله ، فارجعوا عن الكفر ، فأنا عبدالله وابن عبده و محمّد صلّى الله عليه وآله خير منّي ، وهو أيضاً عبدالله وإن نحن إلاّ بشر مثلكم ، فخرج بعضهم من الكفر وبقي قوم على الكفر ما رجعوا فألحّ أمير المؤمنين عليهم بالرّجوع فما رجعوا فأحرقهم بالنّار وتفرّق قوم منهم في البلاد وقالوا : لولا أنّ فيه الرّبوبيّة ما كان أحرقنا بالنّار ، فنعوذ بالله من الخذلان .

تكملة

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين بسنده عن عبدالرّحمن بن عبيد بن أبي الكنود ؛ قال : لمّا أراد عليّ عليه السلام الشّخوص من النّخيلة قام في النّاس لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء فقال:

الحمدلله غير مفقود النّعم ، ولا مكافا الافضال ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله ، ونحن على ذلكم من الشّاهدين ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وآله

أمّا بعد ذلكم فانّي قد بعثت مقدّماتي و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط ، حتّى يأتيهم أمري ، فقد أردت أن اقطع هذه النّطفة إلى شرذمة منكم موطنون بأكناف دجلة ، فانهضكم معكم إلى أعداء الله إنشاء الله ، وقد أمرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصاري ، و لم الوكم و نفسي ، فايّاكم و التخلّف و التّربص ، فانّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي و أمرته أن لا يترك متخلّفا إلاّ الحقه بكم عاجلا إنشاء الله .

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است هنگام رفتن شام فرموده : سپاس بي قياس خداوندى را سزاست هر وقتى كه داخل شد شب و رو بتاريكى نهاد ، وثناء بى انتها

واجب الوجودی را رواست هر وقتی که طلوع نمود ستاره و در غروب افتاد ، وستایش بی‌حد معبود بحقّی راست در حالتی که نایاب شده نیست إحسان اووجزا داده وبرابر کرده نیست انعام او

پس ازحمد الهی و شکر نامتناهي پس بتحقیق فرستادم پیشرو لشکر خودرا بجانب صفین ، وأمر کردم ایشان را بلازم شدن و مکث نمودن دراین جانب فرات تا اینکه بیاید بایشان فرمان من ، و بتحقیق که مصلحت را در این دیدم که قطع کنم آب فرات را یعنی بگذرم از فرات ومتوجّه شوم بطرف گروهی اندك از شما درحالتیکه‌وطن گرفته‌اند آنگروه درکنارشط ، پس برپای کنم ایشانرا باشماومتوجه شوندبسوی‌عدوی‌شما،وبگردانم‌ایشانرا‌ازمددهای‌قوت‌شمادروقت‌پیداشدن‌امارة‌محاربه

و من خطبة له ﷺ و هی التاسعة و الاربعون من المختار فی باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي بَطَنَ خَفِيّاتِ الْأُمُورِ، ودَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلىٰ عَيْنِ الْبَصيرِ ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، ولا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أَعْلا مِنْهُ ، و قَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلا اسْتِعْلاَئُهُ باعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِه، ولا قُرْبُهُ ساواهُمْ فِي الْمَكانِ بِه ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلىٰ تَحْديدِ صِفَتِه ، و لَمْ يَحْجُبْها عَنْ واجِبِ مَعْرِفَتِه ، فَهُوَ الَّذي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ الْوُجُودِ ، عَلىٰ إِقْرارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ، تَعالَى اللّهُ عَمّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِه وَالْجاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبيراً .

اللغة

(بطنته)أبطنه علمته و أخبرته و (الأعلام) جمع العلم بالتّحريك و هو ما يستدل به على الشيء كالعلامة و (لم يطلع) من باب الافعال يقال اطلعت زيداً على كذا مثل أعلمته و زنا و معناً و (الجحود) الانكار يقال جحد حقّه أى أنكره قال الفيومي ولا يكون إلاّ على علم من الجاحد به .

الاعراب

فاعل امتنع محذوف بقرينة المقام أى امتنع رؤيته ، و كلمة لا في قوله فلاعين ولاقلب بمعنى ليس ، و في قوله فلا شيء لنفى الجنس و به متعلّق بقوله ساواهم ، و اضافة الواجب إلى معرفته من باب إضافة الصّفة إلى الموصوف ، و على اقرار متعلّق بتشهد .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة مشتملة على مباحث جليلة من الحكمة الالهيّة و مطالب نفيسة من صفات الرّبوبية .

الاول أنّه سبحانه عالم بالخفيّات والسّراير و خبير بما في الصّدور والضماير و إليه الاشارة بقوله (الحمدلله الذى بطن خفيّات الأمور) و يدلّ ذلك على كونه عالما بالجليّات بطريق أولى كما برهن ذلك في الكتب الكلاميّة ، و قد حقّقنا الكلام في علمه بجميع الأشياء ودللنا عليه بطريق النقل والعقل بما لامزيد عليه في تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبة الأولى ولاحاجة لنا إلى إطناب الكلام في المقام و كفى بما ذكره عليه السلام شهيداً قوله سبحانه:

« عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِه أَحَداً » و قوله : « إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ و يُنَزِّلُ الْغَيْثَ و يَعْلَمُ ما في الْأَرْحامِ و ما تَدْري نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْري نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ »

و قوله: « و عِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلّا هُوَ وَيَعْلَمُ ما في البَرِّ وَالبَحْرِ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلّا يَعْلَمُها و لا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرْضِ و لا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ »

فانّ المراد بالغيب هو الغايب عن الحواسّ الخفى على الخلق ، و أظهر منها دلالة قوله سبحانه:

« و إنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ و أخْفى »

يعني لاتجهد نفسك برفع الصّوت فانك وإن لم تجهر علم الله السرّ و أخفى من السرّ ، قال الطبرسي : اختلفوا فيما هو أخفى من السرّ فقيل : السرّ ما حدّث به العبد غيره في خفيّة و أخفى منه ما أضمره في نفسه مالم يحدّث به غيره ، و قيل : السرّ ما أضمره العبد في نفسه و أخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد ، و روى عن السيدين الباقر والصّادق عليهما السّلام السرّ ما أخفيته في نفسك و أخفى ما خطر ببا لك ثمّ أنسيته.

(و) الثاني أنّه تعالى (دلّت عليه أعلام الظهور) والمراد بأعلام الظهور الآيات و الآثار الدالة على نور وجوده الظاهر في نفسه المظهر لغيره ، و اليها الاشارة في قوله سبحانه:

« إنَّ في خَلْقِ السَّمٰواتِ و الأرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ و الفُلْكِ الّتي تَجْري في البَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وما أنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأحْيا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها و بَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ و تَصْريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الأرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »

ولايخفى أنّ الاستدلال بتلك الأدلّة والآيات هوطريق المليّين و سايرفرق المتكلّمين فانّهم قالوا : إنّ الأجسام لايخلو عن الحركة و السّكون ، وهما حادثان و ما

لايخلو عن الحوادث فهو حادث ، فالأجسام كلّها حادثة ، و كلّ حادث مفتقر إلى محدث فمحدثها غيرجسم ولاجسماني و هوالباري جلّ اسمه دفعاللدّوروالتّسلسل.

و قريب منها طريقة الطبيعيين و هو الاستدلال بالحركة قالوا : إنّ المتحرّك لايوجب حركة بل يحتاج إلى محرّك غيره ، والمحرّك لامحالة ينتهي إلى محرّك غير متحرّك أصلادفعا للدّور والتّسلسل، و هو لعدم تغيّره و برائته عن القوة والحدوث واجب الوجود .

و هنا طريقة اُخرى أحكم من السّابقتين وهو الاستدلال بالفعل على الفاعل و إليه الاشارة في حديث الزنديق المرويّ في الكافي فانّه بعد ما سأل أبا عبدالله عليه السلام عن دليل التّوحيد و أجاب عنه عليه السلام فكان من سؤاله أن قال : فما الدّليل عليه أي على وجوده تعالى ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعا صنعها ، ألاترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أنّ له بانياً و إن كنت لم تر الباني ولم تشاهده ، قال : فماهو: قال: شيء بخلاف الاشياء.

و إنّما قلنا : إنّ هذه الطريقة أحكم لأنّه يرجع إلى البرهان اللمّيّ وذلك لأنّ كون الشيء على صفة قديكون معلولا لما ذاته علّة له، ألاترى أنّ البنامن حيث إنّه بناء لايعرف إلاّ بالبناء ، والكاتب من حيث هو كاتب يدخل في حدّ الكتابة وما يدخل في حدّ الشّيء يكون سبباله و برهانا عليه لمّيا ، فذاته تعالى و إن لم يكن من حيث ذاته برهان عليه إذ لاجنس له ولا فصل له ، وما ليس له جنس ولافصل لاحدّ له وما لاحدّ له لابرهان عليه ،إلاّ أنّه من حيث صفاته وكونه مصدراً لأفعاله ممّا يقام عليه البرهان ، كقولنا : العالم مصنوع مبنيّ يقتضي أن له صانعا بانيا ، و إذا ثبت أنّ له صانعا ثبت وجوده في نفسه ضرورة ، إذ ثبوت الشّيء على صفة في الواقع لاينفكّ عن ثبوته في نفسه كما هو ظاهر ، و كيف كان فهذه الطرق هي المشار اليها بقوله سبحانه:

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »

و هي كلها مشتركة في أنّ التوسّل فيها إلى معرفته سبحانه إنّماهوباعتبارامر آخر غيره ، كالامكان للمهيّة والحدوث للخلق والحركةللجسم.

و هنا طريقة اُخرى هي أسدّ وألطف و أشرف و هي أن يستدلّ به تعالى عليه ثمّ يستشهد بذاته على صفاته وأفعاله واحداً بعدواحد و إليها أشار الشّارح البحرانيّ بقوله : و أمّا الالهيّون فلهم في الاستدلال طريق آخر ، وهي انّهم ينظرون أوّلا في مطلق الوجود أهو واجب أو ممكن ، و يستدلّون من ذلك على اثبات واجب ، ثمّ بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفى الكثرة بوجه ما المستلزمة (١) لعدم الجسمية والعرضيّة والجهة وغيرها ، ثمّ يستدلّون بصفاته على كيفية صدور أفعاله عنه واحداً بعد آخر.

و ظاهر أنّ هذا الطريق أجلّ و أشرف من الطريق الأوّل و ذلك لأنّ الاستدلال بالعلّة على المعلول أولى البراهين باعطاء اليقين، لكون العلم بالعلّة المعينة مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس.

قال بعض العلماء : و إنّه طريق الصّديقين الذين يستشهدون به لا عليه أى يستدلّون بوجوده على وجود كلّ شيء إذ هو منه ولايستدلّون بوجود شيء عليه بل هو أظهر وجوداً من كلّ شيء فان خفى مع ظهوره ، فلشدّة ظهوره، وظهوره سبب بطونه ، و نوره هو حجاب نوره ، إذ كلّ ذرّة من ذرّات مبدعاته و مكوناته فلها عدّة ألسنة تشهد بوجوده و بالحاجة إلى تدبيره و قدرته لايخالف شيء من الموجودات شيئاً من تلك الشّهادات ولايتخصّص أحدها بعدم الحاجات.

و قال الصّدر الشّيرازى في شرح الكافي : و اعلم أنّ للحكماء في إثبات هذا المطلب يعنى وجود الصّانع منهجين احدهما الاستدلال على وجوده تعالى من جهة النظر في أفعاله و آثاره و ثانيهما الاستشهاد عليه من جهة النظر في حقيقة الوجود وأنّها يجب أن يكون بذاتها محقّقة و بذاتها واحدة وهي ذات الواجب و أنّ ما سواه من الأشياء التى لها مهيّات غير حقيقة الوجودية تصير موجودة وان

١ـ صفة للوحدة، منه.

وجودها رشح و تبع لوجوده فدلّت ذاته على ذاته.

وإلى هذين المنهجين اشير في الكتاب الالهي حيث قال الله تعالى :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »

هذا منهج قوم و قال : « أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »

هذا منهج قوم آخروهم الصّديقون الذين يستشهدون من ذاته على حقيقة ذاته ومن حقيقة ذاته على احديّة ذاته كما قال الله تعالى:

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ »

و من أحديّة ذاته على ساير صفاته ، و من معرفة صفاته على كيفية أفعاله الأوايل والثّواني واحداً بعد واحد على ترتيب الأشرف والأشرف إلى أن ينتهي إلى الجسمانيات والمتحركات ، ولا شك أنّ هذا المنهج أحكم و أوثق و أشرف وأعلا انتهى كلامه.

فليفهم جيّداً فانّه غير خال عن ايهام القول بوحدة الوجود الفاسد عند أهل الشّرع كما يأتي تفصيلا في شرح الكلام المأتين والثّامن إنشاءالله تعالى ، وقد قرّر هذا المرام في أوّل السّفر الالهى من كتابه الأسفار بتقرير أوضح وأبسط، ولاحاجة بنا إلى ذكره و فيما أوردناه هنا كفاية للمسترشد و هداية للمهتدى .

و في كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

(و) الثالث أنّه سبحانه (امتنع) رؤيته (على عين البصير):

« فَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »

و هذا هو مذهب أصحابنا وفاقا للمعتزلة ، و عليه دلّت الآيات الكريمة والبراهين المتينة والأخبار المتواترة عن أهل بيت العصمة سلام الله عليهم و لنقتصر منها على رواية واحدة.

و هو ما رواه في الكافي باسناده عن أحمد بن إسحاق قال : كتبت إلى أبى الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية و ما اختلف فيه النّاس قال : فكتب لايجوز

الرّؤية مالم يكن بين الرّائي والمرئي هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم يصحّ الرؤية و كان في ذلك الاشتباه ، لأنّ الرّائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه و كان ذلك التّشبيه لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات

و هذه الرّواية كما ترى دالّة على امتناع الرّؤية بوجهين **احدهما** أنّ من شرايط تحقّق الرؤية وجود الهواء أو مايجري مجراه كالماء الصافي ونحوه بين الرائي والمرئي لتنفذ فيه شعاع البصر ويتّصل بالمبصر فاذا انقطعت الهواء عنهما أو عن أحدهما امتنعت الرّؤية **الثاني** لو جاز رؤيته سبحانه لزم كونه مشابها لخلقه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً

و إليه أشار عليه السلام بقوله : و كان في ذلك الاشتباه ، يعنى في كون الهواء بين الرائي والمرئي الاشتباه يعنى شبه كل منهما بالآخر يقال اشتبها إذا شبه كلّ منهما الآخر لأنّ الرّائي متى ساوى المرئي و ما ثله في النّسبة إلى السّبب الذى أوجب بينهما الرؤية وجب الاشتباه و مشابهة أحدهما الآخر في توسّط الهواء بينهما.

و كان في ذلك التّشبيه أى كون الرّائى والمرئى في طرفي الهواء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهة المرئي بالرّائي من الوقوع فى جهة ليصحّ كون الهواء بينهما فيكون متحيّزاً ذا صورة وضعية فانّ كون الشيء في طرف مخصوص من طرفي الهواء وتوسط الهواء بينه و بين شيء آخر سبب عقليّ للحكم بكونه في جهة و متحيّزاً و ذا وضع ، و هو المراد بقوله: لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات فقد تحقّق واستبان من ذلك امتناع رؤيته سبحانه مطلقا في الدّنيا والآخرة.

و ظهر بطلان ما ذهبت إليه الأشاعرة من امكان رؤيته منزّها عن المقابل والجهة والمكان كما قال عمر النّسفى وهو من عظماء الأشاعرة : و رؤية الله جايزة في العقل واجبة بالنّقل فيرى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرّائى وبين الله تعالى.

و قوله : فيرى لا في مكان اه ناظر إلى منع اشتراط الهواء بين الرائي والمرئي و اشتراط الجهة والمكان كما استدلّ به الباقون للرؤية ، و توضيح هذا المنع ما ذكره الغزالي في محكيّ كلامه من كتابه المسمّى بالاقتصاد في الاعتقاد ، فانّه بعد

ما نقل استدلال أهل الحقّ في نفى الرّؤية من أنّه يوجب كونه تعالى في جهة وكونه في جهة يوجب كونه عرضا أو جوهراً جسمانيا وهو محال.

قال : إنّ أحد الأصلين من هذا القياس مسلّم و هو أنّ كونه تعالى في جهة يوجب المحال ، ولكنّ الأصل الأوّل و هوادّعاء هذا اللاّزم على اعتقاد الرّؤية ممنوع ، فنقول : لم قلتم انّه إن كان مرئيافهو في جهة من الرّائي أعلمتم ذلك ضرورة أم بنظر ولاسبيل إلى دعوى الضرورة، وأمّا النظر فلابدّمن بيانه ومنتهاه أنّهم لم يروا إلى الآن شيئاً إلاّ وكان بجهة من الرّائي مخصوصة، و لوجازهذا الاستدلال لجاز للخصم «للمجسم خل» أن يقول : إنّ الباري تعالى جسم لأنّه فاعل فانّا لم نر إلى الآن فاعلا إلاّ جسميا،وحاصله يرجع إلى الحكم بأنّ ماشوهدوعلم ينبغى أن يوافقه مالم يشاهدولم يعلم

أقول : و هذا معنى قول التفتازاني في شرح العقايد النّسفية في هذا المقام من أنّ قياس الغايب على الشّاهد فاسد هذا ، و غير خفيّ على الفطن العارف فساد ما زعموه ، إذ دعوى كون المرئى بهذا العين مطلقا يجب أن يكون في جهة ليست مبنيّة على أنّ المرئيات في هذا العالم لايكون إلاّ في جهة حتّى يكون من باب قياس الغايب على الشّاهد ، بل النظر والبرهان يؤدّيان إليه.

بيان ذلك على ما حقّقه بعض المحقّقين (١) هو أنّ القوّة الباصرة التى في عيوننا قوّة جسمانية وجودها و قوامها بالمادّة الوضعيّة ، و كلّ ما وجوده و قوامه بشيء فقوام فعله و انفعاله بذلك الشّيء إذ الفعل و الانفعال بعد الوجود والقوام و فرعه ، إذ الشّيء يوجد أوّلا إمّا بذاته أو بغيره ، ثمّ يؤثّر في شيء أو يتأثّر عنه، فلأجل هذا نحكم بأنّ البصر لايرى إلاّ ماله نسبة وضعية إلى محلّ الباصرة، والسّامعة لاتنفعل ولاتسمع إلاّ ماوقع منها في جهة أو أكثر فهذا هو البرهان.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد ما نبّه على امتناع رؤيته سبحانه أردف ذلك بجملتين .

إحداهما قوله : (فلاعين من لم يره تنكره) مشيراً بذلك إلى ردّ ما ربما يسبق إلى الوهم في بادى الرّأى من أنّ العين إذاامتنع عليها رؤيته فلابدّ من إنكارها

١ــ الصدر الشيرازى فى شرح الكافى منه .

له ، و محصّل دفع ذلك التّوهّم أنّ عدم الرّؤية لايستلزم الانكار ، إذ آيات القدرة و علامات المقدرة و آثار العظمة من الآفاق والأنفس شاهد حقّ على وجوده و برهان صدق على ذاته ، فكيف يمكن مع هذه الآيات الظاهرة والبراهين الساطعة الانكار بمجرّد عدم الابصار ، مضافا إلى أنّ حظّ العين أن يدرك بها ماصحّ إدراكه فأمّا أن ينفى بها مالايدرك من جهتها فلا ، ويأتى تحقيق الكلام في ذلك بمالامزيد عليه في شرح الخطبة الرّابعة والستّين إنشاءالله تعالى.

والثانية قوله عليه السلام : (ولا قلب من أثبته ببصره) مريداً بذلك تاكيد امتناع الاحاطة به و بيان عجز العقول عن الوصول إلى كنه حقيقته ، فانّ معنى الابصار هو الادراك على وجه الاكتناه ، فالمقصود أنّ المثبت لايمكن له أن يعرفه بقلبه معرفة ضروريّة و أن يحيط به إحاطة تامّة.

و لمّا كان الابصار حقيقة في الرّؤية بالعين المستلزمة للاحاطة بالعلم والعرفان الضّروري فاطلق لفظ يبصر وأُريد به ذلك مجازاً من باب اطلاق اسم الملزوم على اللاّزم.

بيان ذلك أنّ اثباته تعالى بالقلب الّذي هو عبارة أُخرى عن الايمان به ممّا يضعف و يشتدّ و ينقص و يكمل و يكون في مبدء اكتسابه ضعيفاناقصا ، ثمّ يتدرج بمزاولة الأفكار والأعمال و يشتدّ شيئاً فشيئاً و يستكمل قليلا قليلا كمايقع للفحم بمجاورة النّار يتسخّن أوّلا تسخّناً قليلا ، ثمّ يشتدّ تسخّنه حتّى يحمرّ ، ثمّ يتنوّر ثمّ يضيء ويحرق، ويفعل كمايفعله النّار من التّسخين والاضائة والاحراق، فهكذا يشتدّ نور العلم و قوّة الايمان حتّى يصير العلم عينا، والايمان عيانا ، و المعرفة تنقلب مشاهدة و لهذا قيل إنّ المعرفة بذر المشاهدة.

ولكن يجب أن يعلم أنّ العلم إذا صار عينا لم يصر عيناً محسوسا ، و أنّ المعرفة إذا انقلب مشاهدة لم ينقلب مشاهدة بصريّة حسية لأنّ الحسّ والمحسوس نوع مضاد للعقل و المعقول لايمكن لشيء من أفراد أحد النّوعين المضادّين أن ينتهى في مراتب استكمالاته و اشتداداته إلى شيء من أفراد النّوع الآخر فالابصار إذا اشتدّ لايصير

تخيلا مثلا، ولا التّخيل إذا اشتدّ يصير تعقّلا، ولا بالعكس.

نعم إذا اشتدّ التّخيل يرمشاهدة ورؤية بعين الخيال لا بعين الحسّ وكثيراً ما يقع الغلط من صاحبه أنّه رأى بعين الخيال أم بعين الحسّ الظاهر كما يقع للمجانين والكهنة، و كذا التّعقل إذا اشتدّ يصير مشاهدة قلبيّة و رؤية عقليّة لاخيالية ولاحسية و هذا هو معنى الابصار بالقلب على ما ثبت في بعض الأخبار.

و هو ما رواه في الكافي عن أبيجعفر عليه السلام فى جواب الرّجل الخارجي الذي قال له: أيّ شيء تعبد؟ قال: الله، قال: رأيته؟ قال عليه السلام: بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان.

فانّ المراد برؤية القلوب له هو ادراك العقول القدسيّة له بالأنوار العقليّة الناشية من الايمان والأذعان الخالص فانّ الايمان إذا اشتدّ حسبما ذكرنا حصل في القلب نور يشاهد به الرّبّ كمشاهدة العيان، وسيأتى لهذا مزيد توضيح و تحقيق في مقامه المناسب إنشاءالله.

فان قلت: فكيف يجتمع ذلك مع كلامه عليه السلام الذي نفى فيه الابصار.

قلت لعلك لم تتأمّل فيما حقّقناه حقّ التّامل إذ لو تأمّلته عرفت عدم التدافع بين الخبرين لعدم رجوع النفى والاثبات فيهما إلى شيء واحد إذ الابصار المنفى في حقّه هو إدراكه على وجه الاحاطة و معرفته حقّ المعرفة، كما قال صلوات الله عليه: ما عرفناك حقّ معرفتك، والرؤية المثبتة في خبر أبي جعفر عليه السلام هو إدراكه لا على وجه الاحاطة، بل غاية ما يمكن أن يتصوّر في حقّ العبد الّتي هى أشدّ مراتب الايمان و أكمل درجاته، و يأتى لذلك الخبر توجيهات أُخر في شرح الكلام المائة والثامن والسّبعين إنشاءالله.

فان قلت: هل لك شاهد من الأخبار على حمل الابصار المنفىّ في كلامه على المعنى الّذي ذكرت؟

قلت: نعم و هو مارواه في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى:

« لا تُدْرِكُهُ الْأَبصارُ »

قال : إحاطة الوهم ألا ترى إلى قوله :

« قَدْ جآئَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ »

ليس يعني به بصر العيون :

« فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ »

ليس يعني من أبصر بعينه :

« وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها »

ليس يعني عمى العيون إنّما عني إحاطة الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر ، و فلان بصير بالفقه ، وفلان بصير بالدّراهم ، وفلان بصير بالثّياب الله أعظم من أن يرى بالعين

فانّ السّائل لمّا توهّم كون المراد بالآية نفي الرّؤية المعتادة بهذا البصر الحسّي نبّه عليه على أنّ المراد بها ليس ذلك ، لأنّه أمر مستغنى عنه ، و ذاته تعالى أجلّ من أن يحتمل في حقّه ذلك حتّى يصير الآية محمولة عليه ، بل المراد نفى إحاطة الوهم به عنه وأنّ الابصار ليست ههنا بمعنى العيون بل بمعنى العقول والأوهام على ما وردت في الآيات واشتهر اطلاقها عليها بين أهل اللّسان

ومثله مارواه أيضاً عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي هاشم الجعفرى عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : سألته عن الله هل يوصف ، فقال : أما تقرء القرآن قلت : بلى قال : أما تقرء قوله تعالى :

« لا تُدْرِكُهُ الْأَبصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ »

قلت : بلى ، قال: فتعرفون الابصار ، قلت : بلى،قال: ماهى ؟ قلت : إبصار العيون ، قال : إنّ أوهام القلوب أكبر من ابصار العيون ، فهو لا يدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام

قال المحدّث المجلسي في مرآت العقول : و المراد بأوهام القلوب إدراك القلوب با حاطتها به ، و لما كان إدراك القلوب بالاحاطة لما لا يمكن

أن يحاط به وهماً عبّر ﷺ عنه بأوهام القلوب

هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام ويحمل عليه كلام الامام عليه السلام، و أمّا ما ذكره الشّارح البحراني من أنّ المراد بقوله : ولا قلب من أثبته يبصره ، أنّ من أثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره فبعيد لفظاً ومعنى فافهم جيّداً

(و) **الرابع** أنّه سبحانه (سبق في العلوّ) وتقدّم على من عداه (فلاشيء أعلا منه) والمراد بالعلوّ العلوّ العقلي لا الحسّي كعلوّ السّماء بالنّسبة إلى الأرض : ولاالتّخييلي كماالملك بالنّسبة إلى الرّعية إذالأوّل مقصور في المحسوسات والمتحيّزات ، والثّاني متغيّر بحسب الاشخاص والأوقات ، وهوسبحانه منزّه عن الحسّ والمكان ، ومقدّس عن الكمال الخيالي القابل للزّيادة والنّقصان ، فله الفوقيّة المطلقة والعلوّ العقلي

و ذلك انّ أعلى مراتب الكمال هومرتبة العليّة و لمّا كان الأوّل تعالى مبدء كلّ شيء حسّي وعقليّ وعلّته التي لا يتصوّر فيها النّقصان بوجه لاجرم كان مرتبته أعلى المراتب العقليّة مطلقاً ، وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافة إلى شيء دون شيء ، وعن إمكان أن يكون فوقه ماهو أعلى منه أو في مرتبته مايساويه ، فهوالمتفرّد بالفوقية المطلقة والعلوّ المطلق لا يلحقه فيهماغيره

ويحتمل أن يكون المراد بالعلوّ العلوّ بالقدرة و القهر و الغلبة أو بالكمال والاتّصاف بالصّفات الحسنة و تماميّته بالنّسبة إلى كلّ شيء ونقص الكلّ بالنّسبة إليه فكلّ متوجّه إلى فوق ما عليه متوجّه إليه ، فهو فوق كلّ شيء و لا يقال شيء فوقه ومرجع ذلك كلّه إلى كمال رتبة وجوده وشدّة نوره

(و) **الخامس** أنّه جلّت عظمته (قرب في الدّنوّ) إلى من سواه (فلا شيء أقرب منه) إليهم ، ولمّا كان السّبق في العلوّ مستلزماً للبعد عن الغير حسن المقابلة بينه وبين القرب في الدّنوّ ، وكما أنّ علوّه على خلقه كان علوّاً عقليّاً ، فكذلك قربه إليه قرب عقليّ وهوالقرب بالعلم والاحاطة أوالقرب بالرّحمة والافاضة، فهوالذي لايعزب عن علمه شيء وأقرب إلى النّاس من حبل الوريد

ولمّا كان قربه إلى الأشياء وإلى الخلق بهذا المعنى لا يكون له منافاة لبعده

عنهم اللازم من علوّه ، فهو سبحانه في كمال علوّه عليهم وبعده عنهم من حيث الذات والصّفات منهم قريب ، وفي كمال قربه منهم و دنوّه إليهم من حيث العلم و الاحاطة عنهم بعيد ، لأنّ النّور كلّما كان أشدّ وأقوى كان مع علوّه وبعده أقرب وأدنى

واعتبر ذلك بنور الشّمس وهي في السّماء الرّابعة وبنور السّراج و المشعل وهو عندك في وجه الأرض فانظر أيّهما أقرب منك حتّى تعلم أنّ أعلى الموجودات شرفاً و نوراً يجب أن يكون أقربها منك

و حيث إنّ علوّه سبحانه لم يكن علوّاً حسّيا و لا فوقيّته فوقيّة مكانيّة (فلا) يكون (استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه) بعداً مكانيّاً و إن كان بعيداً منهم بمقتضى علوّه العقليّ ومتباعداً عن عقولهم بسبب ارتفاعه الذّاتي (و) حيث إنّ قربه من الخلق لم يكن قربا حسّيا ولا دنوّه دنوّاً مكانيّاً ف(لا) يكون (قربه) منهم (ساواهم في المكان به)

و المقصود بهاتين الجملتين ردّ توهّم أولى الأوهام النّاقصة و الأذهان القاصرة الذين لم يفهموا من العلوّ إلّا الحسّي المستلزم للتّباعد ، ولم يعرفوا من القرب إلاّ المكاني المستلزم لمساواة المتقاربين في المحلّ ، و قد عرفت هنا و في شرح الفصل الخامس والسّادس من الخطبة الأولى في بيان معنى قوله : ومن قال علام فقد اعلا منه ، وقوله :مع كلّ شيء لا بمقارنة بطلان هذا التوهم بما لامزيد عليه

وأقول الآن تأكيداً لما سبق وتوضيحاً لما هنا إنّه روى في الكافي في باب الحركة والانتقال باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله ينزل إلى السّماء الدّنيا ، فقال إنّ الله لا ينزل ولايحتاج إلى أن ينزل إنّما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ولم يبعد منه بعيد ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه ، وهو ذو الطول لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم الحديث

أقول : لمّا كان زعم بعض العامّة أنّ لله سبحانه مكانا أعلى الأمكنة و هو العرش و أنّه ينزل في الثلث الأخير من اللّيل إلى السّماء الدّنيا ليقرب من أهل الأرض و يناديهم بما أراد، ردّ زعمهم بأنّه تعالى لا ينزل و لا حاجة له إلى أن ينزل ، وذلك لأنّ المتحرّك من مكان إلى مكان إنّما يتحرّك لحاجته إلى الحركة ، حيث

إنّ نسبة جميع الأمكنة إليه ليست نسبة واحدة بل إذا حضرله مكان أو مكاني غاب عنه مكان أو مكاني آخر، و إذاقرب من شيء بعد من شيء آخر، فيحتاج في حصول مطلوبه الغائب إلى الحركةاليه، والله تعالى لمالم يكن مكانيا كانت نسبته إلى جميع الامكنة والمكانيات نسبةواحدة، وليس شيءأقرب اليهمن شيء آخرولا أبعد ولا هوأقرب إلى شيء من شيء آخر ولا أبعد، ونظره في القرب والبعدأي فيما يصوّر فيه القرب والبعد بالنظر إلى عالم الحواسّ وأوهام الخلق سواء لا تفاوت فيه أصلا

و فيه أيضاً عن عبدالرّحمن بن الحجّاج، قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى:

« اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى »

فقال: استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب، استوى في كلّ شيء

وعن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى:

« مايَكُونُ مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ »

فقال هوواحد واحديّ الذّات، باين من خلقه، وبذلك وصف نفسه و هوبكلّ شيء محيط بالاشراف والاحاطة و القدرة و لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات و لا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر بالاحاطة و العلم لا بالذات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فاذاكان بالذّات لزمها الحواية

توضيح جوابه عليه السلام إنّ وحدته سبحانه وحدةذاتيّةلاعدديّةحتّى ينافي الكثرة وكونه رابعالثلاثةوبعينهسادسا لخمسة، باين من خلقهوتباعد عنهم لا مباينتهمن حيث التّشخّصات و الأوضاع، و تباعداً من حيث الامكنة و الحيزات، و إنما مباينته من حيث الذّات وعدم مشاركتهم له في شيء من الصّفات، فهو تامّ كامل وهم ناقصون محتاجون إليه وبه تمامهم وغنائهم، وبذلك التّباين، وصف نفسه وقال: ليس كمثله شيء وهوبكلّ شيء محيط، لا يخلو منهشيء من الأشياء

واحاطته إنّما هو بالاشراف والاطلاع و إحاطة العلم والقدرة فمثال احاطته بكلّ شيء كمثال علم أحد منّا بأشياء كثيرة متباينة الوضع من جهة العلم بأسبابها ومباديها ، لكن علمه عين ذاته وعلمنا زايد على ذاتنا ، وعلمه تامّ ولكلّ شيء وعلمنا ناقص وببعض الأشياء وكما لا يلزم من علمنا بتلك الأشياء حصول شيء واحد بالعدد في أماكن متباينة الوضع ، فكذلك لايلزم فيه بل ذاته أشدّ إحاطة وأوسع علما

وهو معنى قوله عليه السلام لا بالذات يعني أنّ عدم عزوب شيء من الأشياء عنه باعتبار الاحاطة العلميّة لا باعتبار حصول ذاته في مكان قريب من مكانه ، لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة ، عدّها أربعة مع كونها ستّة لأنّ القدام و الخلف و اليمين والشّمال لما كانت غير متحيّزة إلاّ باعتبار عدّ الجميع عدّين و عدّ الفوق و التحت حدّين فصارت أربعة ، و المعنى أنه لو كان عدم بعد شيء عنه باعتبار كون ذاته في مكان قريب منه لزم احتواء المكان عليه كالمتمكّن و كونه محاطاً بالمكان تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيرا ، وبذلك التحقيق ظهر معنى قوله عليه السلام و لا قربه ساواهم في المكان به

والسادس أنه تعالى شأنه (لم يطلع العقول على تحديد صفته) إذ ليس لصفاته الكمالية التي هي عين ذاته حدّ يحدّ به حتّى يمكن للعقول الاطلاع عليه

بيان ذلك أنّ الحدّ يراد به أحد معنيين أحدهما القول الشارح لمهيّة الشيء المؤلف من المعاني الذّاتية المختصّة إمّا بحسب الحقيقة أو بحسب الاسم الثاني النهاية والطرف ، وكلاهما منفيّان عنه سبحانه

أمّا الحدّ بالمعنى الأوّل فلأنّ ذاته غير مؤلف من معانى و أُمور ذاتية ولا تركيب فيها أصلاً بشيء من أنحاء التركيب ، بل هو بسيط الذات من جميع الجهات وصفاته عين ذاته و وجودها وجود ذاته ، فليس لصفاته حدّ به تحدّ حتى يصحّ اطلاع العقول عليه

وأمّا الحدّ بالمعنى الثاني فلأنّ التناهي واللاّ تناهي إنّما يوصف بهما أو لاً

وبالذات المقادير والأعداد وإذا وصف بهاشيء آخر كان إمّا باعتبار تعلّقه بالكمّيات وإمّا باعتبار ترتّبها أو ترتّب مايوصف بهاعلى ذلك الشيء، والله سبحانه أجلّ من ذلك وإلاّ لزم كونه محلاّ للحوادث مضافا إلى أنّه لوكان له حدّ معيّن ونهاية معيّنة لزم احتياجه إلى علّة محدّدة قاهرة ، إذ طبيعة الوجود بما هو وجود لا يقتضي حدّاً خاصّاً ، ويلزم من ذلك أي من وجود العلة المتباينة القاهرة أن يكون لخالق الأشياء كلّها من خالق محدّد فوقه ، وهومحال

(و) السابع أنّه سبحانه (لم يحجبها) أي لم يجعل العقول محجوبة (عن واجب معرفته) بل قد وهب لكلّ نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله ولولا ذلك لكان تكليفهم بالأصول والفروع تكليفاً بما لا يطاق

و لذلك قال الصّادق عليه السلام : ليس لله على خلقه أن يعرفوا و للخلق على الله أن يعرّفهم ولله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا

وفي رواية الكافي عن إبراهيم عمر اليماني قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ أمر الله كلّه عجيب إلاّ أنّه قد احتجّ عليكم بما عرفكم من نفسه ، يعني أنّ معرفة ذاته وصفاته الحقيقيّة كما هي فوق إدراك كلّ أحد ، تكلّ العقول والأذهان وتبهر الألباب عن كنه جلاله وغور عزّه و كماله إلاّ أنّه مع ذلك لكلّ أحد نصيب عن لوامع إشراقات نوره قلّ أو أكثر ، فله الحجّة على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده و دلايل صنعه وجوده فوقع التّكليف بمقتضى المعرفة والعمل بموجب العلم

(فهو الذي تشهد له أعلام الوجود) وآيات الصّنع والقدرة (على اقرار) قلب كلّ أحد حتّى (قلب ذي الجحود) لأنّ الجاحد و إن كان يجحده متابعة لرايه وهواه إلاّ أنّه لو تدبّر في آثار القدرة و الجلال واعلام العظمة والكمال لارتدع عن رأيه وهواه ، و رجع عن جحده و إنكاره ، وأذعن بوجود الآله ، فلا يعبد معبوداً سواه ، لكفاية تلك الآثار في الشّهادة ، وتماميّة هذه الأعلام في الهداية و الدّلالة كما قال سبحانه :

« وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ و سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ، وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ»

وفي الكافي باسناده عن أبي سعيد الزّهري عن أبي جعفر عليه السلام قال: كفى لأُولي الألباب بخلق الربّ المسخّر، وملك الربّ القاهر، وجلال الربّ الظاهر، ونور الربّ الباهر وبرهان الربّ الصّادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما ارسل به الرّسل، وما انزل على العباد، دليلا على الرّبّ عزّوجلّ

قال بعض شرّاح الحديث: ذكر عليه السلام ثمانية امور كلّ منها كاف لذوي العقول دليلا على وجود الربّ **أحدها** خلقه المسخّر له **وثانيها** ملكه القاهر على كلّ مالك ومملوك و **ثالثها** جلاله الظاهر من عظائم الخلقة وبدايع الفطرة كالأجرام العالية والنّفوس وغيرها **ورابعها** نوره الغالب على نور كلّ ذي نور و حسّ كلّ ذي حسّ وشعور **وخامسها** برهانه الصّادق وهو وجود آياته الكاينة في السّموات والأرض و **سادسها** ما أنطق به ألسن العباد من العلوم والمعارف وغيرهما و **سابعها** ما أرسل به الرّسل من الشّرايع والأحكام والسّياسات والحدود **وثامنها** ما أنزل على العباد من الصّحايف الالهيّة والكتب السّماويّة

و (تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به والجاحدون له علوّاً كبيراً) و المراد بالمشبّهين المشبّهون للخلق بالخالق، و هم المشركون الذين جعلوا لله شركاء وقالوا: إنّه ثالث ثلاثة، ونحو ذلك وبالجاحدين المنكرون للصّانع، وليس المراد بالمشبّهين المشبّهة المعروفة أعني الذين شبّهوه سبحانه بخلقه كالمثبتين له تعالى أوصافاً زايدة على الذّات، والمجوّزين في حقّه الرّؤية والمكان ونحوهما والمثبتين له الأعضاء والجوارح إلى غير هذه ممّا هو من صفات الممكن

و بالجملة المراد المشبّهون به كما هو صريح كلامه عليه السلام لا المشبّهون له بخلقه على ما توهّمه الشّارح البحراني

واعلم أنّ المشبّهين به أوله مقرّون به سبحانه صريحاً وجاحدون له لزوماً

إذالمعنى الذي يتصوّرونه إلهاً و يجعلونه له شركاء أويجوّزون في حقّه ويثبتون له صفات الممكن ليس هونفس الا لَه ، و الجاحدين منكرون له صريحا معترفون به لزوماً واضطراراً على ماحقّقناه آنفاًفي شرح قوله: فهوالّذي يشهد له أعلام الوجود اه وكلا الفريقين جاحدان له في الحقيقة وإن كانا يفترقان في الاعتراف باللسان

الترجمة

از جملهٔ خطبهای شریفهٔ آنحضرت است : حمد و ثنا مرخدایرا سزاست كه عالم است بباطن امور پنهانی ، و خبير است بجميع أشياء نهانی ، و دلالت كرده بروجود او علامات ظاهرهٔ قدرت و آيات باهرهٔ عظمت ، وممتنع ومحال شده ديدن او برچشم بينا پس نه چشم كسی كه اورا نديده انكار ذات او بتواند بنمايد ، و نه قلب كسيكه اثبات وجود او را كرده احاطه وادراك تام وجود اورا دارد ، پيشی گرفته دربلندی بمخلوقات پس هيچ چيز عالی مرتبه بلندتر ازاونيست ، و قريبست در نزديكی بمخلوقات پس هيچ چيز نزديكتر ازاو نيست

پس نه بلندی او دور ميگرداند اورا از چيزی از مخلوقات ، ونه نزديكی او مساوی نموده ايشانرا با اودر مكان وجهات ، ومطلع نگردانيده عقلها را برتعريف صفات خود ، و ممنوع نگردانيده عقلها را از واجب شناخت خود ، پس او آن كسی است كه گواهی ميدهد از برای اونشانها وجود براقرار كردن دل صاحب انكار و جحود . پس بلند است حق سبحانه و تعالی و منزّه هست از آنچه ميگويند تشبيه كنندگان خلايق باو وانكار كنندگان وجود او بلندی بزرك يعنی او برتر است از أقوال باطله مشركين وعقايدفاسدهٔ منكرين

و من خطبة له عليه السلام وهى الخمسون من المختار في باب الخطب

و رواها ثقة الاسلام الكليني عطرالله مضجعه في أُصول الكافي و في كتاب

الرّوضة منه أيضاً مسندة بالسّندين الآتيين باختلاف يسير في الأوّل و مبسوطة في الثّاني.

إنّما بَدْءُ وُقوعِ الْفِتَنِ أهواءٌ تُتَّبَعُ، وَأحكامٌ تُبْتَدَعُ، يُخالَفُ فيها كِتابُ اللهِ، وَيَتَوَلّى عَلَيْها رِجالٌ رِجالاً عَلى غَيرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أنَّ الْباطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتادِينَ، وَلَوْ أنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْباطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ ألْسُنُ الْمُعانِدِينَ، وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذا ضِغْثٌ وَمِنْ هٰذا ضِغْثٌ فَيُمْزَجانِ، فَهُنالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطانُ عَلى أوْلِيائِه، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى.

اللغة

(البدء) بفتح الباء و سكون الدّال والهمزة أخيراً بمعنى الأوّل وبمعنى الابتداء أيضاً يقال بدءت بالشيء بدءاً أي أنشأته إنشاء، ومنه بدء الله الخلق أي أنشأهم و(الفتن) جمع الفتنة و هو الاختبار والامتحان تقول: فتنت الذّهب إذا أدخلته النّار لتنظر جودته، وقد أكثر استعمالها فيما يقع به الاختبار كما في قوله تعالى:

«إنّما أموالكُمْ وَأولادُكُمْ فِتْنَةٌ»

ثمّ اكثر استعمالها في الاثم و الكفر و الضّلال و الاحراق و الازالة و الصّرف عن الشّيء كذا حكى عن النّهاية و (البدعة) اسم من ابتدع الامر اى ابتدئه ثمّ غلب على ما هو زيادة في الدّين أو نقصان منه و (التّولّى) الاتباع و منه قوله سبحانه:

«وَمَنْ يَتَوَلَّهُ مِنْكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ»

أى من يتّبعهم و(المزاج) ككتاب ما يمزج به قال سبحانه:

«عَيْناً كانَ مِزاجُها كافُوراً» و قال الشّاعر:

كانّ سبيئة من بيت رسّ يكون مزاجها عسل و ماء

و الارتياد) الطلب والمرتاد الطالب و (الضّغث) قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها و يقال ملاء الكفّ من قضبان أو حشيش أو شماريخ و في التنزيل:

«وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ»

الاعراب

جملة تتّبع و تبتدع مرفوعة المحلّ على الوصفيّة ، و جملة يخالف و يتولّى إمّا في محلّ الرّفع على الوصف أيضاً أو في محلّ النّصب على الحاليّة، و قوله: على غير دين الله متعلّق بالمقدّر، وهو إمّا حال من رجالا أو صفة له وإضافة المزاج إلى الحقّ بيانيّة

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبة هو توبيخ الخلق على متابعة الأهواء المبتدعة والآراء المضلّة ، و على مخالفة الكتاب القويم ،والعدول عن الصّراط المستقيم المؤدّي إلى وقوع الفتن وفساد نظم العالم كما قال ﷺ: (إنّما بدء وقوع الفتن) والضّلالات (أهواء) مضلّة (تتّبع و أحكام) باطلة (تبتدع) الّتي (يخالف فيها) أى في تلك الأحكام (كتاب الله) إذ الاحكام المبتدعة خارجة من الكتاب و السّنّة مخالفة لهما لماقد عرفت سابقا أنّ البدعة عبارة عن إدخال ما ليس من الدّين في الدّين فهى لامحالة مخالفة لأصول الشّريعة المستفادة من الكتاب والسّنّة.

و من ذلك (١) أنّ يونس بن عبدالرّحمن لمّا قال لأبي الحسن ﷺ: بما أوحّدالله ؟ قال له : يا يونس لاتكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ ، و من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر.

فانّ المستفاد منه أنّ في العمل بالرّأى ومتابعة الهوى مخالفة لكتاب الله وعدولا عن سنة رسول الله (ويتولّى فيها رجال رجالا على غير دين الله) أى يتّخذ طايفة من المايلين إلى تلك الأهواء الزّايفة و الآراء الباطلة طايفة أخرى من أمثالهم أولياء

١ـ الرواية فى الكافى فى باب البدع والراى والمقاييس ، منه

و نواصر لهم ، فيتّبعونهم و يحبّونهم تربية لأهوائهم الفاسدة وتقوية لبدعهم الضّالة.

ثمّ أشار عليه السلام إلى أنّ أسباب تلك الآراء أيضاً إنّما هى امتزاج المقدّمات الحقّة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون في استخراج المجهولات، و نبّه على ذلك بشرطيّتين متّصلتين.

إحداهما قوله (فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين) وجه الملازمة أنّ مقدّمات الشّبهة إذ كانت كلّها باطلة أدرك طالب الحقّ بطلانها بأدنى سعي ولم يخف عليه فسادها ، مثال ذلك قول قوم من الباطنيّة : البارى تعالى لاموجود ولا معدوم وكلّ مالايكون موجوداًولا معدوماًيصح أن يكون حيّاقادراًفالبارى تعالى يصحّ أن يكون قادراً فها تان المقدّمتان جميعا باطلتان و لذلك صار هذا القول مرغوبا عنه عند العقلاء.

والأخرى قوله : (ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين) لأنّ المقدّمات إذاكانت صحيحة حقّة كانت النتيجة حقّا و انقطع عنها اللّجاج والعناد ، كقولنا : العالم حادث و كلّ حادث محتاج إلى المحدث فالعالم محتاج إلى المحدث ، ولكن لما لم يخلص الباطل من المزاج ولم يمحض الحقّ من الالتباس بل امتزج الباطل بالحقّ و اختلط الحقّ بالباطل و تركّبت القضايا من المقدّمات الحقّة والباطلة ، مثل ما قال المدّعون للرّؤية : الباري تعالى موجود وكلّ موجود يصحّ أن يكون مرئيا فالباري تعالى يصحّ أن يكون مرئيا ، لاجرم خفى الأمر على الطالب المرتاد و كثر لذلك اللّجاج و العناد.

و هذا هو معنى قوله عليه السلام (ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان) أى الضّغثان (فهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه) و يغلب على اتباعه و أحبّائه و يجد مجالا للاضلال والاغواء، ويزيّن لهم اتباع الآراء والأهواء، فأولئك سيجدون قبايح أعمالهم وعقايدهم وهم عليهاواردون وأولئك أصحاب النّارهم فيهاخالدون

(و) أمّا العارفون بالله بعين الحقيقة والسّالكون لسبيله بنور البصيرة ف(ينجو)ن من ذلك و يتخلّصون من المهالك وهم (الّذين سبقت لهم من الله الحسنى) و العناية

الازليّة وقادتهم التوفيقات الرّبانية و هؤلاء عن النّار مبعدون و أولئك في الجنّة هم خالدون.

و اعلم أنّ ما ذكرته في شرح المقام إنّما هو جرياً على ما هو المستفادمن ظاهر كلامه ﷺ المسوق على نحو العموم والاطلاق ، والذي ظهر لي منه بعدالنظر الدّقيق خصوصا بملاحظة الزّيادات الآتية في رواية الرّوضة هو أنّ غرضه بذلك الطعن على المتخلّفين الغاصبين للخلافة والتابعين لهم وعلى من حذا حذوهم من الناكثين والقاسطين والمارقين و أضرابهم ، فانّهم أخذوا بظاهر أحكام الشّريعة ، و دسّوا فيها بدعاتهم الباطلة النّاشئة من متابعة أهوائهم المضلّة ، فخلطوا عملا صالحا بآخر سيّئا وصار ذلك سبباً لافتتان النّاس بهم واتباع أفعالهم وأقوالهم واشتباه الأمر عليهم.

لأنّ كلّ باطل و كذب مالم يكن فيه شبه حقّ و صدق لايقبله ذوعقل وحجى كما أنّ كلّ مزيف كاسد مالم يكن مغشوشا بنقد رايج لايصير رايجا في سوق ذوى الأبصار إذ التّميز بين الذهب و النّحاس والفضة والرّصاص ممّا لايخفى على ذوي العقول السّليمة.

لأنّ الباطل الصّرف لاحظّ له في الوجود ولايقع في توهّم ذوي العقول إلاّ إذا اقترن بشبه الحقّ ، ولا الكذب المحض ممّا يصدق به ذوعقل إلاّ إذا امتزج بالصّدق فلما حصل الامتزاج والاختلاط و اشتبك الظلمة بالنّور التبس الأمر على النّاس فأضلّهم الشيطان و زيّن لهم أعمالهم فصدّوا عن سبيل الدّين و انحرفوا عن الامام المبين ، فارتدّ كلّهم أجمعون إلاّ أولياءالله المخلصين ، فانّه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربّهم يتوكلون ، إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه و الّذينهم به مشركون.

تكملة

قد أشرنا سابقا إلى أنّ هذه الخطبة مرويّة مسندة في الكافي فينبغى لناأن نورد ماهناك جريا على ماهو دأبنا في هذا الشّرح ثمّ نعقبه بتفسير بعض كلماته الغريبة و توضيح مافيه من النّكات اللطيفة الشّريفة فأقول:

في باب البدع والرأى والمقاييس من كتاب العقل والجهل منه عن الحسين بن محمد الأشعرى؛ عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن عليّ الوشّا، وعدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن فضال جميعا، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام النّاس فقال:

أيّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب يتولّى فيها رجل «رجال خل» رجالا، فلو أنّ الباطل خاص لم يخف على ذى حجى، ولو أنّ الحقّ خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فيجيئآن معا فهنا لك استحوذ الشيطان على أوليائه و نجى الّذين سبقت لهم من الله الحسنى.

و في كتاب الرّوضة عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن ابراهيم ابن عثمان عن سليم بن قيس الهلالي، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى و طول الأمل أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة، ألا إنّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة، و إنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فانّ اليوم عمل ولا حساب وإنّ غدا حساب ولا عمل.

و إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و آراء تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولّى فيها رجال رجالا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجتمعان فيجللان معا فهنا لك يستولى الشّيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله «منّا خ» الحسنى.

إنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصّغير و يهرم فيها الكبير، يجرى النّاس عليها و يتّخذونها سنّة، فاذا غيّر منها شي، قيل قد غيّرت السنّة و قد أتى النّاس منكراً ثمّ تشتدّ البليّة و تسبى الذرّيّة و تدقّهم الفتنة كما تدقّ النّار الحطب و كما تدقّ الرّحا بثفالها و يتفقّهون لغير الله،

و يتعلّمون لغير العمل و يطلبون الدّنيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل بوجهه و حوله ناس من أهل بيته و خاصّته و شيعته فقال عليه السلام : قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول‌الله متعمّدين لخلافه ناقضين لعهده ، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها و حوّلتها إلى مواضعها و إلى ماكانت في عهد رسول‌الله لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الّذين عرفوا فضلي و فرض امامتي من كتاب‌الله عزّ ذكره و سنّة رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أرايتم لوأمرت بمقام ابراهيم فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة ، ورددت صاع رسول‌الله كما كان ، و أمضيت قطايع أقطعها رسول‌الله ﷺ لأقوام لم تمض لهم ولم تنفض ، ورددت دار جعفر عليه السلام إلى ورثته و هدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضى بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ و استقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأحكام و سبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسّم من أرض خيبر ، و محوت دواوين العطايا و أعطيت كما كان رسول‌الله يعطى بالسّويّة ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، و ألقيت المساحة ، و سوّيت بين المناكح ، و أنفذت خمس الرّسول كما أنزل الله عزّوجل و فرضه ، ورددت مسجد رسول‌الله على ما كان عليه ، و سددت ما فتح فيه من الأبواب، و فتحت ما سدّ منه ، و حرّمت المسح على الخفّين ، و حددت على النّبيذ،وأمرت باحلال المتعتين، و أمرت بالتكبير على الجنايز خمس تكبيرات ، وألزمت النّاس الجهر ببسم‌الله الرّحمن الرّحيم ، و أخرجت من أُدخل مع رسول‌الله في مسجده ممّن كان رسول‌الله أخرجه ، و أدخلت من أُخرج بعد رسول‌الله ممّن كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخله ، و حملت النّاس على حكم القرآن ، و على الطلاق على السّنة ، و أخذت الصّدقات على أصنافها وحدودها ، و رددت الوضوء والغسل والصّلاة إلى مواقيتها و شرايعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ، ورددت سبايا فارس وساير الامم إلى كتاب‌الله و سنّة نبيه إذاً لتفرّقوا عنّي.

والله لقد أمرت النّاس أن لايجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة و علّمتهم

أنّ اجتماعهم في النّوافل بدعة فنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الاسلام غيّرت سنّة عمر ينهانا عن الصّلاة في شهر رمضان تطوّعا.

ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت هذه الامة من الفرقة و طاعة أئمة الضّلالة والدّعاة إلى النّار، وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ: إن كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرّبنا الله بنفسه و برسوله فقال تعالى: فللّه و للرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل، فينا خاصّة كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم و ما آتيكم الرّسول فخذوه و ما نهيكم عنه فانتهوا و اتّقوا الله في ظلم آل محمّد إنّ الله شديد العقاب لمن ظلمهم رحمة منه لنا و غناً أغنانا الله به.

و وصّى به نبيّه ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً أكرم الله رسوله وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس فكذّبوا الله وكذّبوا رسول الله و جحدوا كتاب الله النّاطق بحقّنا و منعونا فرضاً فرضه الله لنا، ما لقى أهل بيت نبيّ من امّته ما لقيته بعد نبيّنا والله المستعان على من ظلمنا ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

بيان

«يجللان» بضّم الياء بصيغة المضارع المبنيّ للمفعول مأخوذ من التّجليل يقال جللت الشّيء إذا غطيته «ألبستكم» كذا في أكثر النّسخ و في بعضها البستم على بناء المجهول من باب الافعال و هو الأظهر و في بعض النّسخ لبستم «والثفال» بالفاء مثل كتاب جلد أو نحوه يوضع تحت رحى اليد يقع عليه الدّقيق قال الفيروز آبادي بثفالها أى على ثفالها أى حال كونها طاحنة لأنّهم لا يثفلونها إلاّ إذا طحنت، و في أكثر النّسخ ثقالها بالقاف و لعلّه تصحيف، و عليه فلعلّ المراد مع ثقالها أى إذا كانت معها ما يثقلها من الحبوب فيكون أيضاً كناية عن كونها طاحنة.

قال المجلسي (ره): «لو أمرت بمقام إبراهيم» اشارة إلى ما فعله عمر من

تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع كان فيه في الجاهلية «ورددت صاع رسول الله» كان صاعه على ما قيل أربعة أمداد فجعله عمر خمسة أمداد «و نزعت نساء» اه كالمطلقات ثلاثا في مجلس واحد وغيرها مما خالفوا فيه حكم الله «و سبيت ذرارى بني تغلب» لأنّ عمر رفع عنهم الجزية.

قال المطرزي: بنو تغلب قوم من مشركي العرب طالبهم عمر بالجزية فأبوا فصولحوا على أن يعطوا الصّدقة متضاعفة فقبلوا ورضوا به، ولعدم كونهم من أهل الذمة يحلّ سبى ذراريهم «و محوت دواوين العطايا» أى التي بنيت على التّفضيل بين المسلمين في زمن عمر وعثمان

«وألقيت» إشارة إلى ما عدّه الخاصّة والعامّة من بدع عمر أنّه قال ينبغي أن نجعل مكان هذا العشر و نصف العشر دراهم نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث الي البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذ من العراق و مايليها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهماً واحداً و قفيزاً من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها ديناراً و ازدبّاً عن مساحة جريب كما كان يأخذ منهم ملوك الاسكندرية، والازدب لأهل مصر أربعة و ستّون منّا، و كان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفة.

«و سوّيت بين المناكح» بأن يزوّج الشّريف والوضيع كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله و زوّج بنت عمه مقداداً و عمر نهى عن تزويج الموالى والعجم «ورددت مسجد رسول الله» اه إشارة إلى ما وقع فيه من التغيير في زمن عثمان حيث وسّعوه و أدخلوا فيه بعض الدّور التي كانت جواره غصبا و عدوانا «و أمرت بالتّكبير على الجنايز خمس تكبيرات» أى لا أربعا كما ابتدعته العامّة و نسبوه إلى عمر «و ألزمت النّاس الجهر» قال في البحار: يدلّ ظاهر أعلى وجوب الجهر بالبسملة مطلقا و إن امكن حمله على تأكّد الاستحباب.

«و أخرجت من ادخل» يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدى الملعونين الذين دفنا في بيته بغير اذنه مع أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يأذن لهما لخوخة في مسجده

و ادخال جسد فاطمة و دفنها عند النبيّ أو رفع الجدار من بين قبريهما ، و يحتمل أن يكون المراد إدخال من كان ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ في حياته كعمار و أبي ذر و أضرابهما و إخراج من أخرجه الرّسول ﷺ من المطرودين كحكم ابن أبي العاص و ابنه مروان ، وقد كان رسول الله ﷺ أخرجهما فأدخلهما عثمان «ورددت أهل نجران إلى مواضعهم» قال المجلسي : لم أظفر إلى الآن بكيفية إخراجهم وسببه و بمن أخرجهم « ورددت سبايا فارس » لعلّ المراد الاسترداد ممّن اصطفاهم أو أخذ زايداً من حقّه «مالقيت» كلام مستأنف للتّعجب « و اعطيت » رجوع إلى الكلام السّابق و لعلّ التّاخير من الرّواة «إن كنتم آمنتم بالله» من تتمّة آية الخمس حيث قال تعالى : و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه و للرّسول ولذى القربى واليتامى والمساكين و ابن السّبيل إن كنتم آمنتم ، الآية.

قال البيضاوي : إن كنتم آمنتم بالله متعلّق بمحذوف دلّ عليه و اعلموا أى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية ، فانّ العلم المتعلّق بالعمل لم يرد منه العلم المجرّد ، لأنّه مقصود بالعرض والمقصود بالذّات هو العمل «و ما أنزلنا على عبدنا» محمد من الآيات والملائكة والنصر « يوم الفرقان » يوم بدر فانّه فرق فيه بين الحقّ والباطل « يوم التقى الجمعان» المسلمون والكفّار .

وقوله «كيلايكون دولة» تتمّة لآية أخرى وردفي فيئهم حيث قال: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه والرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون ، أى الفيء الّذي هو حقّ الامام « دولة بين الأغنياء منكم» الدولة بالضّم ما يتداوله الأغنياء و يدور بينهم كما كان في الجاهليّة «رحمة لنا » أى قرّر الخمس والفيء لنا رحمة منه لنا و ليغنينا بهما عن أوساخ أيدى النّاس .

الترجمة

از جمله كلام فصاحت نظام آن امام است كه ميفرمايد: جز اين نيست كه ابتداء واقعشدن فتنها هواها و خواهشات نفسانيست كه پيروى كرده ميشود وحكم

های شیطانیست که اختراع کرده میشود ، مخالفت کرده میشون در آن اهواء و احکام کتاب‌خدا ، و متابعت مینماید در آن احکام مردانی مردانی رادرحالتیکه میباشند ایشان بر غیر دین خدا ، پس اگر باطل خالص میبود از آمیزش حق‌مخفی نمی‌ماند بر طلب کنندگان ، و اگرحق‌خالص‌میبود از التباس بباطل‌بریده میشد از او زبانهای ستیزه نمایندگان ، ولیکن فرا گرفته می‌شود از حق دستهٔ و از باطل دستهٔ پس اینجا یعنی نزد امتزاج حق بباطل مستولی میشود شیطان بر اولیاء خود ، و نجات می‌یابد از خطر این شبهه آن‌کسانیکه پیشی گرفته است از برای ایشان‌از جانب خدا حالتی نیکوکه عبارتست از عنایت ازلي و توفیق لم‌یزلي.

و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية اصحابه على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء و هى الحادية والخمسون من المختار فى باب الخطب

و رواها في البحار و في شرح المعتزلي جميعا من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم، قال نصر : حدّثنا عمرو بن سعيد عن جابر قال : خطب عليّ عليه السلام : يوم الماء فقال:

أَمّا بَعْــدُ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَؤُكُمْ بِالظُّلْمِ ، وفَاتَحُوكُمْ بِالْبَغْيِ ، وَاسْتَقْبَلُوكُمْ بِالْعُدْوانِ ، وَقَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتالَ حَيْثُ مَنَعُوكُمُ الْماءَ ، فَأَقِرُّوا عَلىٰ مَذَلَّةٍ و تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّماءِ تَرْوُوا مِنَ الْماءِ ، فَالْمَوْتُ فِي حَيٰوتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيٰوةُ فِي مَوْتِكُمْ قاهِرِينَ ، أَلا

وإِنّ مُعاوِيَةَ قادَ لُمَةً مِنَ الغُواةِ ، و عَمَسَ عَلَيهِمُ الخَبَرَ ، حَتّىٰ جَعَلَ نُحُورَهُمْ أغراضَ المَنِيَّةِ .

اللغة

(استطعموكم القتال) اى طلبوه منكم يقال فلان يستطعمني الحديث اى يستدعيه منّي و يطلبه (فأقرّوا على مذلّة) من القرار و هو السّكون والثبات كالاستقرار ، أو من الاقرار والاعتراف و الأول أظهر و (اللّمة) بالضّم والتّخفيف جماعة قليلة و (عمس عليهم الخبر) بفتح العين المهملة و تخفيف الميم و تشديدها أبهمه عليهم و جعله مظلما ، والتّشديد لافادة الكثرة و منه ليل عماس أى مظلم و (الأغراض) جمع غرض و هو الهدف.

الاعراب

ضمير الخطاب في استطعموكم منصوب المحلّ بنزع الخافض على حدّ قوله تعالى : وَ اختارَ مُوسىٰ قومه ، أو مجروره على حدّ قوله : أشارت كليب بالأكفّ الأصابع ، والفاء في قوله فأقرّوا فصيحة ، و قوله تروّوا من الماء مجزوم لوقوعه في جواب الأمر على حدّ ايتني اكرمك ، و مقهورين وقاهرين منصوبان على الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام من أبلغ الكلام و ألطفه في التّحريض على الحرب والجذب إلى القتال و قد خطب به لما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفّين و منعوا أصحابه من الماء و حالوا بينهم و بينه فقال لهم (انّهم قد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء) يعنى أنّهم من جهة منعهم من الماء طلبوا منكم أن تطعموهم القتال فكأنهم لما حازوا الماء أشبهوا في ذلك من طلب الطعام له ، ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعيّن تشبيه ذلك بالطعام و هو من لطايف الاستعارة.

(فأقرّوا على مذلّة و تأخير محلّة اوروّوا السّيوف من الدّماء ترووا من الماء) يعنى انهم لما طلبوا منكم القتال بالمنع من الماء فاللاّزم عليكم حينئذ أحد الأمرين،

إمّا الكفّ عن الحرب والاذعان بالعجز والاستقرار على الذّلة المستلزم لتأخير المنزلة و انحطاط الدّرجة عن رتبة أهل الشّرف والشّجاعة ، و إمّا الاستعداد للقتال و تروية السّيوف من الدّماء المستلزم للتّروية من الماء.

و في هذا الكلام من الحسن واللّطف ما لايخفى إذ من المعلوم أنّ الاقرار بالعجز والثبات على الذّلة مكروه بالطبع ، و التّروّي من الماء للعطاش محبوب بالطبع والعاقل لايختار المكروه على المحبوب قطعا بل يرجّحه عليه و يتوصّل إليه ولو بتروية سيفه من الدّماء فيكون القتال محبوبا عنده أيضاً مع كونه مكروها بالطبع من أجل ايصاله إلى المطلوب.

و لمّا أشار عليه السلام الى كون التّواني في الجهاد موجبا للذّلّ و انحطاط الرّتبة فرّع على ذلك قوله (فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين) تنبيها على أنّ الحياة مع الذّلة موت في الحقيقة و الموت مع العزّة حياة كما قال الشّاعر:

و من فاته نيل العلى بعلومه و أقلامه فليبغها بحسامه
فموت الفتى في العزّ مثل حياته وعيشته في الذّل مثل حمامه

و ذلك لأنّ الحياة في حالة المقهورية و مع الذّلة و سقوط المنزلة أشدّ مقاساة من موت البدن عند العاقل بكثير ، بل موتات متعاقبة عند ذي اللب البصير ، كما أنّ الموت في حالة القاهريّة و مع العزّة موجب للذّكر الباقي الجميل في الدّنيا و للأجر الجزيل في العقبى ؛ فهو في الحقيقة حياة لا تنقطع ولا تفنى كما قال تعالى :

« وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوُا في سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »

هذا ولايخفى ما في هاتين الفقرتين من حسن المقابلة كما في ما قبلهما من السّجع المطرف ، و فيما قبلهما من السّجع المتوازي.

ثمّ أنّه بعد حثّ أصحابه على الجهاد أشار إلى ما عليه معاوية و أصحابه من الغوي

والضلالة والعدول عن المنهج القويم والصراط المستقيم بقوله (ألا إن معاوية قاد لمة من الغواة و) ساق طائفة من البغاة (عمس عليهم الخبر) و أظلم عليهم الأثر (حتى جعل نحورهم أغراض المنية) بإيهام أن عثمان قتل مظلوما و أنه عليه السلام و أصحابه قاتله و أن ذلك الملعون و أصحابه أولياء دمه والمستحقون لأخذ ثاره ، مع أنهم عن الصراط لناكبون و في جهنم خالدون ، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

و اما كيفية غلبة اصحاب معاوية على الماء

فنحن نرويها من البحار و من شرح المعتزلي جميعا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم بتلخيص منا.

قال نصر : كان أبو الأعور السلمي على مقدمة معاوية و اسمه سفيان بن عمر وو كان قد ناوش مقدمة علي وعليه الأشتر النخعي مناوشة ليست بعظيمة ، فلما انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعا سبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين إلى جانب صفين قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا و أخذوا الشريعة ، فهي في أيديهم.

و ساق الأشتر يتبعه فوجده غالبا على الماء و كان في أربعة آلاف من مستبصري أهل العراق فصدموا أبا الأعور و أزالوه عن الماء ، فأقبل معاوية في جميع الفيلق(١) بقضه و قضيضه ، فلما رآهم الاشتر انحاز الى علي و غلب معاوية و أهل الشام على الماء و حالوا بين أهل العراق و بينه و أقبل علي عليه السلام في جموعه ، فطلب موضعا لعسكره و أمر الناس أن يضعوا أثقالهم وهم أكثر من ماة ألف فارس فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس علي عليه السلام على خيولهم إلى معاوية يطعنون و يرمون بالسهام و معاوية بعد لم ينزل ، فناوشهم أهل الشام القتال فاقتتلوا هويا (٢).

قال نصر: فحدثني عمر بن سعد، عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال فكتب

١ـ الفيلق الجيش والقض الحصاء الصغار و القضيض الحصاء الكبار اى جاء فى جميع جيشه بالصغير والكبير، قاموس. ٢ ـ أي قطعة من الزمان ، شرح .

معاوية إلى علي عليه السلام عافانا الله و إيّاك.

ما أحسن العدل والانصاف من عمل و أقبح الطيس ثمّ النّفش(١) في الرّجل

و كتب بعده شعراً يحثه فيه بأن يروع بجيشه من التّسرّع والعجلة عند الحرب ، فأمر علي عليه السلام أن يوزع النّاس عن القتال حتّى أخذ أهل الشّام مصافهم ، ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ هذا موقف من نطف (٢) فيه نطف يوم القيامة و من فلح فيه فلح يوم القيامة.

قال فتراجع النّاس كلّ من الفريقين إلى معسكره وذهب شباب من النّاس إلى الماء ليستسقوا فمنعهم أهل الشّام وقد أجمعوا أن يمنعوا الماء

وروى نصر عن عبدالله بن عوف قال : فتسرعنا إلى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال: ائت معاوية فقل إنّا صرنا إليك مصيرنا هذا و أنا أكره قتالكم قبل الاعذار إليكم وأنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك و بدئتنا بالحرب و نحن من رأينا الكفّ حتّى ندعوك و نحتجّ عليك ، و هذه أخرى قد فعلتموها قد حلتم بين النّاس و بين الماء فخلّ بينهم و بينه حتّى ننظر فيما بينناوبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له ، وإن كان أحبّ اليك أن ندع ما جئنا له و ندع النّاس يقتتلون حتّى يكون الغالب هو الشّارب فعلنا

فلمّا مضى صعصعة برسالته إلى معاوية قال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ فقال الوليد بن عقبة : أمنعهم الماء كما منعوه ابن عفان ، حصروه اربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام ، اقتلهم عطشاقتلهم الله ، وقال عمرو بن العاص : خلّ بين القوم و بين

١ــ النفش كثرة الكلام والدعاوى.

٢ــ اى من تلطخ فيه بعيب من فراراو نكول عن العد و يقال نطف فلان بالكسر اذا تدنس بعيب و نطف ايضا افسد يقول من افسدت اذا حاله اليوم فى هذا الحرب فسدت حاله عندالله، شرح معتزلى .

الماء فانهم لن يعطشوا وأنت ريّان ، ولكن لغير الماء ، فانظر فيما بينك وبينهم فأعاد الوليد مقالته .

وقال عبدالله بن سعيد بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة امنعهم الماء إلى الليل فانّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم ، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة

فقال صعصعة انّما يمنع الماء يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية : كفّوا عن الرّجل فانّما هو رسول

قال عبدالله بن عوف : إنّ صعصعة لمّا رجع إلينا حدّثنا بماقال معاوية وما كان منه و ما ردّه عليه ، قلنا : وما الذي ردّه عليك ؟ قال : لمّا أردت الانصراف من عنده قلت ماتردّ عليّ قال سيأتيكم رأيي ، قال : فوالله ماراعنا إلاّ تسوية الرّجال والصّفوف والخيل فأرسل إلى أبي الأعور امنعهم الماء فلزدلفنا والله إليهم فارتمينا واطعنا بالرّماح واضطربنا بالسّيوف ، فقال : ذلك بيننا وبينهم حتّى صار الماء بأيدينا فقلنا : لاوالله لا نسقيهم فأرسل عليّ عليه السلام أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى معسكركم وخلّوا بينهم وبين الماء فانّ الله قد نصركم عليهم ببغيهم وظلمهم

وقال نصر : قال عمرو بن العاص: خلّ بينهم و بين الماء فانّ عليّاً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتّى يشرب أو يموت و أنت تعلم أنّه الشّجاع المطرق ، وقد سمعته أنا وأنت مراراً وهو يقول لو أنّ معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة و يقول لو استمسكت من أربعين رجلاً يعني من أمر الأوّل .

قال : ولمّا غلب أهل الشّام على الفرات فرجعوا بالغلبة وقال معاوية : يا أهل الشّام هذا والله أوّل الظفر لا سقاني الله و لا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتّى يقتلوا بأجمعهم وتباشر أهل الشّام

فقام إلى معاوية رجل من أهل الشّام همداني ناسك يتألّه ويكثر العبادة يقال

له المعرى بن الاقبل ؛ و كان صديقاً لعمرو بن العاص مواجا لـه ، فقال : يا معاوية سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء أما والله لوسبقوكم إليه لسقوكم منه أليس أعظم ماتنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلون على فرضة (١) اخرى فيجازونكم بماصنعتم ، أما تعلمون أنّ فيهم العبد والامة والاجير والضّعيف ومن لا ذنب له ، هذا والله أوّل الجهل (الجور) فأغلظه معاوية وقال لعمرو : اكفني صديقك فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمدانى في ذلك شعراً

لعمر وابي معاوية بن حرب — و عمر و ما لدائهما دواء
سوى طعن يحار العقل فيه — و ضرب حين يختلط الدّماء
و لست بتابع دين ابن هند — طوال الدهر يا ارسي حراء
لقد وهب العتاب فلا عتاب — و قد ذهب الولاء فلا و لاء
وقولي في حوادث كلّ حرب — على عمرو و صاحبه العفاء
ألا لله درّك يا ابن هند — لقد برح الخفاء فلا خفاء
أتحمون الفرات على رجال — و في أيديهم الأسل الظماء
و فى الأعناق أسياف حداد — كأنّ القوم عند هم نساء
أترجو أن يجاوركم عليّ — بلا ماء و للأحزاب ماء
دعا هم دعوة فأجاب قوم — كجرب الابل خالطها الهناء

قال ثمّ سار الهمداني في سواد الليل حتّى لحق بعلي عليه السلام ومكث أصحاب عليّ يوما وليلة بغير ماء واغتمّ عليه السلام بمافيه أهل العراق من العطش

وفي رواية سهل بن حنيف المروية في المجلّد التّاسع من البحار أنّه لمّا أخذ معاوية مورد الفرات أمر أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر أن يقول لمن على جانب الفرات : يقول لكم عليّ : اعدلوا عن الماء ، فلما قال ذلك : عدلوا عنه فورد قوم أمير المؤمنين عليه السلام الماء فأخذوا منه ، فبلغ ذلك معاوية فأحضرهم وقال لهم في ذلك فقالوا : إنّ عمرو بن العاص جاء وقال : إنّ معاوية يأمركم أن تفرجوا عن الماء

١ـ الفرضة بالضم ثلمة من النهر يستقى منها

فقال معاوية لعمرو : إنك لتأتي أمراً ثمّ تقول ما فعلته

فلمّا كان من غد وكل معاوية حجل بن عتاب النخعي في خمسة آلاف فأنفذ أمير المؤمنين مالكا فنادى مثل الأوّل فمال حجل عن الشريعة فورد أصحاب عليّ و أخذوا منه ، فبلغ ذلك معاوية فأحضر حجلا وقال له في ذلك ،فقال: إنّ ابنك يزيد أتاني فقال : إنّك أمرت بالتنحّي عنه، فقال ليزيد في ذلك فأنكر ، فقال معاوية : فاذا كان غدا فلا تقبل من أحد ولو أتيتك حتّى تأخذ خاتمي

فلمّا كان اليوم الثالث أمر أمير المؤمنين عليه السلام لمالك مثل ذلك فرأى حجل معاوية وأخذ منه خاتمه وانصرف عن الماء وبلغ معاوية فدعا وقال له في ذلك فأراه خاتمه فضرب معاوية يده على يده فقال : نعم وان هذا من دواهي عليّ ، رجعنا إلى رواية نصر بن مزاحم

قال : فاتى الأشعث عليّا فقال يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا ؟ خلّ عنّا و عن القوم فوالله لا نرجع حتّى نردّه أو نموت ومرّ الأشتر يعلو بخيله ويقف حيث يأمره عليّ عليه السلام فقال عليّ : ذلك إليكم فرجع الأشعث فنادى في الناس من يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فانّي ناهض فأتاه إثنى عشر ألفاً من كندة وأفناء قحطان واضعي سيوفهم على عواتقهم

فشدّ عليه سلاحه و نهض بهم حتّى كاد يخالط أهل الشام وجعل يلقي رمحه ويقول لأصحابه : بأبي أنتم وأمي تقدّموا إليهم قاب رمحي هذا فلم يزل ذلك دأبه حتّى خلط القوم وحسر عن رأسه ونادى أنا الأشعث بن قيس خلّوا عن الماء فنادى أبو الأعور أما حتّى لا يأخذنا و إيّاكم السيوف فلا ، فقال الأشعث قد والله أظنّها دنت منّا ومنكم ، وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره عليّ فبعث إليه الاشعث أقحم الخيل ، فأقحمها حتّى وضعت بسنابكها في الفرات و أخذت أهل الشام السيوف فولّوا مدبرين .

قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر و زيد بن الحسن قالا:

فنادى الأشعث (١) عمرو بن العاص فقال: ويحك يابن العاص خلّ بيننا و بين الماء فوالله لئن لم تفعل لتاخذنا و إيّاكم السّيوف: فقال عمرو: والله لا نخلّي عنه حتّى تأخذنا السّيوف و إيّاكم فيعلم ربّنا سبحانه ايّنا أصبر اليوم، فترجّل الأشعث و الأشتر و ذووا البصاير من أصحاب عليّ و ترجّل معهما اثنى عشر ألفاً فحملوا على عمرو وأبي الأعور ومن معهما من أهل الشّام، فأزالوهم عن الماء حتّى غمست خيل عليّ عليه السلام سنابكها في الماء

قال نصر: فروى عمر بن سعيد أنّ عليّاً قال ذلك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحميّة.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن « شمر عن ظ»جابر قال: خطب عليّ يوم الماء فقال: أمّا بعدفانّ القوم قدبدؤكم بالظلم إلى آخرما رويناه سابقا

قال نصر: وحدّثنا عمر بن شمرعن جابرعن الشّعبي عن الحرث بن أدهم وعن صعصعة قال أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشّام حتّى كشفهم عن الماء و كان لوآء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحرث، فقال الأشعث: لله أبوك ليست النّخع بخير من كندة قدّم لواءك فانّ الحظّ لمن سبق، فتقدّم لواء الأشعث وحملت الرّجال بعضها على بعض فما زالوا كذلك حتّى انكشف أهل الشّام عن الماء، وملك أهل العراق المشرعة هذا

و في رواية أبي مخنف عن عبدالله بن قيس قال قال أمير المؤمنين يوم صفّين وقد أخذ أبوالأعور السّلمي الماء على النّاس و لم يقدر عليه أحد فبعث إليه الحسين عليه السلام في خمسمأة فارس فكشفه عن الماء، فلمّا رأى ذلك أمير المؤمنين قال: ولدي هذا يقتل بكربلا عطشانا و ينفرّ فرسه ويحمحم ويقول في حمحمته: الظليمة الظليمة من امّة قتلت ابن بنت نبيّها وهم يقرؤون القرآن الذي جاء به اليهم ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنشأ يقول:

١- و فى روضة الصفا لما اخبر معاوية بضعف ابى الاعور و انحيازه بعث عمرو بن العاص وضمّ اليه ثلاثة الاف ليكونوا مددا لابى الاعور وعونا، منه

أرى الحسين قتيلا قبل مصرعه علماً يقيناً بأن يبلى بأشرار
وكلّ ذي نفس أو غير ذي نفس يجرى إلى أجل يأتى باقدار

قال وقال عمرو بن العاص لمعاوية لمّا ملك أهل العراق الماء : ما ظنّك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السّورة؛ فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنّك بعليّ بن أبيطالب ؟ قال ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه وإنّ الذي جاء له غير الماء

قال نصر : فقال أصحاب عليّ له : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، فقال : لا ، خلّوا بينهم و بينه لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فان أجابوا وإلاّ ففى حدّ السّيف ما يغني إنشاءالله

قال : فوالله ما أمسى النّاس حتّى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشّام وردوا يا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنسانا

الترجمة

ازجمله كلام آن امام انامست كه فرموده درحينى كه غالب شدند أصحاب معاويه برشريعهٔ فرات در صفّين و منع نمودند اصحاب آن حضرت را از آب : بتحقيق كه اصحاب معاوية طلب مى كنند از شما آنكه طعام بدهيد بر ايشان قتالرا پس قرار بدهيد ياالقرار نمائيد برخوارى ومذلت وبر باز پس انداختن منزلت ومرتبت ياسيراب سازيد شمشيرهاى خودرا از خونهاى آنجماعت باغي تا سيراب شويد از آب صاف جارى پس مرك درزندگانى شما است در حالتى كه مقهور ومغلوب هستيد وزندگانى در مرك شما است ، درحالتى كه غالب وقاهر باشيد ، بدانيد وآگاه شويد كه معاويه بدبنياد كشيده دست بحرب جماعت اندك را ازصاحبان ضلالت و عناد و پوشانيده است برايشان خبر را تا آنكه گردانيده است گلوهاى ايشان را نشانيهاى سهام موت از طعن وضرب وساير أسباب فوت .

و من خطبة له ﷺ وهی الثانیةو الخمسون من المختار فی باب الخطب

وهی ملتقطة من خطبة طويلة خطب بها يوم النّحر رواها الصّدوق مرسلة في كتاب من لايحضره الفقيه على ماستطلع عليه و شرح ما أورده السّيد في الكتاب في ضمن فصلين :

الفصل الاول

أَلاَ وَإِنَّ الدُّنيا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضاءٍ وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُها وَأَدْبَرَتْ حَذّاءَ فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنآءِ سُكّانَها ، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جيرانَها، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْها ما كانَ حُلْواً ، وَكَدِرَ مِنْها ما كانَ صَفْواً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِداوَةِ ، أَوْجُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ لَوْ تَمَزَّزَهَاالصَّدْيانُ لَمْ يَنْقَعْ ، فَأَزْمِعُوا عِبادَ اللهِ الرَّحيلَ عَنْ هٰذِهِ الدّارِ الْمَقْدُورِ عَلىٰ أَهْلِهَا الزَّوالُ ، وَلاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فيهَا الْأَمَلُ ، وَلاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ ، فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنينَ الْوُلَّهِ الْعِجالِ ، وَدَعَوْتُمْ بِهَديلِ الْحَمامِ ، وَجَأَرْتُمْ جُؤارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ ، إلْتِماسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ في ارْتِفاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْها كُتُبُهُ ، وَحَفِظَها رُسُلُهُ ، لَكانَ قَليلاً فيما أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوابِهِ ، وَأَخافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقابِهِ ، وَتَاللهِ لَوِانْماثَتْ قُلُوبُكُمْ إِنْمِياثاً ، وَسالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنيا مَاالدُّنيا باقِيَةٌ ، ما جَزَتْ

أعمالكُم، وَ لَوْ لَمْ تُبقوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ أَنعُمَهُ عَلَيكُمُ العِظامَ، وَ هُداهُ إِيّاكُمْ لِلإيمانِ.

اللغة

(تصرّمت) انقطعت و فنيت و (آذنت) بالمدّ أعلمت و (تنكّر) جهل و (الحذاء) السّريعة الذّهاب و روى جذّاء بالجيم وهى منقطعة النّفع والخير و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه، و بالرمح طعنه، و عن الأمر أعجله و أزعجه، و حفز الليل النّهار ساقه و (أمرّ) الشّيء صار مرّاً و (كدر) الماء كدرا من باب تعب زال صفائه و كدر كدورة من باب صعب.

و (السملة) بالفتحات البقيّة من الماء يبقى في الاناء و (الاداوة) بالكسر المطهرة و (المقلة) بفتح الميم و سكون القاف حصاة للقسم يقسم بها الماء عند قلّته في المفاوز و في السّفر تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى كلّ واحد منهم و (التّمزّز) تمصّص الشّراب قليلا قليلا و (الصّديان) كعطشان لفظاً و معنى و (نقع) ينقع أي سكن عطشه و (ازمعت) الأمر أى أجمعت و عزمت على فعله و (المقدور) المقدّر الذى لابدّ منه و (الأمد) بالتّحريك الغاية و (الحنين) مصدر بمعنى الشوق واصله ترجيع النّاقة صوتها أثر ولدها.

و (الوله) جمع واله من الوله و هو ذهاب العقل و فقد التّميز و (العجال) جمع عجول وهى النّاقة التي تفقد أولادها و (هديل الحمام) نوحها و (جار) يجار من باب منع جاراً و جؤاراً بالضّم رفع صوته وتضرّع و استغاث و (التّبتّل) الانقطاع إلى الله باخلاص النّيّة و (انماث) القلب ذاب و (الجهد) بالضّم والفتح الطاقة و (الأنعم) كأفلس جمع النّعمة.

الاعراب

حذّاء منصوب على الحال، والرّحيل منصوب على المفعوليّة، و قوله التماس منصوب على المفعول له، و لكان قليلا جواب لوحننتم، وما في قولهاما الدّنيا باقية ظرفيّة أى مدة بقائه، و جملة ولو لم تبقوا اه معترضة بين الفعل و هوجزت و مفعوله الذى هو أنعمه و العظام صفة الانعم، و هداه بالنّصب المحلّي عطف على أنعمه.

المعنى

اعلم انّ مدار هذا الفصل من الخطبة على فصول ثلاثة.

الفصل الاول

متضمّن للتّنفير عن الدّنيا والتّحذير منها والنّهي عن عقد القلب عليها والأمر بالرّحيل عنها، و إليه أشار بقوله (ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت) اى انقطعت (و آذنت بانقضاء) قد مضى في شرح الخطبة الثّامنة والعشرين والخطبة الثّانية والأربعين ما يوضح معنى هذه الفقرة من كلامه عليه السلام، فان رجعت إلى ما ذكرناه هناك تعرف أنّ مراده عليه السلام من تصرّم الدّنيا و انقطاعها هو تقضى أحوالها الحاضرة شيئاً فشيئاً وأنّ المراد من إعلامها بالانقضاء هو الاعلام بلسان الحال على ما مرّ تفصيلا.

(و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء) وهى اشارة إلى تغيّرها و تبدّلها وسرعة انقضائها و أدبارها حتّى أنّ ما كان منها معروفا لك يصير في زمان يسير مجهولا عندك و ادنى ما هو شاهد على ذلك هو حالة شبابك الذي كنت انس إليه متبهجا به كيف طرء عليها المشيب في زمان قليل:

فولّى الشّباب كأن لم يكن ... و حلّ المشيب كأن لم يزل
كأنّ المشيب كصبح بدا ... و أمّا الشّباب كبدر أفل

(فهى تحفز بالفناء سكّانها) اى تعجلهم و تسوقهم أو تطعنهم برماح الفناء و تدفعهم من خلفهم حتّى توقعهم في حفرتهم (و تحدو بالموت جيرانها) حتّى توصلهم إلى دار غربتهم، أفلا ترى إلى السّلف الماضين والأهلين والأقربين كيف توالت عليهم السّنون وطحنتهم المنون وفقدتهم العيون، أولا ترى إلى الملوك والفراعنة والأكاسرة والسّياسنة كيف انتقلوا عن القصور و ربات الخدور إلى ضيق القبور.

باتوا على قلل الجبال تحرسهم ... غلب الرّجال فلم ينفعهم القلل
و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتّيجان والحلل
أين الوجوه الّتي كانت محجّبة ... من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليهاالدّود تنتقل
قدطال ما أكلوا فيها وهم شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا
وطال ما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
و طال ما شيّدوا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدّور والأهلين وانتقلوا
أضحت مساكنهم وحشامعطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قدرحلوا
سل الخليفة إذ وافت منيّته ... أين الجنود و أين الخيل والخول
أين الكنوز التي كانت مفاتحها ... تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا
أين العبيد التي أرصدتهم عدداً ... أين الحديد وأين البيض والأسل
أين الفوارس والغلمان ماصنعوا ... أين الصّوارم و الخطّية الذبل
أين الكفاة ألم يكفوا خليفتهم ... لمّا رأوه صريعاً وهو يبتهل
أين الكماة التي ماجوا لماغضبوا ... أين الحماة التي تحمى به الدول
أين الرّماة ألم تمنع بأسهمهم ... لمّا أتتك سهام الموت تنتصل
هيهات مامنعوا ضيماً ولادفعوا ... عنك المنيّة إذوافى بك الأجل
ولا الرّشا دفعتها عنك لوبذلوا ... ولا الرّقى نفعت فيها ولا الحيل
ما ساعدوك ولا واساك أقربهم ... بل سلّموك لها يا قبح مافعلوا(١)

(وقد أمرّ منها ما كان حلواً و كدر منها ما كان صفواً) و ذلك مشاهد بالوجدان ومرئي بالعيان، إذ الأمور التي تقع لذيذة فيها ويجدها الانسان في بعض الأحيان حلوة صافية عن الكدورات خالية عن مرارة التّنغيص هي في معرض التّغير والتّبدّل بالمرارة والكدر ، فما من أحد تخاطبه بما ذكر إلاّ و يصدق عليه أنّه قدعرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوتها كدراً و حلاوتها مرارة إمّا من شباب تبدّل بمشيب أو غنى بفقر أو عزّ بذلّ أو صحّة بمرض.

(فلم يبق منها إلاّ سملة كسملة الاداوة أو جرعة كجرعة المقلة لو تمزّزها الصّديان) و تمصّصها العطشان لم يرو و (لم ينقع) قال الشّارح البحراني : هذا

١- الابيات مقتبسة من الديوان المنسوب الى اميرالمؤمنين (ع)منه.

تقليل و تحقير لما بقي منها لكلّ شخص شخص من النّاس ، فانّ بقاء ماله على حسب بقائه فيها و بقاء كلّ شخص فيها يسير و وقته قصير ، و استعار لفظ السّملة لبقيتها و شبهها ببقيّة الماء في الاداوة و بجرعة المقلة ، و وجه الشّبه ما أشار إليه بقوله: لو تمزّزها الصّديان لم ينقع ، أى كما أنّ العطشان الواجد لبقيّة الماء في الاداوة أو الجرعة لو تمصّصها لم ينقع عطشه، كذلك طالب الدّنيا المتعطش إليها الواجد لبقيّة عمره و لليسير من الاستمتاع فيه بلذّات الدّنيا لا يشفى ذلك غليله ولا يسكن عطشه.

ثمّ أنّه بعد التّنبيه على تحقير الدّنيا و التّنفير عنها أمر بالرّحيل عنها بقوله (فازمعوا عباد الله الرّحيل عن هذه الدّار المقدور على أهلها الزوال) يعنى إذا كانت الدّنيا بهذه المثابة من الدّنائة والحقارة معقبة صفوها للكدورة متغيّرة حلاوتها إلى المرارة فلابدّ لكم من العزم على الرّحيل عنها بقطع العلايق الدّنيوية عن القلب والاقبال إلى الله والرغبة إلى رضوان الله مع ماقدّر في حقّ أهلها من الزّوال و كتب لسكانها من الرّحيل والانتقال ، أفلا تنظر إلى الأمم الماضية والقرون الفانية و إلى من عاشرتهم من صنوف النّاس و شيّعتهم إلى الارماس كيف اخترمتهم أيدى المنون من قرون بعد قرون ، أولا تعتبر ممّن مضى من أسلافك ومن وارته الأرض من الآفك ، و من فجعت به من اخوانك و نقلت إلى دار البلا من أقرانك.

فهم في بطون الارض بعد ظهورها — محاسنهم فيها بوال دواثر
خلت دورهم منهم واقوت عراصهم — و ساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدّنيا وماجمعوا لها — وضمّتهم تحت التّراب الحفاير

(و) بعد ما اعتبرت بما رأيته من الأهلين والاخوان ، و ادّكرت بماشاهدته من الامثال والأقران فالبتة (لايغلبنكم فيها الأمل ولا يطولنّ عليكم) فيها (الأمد) أى لاتتوهّم طول مدة البقاء فيها مع ما شاهدت من قصر مدّتها و قرب زوالها.

والفصل الثاني

متضمّن للتّنبيه على عظيم ثواب الله و عقابه ، فانّه بعد مانبّه على تحقير الدّنيا والتّحذير عنها و أمر بالعزم على الجدّ والارتحال أشار إلى ما ينبغى أن يهتمّ به

و يلتفت إليه و يرجي و يخشى من ثواب الله و عقابه فأشار إلى تعظيمها بتحقير الأسباب والوسايل التي يتوصّل بها العباد ، و يعتمدون عليها في الفوز إلى الثّواب والهرب من العقاب .

و قال (فوالله لو حننتم) إلى الله مثل (حنين الوله العجال) شوقا و رغبة (و دعوتم) له تعالى (بهديل) مثل هديل (الحمام) استيحاشا و وحشة (وجأرتم) إليه سبحانه بمثل (جؤار متبتّلي الرّهبان (١)) خوفا و خشية (و خرجتم إلى الله من الأموال والأولاد) و تركتم الأوطان و البلاد و فعلتم كل ذلك (لالتماس القربة إلى الله) و تمينا الوصول إلى رضوان الله (في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه و حفظها رسله) الكرام البررة (لكان) ذلك كلّه (قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه.)

و محصّله على ما ذكره البحراني هو أنكم لو أتيتم بجميع أسباب التّقرّب إلى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التّقرّب إليه فى أن يرفع لكم عنده درجة أو يغفر لكم سيّئة أحصتها كتبه والوجه المحفوظة لكان الذي أرجوه من ثوابه للمتقرّب إليه في أن يرفع منزلته من حضرة قدسه أكثر ممّا يتصوّره المتقرّب أنّه يصل إليه بتقرّبه ، و لكان الذى أخافه من عقابه على المتقرّب في غفران سيّئة عنده أكثر من العقاب الذي يتوهّم أنّه يدفعه عن نفسه بتقرّبه.

فينبغي لطالب الزّيادة في المنزلة عندالله أن يخلص بكليّته في التقرّب إليه ليصل إلى ماهو أعظم ممّا يتوهّم أنّه يصل إليه من المنزلة عنده ، و ينبغى للهارب من ذنبه إلى الله أن يخلص من هول ما هو أعظم ممايتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته ، فانّ الأمر فى معرفة ما أعدّالله لعباده الصالحين من الثواب العظيم و ما أعدّه لأعدائه الظالمين من العقاب الأليم أجلّ ممّا يتصوّره عقول البشر مادامت في عالم الغربة ، و إن كان عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة ، و لمّا كانت نفسه القدسيّة أشرف نفوس الخلق لاجرم نسب الثّواب المرجوّ لهم والعقاب المخوف عليهم إلى رجائه و خوفه (٢) و ذلك لقوّة اطلاعه من ذلك على مالم يطلعوا عليه.

١ـ والتشبيه بهم لشهرتهم بشدّة التضرّع «منه» .
٢ـ حيث قال أرجو وأخاف، منه .

والفصل الثالث

متضمّن للتّنبيه على عظيم نعمة الله على العباد و إليه أشار بقوله (و تالله لو انماثت قلوبكم انمياثا و سالت عيونكم في رغبة إليه) سبحانه (أو رهبة منه دماً ثمّ عمّرتم في الدّنيا ما الدّنيا باقية ما جزت أعمالكم) التي أتيتموها و بذلتم فيها جهدكم وسعيكم (و لولم تبقوا شيئا من جهدكم أنعمه) التي أنعم بها (عليكم) من نعمه (العظام و هداه اياكم للايمان).

يعني أنّ كلّ ما أتيتم به من الأعمال التي بذلتم جهدكم فيها في طاعة الله و ما عساه يمكنكم أن تأتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام ولا سيّما نعمة الهداية التي هي أشرف الآلاء و أفضل النّعماء ، مع أنّ القيام بوظايف العبوديّة ليس إلاّ بتوفيق منه سبحانه و تأييد منه ، و ذلك من جملة نعمه أيضاً فكيف يجازى نعمته و نعم ما قيل:

شكر الاله نعمة موجبة لشكره　　　و كيف شكري برّه و شكره من برّه

الترجمة

از جمله خطب لطيفه و شريفهٔ آنحضرتست در بيان تحقير دنياى فانى و ترغيب به عقباى جاودانى ميفرمايد :

آگاه باشيد كه بدرستى دنيا روى آورده بانقطاع و فنا و اعلام كرده است به زوال و انقضاء و مجهول شده است معروف آن بجهت اينكه باندك فرصتى و كمتر مدتى تغيير و تبديل مي‌يابد لذايذ آن بر ضدّ آن ، و پشت كرده و ادبار نموده در حالتيكه سرعت كننده و شتابنده است ، پس آن ميراند بنيزهٔ فنا ساكنان خود را و ميراند بسوى مرك همسايگان خودرا ، وبه تحقيق كه تلخ گشت ازدنيا آنچه بود شيرين و با كدورت و ناصاف شداز آن آنچه بود صاف و گزين ، پس باقى نمانده است از دنيا مگر بقيهٔ مانند بقيهٔ آب در مطهره يا مقدار يك آشاميدن مثل مقدار يك آشاميدن كه بمقله اخذ نمايند در وقت قحط آبي كه اگر بمكد آن بقيه و جرعه را صاحب عطش فرو نه نشاند تشنگى او را پس عزم نمائيد اى بندكان خدا بر كوچ

نمودن از این سرای پر جفا که مقدّر شده است در حق اهل او زوال و فنا،و باید که غالب نشود شما را در این دنیا آرزوی نفس و هوا و باید که توهم ننمائیددراین سرا درازی مدت وطول بقا را.

پس قسم به خداوند که اگر ناله کنید شما مثل ناله کردن شتران حیران وسر گردان که گم نماینده باشند بچه‌کان خودشانرا ، و بخوانید خدا را بنوحهٔ حزین مثل نوحه نمودن کبوتران ، و تضرع نمائید بخداوند مانند تضرع نمودن زاهدان نصاری و بیرون آیید از أموال و اولاد بجهة خدا در بلند شدن درجه نزد او سبحانه و تعالی ، یا آمرزیدن گناهیکه شمرده باشد آن گناه را نامهٔ اعمال و ضبط نموده باشد او را فرشتکان حضرت ذوالجلال هر آینه باشد این جمله اندك در آنچه امید میدارم برای شما از ثواب دادن او و در آنچه می‌ترسم از برای شما از عقاب کردن او.

و سوگند به خدا که اگر گداخته شود قلبهای شما گداختنی از ترس الهی، و روان شود چشمهای شما بجهت رغبت ثواب او و از جهت ترس از عذاب او بخون های دمادم پس از آن عمر نمائید در دنیا مادامیکه دنیا باقیست جزا و مکافات نباشد عملهای شما که در این مدت به‌عمل آورده‌اید و اگرچه باقی نگذارید چیزی از سعی و طاقت خود بنعمت های عظیمهٔ او سبحانه ، که بشما انعام فرموده، و به هدایت و راهنمائی او بسوی ایمان که در حق شما مرعی داشته:

یعنی اگر تا انقراض دنیا مشغول عمل صالح شوید و دقیقهٔ فتور ننمائید برابری این نعم عظیمه که درحق شما التفات فرموده است نخواهد بود.

الفصل الثاني

منها في ذكر يوم النحر في صفة الأضحية و مِنْ تَمامِ الاُضْحِيَةِ اسْتِشْرافُ أُذُنِها ، وسَلامَةُ عَيْنِها ، فَإذا سَلِمَتِ الاُذُنُ وَ الْعَيْنُ سَلِمَتِ الاُضْحِيَةُ وَ تَمَّتْ ، وَلَوْ كانَتْ عَضْباءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَها إلَى الْمَنْسَكِ .

اللغة

(الاضحية) بضمّ الهمزة و كسرها اتباعا للحاء و الياء المخفّفة و الجمع أضاحى و يقال ضحية أيضاً والجمع ضحايا كعطية و عطايا وهي الشّاة التي تضحى بها أى تذبح بها ضحاة ، و منها سمّى يوم الاضحى للعاشر من ذي الحجة و(الاستشراف) الارتفاع والانتصاب يقال اذن شرفاء اى منتصبة و (العضباء) المكسور القرن و قيل القرن الدّاخل و (المنسك) محلّ النسك و هو العبادة والمراد به هنا المذبح ويجوز فيه فتح السّين و كسرها.

الاعراب

قوله ولو كانت ، شرطيّة وصليّة ، و جملة تجرّ في محلّ الرّفع على النّصب من اسم كان أو في محلّ النّصب على الحاليّة، وفي نسخة الفقيه على ما ستطلع عليه ولو كانت عضباء القرن أو تجرّ رجلها إلى المنسك فلاتجزى.

المعنى

اعلم أنّ الاضحية مستحبة مؤكدة إجماعا بل يمكن دعوى ضرورة مشروعيتها و قول الاسكافي بوجوبها شاذّ و يدلّ على شدّة الاستحباب مضافا إلى الاجماع أخبار كثيرة.

ففى الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله استفر هوا ضحاياكم فانّها مطاياكم على الصّراط.

و جائت أمّ سلمة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله صلّى الله عليه وآله يحضر الأضحى وليس عندي ثمن الاضحية فأستقرض فأُضحّي ؟ فقال : استقرضي و ضحّي فانّه دين مقضيّ و يغفر لصاحب الاضحية عند أوّل قطرة يقطر من دمها.

و من العلل عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قلت له : ما علّة الاضحية؟ فقال : إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تقطر من دمها في الأرض و ليعلم الله عزّ وجلّ من يتّقيه بالغيب قال الله عزّ وجلّ : لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها ، وَلا دِماؤُها وَ لٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوىٰ ثمّ قال: انظر كيف قبل الله قربان هابيل وردّ قربان قابيل .

و روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : ما من عمل يوم النّحر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من

إراقة دم و أنّها لتأتي يوم القيامة بقرونها و أظلافها ، و أنّ الدّم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع الارض فطيبوا بها نفساه.

و عنه صلّى الله عليه و آله أيضاً أن لكم بكلّ صوفة من جلدها حسنة ، و بكلّ قطرة من دمها حسنة ، و أنّها لتوضع في الميزان فابشروا.

إذا عرفت ذلك فأقول إنّ قوله (و من تمام الاضحية استشراف أذنها و سلامة عينها) أراد بذلك أن لايكون بعض أذنها أو جميعها مقطوعة و أن لايكون عوراء (فاذا سلمت الأذن) من النّقص (والعين) من العور (سلمت الاضحية و تمّت) أى أجزئت (و لوكانت عضباء القرن) و عرجاء (تجرّ رجلها إلى المنسك).

فروع الاول

قدعرفت أنّ الاضحية مستحبة عندنا و هل سلامة العين و الاذن شرط الاجزاء أوشرط الكمال ظاهر كلامه يعطى الأوّل، لأنّ قوله: إذاسلمت الاذن والعين سلمت الاضحية يدل بمفهومه على أنّه إذا لم تسلم الاذن والعين لم تسلم الاضحية، و معنى عدم سلامتها عدم كفايتها في الاتيان بالمستحب.

و هو المستفاد أيضاً ممّا رواه في الوسايل عن محمّد بن الحسن الصّفار باسناده عن شريح بن هاني عن عليّ صلوات الله عليه قال: أمرنا رسول الله صلّى الله عليه و آله في الأضاحي أن تستشرف العين والاذن و نهانا عن الخرقاء و الشّرقاء والمقابلة والمدابرة.

و عن الصّدوق في معانى الاخبار الخرقاء أن يكون في الاذن ثقب مستدير و الشرقاء المشقوقة الاذن باثنين حتّى ينفذ إلى الطرف و المقابلة أن يقطع في مقدم اذنها شيء ثمّ يترك ذلك معلقا لاثنين كأنه زنمة و يقال لمثل ذلك من الابل المزنم والمدابرة ان يفعل ذلك بمؤخر اذن الشّاة.

و في الوسايل أيضاً عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لايضحّى بالعرجاء البيّن عرجها ، ولا بالعوراء البيّن عورها ولا بالعجفاء ، ولا بالخرقاء ، ولا بالجدعاء ، ولا بالعضباء، هذا.

ولكن الأظهر هو أنهما شرطا الكمال فيكون المراد بالأمر والنهي في رواية شريح هو الاستحباب والكراهة دون الوجوب والحرمة ، وعلى الكراهة أيضاً يحمل قوله: لايضحّى بالعرجاء اه في الرواية الثانية.

و يدلّ على ما ذكرناه مارواه الحلبي قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الضحية تكون الاذن مشقوقة ، فقال : إن كان شقها و سما فلاباس و إن كان شقاً فلايصلح، فان لفظة لايصلح ظاهرة في نفى الكمال أو المراد بالاضحية في الروايتين هي الاضحية الواجبة المسماة بالهدى دون المستحبة ، و على ذلك فيبقى الامر والنهى والنفي على ظاهرها فيكون الشروط المذكورة شرطا للصحة.

و يدلّ عليه ما رواه الصدوق باسناده عن عليّ بن جعفر انه سأل أخاه موسى ابن جعفر عليه السلام عن الرجل يشترى الاضحية عوراء فلايعلم إلاّ بعد شرائها هل تجزى عنه ؟ قال : نعم إلاّ أن يكون هديا واجبا فانه لايجوز أن يكون ناقصا، هذا.

و لعلّ حمل الروايتين على الوجه الأخير أولى نظراً إلى فهم الأصحاب حيث إنّ بناء استدلالهم في الشروط الواجبة للهدى عليهما ولايتمّ إلاّ بعد صرف الاضحية فيهما إلى الهدى ، و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ سلامة العين والاذن في الاضحية شرط الكمال كماهوصريح رواية عليّ بن جعفر التي قدمرّت ، و قد نصّ به غير واحد من الأصحاب أيضاً ، وعليه فلابدّ أن يراد بقوله عليه السلام في الخطبة : و من تمام الاضحية اه كمالها فافهم جيّدا

الثاني

أنّ كسر القرن الخارج مع سلامة الداخل وهو الابيض الذي في وسط الخارج لابأس به في الهدي والاضحية جميعا، و أمّا كسر الداخل فان كان في الهدى فلا يجزي قطعا ، و أما في الاضحية فظاهر كلامه عليه السلام على ماروواه السيد (ره) يعطي الاجزاء ، و أمّا على رواية الصدوق الآتية فالعدم ،قال المحدّث الحرّ في الوسائل بعدنقله رواية الصدوق : و هو محمول على الاستحباب .

الثالث

أنّ المستفاد من كلامه هنا أيضاً إجزاء العرجاء و على ما رواه الصدوق فهى

أيضاً غير مجزية و يطابقه قوله : ولايضحّى بالعرجاء البيّن عرجها في رواية السكوني السالفة ، إلاّ أن يراد بها التّضحية بالواجب على ماذكرناه سابقا ، قال العلامة (ره) في محكيّ المنتهى العرجاء البيّن عرجها التى عرجها متفاحش يمنعها السّير مع الغنم ومشاركتهنّ في العلف والرّعى فتهزل.

تكملة استبصارية

روى الصّدوق هذه الخطبة في الفقيه مرسلة قال : و خطب عليه السلام أى أمير المؤمنين عليه السلام في عيد الأضحى فقال الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر الله أكبر و لله الحمد الله أكبر على ما هدانا وله الشّكر على ما «فيما» أولانا والحمد لله على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، و كان عليه السلام يبدء بالتّكبير إذا صلّى الظهر من يوم النّحر و كان يقطع التّكبير آخر أيام التشريق عند الغداة ، و كان يكبّر في دبر كلّ صلاة فيقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاالله والله أكبر الله أكبر و لله الحمد، فاذا انتهى إلى المصلّى تقدّم فصلّى بالنّاس بغير أذان و لاإقامة ، فاذا فرغ من الصّلاة صعد المنبر ثمّ بدء فقال :

الله أكبر الله أكبر زنة عرشه رضا نفسه و عدد قطر سمائه و بحاره له الأسماء الحسنى والحمد لله حتّى يرضى و هو العزيز الغفور ، الله أكبر كبيراً متكبراً و إلهاً متعززاً و رحيما متحنّنا يعفو بعد القدرة ولايقنط من رحمته إلاّ الضّالّون.

الله أكبر كبيراً ولا إله إلاّ الله كثيراً وسبحان الله حنّانا قديراً والحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ونستهديه و نشهد أن لا إله إلاّ هو و أنّ محمّداً عبده و رسوله ، من يطع الله و رسوله فقد اهتدى و فاز فوزاً عظيما ، و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا و خسر خسرانا مبينا.

اُوصيكم عباد الله بتقوى الله و كثرة ذكر الموت والزّهد في الدّنيا التي لم يتمتّع بها من كان فيها قبلكم ، ولن تبقى لأحد من بعدكم ، و سبيلكم فيها سبيل الماضين ألا ترون أنّها قد تصرّمت و آذنت بانقضاء وتنكّر معروفها وأدبرت حذّاء فهى تخبر «تحفز خ» بالفناء و ساكنها يحدي بالموت ، فقد أمرّ منها ما كان حلواً و كدر منها ما كان

صفواً فلم يبق منها إلا سملة كسملة الاداوة وجرعة كجرعة الاناء ولو يتمزّزها الصّديان لم تنقع غلّة بها.

فازمعوا عباد الله بالرّحيل من هذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال، الممنوع أهلها من الحياة المذللة أنفسهم بالموت، فلاحيّ يطمع بالبقاء، ولا نفس إلاّ مذعنة بالمنون، فلا يغلبنّكم الأمل، ولا يطل عليكم الأمد، ولا تغترّوا فيها بالآمال، وتعبّدوا الله أيّام الحياة.

فوالله لو حننتم حنين الواله العجلان، و دعوتم بمثل دعاء الأنام، و جأرتم جؤار متبتّلي الرّهبان، و خرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيّئة أحصتها كتبه و حفظتها رسله، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه و أتخوّف عليكم من أليم عقابه.

و بالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً، و سالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دماً، ثمّ عمّرتم في الدّنيا ما كانت الدّنيا باقية ما جزت أعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم لنعمه العظام عليكم، وهداه إيّاكم إلى الايمان ما كنتم لتستحقّوا أبد الدّهر ما الدّهر قائم بأعمالكم جنّته ولا رحمته ولكن برحمته ترحمون، و بهداه تهتدون، و بهما إلى جنّته تصيرون، جعلنا الله و إيّاكم برحمته من التّائبين العابدين.

و إنّ هذا يوم حرمته عظيمة و بركته مأمولة، والمغفرة فيه مرجوّة، فأكثروا ذكر الله واستغفروه و توبوا إليه إنّه هو التّواب الرّحيم، ومن ضحّى منكم بجذع من المعز فانّه لا يجزي عنه، والجذع من الضّأن يجزي، ومن تمام الاضحية استشراف عينها واذنها، وإذا سلمت العين والاذن تمّت الاُضحية، وان كانت عضباء القرن أو تجرّ برجلها إلى المنسك فلا تجزي.

و إذا ضحيتم فكلوا و أطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام و أقيموا الصّلاة، و آتوا الزكاة، و أحسنوا العبادة، و أقيموا الشّهادة، و ارغبوا فيما كتب عليكم و فرض الجهاد والحجّ والصّيام، فانّ ثواب ذلك عظيم لا ينفد، و تركه وبال لا يبيد، و أمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر، و اخيفوا

الظالم ، وانصروا المظلوم ، وخذوا على يد المريب واحسنوا إلى النساء وما ملكت أيمانكم ، واصدقوا الحديث ، وأدّوا الامانة وكونوا قوّامين بالحقّ ، ولاتغرنّكم الحياة الدّنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور

الترجمة

بعض ديگر از اين خطبه در ياد كردن عيد قربان در صفت گوسفند قربانى بيان ميفرمايد : كه از تمامى گوسفند قربانيست درازى گوش او وسلامتى چشم او پس هر گاه سلامت باشد گوش وچشم بسلامت باشد آن قربانى و بمرتبهٔ تماميت ميرسد ، وأگرچه باشد گوسفند شاخ شكسته و بكشد پاى خود را بسبب لنگى بسوى رفتن بموضع عبادت كه عبادتست از قربانگاه ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المآب .

و من خطبة له عليه السلام و هى الثالثة والخمسون من المختار فى باب الخطب

فَتَداكُّوا عَلَيَّ تَداكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِها قَدْ أَرْسَلَها راعيها وخُلِعَتْ مَثانيها ، حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قاتِلِيَّ ، أوْ بَعْضُهُمْ قاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وظَهْرَهُ ، حَتّى مَنَعَنِيَ النَّوْمَ فَما وَجَدْتُني يَسَعُني إلاّ قِتالُهُمْ أوِ الْجُحُودُ بِما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فَكانَتْ مُعالَجَةُ الْقِتالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعالَجَةِ الْعِقابِ ، ومَوْتاتُ الدُّنيا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتاتِ الْآخِرَةِ .

اللغة

(الدّك) هو الدّق والتّداك مأخوذ منه و (الهيم) بالكسر العطاش و (الورد)

الشرب وفي بعض النسخ يوم ورودها دهو حضورها لشرب الماء و (المثاني) جمع مثناة بالفتح والكسر وهي الحبال من صوف أو شعر يثنى و يعقل بها البعير و (قاتلي) على صيغة الجمع مضافة إلى ياء المتكلم ، و(وجدتنى) على صيغة المتكلم .

الاعراب

بعضهم بالنصب عطف على محل اسم ان والنوم منصوب بنزع الخافض، وجملة يسعني مفعول ثان ، وعلي في قوله اهون علي ، للاستعلاء المعنوى على حد قوله تعالى ولهم علي ذنب .

المعنى

قال الشارح البحراني : هذا الكلام إشارة إلى صفة أصحابه بصفين لما طال منعهم من قتال أهل الشام و في البحار أن كثيراً من الشواهد تدل على أنه لبيان حالة البيعة لا سيما ما كان في نسخة ابن أبي الحديد فانه ذكر العنوان : ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة

و كيف كان فقوله (فتداكوا على تداك الابل الهيم يوم وردها) كناية عن شدة ازدحامهم يعني أنهم اجتمعوا علي و تزاحموا مثل تزاحم الابل العطاش حين شرب الماء تدك بعضها بعضاً (قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها) اى اطلقها راعيها وخلع عقالها (حتى ظننت انهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي) لفرط ما شاهدت منهم من الزحام وشدة ما رأيت منهم من الاجتماع والتداك

(وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره) وصرت أتفكر في أمر القتال مع أهل الشام و أتردد بين الاقدام عليه وتركه، او المراد أمر الخلافة حسبما استظهره المحدث المجلسى (حتى منعنى) ذلك من (النوم) و الكرى (فما وجدتني يسعني إلا قتالهم) اى قتال معاوية وأصحابه على ما ذكره البحراني أو قتال الناكثين على ما ذكره المجلسي «قده» (اوالجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وقد مر وجه انحصار أمره في القتال والجحود في شرح كلامه الثالث والأربعين مفصلا

وقد ذكرناهناك أنه كان مأموراً من الله ومن رسوله بقتال الناكثين والقاسطين

والمارقين ، فكان أمره دائراً بين الجهاد والقتال امتثالا لحكم الله وحكم رسوله وبين الترك والمنابذة المستلزمين للجحود والمخالفة والعقاب في الآخرة (فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب) إذ سعادة الدّنيا وشقاوتها و نعمتها و نقمتها لا نسبة لها إلى سعادة الآخرة و شقوتها ، لأنّها فانية لا تبقى و تلك دائمة لا تزول (و موتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة) و المراد بموتات الدّنيا شدايدها و أهوالها و متاعبها بقرينة موتات الآخرة ، و يحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت وبالثّانية الشّدايد التي هى أشدّ من الموت

الترجمة

از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن حضرت است که اشاره است بحال اصحاب خود درصفین درحینی که ایشان را منع میفرمود ازقتال أهل شام بجهة اینکه حرص و شوق ایشان بجهاد بیشتر گردد بملاحظهٔ اینکه طبیعت انسان مجبولست بآنکه هرچند اورا ازامری منع نمایند شوق او درطلب او زیاد خواهد شدچنانکه گفته‌اند: أحبّ شيء إلى الانسان مامنعا ، ویا اشاره است بحال بیعت کندگان مراورا بعداز قتل عثمان که ازدحام داشتند در بیعت اومیفرماید :

پس کوفتند یکدیگررا برسر بیعت من چون کوفتن شتران تشنه یکدیگر را در روز وارد شدن ایشان بر آب در حالتی که واگذاشته باشد ایشانرا چرانندهٔ ایشان و برکنده شده باشد ریسمانهای زانوبند ایشان تا اینکه گمان کردم که ایشان کشندهٔ منند یابعض ایشان کشندهٔ بعض دیگرند نزد من

و بتحقیق که برگرداندم پشت وشکم اینکاررا حتّی اینکه بازداشت تفکر در آن مرا ازخواب ، پس نیافتم خودرا که وسعت داشته باشد بمن امری مگر کار زار نمودن با أهل شام یا باطلحه وزبیر واتباع ایشان ، ویا انکار نمودن بآنچه که آمده است با اوحضرت خاتم الأنبیا از جانب حقّ جلّ وعلا ، پس شد علاج جنك نمودن وکوشش نمودن در آن آسانتر نزد من ازعلاج کردن عقاب وعذاب ، ومرگهای دنیا آسانتر درنزد من ازمرگهای آخرت وسختیهای روزقیامت

ومن كلام له عليه السلام وهو الرابع والخمسون من المختار في باب الخطب

وقد استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفين

أَمّا قَوْلُكُمْ أَكُلُّ ذٰلِكَ كَراهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللهِ ما أُبالي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ، وَ أَمّا قَوْلُكُمْ شَكّاً في أَهْلِ الشّامِ فَوَاللهِ ما دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بي طائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بي وَ تَعْشُوَ إِلىٰ ضَوْئي وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَها عَلىٰ ضَلالِها وَإِنْ كانَتْ تَبُوءُ بِآثامِها.

اللغة

(عشى) إلى نار وإليها يعشو عشواً رآها ليلا من بعيد ببصر ضعيف فقصدها، ويقال لكلّ قاصد عاش، قال الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و (باء) باثمه رجع به قال سبحانه:

« إِنّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمي وَإِثْمِكَ »

اى ترجع إلى ربّك متلبّسا باثمي واثمك

الاعراب

كلّ ذلك في بعض النّسخ بالنّصب فيكون مفعولا لفعل محذوف، و كراهيّة منصوب على المفعول لاجله اى تفعل كلّ ذلك لأجل كراهيّة الموت، و في أكثر النّسخ كلّ مرفوع فيكون مبتدء محذوف الخبر تقديره أكلّ هذا مفعول او تفعله كراهية الموت، وجوز في الكراهية الرّفع أيضاً على قرائة كلّ بالرّفع على أنّه خبر منه و شكّا منصوب على أنّه مفعول له أيضاً و عامله محذوف أى إنّي اسامح فى القتال للشّكّ، اومنصوب على المصدريّة أى أشكّ شكّا

المعنى

اعلم أنّه قد روى أنّه لمّا ملك أمير المؤمنين الماء بصفّين وسمح بأهل الشّام في المشاركة والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه استمالة لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السّيرة فيهم ، مكث أيّاما لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه من عنده أحد ، قال له أهل العراق : يا أمير المؤمنين خلّفنا نسائنا و ذرارينا بالكوفة و جئنا إلى أطراف الشّام لنتّخذها وطناً ائذن لنا في القتال فانّ النّاس قد قالوا ، قال لهم : ما قالوا ؟ فقال منهم قائل : إنّ النّاس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية للموت وأنّ من النّاس من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشّام

فأجابهم عليه السلام بذلك و ردّ زعم الفرقة الأولى بقوله (أمّا قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما اُبالى أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلى) ضرورة أنّ العارف بالله بمعزل عن تقيّته الموت خصوصاً من بلغ الغاية في الكمالات النّفسانية والخصال القدسيّة

وردّ زعم الفرقة الثّانية بقوله (و أمّا قولكم شكّاً في أهل الشّام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة) منهم (فتهتدي بي و تعشو إلى ضوئي) و تستضيئوا بي و فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشّام فهم في الاهتداء بهداه كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النّار في الليل

ولمّا كان المقصود بالذات للأنبياء والأولياء هو اهتداء الخلق بهم والاكتساب من كمالاتهم و الاستضائة بأنوارهم ، و كان تحصيل ذلك المقصود باللّطف و الرّفق أولى من القتل و القتال ، لا جرم حسن انتظاره بالحرب ومدافعتها يوما فيوما طمعاً لأن يلحق به منهم من يجذب العناية الالهيّة بذهنه ويجرّه نور التّوفيق الأزلي إلى مدارج الكمال واليقين وسلوك طريق الحقّ المبين

و لأجل ذلك رتّب عليه قوله (وذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها وان كانت) الطائفة الضّالّة (تبوء) إلى ربّها (بآثامها)

إِذْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

الترجمة

ازجمله كلام آن عاليمقام است درحالتى كه دير شمردنداصحاب او رخصت واذن دادن اوايشان را درجنك صفين كه فرمود :

امّا گفتار شماكه آيا اينهمه تعلّل وتأخير ومنع ازقتال بجهة مكروه داشتن مرگست و فنا پس قسم بخداوند كه هيچ باك ندارم كه داخل شوم بسوى مرك يا خارج شود مرك بسوى من ، وأمّا گفتارشماكه اين تاخير ومسامحه بجهة شك من است درقتال أهل شام پس بحقّ خدا كه دفع نكردم حربرا يكروز مگر بملاحظه طمعى كه دارم در اينكه لاحق شود بمن طايفه پس هدايت يابند بجهة اقتداء بمن وبنگرند بچشم ضعيف بسوى روشنى راه من ، واين محبوب تراست نزد من از آنكه بكشم آن گروه را بگمراهى ايشان واگرچه باشند كه بازميگردند بگناهان خود در آن جهان .

و من كلام له عليه السلام وهو الخامس والخمسون من المختار فى باب الخطب

و قد قاله في قصّة ابن الحضرمي بعد إصابة محمّد بن أبي بكر بمصر حسبما تطلع عليه لا في يوم صفّين على ما زعمه الشّارح البحرانى

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله نَقْتُلُ آبَائَنَا وَأَبْنَائَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً ، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي

صاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ ، فَمَرَّةً لنا مِنْ عَدُوِّنا وَمَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنّا ، فَلَمّا رَأى اللّهُ صِدْقَنا أنزَلَ بِعَدُوِّنا الْكَبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلامُ مُلْقِياً جِرانَهُ ، وَمُتَبَوِّءً أَوْطانَهُ وَ لَعَمْري لَوْ كُنّا نَأْتي ما أَتَيْتُمْ ما قامَ لِلدّينِ عَمُودٌ ، وَلا اخْضَرَّ لِلْإيمانِ عُودٌ ، وَأَيْمُ اللّهِ لَتَحْتَلِبُنَّها دَماً، وَ لَتُتْبِعُنَّها نَدَماً .

اللغة

(لقم) الطريق بالتّحريك الجادّة الواضحة و (المضض) بفتح الأوّل والثاني أيضاً وجع الالم و (الصّولة) الحملة والتصاول مأخوذ منه وهوأن يحمل كلّ واحد من القرنين على صاحبه و (التخالس) التّسالب و (الكبت) الاذلال و (جران) البعير مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره و (تبوّأت) المنزل نزلته

الاعراب

جملة يتصاولان في محلّ النّصب على الخبريّة ، وايّهما يسقى بالرّفع مرفوع على الابتداء ، وجملة يسقى خبره و ايّ هذه استفهاميّة لايجوز كونها موصولة لفساد المعنى مضافا إلى أنّ الموجود في النّسخ رفعها ، ولو كانت موصولة لابدّ من انتصابها

قال نجم الأئمة الرّضيّ : يتبيّن الاستفهام من غيره في أيّ لكونه معربا تقول في الاستفهام علمت أيهم قام برفع أيّ ، وإذا كان موصولا قلت علمت أيّهم قام بنصبه وليس معنى الاستفهام هنا هواستفهام المتكلّم للزوم التّناقض لأنّ علمت المقدّم على أيّهم مفيد أنّ قائل هذا الكلام عارف بنسبة القيام إلى القائم المعيّن ، لأنّ العلم واقع على مضمون الجملة فلو كان أيّ لاستفهام المتكلّم لكان دالاّ على أنّه لايعرف انتساب القيام إليه ، لأنّ ايّهم قام استفهام عن مشكوك فيه هو انتساب القيام إلى معين ربّما يعرفه الشّاك بانّه زيد أوغيره ، فيكون المشكوك فيه اذن النّسبة و قد كان المعلوم هوتلك النّسبة و هو تناقض فنقول اذن أداة الاستفهام لمجرّد الاستفهام

لا لاستفهام المتكلّم و المعنى عرفت المشكوك فيه الذي يستفهم عنه و هو أنّ نسبة القيام إلى أىّ شخص هي

ثمّ قال: ثم اعلم أنّ جميع أدوات الاستفهام ترد على الوجه المذكور أى لمجرّد الاستفهام لا لاستفهام المتكلّم بعدكلّ فعل شكّ لا ترجيح فيه لأحدالجانبين على الآخر لتبيين المشكوك فيه نحو شككت أزيد في الدّار أم عمرو، و نسيت أو تردّدت أقوم أم أقعد، كماترد بعدكلّ فعل يفيد العلم كعلمت وتبيّنت ودريت وبعد كلّ فعل يطلب به العلم كفكرت وامتحنت وبلوت وسألت واستفهمت و جميع أفعال الحواس الخمس كلمستو أبصرت ونظرت واستمعت وشممت وذقت، تقول: تفكّرت أزيدياتيني أم عمرو، وقد يضمر الدّالّ على التفكّر كقوله تعالى:

« يَتَوارىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتُّرابِ ».

أى مفكّرا أيمسكه أم يدسّه وفي نهج البلاغة: يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون، أى مفكّرين أيّهما يسقى انتهى كلامه رفع مقامه

ومرّة، منصوب على الظرفيّة والعامل محذوف تقديره فمرّة تكون الدوالة لنا من عدوّنا ومرّة تكون له منّا، وملقيا ومتبوّء منصوبان على الحاليّة، و دماً و ندماً منصوبان على التّميز

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذاالكلام توبيخ أصحابه على التّثاقل عن الجهادوالتّقصير في الحرب، فمهّد قبل الاتيان بمقصوده مقدّمة تهييجاً لهم والهابا بالاشارة إلى حاله و حال ساير الصّحابة في الثّبات على الشّدايد و تحمّل المشاق في الحروب في زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله.

وذلك قوله: (ولقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله نقتل آبائنا وأبنائنا و اخواننا وأعمامنا) ابتغاء لمرضات الله (مايزيدنا ذلك إلاّ ايمانا) بالله (وتسليما) لقضاء الله

(و مضيّا على اللّقم) و الجادّة الوسطى (وصبراً على مضض الألم) و مرارة البلاء (وجدّا فى جهاد العدوّ) و الخصماء (ولقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما) مفكرين (أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون) و جرع الموت (فمرّة) كانت الدّوالة (لنا من عدوّنا و مرّة) أخرى كانت (لعدوّنا منّا فلمّا رأى الله صدقنا) وعلم استعدادنا وقابليّتنا بمشاهدة الصّبر والثبات الذي كان منّا (أنزل بعدوّنا الكبت) و الخذلان (و أنزل علينا النّصر) و التّأييد .

كما قال سبحانه : « يا أيّها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين و إن يكن منكم مأة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا فان يكن منكم مأة صابرة يغلبوا مأتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصّابرين »

(حتّى) انتظم أمر الدّين و (استقرّ الاسلام ملقيا جرانه) تشبيه الاسلام بالبعير استعارة بالكناية واثبات الجران تخييل وذكر الالقاء ترشيح وكذلك قوله (ومتبوّء أوطانه) استعار لفظ التبوّء ونسبه إلى الأوطان تشبيها له بمن كان من النّاس خائفا متزلزلا غير مستقرّ ثمّ اطمأنّ و استقرّ في وطنه ، و استعار لفظ الأوطان لقلوب المؤمنين وكنّى بتبوّء أوطانه عن استقراره فيها

ثمّ إنّه بعد ما مهّد المقدّمة التي أشرنا اليها رجع إلى ما هو مقصوده الأصلي من سوق الكلام ، و هو تنبيه الأصحاب على التّقصير والتّفريط فقال : (و لعمرى لو كنّا نأتى) مثل (ما أتيتم) يعنى لو قصرنا في بدو الاسلام كتقصيركم اليوم (ما قام للدّين عمود ولا اخضرّ للايمان عود)

الأوّل تشبيه للدّين بالبيت ذي العمود الذي قوائمه عليه ولولاه لانهدم وخرب و الثّاني تشبيه للايمان بالشّجرة ذات الفروع و الاغصان التي بهجتها و نضارتها بها (وأيم الله لتحتلبنّها دما) قال البحراني استعار لفظ حلب الدّم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد ، ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم في أفعالهم

بالنّاقة التي اصيب ضرعها ناقةمن تفريطصاحبهافيها ، والضّمير المؤنث يرجع في المعنى إلى أفعالهم ، وكذلك الضّمير في قوله : (ولتتبعنّهاندماً) فانّ ثمرة التّفريط النّدامة

تنبيه

زعم الشّارح البحراني أنّ هذا الكلام صدر منه يوم صفّين حين أقرّ النّاس بالصّلح وأنّه هوالذي قدّمنا ذكره في شرح الخطبة الخامسة و الثلاثين برواية نصر ابن مزاحم عند شرح كيفيّة التّحكيم ، ولكنّ الأظهر بملاحظة الاختلاف بين ما هنا وماسبق أنّه ليس بذلك ، والمستفاد من رواية الواقدي الآتية أنّه قال في قضيّة ابن الحضرمي .

وأصل تلك القضيّة على ما رواه ملخّصاً في البحار من كتاب الغارات لابراهيم ابن محمّد الثقفي هو أنّ معاوية لمّا أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر بعث عبدالله بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه و إلى الطلب بدم عثمان ، فلما أتاهم وقرء عليهم كتاب معاوية اختلفوا ، فبعضهم ردّوا وأكثرهم قبلوا وأطاعوا ،

و كان الأمير يومئذ بالبصرة زياد بن عبيد ، وقد استخلف عبدالله بن العبّاس و ذهب إلى عليّ ليعزيه عن محمّد بن أبي بكر فلمّا رأى زياد إقبال النّاس على ابن الحضرمي استجار من الأزد و نزل فيهم ، وكتب إلى ابن عبّاس و أخبره بماجرى ، فرفع ابن عبّاس ذلك إلى عليّ عليه السلام وشاع في النّاس بالكوفة ماكان من ذلك واختلف أصحابه عليه السلام فيمن يبعثه اليهم فقال عليه السلام :

تناهوا ايّها النّاس وليردعكم الاسلام ووقاره عن التباغي والتّهاوي ، ولتجتمع كلمتكم ، والزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره ، و كلمة الاخلاص التي هي قوام الدّين ، و حجّة الله على الكافرين ، واذكروا إذ كنتم قليلا مشركين متباغضين متفرّقين ، فألف بينكم بالاسلام ، فكثّرتم واجتمعتم وتحاببتم ، فلا تتفرّقوا بعد إذ اجتمعتم ، ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتم ، وإذا رأيتم النّاس وبينهم النّايرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بسيوفكم حتى يفرغوا إلى الله وكتابه وسنّة نبيه صلّى الله عليه وآله ، فأمّا تلك الحمية فانها من خطوات الشيطان فانتهوا عنها لا أبالكم

ثمّ قال : وقال ابن أبي الحديد : وروى الواقدي أنّ عليّاً استنفر بني تميم أيّاماً لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي و يردّ عاديةبني تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال :

أليس من العجب أن ينصرني الأزد و يخذلني مضر ، و أعجب من ذلك تقاعد بني تميم الكوفة بي وخلاف بني تميم البصرة وأن أستنجد بطائفة منهم ما يشخص إلى أحد منها فيدعوهم إلى الرّشاد فان أجابت وإلاّ فالمنابذة والحرب ، فكأنّي أُخاطب صمّاًبكماً لا يفقهون حوراً و لا يجيبون نداء ، كلّ ذلك حبّاً عن النّاس و حبّاً للحياة ، لقد كنّا مع رسول الله نقتل آبائنا إلى آخر ما مرّ في المتن

قال : فقام إليه أعين بن صبيعة المجاشعي فقال : أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب وأتكفّل لك بقتل ابن الحضرمي وإخراجه عن البصرة ، فأمره بالتّهيؤ للشخوص فشخص حتّى قدم البصرة

قال : قال الثّقفي في كتاب الغارات : فلمّا قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحّب بـه و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له عليّ وأنّه ليكلّمه إذ جائه كتاب من عليّ فيه :

من عبدالله أمير المؤمنين عليّ إلى زياد بن عبيد ، سلام عليك أمّا بعد فانّي قد بعثت أعين بن صبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي فارقب ما يكون منه فان فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نحبّ ، و إن ترامت الأمور بالقوم إلى الشّقاق و العصيان فانبذ من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم ، فان ظفرت فهو ما ظننت ، والاّ فطاولهم و ماطلهم فكان كتائب المسلمين قد أظلّت عليك ، فقتل الله الظالمين المفسدين ، ونصر المؤمنين المحقّين والسّلام

فلمّا قرأه زياد أقرئه أعين بن صبيعة فقال له : إنّي لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء الله ، ثمّ خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالاً من قومه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

يا قوم على ماذا تقتلون أنفسكم وتهريقون دمائكم على الباطل مع السّفهاء

والاشرار ، وإنّي والله ماجئتكم حتّى عبّيت إليكم الجنود ، فان تنيبوا إلى الحقّ نقبل منكم ونكفّ عنكم ، وإن أبيتم فهو والله استيصا لكم وبواركم

فقالوا بل نسمع ونطيع فقال : انهضوا اليوم على بركة الله ، فنهض بهم على جماعة ابن الحضرمي فخرجوا إليه فصافوه و وافقهم عامّة يومه يناشدهم الله و يقول : يا قوم لا تنكثوا بيعتكم و لا تخالفوا إمامكم و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فقد رأيتم وجرّبتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم ، فكفّوا عنه وهم في ذلك يشتمونه فانصرف عنهم وهو منهم منتصف

فلمّا آوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنهم خوارج فضربوه بأسيافهم وهو على فراشه لايظن انّ الذي كان يكون فخرج يشتدّ عريانا فألحقوه في الطريق فقتلوه

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ما وقع ، وكتب أني أرى أن تبعث إليهم جارية بن قدامة فانه نافذ البصيرة ، ومطاع في العشيرة ، شديد على عدوّ أمير المؤمنين

فلما قرء الكتاب دعا جارية فقال عليه السلام ، يابن قدامة تمنع الأزد عاملي و بيت مالي و تشاقّني مضروتنا بذني و بنا ابتدأها الله بالكرامة ، و عرفها الهدى و تدعو الى المعشر الذين حادّوا الله ورسوله و أرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتّى علت كلمته عليهم و أهلك الكافرين.

فروى إبراهيم باسناده عن كعب بن قعين قال : خرجت مع جارية من الكوفة في خمسين رجلا من بني تميم و ما كان فيهم يمانيّ غيري و كنت شديد التّشيّع فقلت لجارية إن شئت كنت معك و إن شئت ملت إلى قومي ، فقال ، بل سر معي فوالله لوددت أنّ الطير والبهايم تنصرني عليهم فضلا عن الانس ؛ فلما دخلنا البصرة بدء بزياد فرحّب به ، أجلسه إلى جانبه و ناجاه ساعة و سائله ، ثمّ خرج فقام في الأزد فقال : جزاكم الله من حيّ خير الجزاء ، ثمّ قرء عليهم و على غيرهم كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه :

من عبدالله أمير المؤمنين إلى من قرء عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم أمّا بعد فانّ الله حليم ذو اناة لايعجل بالعقوبة قبل البيّنة ،

ولايأخذ المذنب عند أوّل وهلة ، و لكنّه يقبل التّوبة ، و يستديم الاناة ، و يرضى بالانابة ليكون أعظم للحجّة و أبلغ في المعذرة.

وقد كان من شقاق جلّكم أيّها النّاس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ، فعفوت عن مجرمكم ، و رفعت السّيف عن مدبركم ، و قبلت من مقبلكم ، وأخذت بيعتكم ، فإن تفوا ببيعتي و تقبلوا نصيحتي و تستقيموا على طاعتي ، أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحقّ ، و اقم فيكم سبيل الرّشد ، فوالله ما أعلم أنّ والياً بعد محمّد عليه السلام أعلم بذلك منّي ولا أعلم ، أقول قولي هذا صادقا غير ذامّ لمن مضى ولا منتقصالأعمالهم و إن خطت بكم الأهواء المردية و سفه الرّأى الجائر إلى منا بذتي و تريدون خلافي فها أناذا قربت جيادي و رحلت ركابي.

و أيم الله لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلاّ كلعقة لاعق ، و إنّي لظانّ إنشاء الله أن لاتجعلوا على أنفسكم سبيلا ، وقد قدمت هذا الكتاب حجة عليكم ، و ليس أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتي ، ونابذتم رسولي حتّى أكون ، أنا الشّاخص نحوكم إنشاء الله والسّلام.

فلما قرء الكتاب على النّاس قام صبرة بن شقان فقال : سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، و لمن سالم سلم ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك ، و إن أحببت أن ننصرك نصرناك ، و قام وجوه النّاس فتكلّموا مثل ذلك فلم يأذن لأحد أن يصير معه ومضى نحو بني تميم وكلّمهم فلم يجيبوه ، وخرج منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه.

فسارت الأزد بزياد ، و خرج إليهم ابن الحضرمي فاقتتلوا ساعة واقتتل شريك ابن أعور الحارثي و كان من شيعة عليّ و صديقا لجارية ، فما لبث بنو تميم أن هزموهم و اضطروهم إلى دار سبيل السّعدي ، فحصروا ابن الحضرمي فيها ، و أحاط جارية و زياد بالدّار ، و قال جارية عليّ بالنّار ، فقالت الأزد : لسنا من الحريق

في شيء وهم قومك و أنت أعلم ، فحرق جارية الدّار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا أحدهم عبد الرحمن بن عثمان القرشي ، و سارت الأزد بزياد حتّى أو طئوا قصر الامارة ، و معه بيت المال و قالت له : هل بقى علينا من جوارك شيء ؟ قال:لا، فانصرفوا عنه

و كتب زياد إلى أمير المؤمنين : أمّا بعد فانّ جارية بن القدامة العبد الصالح قدم من عندك ، فناهض جمع ابن الحضرمي ممّن نصره و أعانه من الأزد ، فقصّه و اضطره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه ، فلم يخرج ، حتّى حكم الله بينهما ، فقتل ابن الحضرمي و أصحابه، منهم من احرق و منهم من القى عليه جدار و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه ، و منهم من قتل بالسّيف ، و سلم منهم نفر فتابوا وأنابوا فصفح عنهم، و بعدا لمن عصى وغوى والسّلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته .

فلما وصل الكتاب قرأه على النّاس فسرّ بذلك و سرّ أصحابه و أثنى على جارية و على الأزد ، و ذمّ البصرة فقال إنّها أوّل القرى خرابا إمّا غرقا و إما حرقا حتّى يبقى مسجدها كجوء جوء سفينة.

الترجمة

از جمله كلام آنحضرتست در بيان حال اصحاب سيد ابرار و تحريص اصحاب خود را بر اينكه متابعت نمايند بر ايشان در افعال و كردار و ثابت قدم باشند در روز مصاف و كارزار كه ميفرمايد:

و هر آينه بتحقيق بوديم ما با رسول خدا صلوات الله وسلامه عليه و آله در حالتى كه ميكشتيم پدران خود را و پسران خود را و برادرها و عموهاى خود را، زياده نميساخت ما را آن كشتن مگر ايمان و تسليم و گذشتن بر راه راست مستقيم وصبر نمودن بر سوزش الم و محن وجد وجهد كردن در محاربهٔ دشمن ، و هر آينه بود در زمان پيغمبر كه مردى از ما و مردى ديگر از دشمن ما حمله مى آوردند بر يكديگر مثل حمله آوردن دو نر با قوّة تمامتر كه مى ربودند نفس يكديگر در

حالتیکه فکر مینمودند که کدام یك از ایشان می نوشاند به همراه خود کاسهٔ مرك را .

پس یکبار نوبت گردش دولت ما را بود از دشمن ما ، وبار دیگردشمن مارا بود از ما ، پس چونکه دیدحق سبحانه وتعالی صدق و راستی ما را نازل فرمودبر دشمن ما ذلت و خواری را ، و نازل فرمود برما نصرت و یاری را ، تا اینکه قرارگرفت دین اسلام در حالتیکه افکنده بود پیش گردن را بر زمین مثل شتر آرام گیرنده ، و جای گیرنده بود در مکانهای خود که عبارتست از قلوب مؤمنان گرونده .

وسوگند به زندگانی خودم که اگر میبودیم ما در آن زمان که می‌آمدیم با مثل آنچه که شما آمدید به آن یعنی تقصیر میکردیم در حرب چنانچه‌شما تقصیر میکنید بر پای نمیشد از برای دین هیچ ستونی ، و سبز نمیشد از برای ایمان هیچ شاخ و عودي ، و بحق خدا سوگند هر آینه میدوشید از آن حالت تقصیر خون را بعوض شیر ، و در می آورید پشیمانی را عقب آنحالت تفریط و تقصیر ، والله أعلم بحقایق کلماته.

و من كلام له عليه السلام و هو السادس والخمسون من المختار في باب الخطب

أما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ ، يَأْكُلُ ما يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مالا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ ، ألا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبّي وَالْبَراءَةِ مِنّي ، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّوني ، فَإِنَّهُ لي زَكاةٌ وَلَكُمْ نَجاةٌ ، وَأَمَّا الْبَراءَةُ فَلا تَتَبَرَّؤُا مِنّي ، فَإِنّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ،

وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ .

اللغة

(ظهر) عليه غلب و (رحب البلعوم) و اسعه والبلعوم بضّم الباء مجرى الطعام في الحلق و(المندحق) البارز من اندحقت رحم النّاقة إذا خرجت من مكانه و(الفطرة) بالكسر الخلقة والمراد بها الاسلام .

الاعراب

أما بالفتح والتّخفيف حرف استفتاح بمنزلة ألا قال الرّضيّ كانّهما مركبان من همزة الانكار و حرف النّفى ، و نفى النّفى اثبات ركبا لافادة الاثبات والتّحقيق و قول الشّارح البحراني يحتمل أن يكون المشدّدة والتّقدير أما بعد إنّه كذا، فيه أنّ أمّا الشّرطية يلزمها الفاء بعدها اللازمة للشّرط ولايجوز حذفها إلاّ في مقام الضّروره قال الشّاعر :

فأمّا القتال لاقتال لديكم

و أيضاً فانّهم قد قالوا في كتب الأدبيّة إنّ أمّا بعد أصله مهما يكن من شيء بعد الحمد فوقعت كلمة أما موقع اسم هو المبتداء و فعل هو الشّرط و تضمّنت معناهما فلتضمّنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللاّزم للمبتداء أداء بحقّ ما كان و إبقاء له بقدر الامكان ، و لتضمّنها معنى الشّرط لزمتها الفاء ، فعلى ما ذكروه يستلزم حذف كلمة بعد القائها عن اصلها وعدم أداء الحقّ الواجب مراعاته.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام اخبار ببعض ما يبتلى به أهل الكوفة بعده وأمر لهم بما يجب عليهم أن يعملوه حين الابتلاء بتلك البليّة فخاطبهم بقوله (أما انّه سيظهر عليكم بعدى رجل) أكول (رحب البلعوم مندحق البطن) وهو لفرط حرصه بالأكل (يأكل ما يجد و يطلب مالايجد) و حيث أدركتموه (فاقتلوه) لعدوله عن طريق السداد و كونه من أهل الزّندقة والالحاد (و لن تقتلوه ألا و إنّه سيأمركم بسبّي)

لشدّة ما فيه من الكفر والنّفاق (وبالبراءة منّي) لغلبة ما عليه من البغضاء والشقاق (فأما السّبّ فسبّوني فانّه لي زكاة) إذ ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له و سبّه بما ليس فيه هو زيادة في جاهه و شرفه كما ورد في الحديث (و لكم نجاة) إذ مع السّبّ يرتفع التهمة عنكم ولايؤخذ بأعناقكم (و أما البراءة فلاتتبرّءوا منّي) وذلك (فانّي ولدت على الفطرة) أى على فطرة الاسلام التي فطر النّاس عليها (و سبقت) النّاس (إلى الايمان والهجرة).

وفي هذا الكلام نكات شريفة ينبغى الاشارة اليها الاول

أنّ هذا الكلام له عليه السلام إخبار بما يكون قبل كونه باعلام من الله و تعليم من رسول الله، و نحو هذا قد وقع منه عليه السلام كثيراً فوق حدّ الاحصاء في الوقايع الملحمة والخطوب المعظمة حسبما يأتي في شرح الخطبة الثّانية والتسعين و غيرها أيضاً، ولاباس بالاشارة إلى نبذ منها هنا.

مثل ما عن كتاب الغارات لابراهيم بن هلال الثقفي عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل، عن محمّد بن علي عليهما السّلام، قال قال لمّا قال علي عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لاتسألوني عن فئة تضلّ مأة و تهدى مأة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها، قام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي و لحيتي من طاقة شعر، فقال له عليّ عليه السلام: والله لقد حدّثني خليلي انّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك، و أنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك، و إنّ في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله، و كان ابنه قاتل الحسين يومئذ طفلا يحبو، و هو سنان بن أنس النخعي.

و روى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثّمالي، عن سويد بن غفلة أنّ عليّا خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّي مررت بواد القرى فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له فقال عليه السلام: ما مات ولايموت حتّى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمّاد، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد و انّي لك شيعة و محبّ، فقال: و أنت حبيب ابن حمّاد؟ قال: نعم فقال له ثانية: والله إنّك لحبيب بن حمّاد؟ فقال اي و الله

قال : أما والله إنّك لحاملها و لتحملنّها و لتدخلنّ بها من هذا الباب ، و أشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة ، قال ثابت فوالله مامتّ حتّى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ و جعل خالد بن عرفطة على مقدّمته ، و حبيب بن حمّاد صاحب رايته ، و دخل بها من باب الفيل.

و روى عثمان بن سعيد ، عن يحيى التّميمي عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجا قال قام أعشي باهله و هو غلام يومئذ حدث إلى عليّ و هو يخطب و يذكر الملاحم، فقال : يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث الخرافة ، فقال : إن كنت آثما فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ثمّ سكت ، فقال رجال : و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : غلام يملك بلدتكم هذه لايترك لله حرمة إلاّ انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه.

فقالوا : كم يملك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عشرين إن بلغها ، قالوا فيقتل قتلاأم يموت موتا ، قال : بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب مريره لكثرة ما يخرج ، قال اسماعيل بن رجا : فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد احضر في جملة الاسرى الذين اسروا من جيش عبدالرّحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجاج ، فقرعه و ذبحه و استنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرّحمن على الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس.

و روى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبّة العرني قال : كان جويرية بن مسهر العبدي صالحا ، و كان لعليّ بن أبيطالب صديقا ، و كان عليّ يحبّه ؛ و كان له شدّة اختصاص به حتّى دخل على عليّ يوماً و هو مضطجع و عنده قوم من أصحابه ،فناداه جويرية أيّها النّائم استيقظ فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك ، قال : فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام قال : و أحدّثك يا جويرية بأمرك أما والذي نفسي بيده لتعتلنّ إلى العتل الزّنيم فليقطعنّ يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر ، قال : فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتّى أخذ زياد جويرية ، فقطع يده و رجله و صلبه إلى جانب جذع ابن مكعبر ، و كان جذعا طويلا فصلبه على جذع

قصير إلى جانبه.

و عن كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الميثمي قال : كان ميثم التمار مولى علي بن أبيطالب عبداً لامرئة من بني أسد ، فاشتراه علي منها و أعتقه ، و قال له ما اسمك ؟ فقال : سالم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله : أخبرني أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم ، فقال : صدق الله و صدق رسوله وصدقت يا أمير المؤمنين فهو والله اسمي قال : فارجع إلى اسمك ودع سالما فنحن نكنيك به فكناه أباسالم.

قال : وقد كان قد اطلعه علي عليه السلام على علم كثير و أسرار خفية من أسرار الوصية ، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشك فيه قوم من أهل الكوفة و ينسبون علياً في ذلك إلى المخرفة والايهام والتدليس.

حتى قال له يوما بمحضر من خلق كثير من أصحابه و فيهم الشاك والمخلص: يا ميثم إنك تؤخذ بعدي و تصلب ، فاذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك و فمك دماً حتى يخضب لحيتك ، فاذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك ، فانتظر ذلك ، والموضع الذي تصلب فيه نخلة على باب دار عمرو بن حريث ، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة يعنى الأرض ، ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين.

و كان ميثم يأتيها فيصلي عندها و يقول : بوركت من نخلة ، لك خلقت ، ولي نبت . فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده و يتردد إليه و يبصره ، و كان يلقى عمرو بن حريث فيقول له : إني مجاورك فأحسن جواري ، فلايعلم ما يريد فيقول له : أتريد أن تشترى دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم ؟

قال : وحج في السنة التي قتل فيها ، فدخل على أم سلمة رضى الله عنها، فقالت له : من أنت ؟ قال : عراقي فاستنسبته فذكر لها أنه مولى علي بن أبيطالب ، فقالت : و أنت ميثم ؟ قال : أنا ميثم ، فقالت : سبحان الله والله لربما سمعت رسول الله يوصي بك علياً في جوف الليل فسألها عن الحسين بن علي عليهما السلام فقالت : هو في حايط له ،

قال : أخبريه أنّى قد أحببت السلام عليه و نحن ملتقون عند ربّ العالمين إنشاءالله ولا اقدر اليوم على لقائه وأريدالرّجوع.

فدعت بطيب فطيب لحيته فقال لها : أما أنها ستخضب بدم فقالت : من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي فبكت أمّ سلمة وقالت له: إنّه ليس بسيّدك وحدك وهوسيّدي و سيّد المسلمين ثمّ ودّعته.

فقدم الكوفة فأخذوا دخل على عبيدالله بن زياد ، و قيل له : هذا كان من آثر النّاس عند أبي تراب ، قال : و يحكم هذا الأعجمى ؟ قالوا : نعم ، فقال له عبيدالله : أين ربك ؟ قال : بالمرصاد ، قال : قد بلغنى اختصاص أبي تراب لك ، قال : قد كان بعض ذلك فما تريد ؟ قال : و انّه ليقال إنّه قد أخبرك بما سيلقاك ، قال نعم : أخبرني.

قال : ما الذي أخبرك أنّى صانع بك ؟ قال : أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة و أنا أقصرهم خشبة و أقربهم من المطهرة ، قال : لأخالفنّه ، قال: و يحك كيف تخالفه ؟ إنّما أخبر عن رسول‌الله ، و أخبر رسول‌الله عن جبرئيل ، و أخبر جبرئيل عن الله ؛ فكيف تخالف هؤلاء أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة ، و إنّى لأوّل خلق‌الله ألجم في الاسلام بلجام كما يلجم‌الخيل،

فحبسه و حبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد : إنّك تفلت و تخرج ثايراً بدم الحسين فتقتل هذا الجبار الذي نحن في حبسه و تطاء بقدمك هذا على جبهته و خديه ، فلما دعا عبيدالله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيدالله بن زياد يأمره بتخلية سبيله وذاك أنّ أخته كانت تحت عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع فأمضى شفاعته و كتب بتخلية سبيل المختار على البريد فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه فأطلق.

و أما ميثم فاخرج بعده ليصلب و قال عبيدالله لأمضينّ حكم أبي تراب فيك فلقاه رجل فقال له : ما كان أغناك عن هذا يا ميثم ؟ فتبسّم فقال و هو يؤمي إلى

النخلة لها خلقت ولي غذيت، فلما رفع على الخشبة اجتمع النّاس حوله على باب عمرو ابن حريث ، فقال عمرو : ولقد كان يقول لي إنّي مجاورك فكان يأمر جاريته كلّ عشيّة أن تكنس تحت خشبته و ترشّه و تجمر بالمجمر تحته.

فجعل ميثم يحدّث بفضايل بني هاشم و مخازي بني أميّة و هو مصلوب على الخشبة فقيل لابن زياد : قدفضحكم هذا العبد ؛ فقال : ألجموه ، فألجم ، فكان أوّل خلق الله ألجم في الاسلام ، فلما كان اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دما ، فلما كان اليوم الثالث طعن بحربة فمات، و كان قتله قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام.

و روى صاحب الغارات عن زياد بن النّصر الحارثي قال كنت عند زياد و قد اتي برشيد الهجري و كان من خواصّ أصحاب عليّ عليه السلام فقال له زياد : ماقال لك خليلك إنّا فاعلون بك ؟ قال : تقطعون يدي و رجلي وتصلبونني ! فقال زياد : أما والله لأكذّبنّ حديثه خلّوا سبيله ، فلما أراد أن يخرج قال : ردّوه لانجد شيئا أصلح ممّا قال لك صاحبك ، إنك لاتزال تبغي لنا سوءً إن بقيت ، اقطعوا يديه و رجليه ، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال : اصلبوه خنقا في عنقه، فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ماأراكم فعلتموه ؛ فقال زياد: اقطعوا لسانه ، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال : خلّوا عنّي أتكلّم كلمة، فنفسوا عنه ، فقال :هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين أخبرني بقطع لساني ، فقطعوا لسانه و صلبوه.

و في البحار من كتاب كشف الغمة ، من كتاب لطف التّدبير لمحمد بن عبدالله الخطيب قال : حكي أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة : كيف لنا أن نعلم ماتؤل إليه العاقبة في أمرنا ، قال جلساؤه : ما نعلم لذلك وجها ، قال : فأنا استخرج علم ذلك من عليّ فانّه لايقول الباطل.

فدعا ثلاثة رجال من ثقاته و قال لهم امضوا حتّى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة ، ثمّ تواطئوا على أن تنعوني بالكوفة وليكن حديثكم واحد في ذكر العلّة واليوم والوقت و موضع القبر و من تولّى الصلاة عليه و غير ذلك حتى لاتختلفوا

في شيء ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ، ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله ، ثـم ليدخل الثـّالث فليخبر بمثل خبر صاحبه و انظروا ما يقول علي .

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم و هو راكب مغذّ (١) شاحب فقال له النـّاس بالكوفة : من أين جئت ؟ قال : من الشـّام قالوا له : ما الخبر؟ قال: مات معاوية ، فأتوا عليـّا عليه السلام فقالوا رجل راكب من الشـّام يخبر بموت معاوية فلم يحفل عليّ عليه السلام بذلك ، ثمّ دخل آخر من الغد و هو مغذّ فقال له النـّاس: ماالخبر؟ فقال : مات معاوية وخبر بمثل ماخبر صاحبه، فأتوا عليـّا عليه السلام فقالوا : رجل راكب يخبر بموت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامهما ، فأمسك عليّ عليه السلام ثمّ دخل الآخر في اليوم الثـّالث فقال النـّاس : ما وراك ؟ قال : مات معاوية ، فسألوه عمـّا شاهد فلم يخالف قول صاحبيه ، فأتوا عليـّا فقالوا : يا أمير المؤمنين صحّ الخبر هـذا راكب ثالث قدخبر بمثل ما خبر صاحباه.

فلمـّا أكثروا عليه قال عليّ صلوات الله عليه ، كلاّ أو تخضب هذه من هذه يعني لحيته من هامته و يتلاعب بها (٢) ابن آكلة الاكباد ، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية هذا .

والأنباء الغيبية منه عليه السلام متجاوزة عن حدّ الاحصاء ، ولو أردنا أن نجمع منها ما يسعها الطاقة و تناولها يد التـّتبـّع لصار كتابا كبير الحجم ، و يأتي بعض منها في تضاعيف الشـّرح ، و منها إخباره بغرق البصرة و من في ضمنها و بقاء مسجدها كجؤجؤ سفينة في لجـّة بحر على ما مرّ إليه الاشارة في كلامه الحاد يعشر.

الثانی

اختلف الشـّراح في الرّجل الذي أخبر عليه السلام بظهوره على أهل الكوفة فقيل: هو زياد بن ابيه ، و قيل : الحجاج بن يوسف ، و قيل المغيرة بن شعبة ، والأكثرون على أنّ المراد به معاوية بن ابي سفيان ، لاتّصافه بما وصفه عليه السلام به من النـّهم و كثرة

١ـ الاغذاذ فی السیر الاسراع والشاحب المتغیّر ای کان علیه لون السفر «بحار»

٢ـ بها ای بالخلافة والریاسة «بحار»

الأكل، وكان بطينا يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، وكان جوادا بالمال والصلاة وبخيلا على الأكل والطعام.

يقال: إنّه مازح أعرابيا على طعامه وقد قدم بين يديه خروف، فأمعن الاعرابي في أكله فقال له ماذنبه اليك انطحك أبوه، فقال الأعرابي (للأعرابي): وما حنوك عليه أرضعتك أمّه؛ وقد روى أنّه كان يأكل فيكبر ثمّ يقول: ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت.

قال في شرح المعتزلي تظاهرت الأخبار أنّ رسول الله ﷺ دعا على معاوية لمّا بعث إليه يستدعيه فوجده يأكل ثمّ بعث فوجده يأكل فقال: اللهمّ لاتشبع بطنه قال الشاعر:

و صاحب لى بطنه كالهاوية كانّ في أمعائه معاوية

و يدلّ على ما ذكرنا من أنّ مراده ﷺ بالرجل الموصوف معاوية قوله: أما أنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فانّ غيره ممّن ذكرنا وإن كان يامر بالبرائة والسبّ أيضاً إلاّ أنّ هذا الملعون ابن الملعون قد أخذ ذلك شعاراً له؛ وقد أمر النّاس بالشّام والعراق بسبّه والبرائة منه، وخطب بذلك على منابر الاسلام حتّى صار ذلك سنة في أيام بني أميّة على ما يأتي تفصيله في شرح الكلام السّابع والتسعين إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز، فأزاله.

روى الجاحظ أنّ قوما من بني امية قالوا لمعاوية يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرّجل، فقال: لا والله حتّى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلا.

وأمّا السّبب في منع عمر بن عبد العزيز عن ذلك فهو على ما روى عنه أنّه قال: كنت غلاما أقرء القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصّبيان ونحن نلعن علياً، فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصّبيان وجئت إليه لادرس عليه وردى، فلمّا رآنى قام وصلّى وأطال في الصّلاة شبه المعرض عنّي حتّى أحسست منه بذلك فلمّا انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما

بال الشيخ ، فقال لي : يا بنيّ أنت اللاعن عليّا منذاليوم ، قلت : نعم ، قال : فمتى علمت أنّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ؟ فقلت : يا ابه و هل كان علي من أهل بدر ؟ فقال : ويحك وهل كان بدر كلّها إلاّ له ، فقلت : لا أعود ، فقال : الله انك لا تعود ، قلت : نعم ، فلم العنه بعدها

ثمّ كنت احضر تحت منبر المدينة و أبي يخطب يوم الجمعة و هو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع يمرّ فى خطبه حتّى تهدر شقاشقه حتّى يأتي إلى لعن عليّ فيجمجم ويعرض له من الفهاهة و الحصر ماالله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوما : أنت أفصح النّاس و أخطبهم فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك وإذا مررت بلعن هذا الرّجل صرت ألكن عييّا

فقال : يابنيّ إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشّام وغيرهم لوعلموا من فضل هذا الرّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد ، فوقرت كلمته في صدرى مع ما كان قال لي معلمي أيام صغرى ، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيّرن ، فلما منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه:

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

وكتبت به إلى الآفاق فصار سنّة

و عن مروج الذهب جعل مكانه :

« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ »

وفى هذا المعنى قال السّيد الرّضى رحمة الله عليه :

يابن عبدالعزيز لو بكت العين　فتىً من أميّة لبكيتك
غير انّي أقول إنّك قد طبت　و إن لم يطب و لم يزك بيتك

أنت نزّهتنا عن السبّ والقذف — فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو انّي رأيت قبرك لاستحييت — من أن أرى و ما حيّيتك
وقليل أن لو بذلت دماء البدن — صرداً على الذي اسقيتك
دير سمعان(١) فيك نادى أبي حفص — يؤدي لو انني او تيتك
دير سمعان لا أعبك (٢) غيث — خير ميت من آل مروان ميتك
أنت بالذكر بين عيني و قلبي — إن تدانيت منك أو إن نأيتك(٣)
وعجبت إنّي قليت بني مروان — كلاّ و أنّني ما قليتك
قرب العدل منك لما نأى الجور — منهم فاحتويتهم و اجتبيتك
فلو انّي ملكت دفعاً لما نابك — من طارق الرّدى لفديتك (٤)

الثالث

لقائل أن يقول : ما الفرق بين السّبّ والتبرّي حيث رخّص في الأوّل ونهى عن الثّاني مع أنّ السّبّ أفحش من التبرّي

قال الشّارح المعتزلي : لأنّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن العزيز إلاّ عن المشركين ألا ترى إلى قوله :

١- دير سمعان موضع بحمص به دفن عمر بن عبدالعزيز قاموس

٢- اعب القوم جائهم يوماوترك يوما ، ق

٣- نأى منه اى بعد ،لغة

٤- لايخفى على الفطن العارف أن المستفاد من ابيات السيد ان ابن عبدالعزيز بحسن فعاله الحميدة مستحق للمدح الا انه لكونه من جملة الغاصبين للخلافة غير مستحق للجزاء فى الآخرة بل جزائه النكال والعقوبة والى ذلك ينظر ما رواه عبدالله بن عطاء التميمى قال كنت مع علىّ بن الحسين فى المسجد فمرّ عمر بن عبدالعزيز و عليه شراكان من فضة و كان من امجن الناس يعنى اصلبهم واغلظهم وهو شابّ فنظراليه علىّ بن الحسين فقال يا عبدالله بن عطا اترى هذا المترف انه لن يموت حتى يلى الناس قلت انا لله هذا الفاسق، قال نعم فلا يلبث فيهم الايسيرا حتى يموت فاذا مات لعنه أهل السماء واستغفرله أهل الأرض،منه

« بَرَآءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »
وقال تعالى : « إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ »

فقد صارت بحسب العرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة ، فاذن يحمل هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البرائة على لفظ السب وإن كان حكمهما واحداً

أقول والتحقيق في الجواب ماذكره الشارح البحراني حيث قال : إن السب من صفات القول اللساني وهوأمر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتماله التعريض ومع مايشتمل عليه من حقن دماء المأمورين ونجاتهم بامتثال الأمر به وأما التبرء فليس بصفة قولية فقط بل يعود إلى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض و هو المنهى عنه ههنا ، فانه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الأمر به ضرر ، وكأنه لحظ فيه قوله تعالى

« إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ » الآية .

و محصله ارجاع النهى عن التبري فى قوله : ولا تتبرؤا ، على التبرى بالقلب دون التبرى بمجرد اللسان مع اطمينان القلب بالايمان ، ويدل على ذلك ما يأتي في حديث الطبيب اليوناني مع أميرالمؤمنين عليه السلام في شرح الفصل الأول من الخطبة المأة والسابعة، من أمره عليه السلام له باظهار التبرى في مقام التقية، ويستفاد من بعض الأخبار أن ترك كلمة الكفر و الصبر على القتل أفضل من التقية و هو ما رواه المحدث الجزائرى .

قال في زهر الربيع : روى أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من المسلمين فقال لأحدهما : ماتقول في محمد ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فما تقول فى ؟ قال : أنت أيضاً ، فخلاه ، و قال للآخر فما تقول في محمد ؟ قال : رسول الله ، قال : فما تقول في ؟ قال : أنا أصم ، فأعاد عليه ثلاثا ، فأعاد جوابه الأول فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله

فقال : أمّا الأوّل فقد أخذ برخصة الله ، وأمّا الثّاني فقد صدع بالحقّ فهنيئاً له

الترجمة

از جملهٔ کلام بلاغت انجام آنحضرت است که فرمود بأصحاب خود : آگاه باشید که زود باشد غالب شود برشما بعدازمن مردی گشاده گلوی بر آمده شکم که میخورد آنچه را که یابد ومیجوید آنچه را که نیابد ، منظور معاویة بن ابی‌سفیان علیه اللعنة والنیرانست

پس بکشید آنرا وحال آنکه هرگز نخواهید کشت ، بدانید بدرستی زود باشد که امر نماید شما را آن مرد بناسزا گفتن بمن وبه‌تبرّی کردن از من ، پس اما ناسزا گفتن پس ناسزا گوئید مرا از جهة اینکه آن ناسزا گفتن شما باعث پاکیزگی من است وسبب نجاة و خلاصی شماست واما برائت وبیزاری پس تبری نکنید ازجهة اینکه من مولود شده‌ام برفطرة اسلام وپیشی گرفته‌ام برهجرت وایمان و معلوم است کسی که متّصف باین صفت باشد تبری ازاوجایز وسزا نیست ، بلکه باعث عذاب ابدیست وسبب عقاب دائمی

و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج وهو السابع والخمسون من المختار فى باب الخطب

أصابَكُمْ حاصِبٌ ، وَلا بَقِيَ مِنكُمْ آبِرٌ ، أَبَعدَ إيماني بِاللهِ وَجهادي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَشهَدُ عَلىٰ نَفسي بِالكُفرِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إذاً وَما أَنَا مِنَ المُهتَدينَ ، فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ ، وَارجِعُوا عَلىٰ أَثَرِ الأَعقابِ ، أَما إنَّكُمْ سَتَلْقَونَ بَعدي ذُلّاً شامِلاً ، وَسَيفاً قاطِعاً ، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُها الظّالِمُونَ فيكُمْ سُنَّةً .

اللغة

(الحاصب) الريح الشديدة التي تثير الحصباء ، و هي صغار الحصى قال أبو نواس :

كأنّ صغرى و كبرى من فواقعها(١)　　حصباء درّ على أرض من الذّهب

قال السيّد قوله (ولابقي منكم آبر) يروى بالراء من قولهم ابر للذى يأبر النخل اى يصلحه ، ويروى آثر وهوالذى يأثر الحديث أى يحكيه ويرويه ، وهوأصحّ الوجوه عندي كانّه قال : لابقي منكم مخبر، ويروى آبز بالزاء المعجمة وهوالواثب والهالك يقال له أيضاً آبز انتهى .

وقيل : يجوزأن يكون المراد بالآبر النمام و (آب) يؤب رجع و(الاعقاب) جمع عقب بالكسر وهومؤخّر القدم وأثرها وعلامتها و (الأثرة) بالفتحات اسم من الاستيثار وهوالاستبداد بالشيء والتفرّد به أومن آثر ايثاراً إذا اعطى

الاعراب

جملة اصابكم حاصب ولا بقى منكم آبر ، دعائيّة لا محلّ لها من الاعراب ، وكلمة بعد ظرف لغومتعلّق بقوله اشهد ، والفاء في قوله فاُوبوا فصيحة ، وجملة يتّخذها الظالمون في محلّ النّصب على الوصفيّة

المعنى

اعلم أنّ المرويّ في عدّة من شروح الكتاب وفى البحار هوأنّ الخوارج لمّا اعتزلوا منه وتنادوا من كلّ ناحية لا حكم إلاّ لله الحكم لله يا علي لالك ، وقالوا : بان لنا خطائنا فرجعنا وتبنا فارجع إليه أنت وتب ، وقال بعضهم : اشهد على نفسك بالكفر ثمّ تب منه ، حتّى نطيعك ، على ما مرّ تفصيل ذلك كلّه في شرح الخطبة السّادسة و الثّلاثين و الكلام الأربعين أيضاً أجابهم بهذا الكلام فقال (أصابكم حاصب) وهو كناية عن العذاب وقيل أى أصابكم حجارة من السّماء (ولابقي منكم آبر) وهو دعاء عليهم بانقطاع نسلهم كما قال نوح :

١ـ الضمير راجع الى الخمر منه

« رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً »

ثمّ نبّه على إنكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر بقوله (أبعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله أشهد على نفسي بالكفر) والخطاء (لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين) إذ الشّهادة على النّفس بالكفر مع وجود الايمان الرّاسخ ضلال عن الهدى وعدول عن الرّشاد لا محالة

قال المبرّد ومن شعر أمير المؤمنين عليه السّلام الذي لا اختلاف فيه أنّه قال ، و كان يروونه انّهم لمّا سألوه أن يقرّ بالكفر ويتوب حتّى يسيروا معه إلى الشّام فقال : أبعد صحبة رسول الله والتّفقّه في دين الله أرجع كافراً ، ثمّ قال عليه السّلام :

يا شاهد الله عليّ فاشهد إنّي على دين النّبيّ أحمد

من شكّ في الله فانّي مهتدي يا ربّ فاجعل في الجنان موردي

وقوله (فأوبوا شرّ مآب و ارجعوا إلى أثر الاعقاب) قيل هو أمر لهم بالرّجوع و الاياب إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهراً كان القاهر يضرب في وجوههم بردّهم على الاعقاب و الرّجوع هكذا شرّ الأنواع ، وقيل هو دعاء عليهم بالذّل وانعكاس الحال قال العلاّمة المجلسيّ (ره) : و يحتمل أن يكون الأمر على التّهديد كقوله تعالى :

« قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ »

(أما انّكم ستلقون بعدي ذلاًّ شاملا وسيفاً قاطعا) وهو كناية عن ابتلائهم بعده بالقتل والاستيصال وقد كان الأمر بعده على ما أخبر ، وقتلوا بيد مهلب وغيره حتى أفناهم الله تعالى وتفصيل احوالهم واستيصالهم ومقاتلتهم مع المهلب مذكور في شرح المعتزلي من أراد الاطلاع فليرجع اليه (و اثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة) يعني أنّ الظالمين يختارون لأنفسهم في الفيء والغنايم أشياء حسنة ، وينفردون بها ، أو أنّهم يفضّلون غيركم عليكم

في نصيبكم و يعطونهم دونكم.

الترجمة

از جمله كلام آنحضرتست كه تكلم كرده به آن با خوارج در وقتى كه ايشان گفتند ما و تو بجهت تحكيم خطانموديم و كافر شديم و ما از كفر خودتوبه نموديم بايست تو هم شهادت بدهى برنفس خود باكفر و توبه كنى از آن پس تعرّض فرمود بايشان و گفت كه:

برسد بشما عذاب و باقى نماند از شما مصلح كارساز، آيا بعد از ايمان آوردن من بحضرت پروردكار و مجاهده نمودن من با رسول مختار شهادت بدهم بر نفس خود بكافر شدن و از دين بر گشتن، هر آينه گمراه باشم اين هنگام كه شهادت بر كفر خود دهم، ونباشم از هدايت يافتكان پس بر گرديد از بدترين جاى بازگشت بسوى حق، و رجوع نمائيد بحق بر اثر پاشنهاى خود، آگاه بشويد كه شما زود باشد كه ملاقات نمائيد بعد از من بخوارى فراوان و بشمشير بران و باشياء نفيسة كه فرا گيرند آنرا ظالمان در شما سنة جاريه يعنى بعد از من ظالمين خوب ترين مالهاى شما را از شماميگيرند و بجهت خودشان اختيار مينمايند، واين سنت ميشود در ميان شما.

و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وهو الثامن والخمسون من المختار فى باب الخطب

و قيل له انّهم قد عبروا جسر النهروان:

مصارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ وَ اللهِ لا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَ لا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال السّيد يعنى بالنطفة ماء النّهر وهى أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا

جمّا وقدأ شرنا إلى ذلك فيماتقدم عند مضي ما اشبهه.

اللغة

(الجسر) معروف و (الصّرع) الطرح على الارض والمصرع يكون موضعا و مصدرا و المراد هنا موضع هلاكهم و (النطفة) بالضّم الماء الصّافي قلّ أو كثر والنطفتان في الحديث بحر المشرق والمغرب أو ماء الفرات وبحرجدّة، والمراد بها هنا كما ذكره السّيد (ره) ماء النهروان، وقد مضى التّعبير بها أيضاً في الخطبةالسابعة والأربعين و (الافلات) والتفلت والانفلات التخلّص من الشّيء فجأة.

الاعراب

كلمة لما في كلام السّيد ظرفيّة بمعنى حين ، و جملة قيل له عطف على عزم و قوله مصارعهم دون النطفة في محلّ النّصب مقول لقال.

المعنى

اعلم أنّ قوله (مصارعهم دون النطفة والله لايفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة) اخبار عمّا يكون قبل كونه و هو من معجزاته المتواترة.

و روى أنّه لما قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعة تفرّقوا في البلاد ، فانهزم اثنان منهم الى عمّان ، و اثنان إلى كرمان، واثنان الى سجستان، واثنان الى الجزيرة ، و واحد الى تلّ موزون ، فظهرت بدعهم في البلاد و صاروا فرقا كثيرة على ماستطلع عليه في شرح كلامه الآتى ، ووجدوا المقتول من أصحابه ثمانية ويمكن أن يكون خفى على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التّعبير بعدم إهلاك العشرة للمشاكلة والمناسبة بين القرينتين.

تذكرة

قدمضى في شرح الخطبة السّادسة والثّلاثين أسماء المقتولين من أصحابه ، و مضى ايضاً في شرح كلامه الخامس والثلاثين سند تلك الرّواية و نقلهامن العلاّمة المجلسى من كتاب الخرايج عن جندب بن زهير.

و أقول هنامضافا إلى ماسبق: انّه روى عن المدايني في كتاب الخوارج أنه لماخرج

عليٌّ إلى أهل النهروان أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدمته يركض حتّى انتهى إلى عليٍّ فقال: البشرى يا أميرالمؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إنّ القوم عبروا النهر لمابلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم؛ فقال الله أنت رأيتهم قدعبروا، قال: نعم فأحلفه ثلاث مرّات في كلّها يقول نعم، فقال: والله ماعبروا ولن يعبروا و أنّ مصارعهم لدون النطفة والذي فلق الحبّة وبرء النسمة لن يبلغوا الاثلث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله، وقدخاب من افترى.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض فرسه فقال كقول الأوّل فلم يكترث عليه‌السلام بقوله، وجائت الفرسان كلّها تركض و تقول مثل ذلك فقام عليه‌السلام فجال في متن فرسه.

قال فقال شابّ من النّاس: والله لأكوننّ قريباً منه فان كان عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحي في عينه أيدّعي علم الغيب، فلما انتهى عليٌّ إلى النّهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم و عرقبوا خيولهم و حبوا على ركبهم وتحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل، فنزل ذلك الشّاب فقال: يا أميرالمؤمنين انّى كنت شككت فيك آنفا و إنّى تائب إلى الله و إليك فاغفرلى فقال عليٌّ: إنّ الله هو الذي يغفر الذّنوب فاستغفره.

تنبيه وتحقيق

قال الشّارح المعتزلي: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة، لاشتهاره و نقل النّاس له كافة، و هو من معجزاته و إخباره المفصلة عن الغيوب والاخبار على قسمين:

أحدهما الأخبار المجملة ولا إعجاز فيها نحو أن يقول الرّجل لأصحابه: إنّكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً فان نصر جعل ذلك له حجة عند اصحابه و سماها معجزة و إن لم ينصر قال لهم تغيّرت نيّاتكم فمنعكم الله نصره و نحو ذلك من القول.

والقسم الثّاني الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فانّه لا يحتمل التّلبيس

لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان، و ذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله و عرفه رسول الله من جهة الله سبحانه، والقوّة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب مالم يكن لغيره.

و بمقتضى ما شاهد النّاس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشريّة غلا فيه من غلا حتّى نسب إلى أنّ الجوهر الإلهي حلّ في بدنه كما قالت النّصارى في عيسى، وقد أخبره النبيّ ﷺ بذلك، فقال يهلك فيك محبّ غال و مبغض قال، و قال له تارة: والذي نفسي بيده لولا أنّي اشفق أن يقول طوايف من امتّي فيك ما قالت النّصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لاتمرّ بملاء من النّاس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.

قال الشّارح: و اوّل من جهر بالغلوّ في أيّامه عبدالله بن سبا قام إليه و هو يخطب فقال له أنت أنت و جعل يكرّرها، فقال له ويلك من أنا فقال أنت الله فأمر بأخذه و أخذ قوم كانوا على رأيه.

و روى ابوالعباس أحمد بن عبيدالله بن عمّار الثّقفي عن عليّ بن محمّد بن سليمان النّوفلي عن أبيه و عن غيره من مشيخته أنّ عليّا قال: يهلك فيّ رجلان: محبّ مطر يضعني غير موضعي و يمدحني بماليس فيّ، و مبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء.

قال أبوالعباس: و هذا تأويل الحديث المروّى عن النبيّ ﷺ فيه وهو قوله ﷺ إنّ فيك مثلا عن عيسى بن مريم، أحبّته النّصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتّى بهتت أمّه.

قال ابوالعباس وقد كان عليّ عثر على قوم خرجوا من محبّته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربّهم و جحد واما جاء به نبيّهم واتّخذوه ربّا وإلها و قالوا: أنت خالقنا و رازقنا فاستتابهم و توعّدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم طمعا في رجوعهم فأبوا فحرّقهم بالنّار.

قال الشارح : و روى أصحابنا في كتاب المقالات أنه لما حرّقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهوراً بيّنا أنك أنت الإله لأنّ ابن عمك الذي أرسلته قال لايعذّب بالنار إلاّ ربّ النّار.

و روى أبوالعباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى عن عليّ بن محمد النوفلي عن أبيه و مشيخته، أن عليّا مرّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً فقال أسفر أم مرضى ؟ قالوا : ولا واحدة ، قال : أفمن أهل الكتاب أنتم ؟ قالوا : لاقال : فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟ قالوا : أنت أنت لم يزيدوه على ذلك ، ففهم مرادهم و نزل عليه السلام عن فرسه فألصق خدّه بالتّراب ثمّ قال عليه السلام : ويلكم إنّما أنا عبد من عبيدالله فاتّقوالله و ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فدعاهم مراراً فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم ، ثمّ قال شدّوهم وثاقا وعليّ بالفعلة و النّار و الحطب ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل أحدهماسربا والآخرة مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة و فتح بينهما فتحا وألقى النّار في الحطب فدخن عليهم و جعل يهتف بهم ويناشدهم ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فأمر بالحطب والنّار والقى عليهم فاحترقوا فقال الشّاعر:

لترم بى المنية حيث شائت اذا لم ترم بى في الحفرتين
اذا ماحشّتا حطباً بنار فذاك الموت نقداً غير دين

قال أبوالعباس ثمّ إنّ جماعة من أصحاب عليّ منهم عبدالله بن عبّاس شفعوا فى عبدالله بن سبا خاصّة و قالوا : يا أميرالمؤمنين إنّه قدتاب فاعف عنه فأطلقه بعد ان اشترط عليه أن لايقيم بالكوفة ، فقال : أين أذهب ؟ قال : المداين فنفاه إلى المداين فلما قتل أمير المؤمنين أظهر مقالته و صارت له طائفة و فرقة يصدّقونه و يتبعونه.

و قال لمّا بلغه قتل عليّ عليه السلام : والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لعلمنا أنّه لم يمت ولايموت حتّى يسوق العرب بعصاه ، فلما بلغ ابن عباس ذلك قال : لو علمنا لماتزوّجنا نساءه ولاقسّمنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات : و اجتمع إلى عبدالله بن سبا بالمداين جماعة على هذا

القول وتفاقم أمرهم و شاع بين النّاس قولهم وصار لهم دعوة يدعون إليها وشبهة يرجعون اليها وهي ما ظهر و شاع بين النّاس من اخباره بالمغيبات حالا بعد حال، فقالوا : إنّ ذلك لايمكن أن يكون إلاّ لله تعالى أو من حلّت ذات الاله في جسده، ولعمري أنّه لايقدر على ذلك إلاّ باقدار الله تعالى إيّاه عليه، ولكن لايلزم من إقداره إيّاه عليه أن يكون هو الاله أو تكون ذات الاله حالّة فيه هذا.

و حيث انجرّ الكلام إلى هذا المقام فلابأس بأن نحقّق الكلام في معنى الغلوّ والتّفويض و نشير إلى بعض الآيات والأخبار الواردة فيهما، ونذكر وجوه التفويض و ما ينبغي أن يدان به و يعتقد عليه.

فأقول: قال الصّدوق في اعتقاداته: اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنّهم كفار بالله جلّ جلاله و أنّهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدريّة والحرورية و من جميع أهل البدع والأهواء المضلّة، و أنّه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم شيء و قال الله جلّ جلاله:

« ما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبّانِيّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »

و قال الله عزّ وجلّ: « وَلاَ تَغْلُوا في دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ»

و اعتقادنا في النبيّ والأئمة أنّ بعضهم قتلوا بالسيف و بعضهم بالسمّ و أنّ ذلك جرى عليهم على الحقيقة و أنه ما شبّه أمرهم كما يزعمه من يتجاوز الحدّ فيهم «إلى أن قال» و كان الرّضا عليه السلام يقول في دعائه:

اللّهمّ إنّي بريء اليك من الحول والقوّة ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك ، اللهمّ إنّي أعوذ بك و أبرء إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق ، اللهمّ إنّي أبرء إليك من الذين قالوا فينا مالم نقله في أنفسنا ، اللهمّ لك الحقّ ومنك الرّزق وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين ، اللهمّ أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين و آبائنا الآخرين ، اللهمّ لا تليق الرّبوبيّة إلاّ بك ، ولا تصلح الالّهيّة إلاّ لك ، فالعن النّصارى الذين صغّروا عظمتك ، والعن المضاهئين لقولهم من بريّتك .

اللهمّ إنّا عبيدك و ابناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرّاً ، و لاموتا ، ولا حياة ، ولا نشوراً ، اللهمّ من زعم أنّنا أرباب فنحن منه براء ، ومن زعم أنّ إلينا الخلق و علينا الرّزق ، فنحن منه براء كبراءة عيسى بن مريم من النّصارى ، اللهمّ إنّا لم ندعهم إلى مايزعمون ، فلا تؤآخذنا بما يقولون ، واغفرنا مايدعون ، ولاتدع على الأرض منهم ديّاراً ، إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً

و روى عن زرارة أنّه قال : قلت للصّادق عليه السلام إنّ رجلا من ولد عبدالله بن سبا يقول بالتّفويض ، فقال : وما التّفويض ؟ قلت : يقول إنّ الله خلق محمداً و عليّاً صلوات الله عليهما ففوّض الأمر إليهما فخلقا و رزقا و أماتا و أحييا ، فقال : كذب عدوّ الله إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرّعد

« أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ».

فانصرفت إلى الرّجل فأخبرته بما قال الصّادق عليه السلام فكأنّني ألقمته حجراً أو قال فكأنّما خرس وقد فوّض الله عزّوجلّ إلى نبيّه أمردينه فقال عزّوجلّ :

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وقد فوّض ذلك إلى الأئمة عليهم السّلام

وعن المفيد في شرح هذا الكلام : الغلوّ في اللغةهوتجاوز الحدّ و الخروج عن القصد قال الله تعالى :

« ياأَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاّ الْحَقَّ » الآية

فنهى عن تجاوز الحدّ في المسيح وحذّر من الخروج عن القصد في القول وجعل ما ادّعته النّصارى فيه غلوّا لتعدية الحدّ على ما بيّناه ، و الغلاة من المتظاهرين بالاسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة من ذرّيته عليهم السّلام إلى الالهيّة و النّبوّة ، و وصفوهم من الفضل في الدّين و الدّنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ ، وخرجوا عن القصد وهم ضالّ كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتّحريق بالنّار وقضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالاكفار والخروج عن الاسلام ، والمفوّضة صنف من الغلاة وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ، ونفي القدم عنهم و إضافة الخلق و الرّزق مع ذلك إليهم ، و دعواهم أنّ الله تفرّد بخلقهم خاصّة وأنّه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال انتهى كلامه رفع مقامه

وقال المحدّث العلامة المجلسي طاب ثراه : اعلم أنّ الغلوّ في النّبي والأئمة عليهم الصّلاة والسّلام إنّما يكون بالقول بالوهيّتهم ، أو بكونهم شركاء الله تعالى في المعبوديّة أو في الخلق والرّزق ، أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم ، أو اتحد بهم ، أو انّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى ، أو بالقول في الأئمة أنهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض ، أو القول بأنّ معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي ، والقول بكلّ منها الحاد وكفر و خروج عن الدّين كما دلّت عليه الأدلّة العقلية والآيات والأخبار

وقد عرفت أنّ الائمّة عليهم السّلام تبرّؤوا منهم وحكموا بكفرهم و أمروا بقتلهم وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك فهي إمّا مأوّلة أو هي من مفتريات الغلاة ، ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدّثين في الغلوّ لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السّلام وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شئوناتهم فقدحوا في كثير من الرّوات الثقاة لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتّى قال بعضهم من الغلوّ نفي السّهو عنهم أو القول بأنّهم يعلمون ما كان ومايكون وغير ذلك

مع أنّه قد ورد في أخبار كثيرة : لا تقولوا فينا ربا وقولوا ماشئتم ولن تبلغوا وورد أن أمرنا صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أوعبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، وورد لو علم أبوذر مافي قلب سلمان لقتله وغير ذلك فلابدّ من المتديّن أن لايبادر بردّ ماورد عنهم من فضايلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم إلاّ إذاثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمة أو بالأخبار المتواترة ،انتهى كلامه رفع مقامه

وهو كاف في تحقيق المقام وتوضيح المرام وماذكره (ره) هي الجادّة الوسطى و النّمط الأوسط والصّراط المستقيم الذي ينبغي سلوكه و المذهب الحقّ الواجب أخذه ولزومه ، فالرّاغب عنه مارق واللاّزم له لاحق والمقصّر فيه زاهق

وأما التفويض فالوارد في الأخبار الكثيرة المنع من القول به ، وقد أكثروا فيها من ذمّ المفوّضة وتكذيبهم والتبرّي منهم ومن ذلك ذهب جمع من الاصحاب إلى نفيه والمنع من القول به ، ولكن الانصاف أنّ القول بالمنع مطلقاً تفريط ، كما أنّ القول بثبوته مطلقاً إفراط إذالأخبار في طرفي المنع والثبوت بالغة حدّ الاستفاضة لو لم تبلغ حدّ التواتر ، فالعمل باحدى الطائفتين وطرح الطايفة الأخرى بالمرّة و إسقاطها عن درجة الاعتبار غير ممكن ، فاللازم الأخذ بكلّ منهما في الجملة ، ومقتضاه القول بالتفصيل في المسألة ويظهر ذلك برسم وجوه التّفويض

فأقول وبالله التّوفيق إنّ التفويض عبارة عن تسليم الأمر إلى الخلق وردّه إليه ، وهو على وجهين

أحدهما تفويض أمور الخلق إلى أنفسهم ، وهو الذي قال به القدرية و يقال لها المفوّضة أيضاً ومحصّل ما ذهبوا إليه أنّ الله أوجد العباد و أقدرهم على أفعالهم و فوّض إليهم الاختيار فهم مستقلّون بايجادها على وفق مشيّتهم وارادتهم و طبق قدرتهم من دون أن يكون له سبحانه تأثير فيها بوجه من الوجوه ، و بازاء هؤلاء الجماعة جماعة أخرى ذهبت إلى أن لامؤثّر في الوجود إلاّالله فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا علّة لفعله ولارادّ لقضائه

وهذان الفريقان واقعان في طرفي التّضادّ ، أحدهما يسمّى بالقدريّة والآخر

بالجبريّة ، و زعم الفرقة الأولى أنّ بالقول بالتّفويض يظهر فايده التّكليف بالأمر والنّهي والوعدوالوعيد ، و به يحصل استحقاق الثواب والعقاب ، وبه ينزه الله سبحانه عن ايجاد الشّرور والقبايح التي هي أنواع الكفر و المعاصي ، وزعم الفرقة الأخرى أنّ بالقول بالجبر يحصل سلطنة مالك الملوك في ملكوته وملكه وأنّ فيه تعظيماً لقدرة الله تعالى وتقديساً له عن شوائب النّقصان والافتقار في التّأثير إلى شيء آخر

وأنت خبير بأنّ القول الأوّل مستلزم للشّرك ، والثاني مستلزم للكفر ، وقد ورد في الأخبار الكثيرة المنع منهما والرّد عليهما صريحاً بقولهم : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ، وتحقيق الأمر بين الأمرين وتوضيح الرّد على الفريقين لعلنا نشير إليها في مقام مناسب إنشاءالله .

الوجه الثاني تفويض أمور الخلق إلى النّبيّ و الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم وردّها إلى اختيارهم وهو يتصوّر على أنحاء بعضها صحيح و بعضها باطل

الاول

التّفويض في الخلق والايجاد والتّربية والرّزق و الامـاتة والاحيـاء وغيرها من الأفعال ، وقد أثبته بهذا المعنى بعض النّاقصين من الغلاة

فان كان مرادهم منه أنّهم يفعلون جميع ذلك بارادتهم و قدرتهم و هم الفاعلون لها حقيقة كما هو ظاهر كلماتهم على ماحكى عنهم غيرواحد ، فهو كفر صريح دلّت على امتناعه الأدلة العقليّة والنقلية، و قد مضى الاشارة إلى بعضها في كلامي الصّدوق والمفيد السابقين

ويدلّ عليه صريحاً (١) ما رواه في العيون عن الرّضا عليه السلام أنّه قال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر ، و من زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق و الرّزق إلى حججه فقد قال بالتّفويض ، و القـائل بالجبر كافر و القائل بالتفويض مشرك

وفيه أيضاً باسناده عن أبي هاشم الجعفرى قال : سألت أباالحسن الرّضا عليه السلام عن

١- والتقييد بذلك نظراًالى ان آيات الخلق و دلائل التوحيد و الآيات الواردة فى كفر النصارى و بطلان مذهبهم والاخبار الواردة فيها دالّة على الامتناع أيضاً الاّ انّ المقصود فى المقام ذكر الادلّة الخاصة الصريحة، منه

الغلاة والمفوّضة فقال : الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون من جالسهم أوخالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إليهم أو امنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة ، خرج من ولاية الله عزّ جلّ وولاية رسول الله وولايتنا أهل البيت

وفي البحار من كتاب الرّجال للكشّي باسناده عن عبدالله بن شريك عن أبيه قال : بينا عليّ عند امرأة له من غنزة و هي امّ عمرو إذ أتاه قنبر فقال : إنّ عشرة نفر بالباب يزعمون أنّك ربّهم فقال : ادخلهم قال : فدخلوا عليه فقال لهم : ماتقولون فقالوا إنّك ربّنا وأنت الّذي خلقتنا و أنت الذي رزقتنا، فقال لهم : ويلكم ربّي و ربّكم الله، ويلكم توبوا أو ارجعوا فقالوا : لانرجع عن مقالتنا أنت ربّنا ترزقنا وأنت خلقتنا فقال : ياقنبر ائتني بالفعلة فخرج قنبر فأتاه بعشرة رجال مع الزبل (١) والمرود ، فأمر أن يحفروا لهم في الأرض فلمّا حفروا خدّاً (٢) أمر بالحطب والنّار فطرح فيه حتّى صار ناراً تتوقّد قال لهم : توبوا قالوا : لانرجع فقذف عليّ عليه السلام بعضهم ثمّ قذف بقيّتهم في النّار قال عليه السلام :

إنّي إذا أبصرت شيئاً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً (٣)

و عن العيون عن ماجيلويه ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن ياسر الخادم قال : قلت للرّضا عليه السلام ما تقول في التفويض ؟ فقال : إنّ الله تبارك و تعالى فوّض إلى نبيّه أمر دينه فقال :

« ما آتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

فامّا الخلق و الرّزق فلا ثمّ قال : إنّ الله عزّ و جلّ خالق كلّ شيء و هو يقول عزّ و جلّ :

١- الزبل ككتب جمع زبيل كأمير وقنديل وسكّين قاله فى القاموس

٢- أى الحفرة المستطيلة فى الارض ق

٣-و فى بعض الروايات بعد هذاالبيت هكذا :

ثم احتفرت حفرا فحفراً و قنبر يحطم حطما منكراً (منه)

« أَلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ »

و في الاحتجاج و عن العيون جميعا عن عليّ بن أحمد الدّلال القمّي ، قال : اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى الأئمة أن يخلقوا ويرزقوا فقال قوم : هذا محال لا يجوز على الله ، لأنّ الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ ، و قال آخرون بل الله عزّ جلّ أقدر الأئمة على ذلك و فوّض إليهم ، فخلقوا ورزقوا ، و تنازعوا في ذلك نزاعا شديداً فقال قائل : ما بالكم لا ترجعون إلى أبيجعفر محمّد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحقّ فيه فانّه الطريق إلى صاحب الأمر عليه السلام فرضيت الجماعة بأبيجعفر و سلّمت و أجابت إلى قوله ، فكتبوا المسألة فأنفذوها إليه ، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته

إنّ الله تعالى هوالّذى خلق الأجسام و قسّم الأرزاق ، لأنّه ليس بجسم و لا حالّ في جسم ، ليس كمثله شيء وهوالسّميع البصير ، فأمّا الأئمة فانّهم يسألون الله فيخلق ويسألونه فيرزق ايجابا لمسألتهم وإعظاماً لحقهم

إلى غير هذه من الأخبار الواردة في ردّ هذه المقالة الفاسدة وطعن القائلين به ، فلا يستريب عاقل في الحكم بكفرهم إن كان مرادهم التّفويض بالاستقلال .

و إن كان مرادهم أنّ الله يفعل الأشياء مقارنا لارادتهم كشقّ القمر و إحياء الموتى و قلب العصا حيّة و غير ذلك من المعجزات ، بمعنى أن يكون الفاعل لها حقيقة هو الله سبحانه و يكون هو الخالق و الرّازق و المحيى و المميت و الضارّ و النافع إلاّ أن ذلك لما كان مقارنا لإرادتهم و مقترنا لمشيّتهم فاطلق ذلك عليهم مجازاً .

و بعبارة أخرى لما كان وقوع هذه الأفعال بسبب ارادتهم فصاروا بمنزلة الفاعل لها حقيقة ، فهذا المعنى مما لاإباء للعقل عنه لأنه لايأبى عن أن يكون الله خلقهم و أكملهم و ألهمهم ما يصلح لنظام العالم ثمّ خلق كلّشيء بقدرته مقارنا

لارادتهم و مشيتهم.

إلاّ انّ المحدّث المجلسي قال : إنّ الأخبار الكثيرة تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهراً بل صريحا ، مع أنّ القول به قول بما لايعلم ، إذلم يرد ذلك في الأخبار المعتبرة فيما نعلم ، و ما ورد من الأخبار الدالّة على ذلك كخطبة البيان و أمثالها فلم يوجد إلاّ في كتب الغلاة و أشباههم مع أنه يمكن أن يكون المراد كونهم علّة غائية لجميع الممكنات ، و ايجاد جميع المكونات و انه تعالى جعلهم مطاعين في الأرضين و السماوات ، و يطيعهم باذن الله تعالى كلّ شيء حتى الجمادات ، و انهم إذاشاؤوا امراً لايرد الله مشيتهم ولكنّهم لايشاؤون إلاّ أن يشاء الله،

و أمّا ما ورد من الاخبار فى نزول الملائكة و الرّوح اليهم لكلّ أمر و أنه لاينزل من السماء ملك لأمر إلاّ بدءبهم فليس ذلك لمدخليهم في ذلك ولا للاستشارة بهم' بل له الخلق و الأمر تعالى شأنه و ليس ذلك إلاّ لتشريفهم و إكرامهم و اظهار رفعة مقامهم

الثانى

التّفويض في أمر الدّين في الجملة وإنّما قيّدنا به وخالفنا ظاهر أكثر العباير لأنّ كثيراً من الأمور الدّينيّة ممّا نطق به الكتاب العزيز ، وبعضها ثبت بالاحاديث القدسيّة ، فلابدّ أن يكون التّفويض فيما عداها ، وبه يظهر ما في إطلاقات الاكثر ، فالمقصود بذلك أنّه سبحانه لمّا أكمل نبيّه بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئاً إلاّ ما يوافق الحقّ والصّواب ، ولم يكن يخطر بباله مايخالف مشيّة الله في كلّ باب فوّض إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة في الصّلاة وتعيين النّوافل في الصّلاة والصّوم وطعمة بالجد ، وتحريم كلّ مسكر و نحو ذلك ممّا سيأتي في ضمن الأخبار

والتّفويض بذلك المعنى حقّ ثابت بالأخبار المستفيضة وقد ذهب إليه جمع من الأصحاب وهو الظّاهر من أكثر المحدّثين بل صريح بعضهم كالكليني حيث عقد في الكافي باباً فيه و الصّدوق في جملة من كتبه ، فقد ذكر الأخبار الدالة على ذلك من غير تعرّض لردّها ، و صرّح به فى عقايده حسبما عرفت سابقاً ، والمحدّث

المجلسي في جملة من كتبه وغيرهم

فممّا يدلّ على ذلك رواية ياسر الخادم الّتي أسلفناها

وما رواه في الكافي عن فضيل بن يسار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : إنّ الله عزّوجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه ، فلمّا أكمل له الأدب قال :

« وإنّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظيمٍ »

ثم فوّض إليه أمر الدّين والامّة ليسوس عباده فقال :

« وَما آتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

وإنّ رسول الله كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس لايزلّ ولايخطى شي ممّا يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله ثم إنّ الله عزّ وجلّ فرض الصّلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات ، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة ، فصارت عديل الفريضة لايجوز تركهنّ إلاّ في سفر ، وأفرد الرّكعة في المغرب فتركها قائمة في السّفر والحضر ، فأجاز الله له ذلك كلّه فصارت الفريضة سبع عشر ركعة .

ثمّ سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله النّوافل أربعا وثلاثين ركعة مثلي الفريضة فأجاز الله له ذلك ، والفريضة والنافلة احدى وخمسون ركعة ، منها ركعتان بعد العتمة جالسا تعدّ بركعة مكان الوتر ، وفرض الله في السّنة صوم شهر رمضان وسنّ رسول الله صوم شعبان وثلاثة أيّام في كل شهر مثلي الفريضة فأجاز الله له ذلك

وحرّم الله الخمر بعينها وحرّم رسول الله المسكر من كلّ شراب فأجاز الله ذلك وعاف رسول الله أشياء وكرهها لم ينه عنها نهى حرام إنما نهى عنها نهى إعافة وكراهة، ثمّ رخّص فيها فصار الاخذ برخصته واجباً على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزايمه ولم يرخّص لهم رسول الله فيما نهيهم عنه نهى حرام ، ولا فيما أمر به أمر فرض لازم فكثير المسكر من الأشربة نهيهم عنه نهى حرام

و لم يرخّص رسول الله تقصير الركعتين اللتين ضمّهما إلى ما فرض الله بل ألزمهم ذلك إلزاماً واجبا لم يرخّص لأحد في شيء من ذلك إلاّ للمسافر ، وليس لأحد أن يرخّص ما لم يرخّصه رسول الله صلى الله عليه وآله فوافق أمر رسول الله أمر الله عزّوجلّ ، ونهيه نهى الله عزّوجلّ ، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى

وفي الكافي أيضاً عن عبدالله بن سليمان العامري عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما عرج برسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالصلاة عشر ركعات ركعتين ركعتين ، فلما ولد الحسن والحسين زاد رسول الله سبع ركعات شكراً لله فأجاز الله له ذلك وترك الفجر لم يزد فيها الضيق وقتها، لأنّه يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار ، فلمّا أمره الله تعالى بالتقصير في السفر وضع عن امّته ستّ ركعات وترك المغرب لم ينقص منها شيئاً

و في البحار من كتاب الاختصاص باسناده عن جابر بن يزيد ، قال تلوت على أبي جعفر عليه السلام هذه الآية من قول الله :

« لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ »

فقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرص أن يكون عليّ وليّ الأمر من بعده فذلك الذي عنى الله

« لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ »

و كيف لايكون له من الأمر شيء وقد فوّض الله إليه فقال : ما أحلّ النّبيّ فهو حلال وما حرّم النّبيّ فهو حرام

وفيه أيضا من بصائر الدّرجات باسناده عن محمد بن الحسن الميثمي ، عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ الله أدّب رسوله حتّى قوّمه على ما أراد ثمّ فوض إليه فقال :

« ما آتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

فما فوّض الله إلى رسوله فقد فوّض إلينا ، ورواه في الكافي أيضاً مثله

وفي البحار من البصاير أيضاً عن أديم بن الحرّ ، قال اديم : سأله موسى بن اشيم يعني أباعبدالله عليه السلام عن آية من كتاب الله فخبّره بها ، ولم يبرح حتّى دخل رجل

فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره ، قال ابن أشيم فدخلني من ذلك ماشاء الله حتى كنت كاد قلبي أن يشرح بالسكاكين ، وقلت . تركت أباقتادة بالشام لا يخطي في الحرف الواحد الواو و شبهها و جئت إلى من يخطي هذا الخطاء كله فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني والذي سأله بعدى فتجلى عني و علمت أن ذلك تعمداً منه ، فحدثت نفسي بشيء فالتفت إلي أبوعبدالله عليه السلام فقال يابن اشيم لاتفعل كذا وكذا فحدثني عن الامر الذي حدثت به نفسي ثم قال : يابن اشيم إن الله فوض إلى سليمان بن داوودفقال :

« هٰذا عَطآؤُنا فَامْنُنْ أَوْأَمْسِكْ بِغَيرِ حِسابٍ » و فوض إلى نبيه فقال :

« ما آتيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

فما فوض إلى نبيه فقد فوضه إلينا ، و رواه في الكافي نحوها إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب هذا

و المستفاد من الروايتين الأخيرتين هو ثبوت التفويض إلى الأئمة كما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و هو نص الصدوق في عبارته التي نقلناها سابقاً ، و لكنه مشكل جداً ، وذلك لأن الظاهر من تفويض أمر الدين إليهم حسبما ذكرناه سابقاًهوتسليم أمره إليهم وجعله موكولا إلىاختيارهم ، بمعنى أن يكون لهم الخيار في تحريم شيء أوتحليله والحكم بطهارة شيء أونجاسته إلىغيرذلك من الأحكام الشرعية والوضعية وهو مناف للأحاديث المستفيضة بل المتواترة الدالة على أن جميع الأحكام مما علمه رسول الله علياً و الأئمة من ولده ، و أنه ما بقي شيء يحتاج إليه الامة من الأحكام الشرعية والمسائل الدينية حتى أرش الخدش إلا بينه صلى الله عليه وآله

وتنافيه للتفويض ظاهر ، إذالمستفاد منهذهالأخبارأنه لم يبق من أمرالدين شيء إلا وأودعه صلى الله عليه وآله عندهم ، فلم يبق حكم واقعي حتى يفوض الأمر فيه إليهمأو يحكموا به من تلقاء أنفسهم ؛ بل الظاهر أن كل ما حكموا به فهونورمقتبس من

أنوار الرّسالة .

ومنه ينقدح إشكال آخر ، وهو أنّ المستفاد من كثير من الأخبار و الآيات أنّ في القرآن تبيان كلّ شيء و أنّه لا رطب و لا يابس إلاّ في كتاب مبين ، و أنّ جميع الأحكام ممّا نزل به الرّوح الأمين من عند ربّ العالمين ، وذلك ينافي التفويض إلى النّبيّ أيضاً بالتقريب الذي ذكرناه آنفا ، و قد قال سبحانه : « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ، و إن اتّبع إلاّ ما يوحى اليّ وما أنا إلاّ نذير مبين » ومن المعلوم أنّه كثيراً ما كان ينتظر الوحي ولا يجيب من تلقاء نفسه ، فلو كان الأمر مفوّضا إليه لما احتاج إلى ذلك

و يمكن الجواب عن الاشكال الأوّل بحمل الأحكام المفوّضة إليهم على الأحكام الظاهريّة كالواردة في مقام التّقية وربّما يشعر به الرّواية الأخيرة إلاّ أنّ المستفاد من ذيلها كالرّواية المتقدّمة عليها هو كون التّفويض إلى الأئمة على حدّ التّفويض إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ ما فوّض إلى رسول الله فوّض إلى الأئمة ، وقد ظهر من رواية الفضيل أنّ التّفويض إليه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هو في الأحكام الواقعيّة فالأولى الجواب بأنّ المراد بالتّفويض إليهم هو التّفويض في تشريع الأحكام و اختراعها .

لا يقال : إنّ تشريع الأحكام كان مختصّا بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم يبق بعده حكم حتّى يكون مفوّض التشريع إلى الأئمة

لأنّا نقول : إنّ غاية مايستفاد من الأخبار هو أنّ إكمال الدّين وإنزال جميع الاحكام كان في زمن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و أمّا تبليغه لها كلّها إلى الامة فلا بل لم يبلّغ صلوات الله عليه إلاّ قليلا من الاحكام ، و إنّما أودعها كلّها عند الأئمة و سلّمها إليهم و هم عليهم السّلام بلّغوا منها إلى الامّة ما كانت محتاجة إليه ، و بقي مخزونا عندهم مالم يكن لها إليه حاجة

وبمثل هذا الجواب أيضاً يمكن الذّبّ عن الاشكال الثّاني إلاّ أنّ التّحقيق في الجواب عنه أن يقال : إنّ كون جميع الاحكام ممّا اوحي بها إلى النبيّ لا ينافي

التّفويض إليه ، لأنّ المستفاد من الأخبار أنّ تفويض أُمور الدّين إليه صلى الله عليه وآله إنّما وقع بعد أن أدّبه الله سبحانه ، والمراد بتأديبه هواجتبائه بالهداية إلى جميع مافيه صلاح العباد في أمر المعاش والمعاد ، وإكرامه بالعصمة المانعة من الخطاء والزّلل ، وإكمال عقله وإقداره على معرفة جهات الأفعال من المصالح والمفاسد الواقعة فيها

فيكون محصّل المراد بتلك الأخبار أنّ الله أكمل عقل نبيّه وعلّمه جميع المصالح والمفاسد الواقعيّة ، فحسن علمه وكماله ، ثمّ فوّض إليه أمر دينه أي أذن له في مراجعة عقله في معرفة الأحكام ، فعرف في شيء جهة حسن ملزم فحكم في نفسه بوجوبه ، و في شيء آخر جهة قبح ملزم فحكم في نفسه بحرمته ، وهكذا ثمّ لحقه الاجازة من الله سبحانه ، فحاله عند التّحقيق كحال المجتهد إذا رجع الأدلّة فحكم بحكم ثمّ عرض على المعصوم فأقرّه عليه وأجاز له ذلك

وبعبارة أخرى أنّ الله لمّا أكمل نبيّه بالعقل والعلم والعصمة والهداية ، والنّبيّ لمّا عرف الجهات الواقعيّة للأفعال ، فعيّن في نفسه الشّريف لكلّ فعل حكما من الأحكام على حسب ملاحظة الجهات و مراعات اقتضاء المقتضيات الواقعيّة فلحقه الاجازة منه سبحانه بما عيّنه في نفسه ، ثمّ كلف النّاس به بعد لحوق الاجازة فيكون وحيا ويندرج في أحكام الله سبحانه ، ثم في الكتاب المشتمل عليها و على غيرها ، و كيف كان فلا ينطق بما اختاره في نفسه إلاّ بعد الاجازة و نزول وحى يدلّ على تقريره عليه .

ومن هنا ذهب بعض أصحابنا الأُصوليّين إلى أنّ المراد بقولهم كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع : هو العقل الكلّ العالم بالجهات المحسّنة والمقبحة العارف بالمصالح والمفاسد الواقعيّة ، و يوضح ما حقّقناه ما ورد في أمر تحويل القبلة من أنّ النبيّ كان متعبّداً باستقبال بيت المقدّس ، فلما عيرت بـه اليهود و قالوا له : إنك تابع لقبلتنا كره استقبال قبلتهم وأحبّ التحويل إلى الكعبة فأنزل الله سبحانه :

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » .

فانّ النبيّ ﷺ قد اختار في نفسه التّحويل ، ومع ذلك لم يكلّف النّاس به من هوى نفسه و إنما كلّفهم بعد نزول الوحى ، فولّى وجهه شطره فولّوا وجوههم إليه ، فافهم واغتنم

الثالث

تفويض أمر الخلق إليهم من سياستهم و تأديبهم وتكميلهم و تعليمهم و وجوب إطاعتهم فيما أحبّوا و كرهوا ، وفيما علموا جهة المصلحة فيه ومالم يعلموا ، و بعبارة اخرى أنه تعالى فوّض زمام الخلق اليهم وأوجب عليهم طاعتهم في كلّ ما يأمرون به و ينهون عنه ، سواء علموا جهة المصلحة أم لم يعلموا ، و انما الواجب عليهم الاذعان و الانقياد .

قال العلاّمة المجلسي (ره) : و هذا المعنى حقّ دلّت عليه الآيات و الأخبار وأدلّة العقل اه أقول : من الآيات قوله تعالى :

« أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » وقوله : « وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » .

ومن الأخبار ما رواه في الكافي باسناده عن أبي اسحاق النحوي قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسمعته يقول : إنّ الله أدّب نبيّه على محبّته (١) فقال :

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ثمّ فوّض إليه ، فقال : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » وقال : « وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ »

ثمّ قال و إنّ نبيّ الله فوّض إلى عليّ و ائتمنه فسلمتم و جهد الناس فوالله لنحبّكم (لحسبكم خل) أن تقولوا اذاقلنا ، وأن تصمتوا اذا صمتنا و نحن فيما بينكم و بين

١- أي على ما أحبّ وأراد من التأديب،منه

الله ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا

وفي الكافي و البحار من بصاير الدرجات باسنادهما عن زرارة قال سمعت أباجعفر و أباعبدالله عليهما السلام يقول: إن الله فوض الى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم تلى هذه الآية:

« وَما آتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ».

وعن زرارة أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس ودية الأنف، وحرم النبيذ وكل مسكر فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم ليعلم من يطع الرسول ممن يعصيه

الرابع

تفويض القول بما هو أصلح لهم أو للخلق بسبب اختلاف العقول والافهام والازمنة والحالات أو غير ذلك من الاعتبارات

وبعبارة أوضح أنه سبحانه فوض إليهم بيان العلوم والأحكام بما أراد وأراد المصلحة فيها بسبب اختلاف عقول الناس وبسبب التقية فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام و بعضهم بالتقية، ويبينون تفسير الآيات وتأويلها بحسب ما يحتمل عقل كل سائل ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا بحسب مايريهم الله من مصالح الوقت

ويشهد بذلك رواية ابن أشيم السالفة.

وما رواه الكليني باسناده عن الوشاعن الرضا عليه السلام قال: قلت له: حقاً علينا أن نسألكم قال: نعم، قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا، قال: لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله:

« هذا عَطآؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيرِ حِسابٍ ».

وباسناده عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن مسألة فأجابني ثم جائه رجل آخر فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ثم جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت له: يابن رسول الله

رجلان من أهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كلّ واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه ، فقال : يازرارة إنّ هذا خير لنا ولكم وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لما صدقكم النّاس علينا ولكان أقلّ لبقائنا ولبقائكم

وعن الخصال بسنده عن حماد قال : قلت للصّادق عليه السلام : انّ الأحاديث تختلف عنكم قال : فقال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للامام أن يفتى على سبعة وجوه ثمّ قال :

« هٰذا عَطآؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيرِ حِساب ».

وفي الكافي مسنداً عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أسالك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، يجيئك غيرى فتجيب فيها بجواب آخر ، فقال : إنّما نجيب النّاس على الزيادة والنقصان

قال العلاّمة المجلسي : و لعلّ تخصيص هذا النّحو من التّفويض بالنّبيّ و الأئمة عليهم السّلام لعدم تيسّر هذه التّوسعة لساير الأنبياء والأوصياء ، بل كانوا مكلّفين بعدم التّقية في بعض الموارد وإن أصابهم الضّرر

الخامس

التّفويض في قطع الخصومات ومقام القضاء ، فلهم أن يحكموا بظاهر الشريعة ولهم أن يحكموا بعلمهم و بما يلهمهم الله من الواقع ومخّ الحق في كلّ واقعة

ويدلّ عليه ما رواه محمد بن سنان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لا والله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى الرسول وإلى الأئمة عليه وعليهم السّلام فقال :

« إِنّا أَنزَلنا إِلَيكَ الْكِتابَ لِتَحْكُمَ بَينَ النّاسِ بِما أَريكَ اللهُ »

وهي جارية في الأوصياء فانّ الظاهر أنّ المراد بالارائة هو الالهام ومايلقى في القلب فتدلّ على التّفويض بالمعنى المذكور ، و يأتي تحقيق ذلك إنشاءالله في شرح كلامه المأة والتاسع عشر

السادس

التفويض في العطاء والمنع ، فان الله تعالى خلق لهم الأرض و مافيها و جعل لهم الأنفال والخمس والصفايا فلهم أن يعطوا من شاؤوا وأن يمنعوا من شاؤوا

و يدل عليه ما رواه في البحار من كتاب الاختصاص و بصاير الدرجات ، عن محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن رفيد مولى ابن هبيرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام إذا رأيت القائم أعطى رجلا مأة ألف وأعطى آخر درهماً فلا يكبر في صدرك ، و في رواية اخرى فلا يكبر ذلك في صدرك فان الأمر مفوّض اليه

وفي هذا المعنى أخبار كثيرة أوردها الأصحاب بعضها في أبواب الخمس و بعضها في أبواب الجهاد هذا ، و أنت بعدما أحطت خبراً بما ذكرناه من أقسام التفويض و عرفت صحيحها و باطلها ظهر لك فساد القول بالنفي والاثبات على وجه الاطلاق ، وعليك بالتأمل حق التأمل في هذا المقام فانه من مزال الاقدام

الترجمة

وگفته أمير مؤمنان عليه التحيّة والسّلام در وقتى كه عزم نمود بر حرب خوارج نهروان وگفته شده آنحضرترا كه خارجيان عبور كرده‌اند از پل نهروان : مواضع هلاك شدن ايشان نزد آب نهروانست ، بخدا سوگند نميرهند ازايشان ده نفر وهلاك نميشود از شما ده نفر ، شارح ميگويد بقرارى كه آنحضرت خبرداده بود نه نفر از خوارج خلاصى يافت ونه نفر از أصحاب آنحضرت شهيد شد و اين ازجمله اخبار غيبيّهٔ آن حضرتست .

وقال عليه السلام لما قتل الخوارج وهو التاسع والخمسون من المختار في باب الخطب

فقيل له يا أميرالمؤمنين هلك القوم بأجمعهم :

كَلاَّ وَاللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجالِ ، وَ قَراراتِ النِّساءِ ، كُلَّما

نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاّبِينَ .

اللغة

(القرار) والقرارة بالفتح ماقرّ فيه شيء وسكن والمراد هنا الأرحام و (نجم) ينجم من باب نصر ظهر و طلع و (القرن) الرّدق من الحيوان و موضعه من رأس الانسان أو الجانب الاعلى منه والقرن من القوم سيّدهم ورئيسهم و (اللصوص) جمع لص مثلّثة و (السّلب) الاختلاس

الاعراب

قوله في أصلاب الرّجال متعلق بالاستقرار المقدّر صفة للنطف، وسلاّبين حال مؤكدة .

المعنى

هذا الكلام أيضاً من جملة اخباره الغيبيّة حسبما عرفت في شرح كلامه السّابق فانّ أصحابه لمّا توهّموا هلاك القوم جميعاً و استيصالهم ردعهم بقوله (كلاّ والله إنّهم نطف) مستقرّة (في أصلاب الرّجال و قرارات النّساء) يعنى أنّ قوما ممّن يرى رايهم ويقول بمثل مقالتهم الآن موجودون بعضهم في أصلاب الآباء وبعضهم في أرحام الامهات وسيظهرون ويتّبعون لهم ويكون لهم رؤسا ذووأتباع و (كلّما نجم منهم قرن قطع) أراد به استيصال رؤسائهم واستعار لهم لفظ القرن مرشحا بذكر النّجم و القطع لكونهما من ملايمات المستعار منه ، ثمّ أشار إلى ما يصير إليه حالهم من الدّنائة والابتذال بقوله (حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين) أي قطاعا للطريق

روى أنّ طائفة من الخوارج لم يحضروا القتال ولم يظفر بهم أمير المؤمنين عليه السلام وقد عرفت في شرح الكلام السّابق أنّ المفلتين من القتل كانوا تسعة نفر ، فتفرقوا في البلاد وشاعت بدعهم فيها وصاروا نحواً من عشرين فرقة و كبارها ستّ وقيل سبع

احداها المحكمة

وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام عند التحكيم و كفّروه ، وهم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام ، و فيهم قال النبي صلّى الله عليه وآله يحقر صلاة أحدكم في

جنب صلاتهم ، و صوم أحدكم في جنب صومهم ، ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم ، قالوا : من نصب من قريش وغيرهم وعدل فيما بين النّاس فهو امام ، وإن غيّر السّيرة وجار وجب أن يعزل أو يقتل ولم يوجبوا نصب الامام ، وجوّزوا أن لا يكون في العالم إمام وكفّروا عثمان وأكثر الصّحابة ومرتكب الكبيرة

الثانية البيهسية

أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتل في زمن الوليد قالوا : الايمان هو الاقرار والعلم بالله و بما جاء به الرّسول فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر ، لوجوب الفحص عليه حتّى يعلم الحقّ ، وقيل لا يكفر حتّى يرجع أمره إلى الامام فيحدّه و كلّما ليس فيه حدّ فمغفور ، و قيل لا حرام إلّا ما في قوله :

« قُلْ لاٰ أَجِدُ فِيمٰا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً » الآية.

وقالوا : إذا كفر الامام كفرت الرّعيّة حاضراً أو غايبا ، وقال بعضهم السّكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه

الثالثة الازارقة.

أصحاب نافع بن الازرق و كانوا أكبر الفرق غلبوا على الأهواز و بعض بلاد فارس وكرمان في أيّام عبدالله بن زبير ، وهم في ثلاثين ألف فارس فأنفذ إليهم المهلب ولم يزل في حربهم هو وأولاده تسع عشرة إلى أن فرغ من أمرهم في أيّام الحجّاج ومذهبهم أنّهم قالوا : كفر عليٌّ بالتّحكيم ، وهو الّذي أنزل الله في شأنه :

« وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَ يُشْهِدُ اللّٰهَ عَلىٰ مٰا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصٰامِ »

وابن ملجم محقّ في قتله ، وهو الذى انزل في شأنه :

« وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ ».

وفيه قال شاعرهم:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البريّة عندالله ميزاناً (١)

عليه و عليهم ألف ألف لعنة من الله والملائكة والنّاس أجمعين ، و قالوا : أيضاً بكفر عثمان و طلحة والزّبير و عايشة و عبدالله بن العبّاس و ساير المسلمين معهم و قضوا بتخليدهم في النّار ، و كفروا الذين قعدوا عن القتال و إن كانوا موافقين لهم في الدّين ، و قالوا بتحريم التّقيّة في القول والعمل و بجواز قتل أولاد المخالفين ونسائهم و أنّه لارجم على الزّاني المحصن إذهو غير مذكور في القرآن ، والمرئة إذاقذفت أحداً لاتحدّ ، لأنّ المذكور في القرآن هو صيغة الذين وهي للمذكّر ، و جوّزوا أن يكون النبيّ كافراً و إن كان بعد النبوّة ، و قالوا : إنّ مرتكب الكبيرة كافر .

الرابعة النجدات

نسبتهم إلى نجدة بن عامر النّخعي و كان معه أميران يقال : لأحدهما عطية و الآخر أبو فديك ، ففارقاه بشبهة ثمّ قتله أبو فديك و صار لكلّ منهما جمع عظيم ؛ و قتلا في زمن عبدالملك ، وهم افترقوا من حيث المذهب إلى فرق عديدة منها .

العاذريّة وهم الذين عذروا النّاس في الجهالات بالفروع و ذلك أنّ نجدة وجد لعنه الله بجيش إلى أهل القطيف فقتلوهم و أسروا نسائهم و نكحوهنّ قبل القسمة و أكلوا من الغنيمة قبلها أيضاً فلمّا رجعوا إلى نجدة و أخبروه بما فعلوا قال: لم يسعكم ما فعلتم ، فقالوا : لم نعلم أنّه لايسعنا فعذروهم بجهالتهم و قال النّجدات كلّهم : لاحاجة للنّاس إلى الامام بل الواجب عليهم رعاية النّصفة فيمابينهم ويجوزلهم نصبه إذا توقّفت عليه الامور و خالفوا الأزارقة في غيرالتّكفير .

و منها الأصفرية أصحاب زيادبن الأصفر يخالفون الأزارقة في تكفير من قعد عن القتال إذ كانوا موافقين لهم في الدّين و في إسقاط الرّجم فانّهم لم يسقطوا

١- البيت لعمران بن الحطان الخارجي لعنه الله بمدح ابن ملجم

و جوّزوا التّقية في القول دون العمل ، و قالوا المعصية الموجبة للحدّ لايسمّى صاحبها إلاّ بها فيقال سارق مثلا ولايقال كافر ومالاحدّ فيه لعظمته كترك الصّلاة والصّوم يقال لصاحبه كافر.

الخامسة الاباضية

نسبتهم إلى عبدالله بن أباض كان في أيّام مروان بن محمّد فوجد إليه عبدالله محمّد بن عطية فقاتله و قتله، و هؤلاء ذهبوا إلى أنّ مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم و غنيمة أموالهم حلال عند الحرب دون غيره، ودارهم دار الاسلام إلاّ معسكر سلطانهم، ومرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن بناء على أنّ الأعمال داخلة في الايمان ، و فعل العبد مخلوق لله تعالى و مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملّة، وتوقفوا في النّفاق أهو شرك أم لا و كفّروا عليّاً وأكثر الصّحابة وتحت هذه الفرقة أيضاً فرق عديدة.

منهم الحفصيّة نسبتهم إلى أبى حفص بن أبي المقدام وزادوا على الاباضية أنّ بين الايمان والشّرك معرفة الله تعالى فانّها خصلة متوسطة بينهما، فمن عرف الله تعالى و كفر بما سواه من رسول أو جنّة أو نار أو بارتكاب كبيرة فكافر لامشرك.

ومنهم اليزيدية وهم أصحاب يزيد بن أنيسة زادوا على الاباضية بقولهم : إنّه سيبعث نبيّ من العجم بكتاب يكتب في السماء و ينزل جملة واحدة و يترك شريعة محمّد إلى ملّة الصّابية المذكورة في القرآن ، و قالوا أصحاب الحدود مشركون ، و كلّ ذنب شرك صغيرة كانت أو كبيرة .

و منهم الحارثية وهم أصحاب أبي الحارث الأباضى، خالفوا الأباضية في القدر أى كون أفعال العباد مخلوقة منه تعالى ، و في كون الاستطاعة قبل الفعل .

السادسة العجاردة

أصحاب عبد الكريم بن عجرد ، زعموا أنّ العبد إذا أتى بما امر به ولم يقصد الله كان ذلك طاعة ، و قالوا أيضاً بوجوب التبرّى عن الطفل حتّى يدّعي الاسلام بعد البلوغ ، و يجب دعاؤه إلى الاسلام إذا بلغ ، و هذه الفرقة افترقوا

فرقا كثيرة :

منهم الميمونية نسبتهم إلى ميمون بن عمران قالوا : باسناد الأفعال إلى قدر العباد ، و يكون الاستطاعة قبل الفعل و أن الله يريد الخير دون الشرّ ولايريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة ، قالوا : و أطفال الكفّار في الجنّة ، و يروي منهم تجويز نكاح البنات للبنين والبنين للبنات ، و جوّزوا أيضاً نكاح بنات البنين و بنات البنات وبنات أولادالاخوة والأخوات، و نقل عنهم إنكارسورة يوسف فانهم زعموا أنّها قصّة من القصص ، ولايجوز أن تكون قصّة العشق قرآنا

و منهم الحمزية نسبتهم إلى حمزة بن أدرك وافقوا الميمونيّة إلاّ أنّهم قالوا أطفال الكفّار في النّار.

و منهم الشّعيبيّة نسبتهم إلى شعيب بن محمد وهم كالميمونيّة في بدعتهم إلاّ في القدر .

و منهم الحازميّة نسبتهم إلى حازم بن عاصم وافقوا الشّعيبيّة و يحكى عنهم أنّهم يتوقّفون في أمر عليّ ولايصرّحون بالبراءة منه كما يصرّحون بالبراءة من غيره .

و منهم الخلفية أصحاب خلف الخارجي وهم خوارج كرمان أضافوا القدر خيره و شرّه إلى الله و حكموا بأنّ أطفال المشركين في النار بلاعمل وشرك.

و منهم الاطرافية وهم على مذهب حمزة و رئيسهم رجل من سجستان يقال له : غالب، إلاأنهم قالوا بمعذورية أهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة إذاأتوابما يعرف لزومه من جهة العقل ، و وافقوا أهل السّنة في أصولهم .

و منهم المعلومية هم كالحازمية إلاّ انّ المؤمن عندهم من عرف الله بجميع أسمائه و صفاته، و من لم يعرفه كذلك فهو جاهل لامؤمن و فعل العبد مخلوق لله تعالى .

و منهم المجهولية و مذهبهم كمذهب الحازمية أيضاً إلاّ أنّهم قالوا يكفى المعرفة ببعض أسمائه، فمن علمه كذلك فهو عارف به و فعل العبد مخلوق له.

و منهم الصّلتية نسبتهم إلى عثمان بن أبى الصلت ، و هم كالعجاردة لكن قالوا من أسلم و استجار بنا تولّينا و تبرأنا من أطفاله حتّى يبلغوا فيدعوا إلى

الاسلام فيقبلوا.

السابعة الثعالبة

و ربما عدت هذه من فرق العجاردة فيكون الفرق الكبار ستاً، و بعضهم جعلها ستاً باسقاط المحكمة، و كيف كان فهم أصحاب ثعلبة بن عامر، قالوا بولاية الأطفال صغارا كانوا أو كباراً حتى يظهر منهم إنكار الحقّ بعد البلوغ، و نقل عنهم أنهم يرون أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا و إعطائها لهم إذا افتقروا، و تفرّقوا إلى أربع فرق.

الأولى الأخنسية أصحاب الأخنس بن قيس، و امتازوا عن الثعالبة بأن توقفوا فيمن هو في دار التقية من أهل القبله فلم يحكموا عليه بايمان ولا كفر، و نقل عنهم تجويز نكاح المسلمات من مشركي قومهنّ.

الثانية المعبدية نسبتهم إلى معبد بن عبد الرّحمن، خالفوا الأخنسية في تزويج المسلمات من المشركين و خالفوا الثعالبة في زكاة العبيد أى أخذها منهم و دفعها إليهم.

الثالثة الشيبانية نسبتهم إلى شيبان بن سلمة قالوا بالجبر و نفى القدرة الحادثة

الرّابعة المكرمية نسبتهم إلى مكرم العجلى قالوا تارك الصلاة كافر لا لترك الصلاة بل لجهلهم بالله، فانّ من علم أنه مطلع على سرّه و علنه و مجازيه على طاعته و معصيته لايتصوّر منه الاقدام على ترك الصلاة، و كذا كلّ كبيرة فانّ مرتكبها كافر بجهله بالله

الترجمة

و فرموده آن حضرت وقتى كه قتل نمود خوارج را و عرض كردند به آن حضرت كه جميع طايفهٔ خوارج هلاك و تمام شدند: نيست و همچنين بخدا قسم به درستى كه ايشان نطفه‌ها هستند در پشتهاى مردان و دررحمهاى زنان هر گاه ظاهر شود از ايشان شاخى بريده شود تا اينكه مى‌باشد آخر ايشان دزدان ربايندگان يعنى مآل كارشان به جائى رسد كه در آخر از رذالة و دنائة نفس قطاع الطريق

و راهزن ميشوند

و قال عليه السلام و هو الستون من المختار فى باب الخطب

لاَ تَقْتُلُوا الْخَوارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ .

قال السيّد : يعنى معاوية و أصحابه.

اللغة

المراد (بالحقّ والباطل) هنا كلّما هو مطلوب لله سبحانه ومبغوض له.

الاعراب

الفاء في الموارد الثلاثة للسّببيّة إلاّ أنّها في الأوّل بمعنى لام السّببيّة دون الأخيرين بل هى فيهما للسّبب والعطف.

و توضيحه يظهر ممّا حقّقه نجم الأئمة الرّضي حيث قال : والفاء التي لغير العطف أيضاً لاتخلو من معنى التّرتيب ، وهى التي تسمّى فاء السّببيّة ويختصّ بالجمل و تدخل ما هو جزاء مع تقدّم كلمة الشّرط ، نحو إن لقيته فأكرمه ، و من جائك فأعطه ، و بدونها ، نحو زيد فاضل فاكرمه إلى أن قال : و كثيراً مايكون فاء السّببية بمعنى لام السببيّة ، و ذلك إذا كان ما بعده سببا لما قبله كقوله تعالى :

« أُخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ » .

و تقول اكرم زيداً فانه فاضل فهذه تدخل على ما هو الشّرط في المعنى كما أنّ الاولى دخلت على ما هو الجزاء في المعنى ، و ذلك إنّك تقول : زيد فاضل فاكرمه فهذا دخل على الجزاء فاذا عكست الكلام فقلت أكرمه فانّه فاضل فقد دخل على ماهو شرط ، ثمّ اعلم أنّه لاتنافي بين السببية والعاطفة ، فقد تكون سببيّة وهى مع ذلك

عاطفة جملة على جملة ، نحو يقوم زيد فيغضب عمرو ، لكن لايلازمها العطف نحو إن لقيته فاكرمه، انتهى كلامه رفع مقامه.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام نهى عن قتل الخوارج بعده مشيراً إلى علة النهى بقوله (لاتقتلوا الخوارج بعدى) فانه (ليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأدركه) و محصل التعليل أن استحقاق القتل إنما هو بطلب الباطل والوقوع فيه عن علم و عمد لامجرد الوقوع في الباطل ولو من حيث لايشعر ، والخوارج لما لم يكن مقصودهم بالذات إلا درك الحق فخطئوا فيه و وقعوا في الباطل من حيث لايشعرون لاجرم نهى عن قتله ، و أما معاوية و أصحابه فلما كان مطلوبهم بالذات هو الباطل و محق الحق لم يمنع عليه السلام عن قتلهم بل أمر به فيما سبق من كلامه بقوله : أما أنه سيظهر عليكم من بعدى رجل رحب البلعوم إلى قوله : فاقتلوه ولن تقتلوه آه.

أما أن الخوارج كان مقصودهم بالذات هو الحق و وقوعهم في الباطل كان بالعرض ، فلما عرفت من حالهم في شرح الخطبة السادسة والثلاثين و أنهم كانوا أهل عبادة و زهادة حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقهم : يخرج قوم من امتي يقرؤون القرآن ليس قرائتكم إلى قرائتهم بشيء، ولاصلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولاصومكم إلى صومهم بشيء، إلا أنهم بالغوا في التحري و شدة الطلب للحق حتى تجاوزوا عن فضيلة العدل فيه إلى رذيلة الافراط ، و زعموا أنهم كفروا بالتحكيم ، و زعموا كفر أمير المؤمنين بذلك أيضاً فوقعوا في الباطل و مرقوا من الدين.

و أما أن مقصود معاوية كان بالذات هو الباطل وهكذا أصحابه فلما عرفت في شرح الخطبة الخامسة والعشرين و غيرها و ستعرف بعد ذلك أيضاً أنه كان أهل زندقة والحاد وذا تعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله و محاربا لأمير المؤمنين عليه السلام وساباً له ولاعناً في الجمعة والأعياد ، و كانت أحواله كلها مؤدية بانسلاخه عن العدالة واصراره على الباطل عليه لعنة الله و لعنة اللاعنين من الملائكة والانس و الجن أجمعين ملأ السماوات و الأرضين.

فان قلت : إذا كان علّة المنع من قتل الخوارج بعده هو عدم كونهم بالذات طالبين للباطل ، فهذه العلّة بعينها كانت موجودة في زمانه فلم قاتلهم وقتلهم ؟

قلت : أجاب الشّارح البحراني بأنّه نهى عن قتلهم على تقدير لزوم كل منهم نفسه و اشتغالهم بها واستتارهم في بيوتهم ، و هو إنّما قتلهم من حيث إنّهم أفسدوا في الأرض و سفكوا الدّم الحرام و قتلوا جماعة من الصّالحين كعبدالله بن خبّاب، و شقّوا بطن امرءته و دعوا النّاس إلى بدعتهم ، و مع ذلك كان يقول لأصحابه : لاتبدؤهم بالقتال حتّى يبدؤكم ، و لم يشرع في قتلهم حتّى بدؤوا بقتل جماعة من أصحابه .

قال : و يحتمل أن يقال : إنّه إنّما قتلهم لأنّه إمام عادل رأى الحقّ في ذلك و إنّما نهى عن قتلهم بعده لأنّه علم أنّه لايلي هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة أن يقتل و يتولّى الحدود .

أقول : و التّحقيق في الجواب ما ذكره في البحار تبعا للشّارح المعتزلي حيث قال : لعلّ المراد لاتقتلوا الخوارج بعدى مادام ملك معاوية و أضرابه كما يظهر من التّعليل ، و قد كان يسبّه ﷺ و يبرء منه في الجمع والأعياد ولم يكن إنكاره للحقّ عن شبهة كالخوارج، ولم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه ولم يكن مجتهداً في العبادة و حفظ قوانين الشّرع مثلهم ، فكان أولى بالجهاد ، إنتهى .

و يدلّ على ذلك ما رواه أبوالعباس المبرّد قال : و خرج من الخوارج على معاوية بعد قتل عليّ حوثرة الأسدى و حابس الطائي خرجا في جمعهما فصارا إلى موضع أصحاب النّخيلة و معاوية يومئذ بالكوفة وقد دخلها في عام الجماعة ، و وفد الحسن بن عليّ و خرج يزيد المدينة فوجه إليه معاوية و قد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربة الخوارج فكان جواب الحسن : والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين (١) و ذاك يسعنى ، أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتل منهم

١ـ البياض كان فى اصل الرواية والظاهر انه سقط هنا شيء و لعلّ اصل الكلام و ليس ذاك يسعنى والله العالم «منه» .

و هذا الجواب مطابق لكلام أبيه عليهما السلام ، و المقصود منهما أنّ الخوارج أعذر من معاوية و أقلّ ضلالا و معاوية أولى بالمحاربة منهم.

الترجمة

و فرموده است آن حضرت در شأن خوارج كه : نكشيد خارجيان را بعد از من ، پس نيست كسى كه طلب كند حق را پس خطا كند در آن مثل كسى كه طلب كند باطل را پس دريابد آنرا . سيد رضى الله عنه گفته كه اراده فرموده حضرت بطالب باطل معاويه عليه الهاويه و أصحاب اورا .

و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة و هو الحادى و الستون من المختار فى باب الخطب

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذا جآءَ يَوْمي إنْفَرَجَتْ عَنّي وَأَسْلَمَتْني فَحينَئِذٍ لاَ يَطيشُ السَّهْمُ ، وَلاَ يَبْرَءُ الْكَلْمُ .

اللغة

(الغيلة) بالكسر فعلة من الاغتيال و هو القتل على غفلة و (الجنّة) بضمّ الجيم ما يجنّ به اى يستتر من درع و ترس و نحوهما و(طاش) السّهم يطيش من باب ضرب صدف عن الغرض و انحرف عنه و (الكلم) بفتح الكاف و سكون اللاّم الجرح .

الاعراب

علىّ خبر إنّ قدّم على الاسم توسّعا و على لاستعلاء المعنوى، و من الله متعلّق بمقدّر حال من فاعل حصينة وتقدّمه للتّوسع أيضاً .

المعنى

روى أنّه عليه السلام خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مراراً و أنّ الأشعث لقاه

متقلّداً سيفه فقال له ، ما يقلّدك السّيف و ليس بأوان حرب ؟ فقال لعنه الله : أردت أن أنحربه جزور القرية ، فأتى الأشعث إليه عليه السلام فأخبره و قال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال ما قتلني بعد.

و روى أنّه عليه السلام : كان يخطب مرّة و يذكر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر فسمعه يقول : و الله لأريحنّهم منك ، فلما انصرف عليه السلام أتوابه ملبّبا فأشرف عليهم ، و قال ما تريدون ، فخبروه بما سمعوا عنه ، فقال فما قتلني بعد خلّوا عنه (و إنّ عليّ من الله جنّة حصينة) استعار الجنّة لعناية الله سبحانه بحفظ أسباب حياته في المدة الممكنة له في القضاء الالهي ؛ و الجامع أنّ الجنّة كما أنّها حافظة للانسان عن آلام السّهام و نحوها ، فكذلك بقاء أسباب الحياة و ثبات مادّتها حافظان له عن سهام الموت فحسن استعارتها لها و ذكر الحصينة ترشيح للاستعارة (فاذا جاء يومي) الذي قدّر فيه موتى (انفرجت) تلك الجنّة (عنّي و أسلمتني) للموت و كنّى بانفراجها عن انعدام بعض أسباب الحياة في حقّه ، و هو ترشيح آخر للاستعارة المذكورة (فحينئذ لايطيش السّهم) كما قال في الدّيوان المنسوب إليه.

للموت فينا سهام غير خاطئة   إن فاته اليوم سهم لم يفته غداً

(ولا يبرء الكلم) و في معنى هذا الكلام قال عليه الصّلاة والسّلام في الدّيوان:

أيّ يوميّ من الموت أفرّ   يوم ما قدّر أو يوم قدر

يوم ما قدّر لم أخش الرّدى   و إذا قدّر لايغنى الحذر

أقول : و في هذا الكلام إشعار بأنّ للانسان أجلا موقوتا و أمداً ممدودا إذا أدركه يبطل حياته ، و إلى ذلك ذهب جماعة ، و استدلّوا عليه بقوله سبحانه:

« وَماكانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلّا بِإذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجّلاً » :

و قال أيضاً : « وَلِكُلِّ أُمّةٍ أجَلٌ فَإذا جاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتَأخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ » .

و بأنّ المقدّرات في الأزل و المكتوبات في اللّوح المحفوظ لاتتغيّر بالزّيادة والنّقصان ، لاستحالة خلاف معلوم الله ، وقد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أرادوجوده و بعدم كلّ ممكن أراد عدمه الأزلى أو إعدامه بعد ايجاده ، فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر أو نقصانه بسبب من الاسباب.

و ذهب آخرون إلى قبوله الزّيادة والنّقصان مستدلّين بقوله : « وما يعمّرمن معمّر ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب » و بالأخبار الكثيرة الدّالّة على أنّ صلة الرّحم توجب الزّيادة في العمروالقطيعة توجب النّقصان ، و كذلك البرّ والعقوق هذا .

و التّحقيق في المقام هو التّفصيل بما يجمع به بين الأدلّتين ، و توضيحه يحتاج إلى تمهيد مقدّمة ، و هو أنّ المستفاد من بعض الآيات و الأخبار هو أنّ الأجل على قسمين محتوم ، و موقوف ، قال سبحانه في سورة نوح:

« أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ » .

قال المفسّرون : الأجل المسمّى هو الأمد الأقصى الذي قدّرالله لهم بشرط الايمان والطاعة و راء ما قدّره لهم على تقدير بقآئهم على الكفر والعصيان ، فانّ وصف الأجل بالمسمّى و تعليق تأخيرهم إليه بالايمان صريح في أنّ لهم أجلا آخر لايجاوزونه إن لم يؤمنوا ، و هو المراد بقوله : « إنّ أجل الله إذا جاء لايؤخّر» أى ماقدّر لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذاجاء وأنتم على ماأنتم عليه من الكفر و العصيان لايؤخّر ، فبادروا إلى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتّى لايتحقّق شرطه الذي هو البقاء على الكفر ، فلايجيء و يتحقّق شرط التّاخير إلى الأجل المسمّى فتأخّروا إليه.

و في الكافي باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ:

«قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ».

قال هما أجلان : أجل محتوم ، و أجل موقوف.

و عن عليّ بن إبراهيم باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير هذه الآية ،قال: الأجل المقضى هو المحتوم الذي قضاه و حتمه ، و المسمّى هو الذى فيه البداء ، و يقدّم ما يشاء ويؤخّرمايشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولاتأخير.

إذا عرفت هذه المقدّمة ظهرلك أنّ من الأجل قسما قابلا للتّغيير وقسما ليس قابلا له ، و عليه فاللاّزم حمل الأدلّة الاولة الدّالة على عدم التّغير في الآجال بالتقدّم و التّأخر على الأجل المحتوم، و حمل الأدلة الثّانية على الأجل الموقوف القابل للتغيّر بحصول شروط الزّيادة و أسبابها وعدمه ، و على ذلك فان كان مراد القائلين بثبوت التّغير و القائلين بعدمه هو ما ذكرناه فلا مشاحة بيننا و بينهم و يصير نزاع أحدهما مع الآخر أيضاً على ذلك لفظيّا، و إن أرادوا ثبوت التّغير فى مطلق الآجال و عدمه كذلك فالمنع على القولين واضح.

ثمّ لايذهب عليك أنّ وجود التّغير في الأجل الموقوف حسبما ذكرنا لايوجب التّغيّر في علمه سبحانه حسبما يزعمه القائلون بالقول الأوّل ، و ذلك لأنّه سبحانه كما علم كميّة العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص ، و كما علم من زيد دخول الجنّة علم ارتباطه بأسبابه المخصوصة من ايجاده ، و خلق العقل له و بعث الأنبياء و نصب الألطاف و حسن الاختيار والعمل بموجب الشّرع ، و علم أيضاً حصول تلك الاسباب في الخارج المحصّلة لوجود المسبّب ، و بالجملة جميع مايحدث في العالم فهو معلوم لله سبحانه على ما هو واقع عليه من شرط أو سبب.

توضيح ذلك أنّ الله سبحانه قدخلق لوحا و سمّاه لوح المحو والاثبات قد كتب فيه الآجال و الأرزاق و جميع ما يكون في عالم الكون معلّقا على الأسباب والشرايط و هو الذى يقع في المحو والاثبات والتّغيير والبداء ، مثلا كتب أنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يصل رحمه ، و عشرون إن وصل ، و أنّه إن أدّى الزّكاة يحصل له

البركة في ماله و إن لم يؤدّه لم يحصل، وكذلك جميع الكاينات فهذا اللّوح الذي ابدع فيه صور الموجودات على الوجه القابل للتّغيير، و خلق لوحاً آخر أبدع فيه صور الموجودات و جميع الأشياء مفصّلة معقولة محفوظة عن التّغيّر و هو المسمّى بامّ الكتاب المشار اليه في قوله تعالى:

«يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»

وقد كتب الله فيه الكاينات على ما علمه في الأزل و يسمّى ذلك بالعلم الملازم لاتغيّر فيه ولاتبدّل بوجه من الوجوه ، لأنّ علمه بالاسباب والمسبّبات على نهج واحد ، وقد علم وقوع الاسباب و عدم وقوعها و أنّ زيداً يصل رحمه فيكون عمره كذا ، أولايصل رحمه فيكون كذا وقد علم في الازل أحد الطرفين فكتبه في اللوح المحفوظ ، و هذا هو المشار إليه في الاخبار بقولهم : جفّ القلم بما هو كائن ، يعني أنّه كتب فيه ماهو كائن إلى يوم القيامة فلن يكتب بعده أبداً إذ لم يبق شيء حتّى يكتب.

نعم يبقى الكلام في فايدة لوح المحو والاثبات و تغيير الكاينات و صفاتها فيه مع وجود اللّوح المحفوظ ، ولاحاجة لنا إلى البحث في ذلك الآن و إنّما الواجب التّسليم والاذعان بعد دلالة نصّ الأخبار عليهما والقرآن ، والله العالم الخبير بأسرار عالم الامكان .

الترجمة

از جمله كلام آن امام عالى مقامست در وقتى كه ترسانيدند او را از كشتن ابن ملجم ملعون غفلت مى فرمايد كه : بدرستى بر من است از جانب خداوند سپرى محكم كه عبارتست از بقاء اسباب حياة تا روز فوت ، پس هرگاه بيايد روز مرگ من وا شود آن سپر از من و باز گذارد مرا بدست مرگ ، پس اين هنگام خطا نميكند تير موت والبتّه بر نشانه بدن واقع مى‌شود ، و خوب نشود أثر جراحت و روى بصحت نگذارد.

و من خطبة له عليه السلام و هى الثانية والستون من المختار فى باب الخطب

أَلاَ وَإِنَّ الدُّنيا دارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْها إلّا فيها، وَلاَ يُنْجى بشَيْءٍ كانَ لَها، أُبْتُلِيَ النّاسُ بها فِتْنَةً، فَما أَخَذُوهُ مِنْها لَها أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَما أَخَذُوهُ مِنْها لِغَيْرِها قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقامُوا فيهِ، فَإِنَّها عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنا تَراهُ سابِغاً حَتّىٰ قَلَصَ وَزائِداً حَتّىٰ نَقَصَ.

اللغة

(فاء) الظلّ يفيء فيئاً رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، قال الفيروزآبادى: الفيء ماكان مشمّسا فينسخه الظل و (سبغ) الشيء سبوغا من باب قعد تمّ وكمل، وسبغ الدّرع طال من فوق إلى أسفل، وسبغ الظلّ طال إلى الأرض و (قلص) الظلّ انقبض

الاعراب

فتنة مفعول مطلق بغير لفظ فعله، نحو قعدت جلوسا وانتصابه بالفعل المقدّر على مذهب سيبويه اى ابتلى النّاس و فتنوا بها فتنة، و بالفعل الظاهر على مذهب المازني و المبرد و السيرافي، وهو الأولى إذالأصل عدم التّقدير بلا ضرورة داعية إليه، وقول الشّارح البحراني بكونه منصوباً بالمفعول له أوكونه مصدراً بمعنى الضّلال سادّا مسدّ الحال بعيد عن الصّواب

وإضافة الفيء إلي الظلّ من قبيل إضافة الخاصّ إلى العامّ، وبينا أصله بين فاشبعت الفتحة فحدثت الألف، وقديزاد ما فتقول: بينما، والمعنى واحد، والجملة بعدها مجرورة المحلّ باضافتها إليها، وهي في الظاهرمضافة إلى الجملة وفي المعنى إلى مصدرها كساير مايضاف إلى الجمل، تقول جئتك يوم قدم زيد، أى يوم قدومه

والتّقدير بين رؤيتك إيّاه زايداً ، و حتّى حرف ابتداء يعنى أنّها حرف يستأنف بعدها الكلام ، سواء كانت الجملة اسميّة أو فعليّة كقوله : حتّى يقول الرّسول ، بالرّفع .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة واردة في مقام التّزهيد عن الدّنيا والترغيب في الآخرة و فيها إشارة إلى كونها دار بلاء وفتنة ، و إلى أنّها قريبة الزوال سريعة الفناء فقوله (ألا وإنّ الدّنيا دارلا يسلم منها إلاّ فيها) تنبيه على أنّ السّلامة من شرور الدّنيا ومفاسدها وما يترتّب عليها من العذاب الأليم والنّكال العظيم لا تكون إلاّ في دار الدّنيابالزّهد والرّياضات وبملازمةالتّقوى والطاعات ، وذلك لأنّ التّكليف إنّما هوفي دارالدّنيا ، والآخرة ليست بدارتكليف بل هي دارجزاء ، وبامتثال التّكاليف فيها يسلم من العقاب و ينال حسن الثّواب كما أنّ بمخالفتها يحصل الشّقاوة و يستحقّ العقوبة .

وإلى ذلك الاشارة في حديث الهيثم بن واقدالحريري « الجزرى ظ» المروي في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زهد في الدّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدّنيادائها ودوائها ، وأخرجه من الدّنيا سالما إلى دار السّلام (و) منه يعلم انّه (لاينجي بشيء كان لها) بيان ذلك أنّ الدّنيا والآخرة ضرّتان متضادّتان فما هو للدّنيا مضادّ للآخرة فكيف يوجب النّجاة فيها كما أنّ ماهو للآخرة مضادّ للدّنيا و مضارّ لها ، و لذلك قيل: إنّهما ككفّتي الميزان بقدر ترجيح إحداهما تخفّ الأخرى

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة وفي طلب الآخرة اضراراً بالدّنيا ، فأضرّوا بالدّنيا فانّها أحقّ بالاضرار وقال الله سبحانه :

« أَلْمالُ وَ الْبَنُونُ زِينَةُ الْحَيوةِ الدُّنيا وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً »

يعني أنّ المال والبنين يتفاخر بهما في الدنيا ويتزيّن بهما فيها ولا ينفعان في الآخرة اذ لا يبقى شيء منهما للانسان فينتفع به فيها ، والأعمال الصّالحة والطاعة الحسنة التي تبقى ثوابها أفضل ثواباً عندالله من المال و البنين و أصدق أملا من زهرات الدّنيا وزخارفها ، لأنّها أمل لا يكذب فيها يؤمّل الثّواب وينجى من أليم العقاب

وقوله (ابتلى النّاس بها فتنة) اشارة الى أنّ الدّنيا دار ابتلاء وامتحان ، وأنّ الله ابتلى عباده فيها تارة بالمسارّ ليشكروا وتارة بالمضارّ ليصبروا قال الشّاعر :

ألا انّما الدنيا بلاء و فتنة — على كلّ حال أقبلت أو تولّت

فصارت المنحة والمحنة كلاهما بلاء ، فالمنحة مقتضية للشكر ، والمحنة مقتضية للصّبر كماقال تعالى:

« وَ نَبْلُو كُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ »

قال الطبرسي : اى نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنا والسّراء و الضرّاء و الشّدة والرخاء ، وقيل ممّا تكرهون وماتحبّون ليظهر صبركم فيما تكرهون وشكركم فيما تحبّون ، وقيل : الشرّ غلبة الهوى على النّفس والخير العصمة عن المعاصى

و اعلم أنّ أصل الابتلاء و الاختبار أن يراد به الوقوف على حال المختبر بفتح الباء والاطلاع على ما يجهل من أمره ، وقد يراد به إظهار جودته ورداءته وربمايقصد به الأمران ، و لمّاكان الأوّل محالا في حقه تعالى لاستلزامه الجهل لابدّ أن يراد به حيثما نسب الابتلاء إليه سبحانه المعنى الثاني ، فاذا قيل : بلاه الله بكذا وابتلاه فليس المراد إلاّ اظهار حسن طينته وخبث سريرته دون التعرّف لحاله والوقوف على مايجهل منه وعلى هذا يحمل الآيات القرآنيّة مثل

« نَبْلُوكُمْ بِالْخَيرِ وَالشَّرِّ» «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ» الآية «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ» .

و ربما يحمل على معنى ثالث قال في الكشاف في تفسير الآية الأخيرة : اختبره بأوامرونواهي واختبارالله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين مايريدالله

ومايشتهيه العبد كأنه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك

و قال الطبرسيّ في تفسيرها أي اختبر إبراهيم و هو مجاز و حقيقته أنّه أمر إبراهيم ربّه و كلّفه وسمّى ذلك اختباراً لأنّ ما يستعمل الأمر منافي مثل ذلك يجرى على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد توسّعا ، و أيضاً فانّ الله لمّا عامل عباده معاملة المبتلى المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهمأنّهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لايجازى المختبر للغيرمالم يقع الفعل منه ، سمّى أمره ابتلاء هذا

ولمّا ظهرأنّ الدّنيا ومافيها إنّما خلقت لاختبار النّاس وابتلائهم لابدّ وأن يكون همّتهم فيهامصروفة إلى ماهومحصّل للسّعادة في الآخرة حتّى يخلصوا عن قالب الامتحان ، و يستحقّوا الدّرجات الرّفيعة العليّة ، و لا يكون نظرهم مقصوراً علىعاجل زهراتها الخسيسة الدّنيّة (ف)انّ (ما أخذوه منهالهاالخرجوا منه وحوسبوا عليه وما أخذوه منها لغيرهاقدموا عليه وأقاموا فيه) ومن المعلوم أنّ العاقل لايرجّح ماهي سريعة الانقراض والانقضاء مشرفةعلىالزّوال و الفناء على ما هي دائمة البقاء خصوصا إذا كانت الفانية حقيرة خسيسة والباقية خطيرة نفيسة ، وذلك لأنّ خيرات الدّنياحسيّة وخيرات العقباعقليّة والعقليّة أشرف منالحسّيه بمراتب كثيرةلاسيّما إذا كانت الدّنيويّة محاسباً عليها مسؤولا عنها

قالأبوعبدالله عليه السلام: فيروايةالكافي فيماوعظ بهلقمانابنه: يابنيّ إنّ النّاسقدجمعوا قبلك لأولادهمفلم يبقماجمعواولم يبق من جمعواله وإنّما أنتعبدمستأجرقد امرت بعمل و وعدت عليه أجراً ، فأوف عملك و استوف أجرك ، ولا تكن في هذه الدّنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضرفأكلت حتّىسمنت فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدّنيابمنزلة قنطرة على نهرجزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخرالدّهر أخربها ولا تعمرها فانّك لم تؤمر بعمارتها

واعلم أنّك ستسألغداً إذا وقفتبين يدي الله عزّوجلّ عن أربع : شبابك فيما أبليته ، وعمرك فيما أفنيته ، ومالك ممّااكتسبته ، وفيما أنفقته فتأهّب لذلك وأعدّله

جوابا ، ولا تأس على مافاتك من الدّنيا فانّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه ، و كثيرها لا يؤمن بلاؤه ، فخذ حذرك و جد في أمرك ، و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرض لمعروف ربّك ، وجدّد التّوبة في قلبك ، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ماتريد

(فانّها عند ذوى العقول كفيء الظلّ بينا تراه سابغا حتّى قلص وزايداً حتّى نقص) تخصيص ذوي العقول بالذكر من أجل أنّهم هم الذين عبروا بقدمي الذكر والفكرعن قشرالوجود الظلماني الفاني إلى لبّ الوجود الرّوحاني النّوراني الباقي فشاهدوا بعيون البصاير ونواظر الضّماير سرعة زوال الدّنيا وانقضائها ، وعرفوا أنّ بقائها عين حدوثها وتجدّدها ووجودها نفس زوالها وفنائها ، وأمّا غيرهم فانّهم عن الذّكر لمعزولون ، وماهم مهتدون إن هم إلاّ كالأنعام بل أضلّ سبيلاً ، هذا

وتشبيه الدّنيا بفيء الظلّ من التشبيهات السّائرة في الأشعار والأخبار

قال الباقر عليه السلام لجابر الجعفي : يا جابر أنزل الدّنيا منك كمنزل نزلته تريد التّحوّل عنه ، وهل الدّنيا إلاّ دابة ركبتها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب ، و لا أحد يعبؤبها ، أو كثوب لبسته أو كجارية وطئتها ، ياجابر الدّنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال

و عن العيون ، عن البيهقي ، عن الصّولى ، عن محمّد بن يحيى بن أبي عباد ، عن عمّه قال : سمعت الرّضا عليه التّحية والثّناء يوماً ينشد شعراً

كلّنا نأمل مدّاً في الأجل و المنايا هنّ آفات الأمل
لا يغرّنّك أباطيل المنى والزم القصد ودع عنك العلل
إنّما الدّنيا كظلّ زايل حلّ فيه راكب ثمّ رحل

ولبعضهم :

ألا إنّما الدّنيا كظلّ غمامة أظلّت يسيراً ثمّ خفّت فولّت

و قال آخر :

ألا إنّما الدّنيا كظلّ سحابة ... أظلّتك يوماً ثمّ عنك اضمحلّت
فلاتك فرحاناً بها حين أُقبلت ... ولاتك جزعاناً بها حين ولّت

الترجمة

ازجملهٔ خطب شریفهٔ آنحضرت است درمقام تنفیر ازدنیا وترغیب در آخرت میفرماید که : بدانید و آگاه باشید که دنیا سرائیست که سلامت مانده نمیشود از آن مگردر آن ، وخلاصی یافته نمیشود بچیزی که باشد از برای آن ، امتحان شده‌اند مردمان با او امتحان شدنی ، پس آنچه که گرفته اند از برای دنیا بیرون کرده میشوند از آن بصد رنج وعنا ، و حساب کرده میشوند بر آن درروزجزا ، و آنچه که گرفته آنرا ازدنیا از برای غیردنیایعنی‌از برای نجاة عقبا ، می آیند براوومی‌ایستند دراو یعنی ثواب آنرا درمی‌یابند وبجزای آن نایل میشوند

بدرستی دنیا در نزد صاحبان عقل و شعور مانند سایه‌ایست در این اثنا که می‌بینی آنرا شایع و منتشر حتی آنکه بر چیده می شود در اینکه زاید و تمامست ، تا اینکه ناقص می شود یعنی دنیا در نظر مردم ثبات و دوام دارد لکن اگر تأمل و فکر درست بکنی در معرض زوال وفنااست.

و من خطبة له عليه السلام وهی الثالثة والستون من المختار فی باب الخطب

فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ وَبادِرُوا آجالَكُمْ بِأَعْمالِكُمْ ، وَابْتاعُوا ما يَبْقى لَكُمْ بِما يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدارٍ فَاسْتَبْدِلُوا ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ

سُدًى، وَما بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدانِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قادِماً يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا مِنَ الدُّنْيا ما تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً.

فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ قَدَّمَ تَوْبَتَهُ غَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطانَ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَها، وَ يُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَها، حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ ما يَكُونُ عَلَيْها، فَيالَها حَسْرَةً عَلى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلى شِقْوَةٍ، نَسْئَلُ اللَّهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طاعَةِ رَبِّهِ غايَةٌ، وَلا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدامَةٌ وَلا كَآبَةٌ.

اللغة

(بادره) مبادرة و بداراً و بدر غيره إليه عاجله و(جدّ بكم) بصيغة المجهول أى عجل بكم وحثثتم على الرّحيل و (استعدّ) له تهيأ و(أظلّني) الشّيء غشيني أو دنا منّي حتّى القى عليّ ظلّه و (صيح بهم) من الصّياح و هو الصّوت بأقصى الطاقة و (استبدلوا) بصيغة الامر بمعنى ابدلوا و (السّدى) بالضّم و قد يفتح المهملة من الابل يستعمل في الواحد و الجمع و (الجديدان) و الاجدان الليل و النّهار و (الاوبة) الرّجوع و (العدّة) ما اعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك والجمع عدد مثل

غرفة و غرف و (الحرز) الحفظ و تحرزون إمّا ثلاثى مجرّد من باب نصر أو مزيد فيه من باب الافعال و (التّسويف) المبطل واصله أن يقول مرّة بعد اُخرى سوف أفعل و (البطر) الطغيان و (كئب) الرّجل كابة إذا صار كئيبا أى منكسراً حزنا

الاعراب

الباء فى قوله بأعمالكم للمصاحبة ، و في قوله بما يزول للمقابلة ، وفي قوله بكم للتّعدية ، والفاء في قوله فقد جدّ بكم ، و قوله فقد أظلكم للسّببيّة ، و في قوله فانتبهوا عاطفة ، و في قوله فاستبدلوا فصيحة ، و في قوله فانّ الله للسّببيّة أيضاً.

و ما في و ما بين أحدكم للنفى ، و قوله أن ينزل به في محلّ رفع بدل من الموت ، و قوله و أنّ غاية اه عطف على قوله فانّ الله و الليل والنّهار بدل من الجديدان أو عطف بيان، وجملة يزين آه منصوب المحلّ على الحالية و أغفل منصوب بنزع الخافض اى في أغفل حالة ، و قوله يالها حسرة منادى مستغاث ، و الحسرة منصوب على التّمييز كانّه قال يا للحسرة على الغافلين ما أكثرك، أو أنّه مستغاث لأجله والمنادى محذوف اى يا قوم ادعوكم للحسرة ، و فتحة اللاّم حينئذ من أجل دخولها على الضّمير ، و مثل ذلك قول عليّ بن موسى الرّضا عليه التّحيّة و الثّناء :

و قبر بطوس يالها من مصيبة ألحّت على الأحشاء بالزّفرات

و قوله أن يكون عمره آه في محلّ الجرّ على كونه بدلا من كلّ ذى غفلة، و جملة نسأل الله دعائية لامحلّ لها من الاعراب.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذه الخطبة أيضاً هو التنفير عن الدّنيا نظراً إلى قصر مدّتها و سرعة زوالها والتّرغيب في الآخرة لتحصيل ما هو و سيلة إلى ثوابها منجية عن عقابها و هو التّقوى و لزوم الأعمال الصّالحة المشار إليها بقوله (فاتقوا الله عباد الله و بادروا آجالكم بأعمالكم) أى سارعوا إلى آجالكم الموعودة مصاحباً بأعمالكم الصالحة و هو كناية عن ترقّب الموت و عدم الغفلة عنه ، و هو إنّما يكون بالتّجافى عن دار الغرور والرّغبة إلى دار السّرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (وابتاعوا

ما يبقى لكم بما يزول عنكم) و هو أمر بشرآء الآخرة بالدنيا و توصيف المبتاع بالبقاء والثمن بالزوال ترغيبا و تحريصاً، إذ تبديل الزايل بالباقى بيعة رابحة وكفة راجحة لايرغب عنها العاقل ، واستعمال المبايعة في هذه المبادلة والمعاوضة غيرعزيز قال سبحانه :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ و تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

و اعلم أنّ البيع اعتماده على أركان أربعة: البايع، والمشترى، والثمن، والمثمن فالثمن كما علمت هو متاع الحياة الدنيا الفانية و لذايذها النفسانية ؛ و المبتاع نعيم الآخرة الباقية والجنّة التي أكلها دائم و ظلها ، والمشترى هو العبد ، ومعلوم أنّ البايع لابد أن يكون هو الله سبحانه إذ هو مالك ملك السماوات والأرض و له الآخرة والأولى، وله الجنّة المأوى .

فقد شبه عليه السلام دار الدنيا بسوق تجارة عرض الله فيها متاع الآخرة للبيع وليس في يد الخلق إلاّ دراهم زيفة مغشوشة وهي زينة الحياة الدنيا ، فأمر بابتياع ذلك المتاع بتلك الدراهم ، فمن كان له عقل و كياسة امتثل ذلك الأمر فربح وفاز فوزاً عظيماً و من كان ذاحمق وجهالة تضرّ و خاب فخسر خسراناً مبينا وقد وقع الاشارة إلى تلك التجارة و ما فيها من الربح العظيم والمنفعة الكثيرة في قوله سبحانه:

« إِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرٰيةِ وَالْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

قال المفسّرون في هذه الآية وجوه من الدلالة على الحثّ و التاكيد بتلك المعاملة.

الأوّل إنّ حقيقة الاشتراء غير جايز فى حقّه سبحانه، لأنّ المشترى إنّما يشترى مالايملك و هو سبحانه مالك الأشياء كلّها، لكنّه ذكر لفظ الشّرا تلطّفا لتأكيد الجزاء لأنّه لمّا ضمن الثّواب على نفسه فى مقابلة العبادات البدنيّة والماليّة جعل نفسه بمنزلة المشترى اللاّزم عليه ردّ الثّمن بعد أخذ المبيع.

الثّاني أنّه جعل في مقابلة النّفس التي هي منبع الشّرور والمفاسد، والمال الذي هو منشاء الغرور والمهالك الجنّة الدّائمة والسّعادات الباقية و هذه تجارة لن تبور، فلا يرغب عنها عاقل ولا يستقيلها إلاّ جاهل روى أنّ أعرابياً مرّ بباب المسجد فسمع النّبيّ صلى الله عليه وآله يقرء هذه الآية فقال هذا الكلام لمن؟ قالوا: لله سبحانه قال: متى وقع هذا البيع والشّرى؟

قالوا: في عالم الميثاق، قال: والله بيع مربح لانقيل ولانستقيل.

الثّالث قوله: وعداً، و وعدالله حقّ.

الرّابع قوله: عليه، و كلمة على للوجوب.

الخامس قوله: حقّا و هو التّاكيد للتّحقيق.

السّادس قوله: في التّورية والانجيل والقرآن، و ذلك يجرى مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية و جميع الأنبياء والرّسل على هذه المعاملة.

السّابع قوله: و من أوفى بعهده من الله، وهو في غاية التّاكيد إذ معناه أنه يفيء ولايخلف إذ عدم الوفاء بالوعد، إمّا للعجز و عدم القدرة أو للبخل والدّناءة، و كلّها مستحيلة في حقّ الله سبحانه مضافاً إلى ما فيه من الكذب و الخيانة.

الثّامن قوله: فاستبشروا ببيعكم، و هو مبالغة في التّاكيد أى فافرحوا بهذه المبايعة لأنكم بعتم فانياً بباق و زايلا بدايم.

التّاسع قوله: وذلك هو الفوز.

العاشر قوله: العظيم، فثبت بهذه الوجوه العشرة عظم منفعة هذه المبايعة

و جلالة قدرها و كثرة ربحها (و ترحّلوا فقد جدّ بكم) و هو أمر بقطع منازل السّفر إلى الله و سلوك الطرق الموصلة إلى رضوان الله معلّلا بأنّكم حثثتم على هذا السير و السّلوك و عجلتم على طيّ هذه المنازل، فشبه عليه السلام الدّنيا بمنزل ينزل فيه قافلة ليستريحوا ساعة ثمّ ينادى فيهم بالرّحيل.

و نظيره ما يأتي منه عليه السلام في أواخر الكتاب قال: تغرّ و تضرّ و تمرّ إنّ الله لم يرضها ثوابا لأوليائه ولاعقابا لأعدائه و إنّ أهل الدّنيا كركب بيناهم حلّوا أن صاح بهم سايقهم فارتحلوا، و قال عليه السلام في الدّيوان المنسوب إليه.

تزوّد من الدنيا فانّك راحل و بادر فانّ الموت لاشك نازل
ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب أراح عشيّا وهو في الصّبح راحل

فان قلت: ظاهر التّشبيه يعطى أنّ للنّاس في دار الدنيا منادياً ينادي فيهم الرّحيل و آمراً يأمرهم بالسّير والتعجيل، فمن ذلك المنادي، و ما المراد بذلك الأمر؟

قلت يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الملك المأمور بالنداء من جانب الله سبحانه كما ورد في حديث أبي جعفر عليه السلام، و في الديوان:

له ملك ينادى كلّ يوم لدوا للموت و ابنوا للخراب

و يحتمل أن يكون كناية عن توارد الأسباب التي تعدّ المزاج للفساد وتقربه إلى الآخرة و إلى ذلك أشار عليه السلام في الدّيوان أيضاً بقوله:

إلى م تجرّ أذيال التّصابى و شيبك قد نضا برد الشباب
بلال الشّيب في فوديك نادى بأعلى الصّوت حيّ على الذّهاب
خلقت من التّراب وعن قريب تغيب تحت أطباق التّراب
طمعت إقامة في دار ظعن فلا تطمع فرجلك في الركاب
وأرخيت الحجاب فسوف يأتى رسول ليس يحجب بالحجاب
أعامر قصرك المرفوع اقصر فانّك ساكن القبر الخراب

(و استعدّوا للموت فقد أظلكم) أى تهيّئوا له فانّه قريب منكم و أشرف عليكم كانّه أوقع ظلاله على رؤوسكم، و التّهيؤله إنّما يحصل بالعلم بانّ أمامه طريقا

بعيداً و سفراً مهولا و ممرّاً على الصّراط ، و أنّ المسافر لابدّ له من زاد ، فمن لم يتزوّد و سافر هلك و عطب ، فاذا علم ذلك استكمل نفسه و قصر أمله وأصلح عمله وقطع العلايق الدّنيويّة وترك الشّهوات النّفسانية وأشرب قلبه حبّ الآخرة فحينئذ لا يبالي أوقع على الموت أم الموت وقع عليه

وإلى ما ذكرناه ينظر ما عن تفسير العسكري عن آبائه عليهم السّلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : ما الاستعداد للموت ؟ قال : أداء الفرايض ، واجتناب المحارم ، والاشتمال على المكارم ثمّ لا يبالي أن وقع على الموت أووقع الموت عليه ، والله ما يبالي ابن أبيطالب أن وقع على الموت أووقع الموت عليه (وكونوا اقوماصيح بهم فانتبهوا وعلموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار) وهوأمرلهم بكونهم مثل أقوام التفتوا إلى منادى الله وهولسان الشّريعة فحصل لهم بذلك الالتفات الانتباه من مراقد الطبيعة ، وعلموا أنّ الدّنياليست لهم بدار وأنّ مأواهم الآخرة دار القرار فكانوا من الزّاهدين في الدّنيا الرّاغبين في الآخرة ، واتّخذوا الأرض بساطا ، والتّراب فراشاً ، والماء طيباً ، و قرضوا من الدّنيا تقريضاً ، فانّ من اشتاق إلى الجنّة سلا من الشّهوات ، ومن أشفق من النّار رجع عن المحرّمات ، ومن زهد في الدّنيا هانت عليه المصائب ألا إنّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين ، وكمن رأى أهل النّار في النار معذّبين، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوايجهم خفيفة ،صبروا أيّاماقليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة

أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون إلى ربّهم يسعون في فكاك رقابهم من النّار ، و أمّا النهار فحكماء علماء بررة أتقياء كأنّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و ما بالقوم من مراض ، أم خولطوا فقد خالط القوم أمرعظيم من ذكر النار ومافيها (فاستبدلوا) اى ابدلوا الآخرة بالدّنيا

وهوتفريع على التشبيه يعنى أنّ القوم الذين صيح به كما أنهم علموا أنّ الدّنيا ليست

لهم بدار و بدلوها بالآخرة فكذلك أنتم إذا كنتم مثلهم فاستبدلوها بها (فان الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى) إمّا علة لجميع ما أمر به سابقا من التقوى و المبادرة إلى الآجال بالأعمال وابتياع الآخرة بالدّنيا وغيرها مما تلاها ، أو لخصوص الأمر الأخير أعني الاستبدال ، وكيف كان فالمقصود بذلك أنه سبحانه لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم مهملين كالابل المرسلة ترعى حيث تشاء وإنما خلقهم للمعرفة والعبادة كما قال سبحانه :

« وما خَلَقْتُ ٱلجِنَّ وَ ٱلإِنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونَ » .

فلابدّ لهم من القيام بوظايف الطاعات وتحمّل المشاق في أداء العبادات وتبديل سيئآتهم بالحسنات بتوبتهم من الخطيئآت ، لتمكّنوا من الوفود إلى الدّرجات العاليات

وفي الحديث القدسي من منتخب التوراة : يابن آدم اني لم أخلقكم عبثا و لا جعلتكم سدى ولا أنا بغافل عما تعملون ، وإنكم لن تنالوا ما عندي إلاّ بالصبر على ماتكرهون في طلب رضائي ، والصبر على طاعتي أيسر عليكم من حرّ النار ، وعذاب الدّنيا أيسر عليكم من عذاب الآخرة ، يابن آدم كلكم ضالّ إلاّ من هديته ، وكلكم مريض إلاّ من شفيته ، و كلكم فقير إلاّ من أغنيته ، و كلكم هالك إلاّ من أنجيته ، وكلكم مسيء إلاّ من عصمته ، فتوبوا إلى أرحمكم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، هذا

ولما علل وجوب الابدال بما ذكر أكّد ذلك بقوله (ومابين أحدكم وبين الجنة أو النار إلاّ الموت أن ينزل به) وذلك لأنّ العاقل إذا لاحظ أنه لا حجاب بينه وبين الجنة أو النار إلاّ موته فيقطع العلايق الدنيوية ويفرغ قلبه من حبها ويستبدل الآخرة بالدنيا ، ويمتثل لقوله : موتوا قبل أن تموتوا ، شوقاً إلى الثواب وخوفا من العقاب

ومقصوده عليه السلام بذلك الاشارة إلى قرب الساعة وما يكون فيها من الثواب والعقاب وأنها ليست بعيدة كما يزعمه أهل الحجاب

بيان ذلك أنّ أهل الحجاب و أصحاب الشك والارتياب يزعمون يوم القيامة بعيداً من الانسان بحسب الزمان

« وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً » و بحسب المكان « وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ »

وأمّا أهل العلم واليقين فيرونه قريبا بحسب الزمان « إِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ » حاضراً بحسب المكان « وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ يَوْمَ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرٰيهُ قَرِيباً » .

هذه هي القيامة الكبرى ، وأما القيامة الصغرى فهي إذا انقطع علاقة الروح من الجسد كما قال : من مات فقد قامت قيامته ثمّ إن كان من السعداء فيكون قبره روضة من روض الجنة ؛ وإن كان من الأشقياء فيكون القبر حفرة من حفر النيران ، هذا بحسب مذاق أهل الشرع

و أمّا مذاق أهل العرفان فهو على ما ذكروه أنّ كلّ من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحونا بأصناف السباع والموذيات مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب و الرّياء وغيرها ، وهي التي لا تزال تفرسه وتنهشه إن سها عنها بلحظة إلاّ أنّ أكثر النّاس محجوب العين عن مشاهدتها ، فاذا انكشف الغطاء بالموت و وضع في قبره عاينتها و هى محدقة عليه ، و قد تمثّلت بصورها و أشكالها الموافقة لمعانيها ، فيرى بعينه العقارب والحيّات قد أحدقت وإنّماهى ملكاته وصفاته الحاضرة الآن ، وقد انكشف له صورها الطبيعية وهذا عذاب القبر

وان كان سعيداً تمثّل له مايناسب أخلاقه الحسنة وملكاته المرضيّة على وفق ما كانت تعتقدها أوفوقها من الجنات والحدايق والأنهار والغلمان والحور العين والكاس من المعين فهذا عقاب القبر وثوابه ، ولذا قال صلوات الله عليه و آله : القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّيران ، فالقبر الحقيقي هذه الهيئة و ثوابه و عذابه ما ذكر .

ثمّ إنّه عليه السلام علّل وجوب الاستبدال بعلّة ثانية مشيرة إلى سرعة زوال الدّنيا وفنائها وقصر مدّتها وانقضائها وهوقوله (وإنّ غاية تنقصها اللحظة وتهدمها السّاعة لجديرة بقصر المدّة) أراد بالغاية أجل الانسان ومدّة تعيّشه في دار الدنيا ونبّه على قصرها بأنّها تنقصها اللحظة أى النظرة لأنّ كلّ جزء من الزّمان فرضته قد مضى من مدّة الانسان منقص لها ، و بأنها تهدمها السّاعة أى ساعات اللّيل و النّهار ، لأنّ الطبايع الجرميّة فلكية كانت أو عنصريّة متجدّدة الوجود والحدوث في كلّ آن ، فوجودها نفس زوالها و حدوثها نفس فنائها والموادّ والأعراض تابعة للطبايع فاذن تكون السّاعات هادمة لها

و قال الشّارح البحراني : كنى بالسّاعة عن وقت الموت و لا شكّ أنّ الآن الذي تنقطع فيه علاقه النّفس مع البدن غاية لأجل الانسان ، و غاية الشيء هى ما ينتهى عندها الشّيء فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار (وان غايبا يحدوه الجديدان الليل و النّهار لحريّ بسرعة الأوبة) المراد بالغايب الانسان فانّه غايب عن وطنه الأصلي ومنزله الحقيقي الذي إليه معاده ومسيره وهودار الآخرة وشبّه الليل والنّهار بالحادي لكونهما مقرّبين للانسان بتعاقبهما إلى وطنه موصلين له إليه كما أنّ الحادى يحدو الابل و يحثّها على السّير بحدائه حتّى يوصلها إلى المنزل ، و من المعلوم أنّ من كان حاديه الليل و النّهار فهو في غاية سرعة السّير والرّجوع إلى وطنه ، وقيل المراد بالغايب الموت

قال البحراني: و هووإن كان محتملا إلاّ أنّه لا يطابقه لفظ الأوبة لأنّه لم يكن حتّى يرجع .

أقول : يمكن الجواب عنه بأنّ الموت لما كان عبارة عن العدم الطاري للانسان وكان الانسان مسبوقا بالعدم أيضاً سمّي حلول الموت بالأوبة

قال الصّدر الشيرازى : اعلم أنّ المبدء هي الفطرة الأولى ، والمعاد هوالعود إليها ، فالاشارة إلى الأولى كان الله ولم يكن معه شيء

« وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً »

فهذا خروج من العدم الأصلي إلى الوجود الكوني الحدوثي ، والاشارة إلى الانتهاء

« كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ »

« كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ »

و هذا خروج من هذا الوجود الخاصّ إلى العدم الفطرى ، فعلى هذا يصح توصيف الموت بأنّه يؤوب إلى الانسان إلاّ أن توصيفه بكون الليل والنّهار حاديين له لايخلو عن بعد فافهم (و إنّ قادما يقدم بالفوز أوالشقوة لمستحقّ لأفضل العدة) و المراد بالقادم بالفوز أوالشقوة هوالانسان لما قد علمت أنه غايب عن وطنه الأصلى وساير إليه ، فهو حين قدومه على منزله إمّا أن يكون سعيداً فيفوز بالسعادة الباقية ، وإمّا أن يكون شقياً فيقع في الخيبة الدائمة ، ومن كان هذا شأنه فاللازم عليه أن يستعدّ أفضل العدة ، ويدخر لنفسه أحسن الزاد والذخيرة حتى ينادى بنداء

« يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

(فتزودوا في الدّنيامن الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا) يعني أنّ الانسان إذاكان مستحقاً لأفضل العدة فلابد له أن يتزود من دنياه ما يحفظ به نفسه غداً بعدالموت و يوم القيامة من حرّ النّار ومن غضب الجبّار ، لأنّ ذلك أفضل العدد (١) وأحسن الزّاد وهذا هوالتّقوى كما قال الله تعالى :

« وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى »

وإليه أشار بقوله (فاتقى عبد ربّه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته) وهذه جملات خبريّة في معنى الانشاء مفصّلة للزّادالذي به يحصل حرز النّفس وحفظها ، والمراد بنصح النّفس النّظر إلى مصالحها بأمرها بماهو محصّل لهاالكمال ونهيها عمّايوقعها في الضّلال وحثّها بالخيرات والحسنات ومنعها عن الشّرور والسّيئات ، ومن جملة

---

١ ـ عدد جمع عدة ، منه

النّصح أن يقدّم توبته على أجله ولاينخدع بطول أمله ويستغفر ربّه فيمافات ويقصر عن شهوته فيما هو آت

(فان أجله مستورعنه ، وأمله خادع له ، والشّيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ، ويمنّيه التّوبة ليسوفها ، حتّى تهجم منيته عليه أغفل مايكون عليها) وهذه كلّها علل لوجوب تقديم التوبة وتحذير عن هجوم الموت في حالة الغفلة

بيان ذلك أنّ ستر الأجل واختفائه عن الانسان موجب لغفلته عن ذكره وطول الأمل خادع له يخدعه بطول الحياة كما قيل :

أعلّل النّفس بالآمال أرقبها ما أضيق الدّهر لولا فسحة الأمل

فاذا انضاف إلى ذلك خداع الشّيطان ووسوسته وتزيين المعصية في نظره وتسويفه للتّوبة والقائها في امنيّة مع كونه موكلا به ملازما له ، كانت الغفلة أشدّ والنّسيان آكد ، فيهجم منيته عليه في نهاية غفلة من دون تمكّن من توبته و لا تدارك منه لمعصيته ، فعند ذلك ينتبه من نوم الغفلة والجهالة ، ويقع في كمال الخيبة والنّدامة ، وهو عند ذلك يقول :

« رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » .

(فيالها حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة) أى شاهداً بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الاثم والمعصية (وأن يؤدّيه أيّامه) التي أمهله الله فيها لتحصيل السّعادة (إلى شقوة) ثمّ دعا ﷺ لنفسه وللمخاطبين بقوله : (نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وايّاكم ممّن لاتبطره نعمة) أى من الذين لايوجب كثرة النعم له البطر والطغيان كما أنّ ذلك من جبلة الانسان قال سبحانه :

« إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىٰ » .

(ولاتقصر به عن طاعة ربه غاية) أى لاتكون مقصراً في الطاعات لغرض من الأغراض

الدّنيوية (ولا يحلّ به بعدالموت) حسرة و (ندامة ولا) حزن و (كابة) لانغماره في المعصية وتسويفه التوبة وهجوم موته عليه في حالة الغفلة

هداية فيها دراية

قد تحصّل من كلامه ﷺ أنّ اللاّزم على الانسان أخذ الزّاد ليوم المعاد و أن لايطمئن بطول الأجل ولايغترّ بخداع الأمل ، إذ ربّ آمل شيء لايدرك ما أمل كما قال عليه الصّلاة والسلام في الدّيوان:

يامن بدنياه اشتغل قد غرّه طول الأمل
و الموت يأتي بغتة والقبرصندوق العمل

و قال آخر

ياراقد الليل مسروراً بأوّله إنّ الحوادث قديطرقن أسحاراً
لاتامننّ بليل طال أوّلـه فربّ آخر ليل اجّج النّارا

ولاسيما أنّ الشيطان اللعين عدوّ مبين و هو في الكمين :

« وَ لَقَدْ أَضلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ »

فينبغي للعاقل أن يحسن عمله و يقصر أمله و يقدم توبته أجله و يعجل في طلب الغفران ولايغترّ بتسويف الشيطان، و يتوب إلى الله سبحانه من صغاير ذنوبه و كبايرها ، و بواطن سيئآته و ظواهرها ، و سوالف زلاّته و حوادثها ، توبة من لايحدّث نفسه بمعصية ، ولايضمر أن يعود في خطيئة ، حتّى يصل بذلك إلى روح و ريحان ، و يتمكّن من نزول الجنان ، ولا يقع بعد الموت في الخيبة و الخسران و الحسرة و الحرمان .

و لنذكر هنا حديثا ينوّر القلوب ، و يكشف الحجاب عن وجه المطلوب ، و يظهر به عظم منفعة التّوبة ، و يتّضح به معنى التسويف فيها و هو.

مارواه في الصّافي من المجالس و بعض الأصحاب من الأمالي باسنادهما عن عبد الرّحمن بن غنم الدّوسي قال : دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكيا، فسلّم فردّ عليه السلام ثمّ قال

ما يبكيك يا معاذ؟ فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ بالباب شاباً طري الجسد نقيّ اللون حسن الصّورة يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدّخول عليك

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ادخل عليّ الشّابّ يامعاذ فأدخله عليه فسلّم، فردّعليه السلام ثمّ قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لاأبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنم ولا أراني إلاّ سيأخذني بها ولايغفر لي أبداً فقال رسول الله هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربّي شيئاً، قال: أقتلت النّفس التي حرّم الله؟ قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك و إن كان مثل الجبال الرّواسي قـال الشّاب: فانّها أعظم من الجبال الرّواسي.

فقـال النبيّ صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك و إن كان مثل الأرضين السّبع وبحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق، قال الشّاب: فانّها أعظم من الأرضين السّبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله يغفر الله لك ذنوبك و إن كانت مثل السّماوات و نجومها و مثل العرش والكرسي، قال: فانّها أعظم من ذلك، قال: فنظر النبيّ إليه كهيئة الغضبان ثمّ قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشّاب على وجهه و هو يقول سبحان ربّي ما من شيء أعظم من ربّي ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فهل يغفر لك الذّنب العظيم إلاّ الرّبّ العظيم؟ قال الشّاب: لا والله يا رسول الله ثمّ سكت الشّاب، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: و يحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قـال: بلى اخبرك.

إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين اخرج الأموات و انزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها و جنّ عليهم اللّيل أتيت قبرها فنبشتها، ثمّ استخرجتها و نزعت ما كان عليها من أكفانها و تركتها مجرّدة على شفير قبرها و مضيت منصرفاً، فأتاني الشّيطان فأقبل يزيّنها لي و يقول أما ترى بطنها و بياضها أما ترى وركيها، فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتّى جامعتها و تركتها مكانها، فاذا أنا بصوت من

ورائي يقول : يا شاب ويل لك من ديّان يوم الدّين يوم يقفني و إياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى و نزعتنى من حفرتى و سلبتنى أكفاني و تركتني أقوم جنبة إلى حسابى ، فويل لشبابك من النّار ، فما أظنّ أنّي أشمّ ريح الجنّة أبداً فما ترى لى يا رسول‌الله ؟

فقال النبيّ صلّى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم : تنحّ عنّى يا فاسق إنّى أخاف ان أحترق بنارك فما أقربك من النّار ، ثمّ لم يزل يقول و يشير إليه حتّى أمعن أى أبعد من بين يديه ، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ، ثمّ أتى بعض جبالها فتعبّد فيها ، و لبس مسحا وغلّ يديه جميعا إلى عنقه و نادى:

يا ربّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا ربّ أنت الذي تعرفنى وزلّ منّى ما تعلم سيّدى يا ربّ إنّى أصبحت من النّادمين و أتيت نبيّك تائباً فطردنى وزادنى خوفا ، فأسألك باسمك و جلالك و عظم سلطانك أن لاتخيّب رجائي سيدي ولاتبطل دعائى ولاتقنطنى من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوما و ليلة تبكى له السّباع والوحوش ، فلمّاتمّت له أربعون يوما و ليلة رفع يديه إلى السّماء و قال:

اللهمّ ما فعلت في حاجتى إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيّك ، و إن لم تستجب دعائي و لم تغفرلي خطيئتي و أردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقنى أو عقوبة في الدّنيا تهلكنى وخلّصني من فضيحة يوم القيامة فأنزل الله تعالى على نبيّه :

« وَ الَّذينَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً » يعني الزّنا « أوْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ »

يعنى بارتكاب ذنب أعظم من الزّنا و نبش القبور و أخذ الاكفان:

« ذَكَروا اللهَ فَاسْتَغْفَروا لِذُنوبِهِمْ »

يقول خافوا الله فعجلوا التوبة:

« وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ »

يقول عزّ وجلّ أتاك عبدي تائباً فطردته فأين يذهب و إلى من يقصد ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري ثمّ قال عزّ وجلّ:

« وَلَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

يقول الله عزّ وجلّ لم يقيموا على الزّنا و نبش القبور و أخذ الأكفان:

« أُولٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ »

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله خرج و هو يتلوها و يتبسّم ،فقال لأصحابه من يدلّني على ذلك الشّاب التائب ؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا و كذا ، فمضى رسول الله بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل و صعدوا إليه يطلبون الشّاب ، فاذاهم بالشّاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسودّ وجهه و تساقطت أشفار عينيه من البكاء و هو يقول:

سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي و ليت شعري ما ذا تريد بي، في النّار تحرقني أم في جوارك تسكنني، اللهمّ إنك قد أكثرت الاحسان إليّ و أنعمت عليّ فليت شعري ماذا يكون آخر أمري، إلى الجنّة تزفّني ، أم إلى النّار تسوقني ، اللهمّ إنّ خطيئتي أعظم من السّماوات والأرض ، و من كرسيّك الواسع ، و عرشك العظيم ، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة.

فلم يزل يقول نحو هذا و هو يبكي و يحثو التّراب على رأسه وقد أحاطت به السّباع ، و صفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه ، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق يديه من عنقه و نفض التراب عن رأسه و قال : يا بهلول ابشر فانك عتيق من النّار ، ثمّ قال هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ، ثمّ تلى عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ و بشّره بالجنّة.

و في الصافي والبحار من المجالس باسناده عن قطر بن خليفة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية (١) صعد إبليس جبلا بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فقالوا : يا سيدنا لماذا دعوتنا ؟ قال : نزلت هذه الآية فمن لها ، فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا و كذا ، قال لست لها ، فقال آخر مثل ذلك ، فقال : لست لها ، فقال الوسواس الخناس : أنا لها ، قال : بماذا ؟ قال : أعدهم و أمنيهم التوبة ، حتى يواقعوا في الخطيئة فاذا وقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار ، فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة.

أقول : و من نظر إلى هاتين الروايتين بعين البصيرة و تفكر فيما تضمنته الأولى من جلالة فايدة التوبة و تأمل فيما تضمنته الثانية من عظم الخطر في تأخيرها و تسويفها و عرف أن التسويف والتأخير من وسوسة الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس لابد له أن يستيقظ من نوم الغفلة والجهالة و يتدارك الموت قبل حلوله ولا يغره الأمل بطوله.

و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه.

يا باذر اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، و صحتك قبل سقمك ، و غناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك.

ياباذر إياك والتسويف بأملك ، فانك بيومك و لست بما بعده ، فان يكن غدلك فكن في الغد كما كنت في اليوم ، و إن لم يكن غدلك لم تندم على ما فرطت في اليوم.

ياباذر كم مستقبل يوم لايستكمله ، و منتظر غداً لايبلغه.

ياباذر لونظرت إلى الأجل و مسيره ، لأبغضت الأمل و غروره.

ياباذر كن كأنك في الدنيا عابر سبيل ، وعد نفسك من أصحاب القبور.

يا باذر إذا أصبحت فلاتحدث نفسك بالمساء ، و إذا امسيت فلاتحدث نفسك

١ـ اى قوله تعالى : والذين اذا فعلوا فاحشة الآية ، منه .

بالصّباح ، و خذ من صحّتك قبل سقمك ، و من حياتك قبل موتك ، فانك لاتدري ما اسمك غداً .

وبالجملة فالتّعجيل في جميع الأمور قبيح إلاّ في التّوبة فانه فيها حسن إذ التأخير مظنة الفوت الموجب للاقتحام في الهلكات مع ما في التأخير من خطر آخر وهو أنّ التوبة إذا وقعت عقيب السيئة تؤثر فيها وتمحو أثرها ، و إذا تأخرت يتراكم الرّين وظلمة الذّنوب على القلب فلا يقبل التأثير

ولذلك قال لقمان لابنه: يابنيّ لاتؤخّر التوبة فانّ الموت يأتي بغتة، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين **أحدهما** أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو **الثاني** أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو

ولذلك أيضاً ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ، فما هلك من هلك إلاّ بالتسويف فيكون تسويده القلب نقداً وجلاؤه بالطاعة نسية إلى أن يختطفه الموت فيأتي الله بقلب سقيم ولا ينجو إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وإلى ما ذكرنا كلّه ينظر قوله سبحانه:

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَـٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ».

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن امام أنام وحجّة عالى مقامست كه ميفرمايد: پرهيز نمائيد ازمعبود بسزا اى بندگان خدا وبشتابيد بسوى أجلهاى خود باعملهاى خود وبخريد آخرت باقى را درعوض دنياى فاني ، و رحلت نمائيد بسوى آخرت پس بتحقيق كه

تعجيل كرده شده است بشما و مهيّا باشيد بمرك كه بتحقيق سايه انداخته است برشما ، وبشويد مثل طايفهٔ كه ازطرف خدا نداكرده شدند پس بيدارشدند ودانستند كه نيست دنياى فانى از براى ايشان خانه وسراى زندگانى

پس بدل نمائيد دنيا را بآخرت ازجهة اينكه خداوند عبث خلق نكرده است شما را ، وسرخود ومهمل نگذاشته است شمارا ، ونيست ميان يكى ازشما و ميان بهشت يا جهنم مگر مرك كه نازل شود براو ، وبدرستى مدّت ومسافت عمرى كه كم ميگرداند آنرا نگريستن وخراب مى‌سازد آن را ساعتهاى شب وروز هرآينه سزاوار است آن بكوتاهى‌مدت ، و بدرستى غايبى كه ميرانند او را تازه آيندگان كه عبارتست ازشب و روز هرآينه لايقست بسرعة بازگشت .

يعنى بسوى وطن اصلى كه عبارتست ازآخرت ، وبدرستيكه آيندهٔ كه‌مى آيد بسوى آخرت باسعادت ياشقاوت‌هرآينه استحقاق‌داردبه بهترين‌توشهٔ كه‌عبارتست‌از عبادت و اطاعت تا برساند بسعادت ، پس توشه بر داريد در دنيا از دنيا آنچيزي‌را كه حفظ نمائيد با آن نفسهاى خودتان را از عقوبت روزجزا.

پس متّقى شد بنده براى پروردگار خود كه نصيحت كرد نفس خودراومقدّم داشت توبه خود را و غلبه نمود بر شهوت خود ، پس بدرستيكه أجل آن پنهانست از او ، و آرزوى او فريبندهٔ اوست ،و شيطان ملعون موكل اوست كه زينت مى‌دهد از براى أو معصيت را تا سوار شود بر او ، و آرزومند ميسازد او را بتوبه و إنابه‌تا بتاخير أندازد آنرا تا اينكه هجوم آورد مرك أو بأو در غافلترين حالتيكه ميباشد بر آن حالت.

أى حسرت حاضر باش بر هر صاحب غفلت كه باشد عمر او بر أو حجت در روز قيامت ، و برساند أو را روزگار أو ببدبختى و شقاوت، سؤال ميكنيم از خداوند تعالى آنكه بگرداند ما و شما را از كسانيكه بطغيان نيندازد اورانعمت و مقصّر نسازد او را از اطاعت پروردگار خود غرض و غايت' يعنى أغراض‌دنيويه

مانع اطاعت أو نكردد ، و از كسانيكه حلول نكند بأو بعد از مرك ورحلت هيچ حسرت و ندامت و نه اندوه و محنت.

الى هنا انتهى الجزء الرابع من هذه الطبعة البهية القيمة وذلك بتصحيح و تهذيب من العبد «السيد ابراهيم الميانجى» ووقع الفراغ فى اوايل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧٩ ويليه ان شاء الله الجزء الخامس وأوله أول المختار الرابع والستين

والحمد لله رب العالمين

العنوان	الصفحة
المختار الثامن والعشرون	٢
ذكر المختار على رواية غير السيد	٩
تزهيد وترغيب	١٠
ترجمة المختار	١٢
المختار التاسع والعشرون	١٤
شرح قوله عليه السلام: حيدى حياد	١٥
ذكر الخطبة على رواية غير السيد	٢١
الترجمة	٢٦
المختار الثلاثون في معنى قتل عثمان	٢٧
في عدم مداخلته عليه السلام في قتل عثمان لا بالأمر ولا بالنهى	٢٩
كيفية قتل عثمان	٣٣
المختار الاحد والثلاثون من كلام له عليه السلام قاله لابن عباس قبل حرب الجمل	٤٢
أول الجزء الثاني حسب تجزئة المصنف على ما في الطبعة الاولى	٤٦
المختار الثاني والثلاثون وقد قاله عليه السلام في مسجد الكوفة و عنده وجوه الناس	٤٨
تقسيمه عليه السلام الناس إلى خمسة أقسام	٥٣
الترجمة	٥٨
المختار الثالث والثلاثون قاله عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة	٦٠
في أن غرضه عليه السلام من حرب أهل الجمل كان لاقامة الحق و ازاحة الباطل	٦٢
تحقيق ان البغاة والخوارج كفار أم لا	٦٤
الترجمة	٦٨
المختار الرابع والثلاثون في الناس إلى أهل الشام و تحريضه أصحابه إلى الجهاد	٦٦
شرح قوله عليه السلام : انفراج الرأس	٧٥
سبب تقاعد الناس عن أميرالمؤمنين عليه السلام	٧٧
نقل المختار على رواية غيرالسيد	٨٠
الترجمه	٨٢
المختار الخامس والثلاثون قاله عليه السلام بعد التحكيم	٨٤
كيفية التحكيم في صفين	٨٩
صورة صحيفة المصالحة	١٠٣

العنوان	الصفحة
قراءة صحيفة المصالحة على الصفوف	١٠٥
نصيحة ابن عباس لأبي موسى	١٠٨
اجتماع أبي موسى و عمرو بن العاص في دومة الجندل	١١١
ما خدع به عمرو بن العاص أبا موسى	١١٤
الترجمة	١١٦
المختار السادس والثلاثون في تخويف أهل النهروان	١١٧
في ذكر ما ورد من اخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقتال الخوارج و كفرهم	١١٩
في كيفية قتال الخوارج	١٢٢
الترجمة	١٣٩
المختار السابع والثلاثون قاله عليه السلام بعد وقعة النهروان يشتمل على فصول أربعة	١٤٠
الفصل الاول في ذكر مناقبه الجميلة	١٤٢
الفصل الثاني في ذكر حاله عليه السلام في زمن الخلافة	١٤٤
الفصل الثالث في الرضا بالقضاء .	١٤٥
الفصل الرابع في ذكر حاله عليه السلام بعد وفات الرسول صلى الله عليه وآله	١٤٥
حديث عليّ مع الحق والحق مع عليّ و كلام ابن أبي الحديد وجوابه	١٤٦
الأخبار الواردة في سبب تقاعده عليه السلام عن جهاد من تقدم عليه	١٥٣
الترجمة	١٦٤
المختار الثامن والثلاثون يشتمل على فصلين	١٦٥
الفصل الأول في بيان وجه تسمية الشبهة بالشبهة	١٦٦
الفصل الثاني في مقام التذكير بالموت	١٧٢
الترجمة	١٧٣
المختار التاسع والثلاثون قاله عليه السلام في غزاة النعمان بن بشير بعين التمر	١٧٠
كيفية غزاة النعمان بن بشير على عين التمر	١٧٥
الترجمة	١٧٩
المختار الأربعون في الخوارج	١٨٠
في شرح قول الخوارج لاحكم إلا لله	١٨٢
في أنه لابد للناس من أمير برأو فاجر	١٨٤
كلام للشارح المعتزلي و جوابه	١٨٦
الترجمة	١٨٧
المختار الأحد والأربعون في مدح الوفاء وأنه توأم الصدق، و ذم الغدر	١٨٨

العنوان	الصفحة
في أن الوفاء والصدق من جنود العقل كما أن الغدر والكذب من جنود الجهل	١٩٠
الآيات والأخبار الواردة في حسن الوفاء و قبح الغدر	١٩٣
الترجمة	١٩٨
المختار الثاني والأربعون في النهى عن اتباع الهوى والمنع عن طول الأمل	١٩٩
في أن طول الأمل من أعظم الموبقات و ذكر الأخبار الواردة فيه	٢٠٣
نقل المختار على رواية غير السيد «ره»	٢٠٥
الترجمة	٢٠٦
المختار الثالث والأربعون وقد قاله عليه السلام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية	٢٠٧
في شرح قوله عليه السلام: والرأى مع الاناة	٢٠٩
في أنه عليه السلام كان مأموراً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين	٢١١
حاله عليه السلام بعد وقعة الجمل إلى أن سار إلى صفين	٢١٣
في ذكر نبذ من احداث عثمان و بدعه و مطاعنه	٢١٩
استدلال الشارح المعتزلي على مغفورية ذنوب عثمان بثلاثة اوجه	٢٢٧
رد المصنف ما استدل به الشارح المعتزلي	٢٢٨
كلام للشارح المعتزلي ورده	٢٣٠
ترجمة المختار	٢٣١
المختار الرابع والأربعون وقد قاله عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة إلى معاوية	٢٣٢
قصة بني ناجية و سبب هرب مصقلة	٢٣٤
الترجمة	٢٤١
المختار الخامس والأربعون وهو منتظم من فصلين	٢٤٢
الفصل الأول مشتمل على حمد الله سبحانه و ثنائه	٢٤٣
الفصل الثاني متضمن للتنفير عن الدنيا والتنبيه على بعض عيوباتها	٢٤٧
في الكفاف و بعض الروايات الواردة في مدحه و حسنه	٢٤٩

العنوان	الصفحة
نقل المختار برواية الفقيه	٢٥٠
الترجمة	٢٥٢
المختار السادس والأربعون وقد قاله عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام	٢٥٣
تنبيه و تحقيق في ما ورد في فضل الدعاء و وجوبه عقلا و نقلا	٢٥٥
الترجمة	٢٦٤
المختار السابع والأربعون في ذكر الكوفة	٢٦٤
في اخباره عليه السلام عن المغيبات والاشارة إلى حال الكوفة و حال أهلها و تسلط الظالمين عليهم بالظلم والعدوان	٢٦٥
في ما ورد في مدح الكوفة	٢٦٧
الترجمة	٢٦٨
المختار الثامن والأربعون قاله عليه السلام عند المسير إلى الشام	٢٦٨
في توجهه عليه السلام إلى صفين	٢٧٠
الترجمة	٢٧٣
المختار التاسع والأربعون في الحكمة الالهية والصفات الربوبية	٢٧٤
في الآثار الدالة على وجوده تعالى	٢٧٦
في امتناع رؤيته تعالى على عين البصير	٢٧٩
في أنه تعالى سبق في العلو فلا شيء أعلا منه	٢٨٥
في أنه تعالى قرب في الدنو فلا شيء أقرب منه	٢٨٥
في أنه تعالى لم يطلع العقول على تحديد صفته	٢٨٨
و أنه لم يحجبها عن واجب معرفته	٢٨٩
في رواية الكافي و شرحها	٢٩٠
الترجمة	٢٩١
المختار الخمسون في توبيخه عليه السلام الناس على متابعة الأهواء المبتدعة والآراء المضلة	٢٩١
في ايراد المختار على رواية الكافي	٢٩٥
في البدع المحدثة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٢٩٧
الترجمة	٣٠٠
المختار الأحد والخمسون وقد قاله عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات ومنعوهم الماء في التحريض على الحرب	٣٠١
كيفية غلبة أصحاب معاوية الماء	٣٠٤
إعجاز عجيب لعليّ عليه السلام نقلا عن البحار	٣٠٧

العنوان	الصفحة
في فتح الشريعة و إزالة أهل	
العراق أهل الشام عن الماء	٣٠٩
الترجمة	٣١٠
المختار الثاني والخمسون و هو	
متضمن لفصلين	٣١١
الفصل الأول يدور على فصول ثلاثة	
الفصل الأول في التنفير عن الدنيا	
والتحذير منها	٣١٣
الفصل الثاني في التنبيه على عظيم	
ثوابه تعالى و أليم عقابه	٣١٥
الفصل الثالث في التنبيه على عظيم	
نعم الله سبحانه	٣١٧
الترجمة	٣١٧
الفصل الثاني من المختار في ذكر	
يوم النحر في صفة الاضحية	٣١٨
في أن الاضحية مستحبة مؤكدة	٣١٩
فروع فقهية في شرايط الاضحية	٣٢٠
تكملة استبصارية في نقل المختار	
عن الفقيه	٣٢٢
الترجمة	٣٢٤
المختار الثالث و الخمسون في صفة	
أصحابه عليه السلام بصفين أوليان حال	
البيعة	٣٢٤

العنوان	الصفحة
الترجمة	٣٢٦
المختار الرابع والخمسون و قد	
قاله عليه السلام حين استبطأ أصحابه إذنه	
لهم في القتال بصفين	٣٢٧
الترجمة	٣٢٩
المختار الخامس والخمسون وقد	
قاله عليه السلام في قصة ابن الحضرمي	٣٢٩
المقصود بهذا الكلام هو توبيخه	
عليه السلام أصحابه عن التثاقل عن الجهاد	٣٣١
قصة ابن الحضرمي	٣٣٣
الترجمة	٣٣٧
المختار السادس والخمسون في	
اخباره عليه السلام ببعض ما يبتلى به أهل	
الكوفة بعده	٣٣٨
في هذا المختار نكات شريفة ينبغي	
الاشارة إليها	٣٤٠
الأول في اخباره عليه السلام بما يكون	
قبل كونه	٣٤٠
في اخباره عليه السلام عن شهادة جويرية	
ابن مسهر و وقوعه كما أخبره	
	٣٤١
في إخباره عليه السلام عن كيفية شهادة	
ميثم التمار و وقوعه كما أخبره	٣٤٢

العنوان	الصفحة
في إخباره عليه السلام عن كيفية شهادة رشيد الهجري و وقوعه كما أخبره	٣٣٤
في إخباره عليه السلام بأن شهادته تكون قبل موت معاوية	٣٤٤
الثاني في تعيين المراد من الرجل الذي أخبر عليه السلام بظهوره على أهل الكوفة	٣٤٥
في السبب الذي به منع عمر بن عبدالعزيز عن سبه سلام الله عليه	٣٤٦
الثالث في الفرق بين السب والتبري	٣٤٨
الترجمة	٣٥٠
المختار السابع والخمسون في كلام له عليه السلام كلم به الخوارج	٣٥٠
الترجمة	٣٥٣
المختار الثامن والخمسون وقد قاله عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج	٣٥٣
تنبيه و تحقيق في الاشارة إلى معجزته عليه السلام	٣٥٥
في الاشارة إلى الغلاة	٣٥٦
تحقيق في معنى الغلو والتفويض	٣٥٨
في معنى التفويض	٣٦١
تحقيق في معنى التفويض إلى النبي الأئمة عليهم السلام والاشارة إلى أقسامه	٣٦٢
الترجمة	٣٧٤
المختار التاسع والخمسون في اخباره عليه السلام عن المغيبات	٣٧٤
في فرق الخوارج ، و كبارها ست أو سبع	٣٧٥
الترجمة	٣٨٠
المختار الستون في نهيه عليه السلام عن قتل الخوارج مشيراً فيه إلى علة النهى	٣٨١
الترجمة	٣٨٤
المختار الأحد والستون وقد قاله عليه السلام لما خوف من غيلة ابن ملجم «لع»	٣٨٤
في تحقيق الأجل المحتوم والأجل الموقوف	٣٨٥
الترجمة	٣٨٨
المختار الثاني والستون في الترغيب إلى الآخرة و التزهيد عن الدنيا	٣٨٩
في الاشارة إلى كون الدنيا دار بلاء و فتنة	٣٩١
الترجمة	٣٩٤

العنوان	الصفحة
المختار الثالث والستون في التنفير عن الدنيا	٣٩٤
في الاشارة إلى مادلت عليه قوله تعالى: إن الله اشترى «الخ»	٣٩٧
في الاستعداد للموت	٣٩٩
في الاشارة إلى قرب الساعة و ما يكون فيها من الثواب والعقاب	٤٠١
في الزاد الذي به يحصل حرز النفس و حفظها	٤٠٥
حديث معاذ في توبة بهلول النباش	٤٠٧
في حسن التعجيل و قبح التسويف في التوبة و ترجمة المختار	٤١١